محاورات أفلاطون

المجلد الرابع

أفلاطون

المحاورات الكاملة

أفلاطون

المحاورات الكاملة

المجلد الرابع

محاورة كراتيلوس

محاورة سيمبوزيوم

محاورة هيبياس الكبرى

محاورة هيبياس الصغرى

محاورة مينيكسينوس

محاورة كريشياس

نقلها إلى العربية

شوقي داود تمراز

الأهلية للنشر والتوزيع

بيروت ١٩٩٤
إصدار: الأهليّة للنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء، بناية الدورادو
ص.ب. : ١١٣٥٤٣٣ - هاتف: ٣٥٤١٥٧

المحتويات:

محاورة كراتيلوس

أصل الأسماء

أفكار المحاورة الرئيسيَّة

يوافق كلّ من كراتيلوس، رفيق هيراقليطوس، وهرموجينس، أخو كالياس السوفسطائيّ، يوافقان على إشراك سقراط في المحاورة الدائرة بينهما بشأن الأسماء. يقول كراتيلوس إنّ الأسماء تكون طبيعيَّة وليست اصطلاحيَّة، وإنها ليست جزءاً من الصوت الإنسانيّ الذي يتّفق الرجال على استعماله، بل إن هناك حقيقةً أو صحّة فيها هي الشيء عينه للهيلينيين والبربر على حدٍ سواء. يسأله هرموجينس بعد ذلك، إن كان اسمه ـ كراتيلوس ـ هو إسمٌ بحقّ أو لا، أو إن كان اسم سقراط إسماً حقيقيّاً كذلك؟ يستطرد كراتيلوس قائلاً: « إذا دعاك العالم كلّه هرموجينس فلن يكون ذلك الإسم إسمك »، وعندما يتملّك هرموجينس القلق كي يحوز شرحاً أَوضحَ مّما قاله كراتيلوس فإنّ الأخير يتهكّم ويلجأ إلى الإبهام. لذلك يلتمس هرموجينس من سقراط أن يخبره ماذا يعني الوحي الإلهيّ الذي يحلّ على سقراط، أو على الأصحّ أن يوضح له نظريّته الخاصة عن حقيقة أو صحّة الأسماء.

يجيبه سقراط: هناك قول قديم، وهو أنّ معرفة الخير صعبة، وما معرفة الأسماء إلا جزءٌ مهمٌّ من المعرفة. لو لم أكن فقيراً لأمكنني حضور الدورة التعليميّة لبروديكوس العظيم في علم الصّرف والنّحو واللّغة والتي تكلف خمسين دراخما، وسأكون عندئذ قادراً على إجابتك على سؤالك بخصوص صحّة الأسماء في الحال. ولهذا السبب فإنّني لا أعرف الحقيقة بشأن تلك المسائل. وبرغم هذا، فإنّني سأساعدك وأساعد كراتيلوس على التحقيق فيها بكلّ سرور. عندما يعلن هو إسمك

ويقول إنّه ليس هرموجينس بحقّ، أشتبه أنّه يمزح معك؛ يعني هو أنّك لست الإبن الحقيقيّ لهرمس لأنّك تبحث للحصول على مالٍ وفير على الدوام ولا يحالفك الحظّ قطّ. ومهما يكن، فسنرى إذا كان من الأفضل لنا أن نحقّق في أيّة النظريتين هي الأفضل، نظريّتك أو نظريّة كراتيلوس، وسنساهم جميعاً في ذلك بما نملك من قدرات. يقول هرموجينس، بعد ذلك، إنّه لا يستطيع أن يقنع نفسه أن هناك قاعدةً للصحّة في الأسماء غيراً من التقليد والاتّفاق، وأنّ أيَّ إسمٍ يعطيه الشخص يكون الإسم الحقيقيّ لأنّه لا يوجد إسم ممنوح لأيّ شيء بالطبيعة بل إنّ كلّ الأسماء تكون عرفاً أو عادة عند مستخدميها. لكنّي سأكون سعيداً لأسمع وأتعلم من كراتيلوس، أو من أيّ شخص آخر في هذا الموضوع.

أجاب سقراط: أجرؤ على القول إنّه من الممكن أن تكون على حقّ فيما تقول، يا هرموجينس، وما تعنيه هو أنّ اسم كل يكون ذلك الذي يتّفق أيّ شخص على تسميته. نعم، يا سقراط، لكن إذا سُمّي الإنسانُ حصاناً أو الحصان إنساناً، فهل تعني أنّ الإنسان سيدعى حصاناً بحقّ، ويدعوه باقي العالمْ إنساناً بصدق؟ لكن ماذا عن الحقيقة حينئذ، يا هرموجينس، وهل ستعترف بأنّه يوجد معنى في الكلام عن البيان أو العرض الحقيقيّ أو الخاطىء؟ تعترف أنت إذن، أن هناك افتراضاتٍ حقيقيّة وأخرى باطلة. وما الافتراض الحقيقيّ إلا ذلك الافتراض الذي يكون كما هو، وأمّا الافتراض الخاطىء فإنّه يكون عكس ذلك ... إذن فإنّ كلامنا يمكنه أن يصوِّر أو يعلن أشياء تكون أو لا تكون. بدون ريب، يا سقراط. وهل يكون الافتراض الصحيح كلّيّاً فقط، يا هرموجينس في حين أنّ الأجزاء ليست كذلك؟ وهل يحلِّل الافتراض أو الخير إلى أيّ جزء أصغر من الإسم؟ لا إنّ الإسم يكون جزءاً من الافتراض الحقيقيّ، بل إنّه جزء أساسيّ، أمّا الجزء من التزييف فهو جزءٌ باطلٌ. وبناء عليه، فإذا أمكن للافتراضات أن تكون حقيقيّة ومزيّفة يمكن أن تكون الأسماء كذلك. لكن، يا هرموجينس، هل ستوجد أسماء

متعدّدة لكلّ شيء كذلك يقول بوجودها كلّ شخص؟ وهل ستكون تلك الأسماء أسماءً حقيقيّة وقت التفوّه بها؟ نعم، يا سقراط، ولا أستطيع أن أتصوَّر صحّةً للأسماء غيراً من هذا. أنت تعطي إسماً واحداً، وأنا أهب إسماً آخر. ولكن هل ستقول إنّ الأشياء تختلف كما تختلف الأسماء؟ وهل هي نسبيّة، كما يخبرنا بروتاغوراس؟ فهو يقول إن الإنسان هو مقياس كلّ شيء، وإنّ الاشياء تكون كما تبدو لي، وإنّها تكون لك مثلما تتّضح لك؟ هل تتفق معه، أو أنّك ستقول إنّ الأشياء تمتلك جوهراً دائماً خاصّاً بها؟ لقد حدث منذ زمن، يا سقراط، عندما أُجبرت على اللجوء لبروتاغوراس، لكن ليس معنى ذلك أنّني أتّفق معه بشكل كامل. وهل أُجبرتُ على أن تعترف بأنّه يوجد هكذا شيء كالرجل الشرّير؟ لا، يا سقراط، بل كان لديّ سببٌ لأعتقد بأنّ هناك رجالاً أشراراً جدّاً، وكذلك هناك منهم أخيار عديدون، وليس من الأخيار جدّاً. وأعترف بأنّ الأخيار جدّاً كانوا العقلاء الفعليّين، وأنّ الأشرار جدّاً كانوا الأغبياء الفعليّين، وهذا ينقض ما قاله بروتاغوراس من أنّ الحقيقة تكون كما تظهر لأيّ شخص، وأنّ الإنسان هو مقياس كلّ شيء، ويدحض كذلك ما قاله يوثيديموس بأنّ كلّ الأشياء تخصُّ كل الرجال بشكلٍ متساوٍ وفي اللحظة عينها. إذن فإنّ ما قالاه ليس قولاً صحيحاً، يا هرموجينس، وإنّ كلّ الأشياء ليست نسبيّة للأفراد، وإنّها كلّها لا تخصُّ الجميع بشكلٍ متساوٍ دائماً، وفي اللحظة عينها. يجب افتراض أنّها تمتلك جوهرها الدائم المناسب الذي يخصّها، ولا تتقلّب حسب أوهامنا وميولنا، بل إنّها مستقلّة وتُبقِي لجوهرها الخاصّ بها النسبة الموصوفة بالطبيعة. أعتقد، يا سقراط، أنّك نطقت بالحقّ. أليستِ الأفعالُ نوعاً من أنواع الوجود أيضاً، يا هرموجينس؟ وتفعل طبقاً لطبيعتها المناسبة وليس طبقاً لرأينا عنها. كمثال، عندما نشرع نحن في قطع شيء ما، هل نقدر على القيام بهذا العمل بالطريقة التي تسرّنا وبالأداة التي تصادفنا، أو أنّنا سننجح إذا قطعنا بالأداة المناسبة، وطبقاً لعملية القطع الطبيعية؟ لكن إذا فعلنا

عكس ذلك فإنّنا لن نحقّق شيئاً. وسبب ذلك أنّ كلّ طريقة لا تكون الطريقة الصحيحة لفعل ذلك، بل إنّ الطريقة الصحيحة هي الطريقة الطبيعية، وإنّ الأداة الصحيحة هي الأداة الطبيعية. ويصحّ هذا جيداً عن كلّ الأعمال وعن الكلام كذلك. أوليست التسمية جزءاً من الكلام، لأنّ الرجال يتكلّمون في إعطائهم الأسماء؟ أليست التسمية نوعاً من الفعل، وهذه الأفعال لم تكن نسبيّة بل إنّ لها طبيعة خصوصية وخاصّة بها؟ أمّا المحاورة فستقودنا لاستنتاج أنّ الأسماء ينبغي أن تُعطى طبقاً لعملية طبيعيّة وبأداة مناسبة وليس كما يسرّنا؟ وهكذا بالنسبة إلى القطع والحياكة وثقب الأشياء، فنحن نقطع بالسكّين، ونحيك بالمكّوك، ونثقب بالمخرز، ويسمى ذلك الذي نسمّي به إسماً وهو أداة. ونقول عن المكّوك، مثلاً، إنّه أداة حياكة، ونحن نقوم بفصل السّداة عن اللّحمة عندما نحيك. إنّ كل ما تقوله هو قول حقيقي، يا سقراط. وافترض الآن، يا هرموجينس، أنّني أسألك سؤالاً مشابهاً بشأن الأسماء. ماذا نفعل نحن عندما نسمّي، آخذين بعين الاعتبار، الإسم كأداة؟ ألا نعطي نحن معلومات بعضنا لبعض، ونميّز الأشياء طبقاً لطبائعها؟ إنّ الإسم يكون أداة للتعليم ولتمييز الطبائع، مثلما يكون المكّوك لتصنيف خيطان السّداة، وهو أداة الحياكة، كما قلنا. ومثلما يستعمل الحائك المكّوك جيّداً، فإنّ المعلّم سيستعمل الإسم جيّداً. وعندما يستعمل المعلّم الإسم فإنّه يستخدم عمل القانون الذي يعطينا إياها، أو يستخدم عمل المشرّع، ولا يكون كلّ إنسان مشرّعا بل الإنسان البارع، وهو الأندر من كل الحرفيّين الحاذقين في العالم. ولنسأل، كيف يخلق المشرّع الأسماء وإلامَ يتطلّع؟ ألا يتطلّع إلى الطريقة التي يجب أن يعمل بها في طبيعة الأشياء؟ وافترض، يا هرموجينس أنّ المكّوك يتحطّم في الصناعة، فهل سيصنع الصانع غيره ناظراً إلى المكّوك المكسور، أو أنّه سيتطلّع إلى الشكل الذي صُنِع المكّوك الآخر طبقاً له؟ ويُسمّى هذا المكّوك المكّوكَ الحقيقيَّ والمثالي بعدل، وينطبق هذا على كلّ الأشياء. والآن، بالنسبة إلى الأسماء: ألا يجب أن يعرف

مشرّعنا كيف يخلق الإسم الحقيقيّ الطبيعيّ لكلّ شيء في أصواتٍ ومقاطع لفظيّةٍ، وليؤلّف ويعطي كلّ الأسماء بقصد الإسم المثالي، إذا كان هو ليمسي مسمّياً في أيّ معنى حقيقي؟ وينبغي علينا أن لا نسيء فهم الحقيقة وهي أنّ مشرّعين مختلفين لن يستعملوا المقاطع اللفظيّة عينها، مثلما لا يصنع كلُّ حدادٍ الأدوات جميعها من الحديد عينه. إنّ الشكل يجب أن يكون هو الشكل عينه، لكنّ المادة يمكن أن تتباين وتختلف، ولهذا السبب لن نحسب المشرّع مشرّعاً سيّئاً، سواء أكان هيلينيّاً أو من البربر، شريطة أن يجسّد أو يصوّر شكل الإسم المناسب لكلّ موضوع في أيّة مقاطع لفظيّة، ولا يهمّ إذا كان المشرّع من هذه البلاد أو من تلك. ومن سيكون القادر على أن يدير أو يهدي المشرّع في عمله ويكون مؤهّلاً لأن يحكم إذا كان العمل قد أُنجز جيّداً؟ ألن يكون هذا هو الإنسان المستخدِم لكلّ هذا، ويجب أن يكون هو الذي يعرف كيف يطرح الأسئلة وكيف يجيب عليها، وسنسمّي مَن يعرف ذلك عالِم المنطق. لهذا فإنّ عمل المشرّع هو إعطاء الأسماء، ويلزم أن يكون عالِم المنطق قائده وهاديه إذا ما كانت الأسماء تعطى بحق. إنّ ذلك لحقيقيّ، يا سقراط. عليّ أنّ أقول إذن، يا هرموجينس، إنّ منح الأسماء هذا لا يمكن أن يكون مسألة غير ذات شأن كما تتوهّم، وأن كراتيلوس على حقّ في قوله إنّ الأشياء تمتلك أسماء بالطبيعة، وإنّه ليس كلّ إنسان يخترع أسماءً، بل هو الذي ينظر في الإسم فقط الذي يمتلكه كلُّ شيء بالطبيعة، ويقدر على أن يجسّد أو يصوّر أو يعبّر عن هذا الإسم في حروفٍ ومقاطع لفظيّة.

لا أستطيع أن أرى كيف أجيبك على محاورتك، يا سقراط، لكنّني أجد صعوبة في تغيير رأيي كله في لحظة، ولا أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أكون أكثر اقتناعاً، إذا لم تُرِني ما هو ذلك الذي تسمّيه أنت التناسب الطبيعيّ للأسماء. يا طيّبي هرموجينس، قلت لك قبلاً ليس عندي أيّ شيء لأريه، وأنا لا أعرف شيئاً، وبما أنّنا اشتركنا في البحث سويّةً فقد ربحنا خطوة، ما دمنا قد اكتشفنا أنّ

الأسماء تمتلك حقيقة بالطبيعة، وأنّه ليس باستطاعة كلّ إنسان أن يعطي أسماءً. والآن علينا أن نتقدّم لنبحث في ماهيّة هذه الحقيقة أو في صحة الأسماء. أمّا الطريقة فهي أن يساعدنا الذين يعرفون، وهؤلاء هم السوفسطائيون، وعلى رأسهم أخوك كالياس وبروتاغوراس. وبما بأنّك تستخف بهم، عليك أن تتعلّم من هوميروس ومن الشعراء. إنّ هوميروس يتكلّم غالباً بنبل وبشكل خاصّ، يتكلّم في الأمكنة حيث يميّز الأسماء المختلفة التي تعطيها الآلهة والرجال إلى الأشياء عينها. لذلك فإنّ الآلهة تسمي الأشياء بأسمائها الطبيعيّة الحقيقية. كمثال، يقول هو إنّ الآلهة دعوا النهر في طروادة، الذي حارب مع هيفياستوس في معركة فريدة، دعوه أكسانثوس، في حين دعاه الرجال سكامندر. وهناك عشرات الأمثلة مثل هذا المثل. وأقول لك إنّ العاقل وليس الغبي هو الذي يعطي أسماء صحيحة، والرجل وليس النساء كذلك. وبعد، دعني أتكلّم عن مسار الطبيعة الاعتيادية، وهو أنّ هناك سبباً في تسمية شبل الأسد أسداً، ومهر الحصان حصاناً، لكن إذا وضعت الفرس عجلاً ضدّ الطبيعة، عليّ أن لا أسمّي ذلك مهراً بل عجلاً عندئذ؛ ولا أسمّي أية ولادة غير إنسانية، لأبوين إنسانيين، باسم إنسان. ويمكنني قول الشيء عينه عن الأشجار وعن الأشياء الأخرى. ويدعى ابن الملك ملكاً على القاعدة عينها، سواء أكانت المقاطع اللفظيّة للإسم الشيء عينه أو لا، شرط استبقاء المعنى للإسم؛ ولا تخلق إضافة أو إنقاص حرف أي فرق ما دام الشيء يبقى قيد التملك للإسم ويظهر فيه. يمكنني أن أوضح معناي بأسماء الحروف التي تعرف أنت، يا هرموجينس، أنّها ليست الشيء عينه كالحروف عينها ما عدا أربعة منها وهي .e.v.o.w أمّا الحروف الباقية سواء إذا كانت حروف علة أو حروفاً تدلّ على صوت ساكن، فإنّنا نؤلّف منها أسماءً بإضافة الحروف الأخرى إليها. لكنّنا ما دمنا نعرض ونشرح قيمة الحرف فإنّ أسماءً كهذه التي تعيّن الشيء بجلاء، هي أسماء صحيحة. خذ، كمثال، الحرف BETA إنّ إضافة الحرف .M.T.U لا تسيء له، ولا تمنع الإسم كلّه من

امتلاك القيمة التي قصدها المشرّع، وهو يعرف جيّداً كيف يهب الحروف أسماءً.

يمكن أن يقال الشيء عينه عن الملك، وهو سيكون ابن ملك على الغالب، وسيكون الإبن الصالح إبناً لسيّد خيّر وشريف المحتد. وبشكل مماثل، فإنّ الذريّة من كلّ نوع، تكون مثل آبائها في طور الطبيعة المنتظمة، ويجب أن تمتلك الإسم عينه لهذا السبب. أمّا الجاهل فإنّ كل هذا وغيره يظهر له أنه مختلف. وفي نمطٍ مماثل، فإنّ المتخصّص في دراسة أصل الكلمات يعتبر ويتأمّل مليّاً قوة كلٍّ إسم، ولا يوضع به الإسم خارجاً وذلك بإضافة أو إبدال أو إنقاص حرفٍ أو حرفين منه. إنّني سأعطيك أمثلة على ما أقول لعدّة أسماء مختارة للرجال الشهيرين والأبطال، وسأشرح لك معنى اسم الشمس، القمر، الأرض، النجوم، وبعدها أسماء أنصاف الآلهة. وتدلُّ كلمة « إنسان » ضمناً على أنّ الحيوانات الأخرى لا تبحث ولا تتفحّص أو تتأمّل، أو تنظر عاليا فيما تراه، والإنسان لا يرى فقط بل يتأمّل ويعتبر، وينظر عالياً في ذلك الذي يراه، وهو الوحيد الذي يمتلك ديناً وحكمة، وفيه نميّز الروح التي تكون سبب وأصل حياة الجسد، وتهبه قوّة التنفّس والانبعاث. وعندما تكفّ هذه القوة الانبعاثية عن أداء وظيفتها، فإنّ الجسم سيفنى ويهلك ويموت حينئذ. إنّ كلّ ما تقوله هو حقّ وصدق، يا سقراط.

دعنا نبحث، يا هرموجينس، في معنى إسم النار، الهواء، الماء، الأرض، الفصول الأربعة، ونذهب بعد ذلك لنشرح أسماء الفضائل مثل الحكمة، الفهم، العدل، الشجاعة، وما شابهها، ثم نوضح معنى كلمتي الحركة والسكون، الخير والشرّ، اللذّة والألم. وسنتطرّق إلى شرح أنبل وأعظم الكلمات مثل « حقيقة »، « باطل ». لقد استعملنا الحروف للتعبير عن كلّ الأهداف التي تمّ بحثها. أما استخدام الحروف المفردة أو المتعدّدة منها، فإنّنا سوف نشكّل منها مقاطع الكلمات عند الحاجة، ونوجد من تركيب مقاطع الكلمات أسماءً وأفعالاً. وهكذا نصل في اللغة أخيراً، من تجميع الأسماء والأفعال، إلى سعة الأفق والجمال والكمال. وكما

يخلق الرسّام اليدويّ الشكل الذي يريد، هكذا نحن سوف نؤلف خطاباً بفنّ المغنّي أو الخطابيّ، أو مهما يمكن أن يسمّى ذلك. وعلينا أن نرى إذا ما كانت العناصر الأوليّة الأساسيّة قد مُنحت بحقّ، أو إذا ما كانت العناصر الثانوية تحتلّ مكان الصدارة، لأنّها إذا لم تكن كذلك فإنّ تركيب الأسماء منها، يا عزيزي هرموجينس، سيكون قطعة عمل يُرثى لها وفي الوجهة الخاطئة. إنّك لمحقٌّ في عملك هذا كلّه، يا سقراط.

بعد أن وصل سقراط وهرموجينس إلى هذه النقطة الأساسيّة في المحاورة، بدأ كراتيلوس يحاور سقراط في الموضوع عينه. لكن كراتيلوس، رفيق هيراقليطس، لم يقتنع بما قاله سقراط وبقي على ولائه لِمَا تلقّاه من تعاليم أستاذه هيراقليطس. وهكذا انتهت المحاورة.

محاورة كراتيلوس

أصل الاسماء

اشخاص المحاورة

سقراط كراتيلوس

هرموجينس: إفترض أن نجعل سقراط شريكا في المحاورة

كراتيلوس: إذا سرّك ذلك

هرموجينس: عليّ أن أشرح لك، يا سقراط، أنّ صديقنا كراتيلوس قد تحاور بشأن الأسماء. يقول إنّ الأسماء طبيعيّة وليست اصطلاحيَّة، وإنّها ليست جزءاً من الصوت الإنساني الذي يتّفق الرجال على استعماله؛ بل إنّ هناك حقيقة أو صحة فيها، هي الشيء عينه لجميعها، وللهيلينيين والبربر على حدّ سواء. إنّني أسأله عند ذلك إذا ما كان اسمه الخاصّ هو كراتيلوس بحق أوْ لا، ويجيب هو بـ « نعم »؛، أو إذا ما كانِ اسم سقراط إسماً حقيقياً كذلك، « نعم ». إذن يكون إسم كلّ إنسان، كما أُخبِره، ذلك الإسم الذي يُدعى به. يجيب هو على هذا قائلاً: « إذا دعاك العالم كلّه هرموجينس، فلن يكون هذا الإسم إسمك ». وعندما يتملكني القلق كي يوضح لي أكثر من هذا فإنّه يلجأ إلى الغموض، ويبدو أنّه يدلّ ضمناً على امتلاك فكرة خاصّة به عن المسألة اذا كان سيخبرها فقط، ويمكنه أن يقنعني تماماً إذا اختار الجلاء وترك الإبهام. أخبرني، يا سقراط، ماذا يعني هذا الوحي الالهي؛ أو قل لي على الأصحّ، إذا كنت طيباً، قل لي ما هي نظريتك الخاصّة عن حقيقة أو صحّة الأسماء، التي سأسمعها عن بعدٍ أقرب.

سقراط: يا ابن هبيونيكوس، هناك قول قديم هو أنّ « معرفة الخير صعبة » ومعرفة الأسماء هي جزء مهمّ من المعرفة. لو لم أكن فقيراً لأمكنني سماع وحضور الدورة التعليميّة لبروديكوس العظيم، والتي تكلّف خمسين دراخما، وهي تعليم كامل في علم الصّرف والنّحو واللّغة ـ تلك الكلمات هي كلماته الخاصّة به ـ وحينئذ سأكون قادراً أن أجيبك على سؤالك في الحال بشأن صحّة الأسماء. لهذا السبب فإنّني لا أعرف الحقيقة بخصوص مسائل كهذه. إنّني سأساعدك على كلّ حال، وأساعد كراتيلوس بكلّ سرور للتّحقيق فيها. عندما يعلن هو أنّ اسمك لا يكون هرموجينس بحقّ، أشتبه أنّه يمزح معك؛ يعني هو أنّك لست الإبن الحقيقيّ لهرمس لأنّك تبحث للحصول على مال وفير على الدوام ولا يحالفك الحظّ قطّ. لكن كما قلت فإنّ من الصّعب أن تحصل على معرفة محدّدة عن أشياء كهذه، ولذلك كان من الأفضل لنا أن نبحث في أيّ النّظريتين هي الأفضل، نظريّتك أو نظريّة كراتيلوس، وسيساهم كلّ منا في هذا بالقدر الذي يمكنه.

هرموجينس: إنّني غالباً ما تكلّمت عن هذه القضايا مع كراتيلوس والآخرين معاً، ولا أستطيع أن أقنع نفسي بأن هناك أيّة قاعدة للصحّة في الأسماء غيراً من التقليد والاتّفاق. إنّ أيّ إسم تعطيه، هو الإسم الحقيقيّ في رأيي. وإذا ما غيّرت ذلك ومنحت إسماً آخر، فالإسم الجديد المُعطى يكون اسماً جيّداً كالإسم القديم، إذ ليس هناك إسم ممنوح لأيّ شيء بالطبيعة. إنّ كلّ الأسماء هي عرف وعادة عند مستخدميها. تلك هي نظريّتي. لكنّني إذا كنت مخطئاً فسأكون سعيداً لأسمع وأتعلّم من كراتيلوس، أو من أيّ شخص آخر.

سقراط: أجرؤ على القول بأنّه يمكنك أن تكون على حقّ فيما تقوله، يا هرموجينس. دعنا نتيقّن من ذلك. فما تعنيه هو أنّ اسم كلّ شيء هو ذلك الذي يتّفق أيّ شخص على تسميته.

هرموجينس: تلك هي فكرتي.

سقراط: سواء إذا كان صاحب الإسم فرداً أو مدينة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: حسناً. وبعدُ، دعني أُورِد مثالاً: إفترض أنّني أسمّي إنساناً حصاناً، أو حصاناً إنساناً، فهل تعني هنا أنّ إنساناً سيدعى حصاناً بحقّ، وسيدعى من قِبَلي على انفراد، ويُدعى إنساناً من قِبَل بقيّةِ العالم بصدق ـ هل هذا ما تعنيه؟

هرموجينس: إنّه يكون محقّاً، طبقاً لتصوّري.

سقراط: لكن ماذا عن الحقيقة إذن؟ إنّك ستعترف بأنّ هناك معنىً في الكلام عن البيان أو العرض الحقيقيّ والخاطىء.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا، فهناك افتراضات حقيقية وأخرى باطلة.

هرموجينس: لتكن متأكداً.

سقراط: ويظهر الافتراض الحقيقيّ ذلك الذي يكون كما هو، وأما الافتراض الخاطىء فهو عكس ذلك.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ باستطاعة كلامنا أن يصوّر أو يعلن أشياء كائنة، أو غير كائنة.

هرموجينس: بدون ريب.

سقراط: تأمّل مليّاً الافتراض الصحيح ـ أيكون الافتراض صحيحاً ككلٍّ فقط، في حين أن الأجزاء ليست كذلك؟

هرموجينس: لا؛ إنّ الأجزاء تكون صحيحة كما يكون الكلّ صحيحاً.

سقراط: وهل ستقول بأنّ الأجزاء الكبرى تكون صحيحة أما الصغرى فلا، أو أنّ كلّ جزء يكون صحيحاً؟

هرموجينس: ينبغي أن أقول بأنّها تكون صحيحة كلّها.

سقراط: أيكون الافتراض محلّلاً إلى أيّ جزء أصغر من الإسم؟

هرموجينس: لا؛ بل إنّ هذا هو الأصغر.

سقراط: يكون الإسم إذن جزءاً من الافتراض الحقيقي؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: نعم، وهو جزء أساسيّ، كما تقول.

هرموجينس: نعم.

سقراط: أليس جزء التزييف جزءاً باطلاً أيضاً؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن؛ إذا أمكن للافتراضات أن تكون حقيقيّة ومزيّفة، فيمكن أن تكون الأسماء أسماءً حقيقيّة ومزيّفة أيضاً.

هرموجينس: هذا ما يجب ان نستنتجه.

سقراط: ويكون اسم أيّ شيء ذلك الذي يؤكّده أيّ شخص ليكون الإسم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل ستكون هناك أسماء متعددة لكلّ شيء كذلك، كما يقول كلّ شيء بأنها توجد؟ وهل ستكون تلك الأسماء أسماء حقيقيّة وقت التفوّه بها؟

هرموجينس: نعم، يا سقراط، لا أستطيع أن أتصوّر صحّة للأسماء غيراً من هذا. أنت تعطي إسماً واحداً، وأنا أهب إسماً آخر، وهناك أسماء مختلفة للأشياء عينها وفي مدن وبلدان متباينة. إنّ الهيلينيّين يختلفون عن البربر في استعمالهم للأسماء، وكذلك القبائل الهيلينيّة المتعدّدة يختلف بعضها عن البعض الآخر.

سقراط: لكن هل ستقول، يا هرموجينس، بأنّ الأشياء تختلف كما تتباين الأسماء؟ وهل تكون هي نسبيّة إلى الأفراد كما يخبرنا بروتاغوراس؟ لأنّه يقول بأنّ

الإنسان هو مقياسٌ لكلّ الأشياء، وأنّ الأشياء تكون لي كما تبدو لي، وأنّها تكون لك كما تبدو لك. هل تتّفق معه، أو أنّك ستقول بأنّ الأشياء تمتلك جوهراً دائماً خاصاً بها؟

هرموجينس: لقد مرّ زمن، يا سقراط، كنت يومها مجبراً من ارتباكي، على أن آخذ ملاذاً مع بروتاغوراس؛ وهذا ليس معناه أنّني أتّفق معه بشكل كامل.

سقراط: ماذا! هل أجبرت قطّ على أن تعترف بأنّه وُجد هكذا شيء كالرجل الشرير؟

هرموجينس: لا، حقاً؛ إنّه كان لديّ سبب كي أعتقد بأنّ هناك رجالاً جد أشرار، وكذلك هناك عديد منهم أخيار.

سقراط: حسناً، أوَلم تجد أبداً أيّ أشخاصٍ أخيارٍ جدّاً؟

هرموجينس: ليس عديداً منهم.

سقراط: يبقى أنّك وجدتهم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل تقبل بأنّ الأخيار جدّاً هم العقلاء الفعليّون، وأنّ الأشرار جدّاً هم الأغبياء الفعليون؟ هل هذه النظريّة نظريّتك؟

هرموجينس: إنّها لكذلك.

سقراط: لكن إذا كان بروتاغوراس محقّاً، وأنّ الحقيقة هي أنّ الأشياء هي كما تظهر لأيّ شخص، فكيف يستطيع بعضنا أن يكون عاقلاً وبعضنا غبيّاً؟

هرموجينس: مستحيل.

سقراط: وإذا كانت الحكمة والغباء متميّزين بحق، على الجانب الآخر، فإنّك ستجيز أنّ جزم بروتاغوراس يمكن أن يكون جزماً صحيحاً بالكاد، كما أعتقد، إذ لو كان ما يبدو لكلّ إنسان حقيقياً له، فإن أحداً لا يقدر أن يكون أعقل من الآخر في الحقيقة.

هرموجينس: لا يمكنه.

سقراط: وافترض أنّك لن تكون ميّالاً لتقول مع يوثيديموس، بأنّ كلّ الأشياء تخصّ كلّ الرجال بشكلٍ متساوٍ دائماً وفي اللحظة عينها، لأنّه، بناءً على نظريته هذه، لا يمكن أن يوجد بعض الرجال أخياراً وآخرون أشراراً، إذا عُزيت الفضيلةُ والرذيلةُ إلى الجميع دائماً بشكلٍ متساوٍ.

هرموجينس: لا يمكن وجود ذلك.

سقراط: لكن إذا لم يكن لا هذا ولا ذاك صحيحاً، وأنّ كلّ الأشياء ليست نسبيّة للأفراد، وأنها كلّها لا تخصّ الجميع بشكلٍ متساوٍ دائماً وفي اللحظة عينها، فيجب افتراضها أنّها تمتلك جوهرها الدائم المناسب الذي يخصُّها. أنّها لا تكون في نسبة لنا، أو متأثّرة بنا، متقلّبة طبقاً لأوهامنا وميولنا، بل هي مستقلّة، وتبقى على جوهرها الخاصّ بها.

هرموجينس: أعتقد أنّك نطقت بالحقّ، يا سقراط.

سقراط: هل يطبّق ما أقوله عمليّاً على الأشياء عينها فقط، أو على الأعمال التي تنبثق منها بشكل متساوٍ؟ أليست الأفعال نوعاً من أنواع الوجود أيضاً؟

هرموجينس: نعم، إنّ الأفعال هي حقيقيّة بالإضافة إلى الأشياء.

سقراط: إذن فإنّ الأعمال تُفعل طبقاً لطبيعتها المناسبة، وليس طبقاً لرأينا عنها. كمثال، عندما نشرع في قطع شيء ما، هل نستطيع أن نفعل هكذا بالطريقة التي تسّرنا، وبالأداة التي تصادفنا؟ أعتقد على الأصحّ، أنّنا إذا قطعنا بالأداة المناسبة فقط، وطبقاً لعمليّة القطع الطبيعيّة، فإنّنا سننجح في عمليّة القطع وننجز هذا العمل بجودة عندئذ؛ لكنّنا إذا ذهبنا عكس الطبيعة سنخفق ولن نحقّق شيئاً. وفي الحرق مرّة ثانية، فليست كلُّ طريقة هي الطريقة الصحيحة، بل إنّ الطريقة الصحيحة هي الطريقة الطبيعيّة، وإنّ الأداة الصحيحة هي الأداة الطبيعيّة.

هرموجينس: نعم، أعتقد بأنّ ذلك القول هو قَولٌ حقيقي.

سقراط: ويصح هذا جيّداً عن كلّ الأعمال.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وماذا عن الكلام؟ أليس ذلك واحداً من أعمالنا؟

هرموجينس: صدقاً.

سقراط: وهل سيتكلّم أي إنسان بشكل صحيح كالذي يتكلّم كما يشاء؟ ألن يكون المتكلّم الناجح على الأصح هو الذي يتكلّم بالطريقة الطبيعيّة للكلام، وكما ينبغي للأشياء أن يحكى عنها، وبالطريقة الطبيعيّة؟ إنّ أيّ أسلوب آخر للحديث سينتج عنه الخطأ والإخفاق.

هرموجينس: إنّني أوافقك تماماً.

سقراط: أليست التسمية جزءاً من الكلام؟ لأنّ الرجال يتكلّمون في إعطائهم الأسماء[1].

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وإذا اتُّفِقَ على أنّ الكلام هو نوعٌ من الفعل وله علاقة بالأشياء، أفلا تكون التسمية نوعاً من أنواع الفعل أيضاً؟

هرموجينس: حقاً.

سقراط: ورأينا نحن أنّ الأفعال لم تكن نسبيّة لأنفسنا، بل كان لها طبيعة خصوصيّة وخاصّة بها.

هرموجينس: بالضبط.

سقراط: ستقودنا المحاورة إذن كي نستنتج أنّ الأسماء ينبغي أن تُعطى طبقاً لعمليّة طبيعيّة، وبأداةٍ مناسبة، وليس وفق ما يسرّنا. بهذه الطريقة وليس بغيرها سنسمّي نحن بنجاح.

هرموجينس: إنّني أوافق.

سقراط: وقلنا الآن إنّ ذلك الذي يجب أن يُقطع يجب قطعه بشيء ما.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وذلك الذي يجب أن يُحاك أو يُثقب يلزم حياكته أو ثقبه بشيء ما.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وما يمكن التسليم به هو أنّ الذي ينبغي تسميته يجب أن يُسمى بشيء ما.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: وما هو ذلك الذي نثقب به؟

هرموجينس: مِخرز.

سقراط: وذلك الذي نحيك به؟

هرموجينس: مكّوك أو وشيعة.

سقراط: وذلك الذي نسمي به؟

هرموجينس: إسم.

سقراط: جيّد جداً؛ الإسمُ إذن أداة.

هرموجينس: بدون ريب.

سقراط: إفترض أنّني أسأل، « أيّ نوع من أنواع الأداة هو المكّوك »؟ وتجيب أنت، « أداة حياكة ».

هرموجينس: حسناً.

سقراط: وأسأل أنا مرّة ثانية، « ماذا نفعل نحن عندما نحيك »؟ وتكون الإجابة، أنّنا نفصّل ونحلُّ السّداة عن اللُّحمة.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أوَلاَ يمكن أن يُعطى وصفٌ مشابهٌ عن المكّوك، وعن الأُدوات بشكل عامّ؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً.

سقراط: وافترض الآن أنّني أسأل سؤالاً مشابهاً بشأن الأسماء، فهل ستجيبني؟ ماذا نفعل نحن عندما نسمّي، معتبرين الإسم كأداة؟

هرموجينس: إنّني لا أستطيع القول.

سقراط: ألا نعطي نحن معلومات بعضنا لبعض، ونميّز الأشياء طبقاً لطبائعها؟

هرموجينس: إنّنا نفعل بالتأكيد.

سقراط: الإسم إذن أداة للتعليم ولتمييز الطبائع، كما يكون المكّوك أداةً لتصنيف خيطان السُداة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ويكون المكّوك أداة الحياكة؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: سيستعمل الحائك المكوك أو الوشيعة جيّداً إذن، ويعني جيداً مثلما يستعمله الحائك. وسيستعمل المعلم الإسم جيداً، ويعني جيداً مثلما يستعمله المعلم.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وعندما يستعمل الحائك المكّوك، فعمل مَن الذي سيستخدمه جيّداً؟

هرموجينس: عمل النجّار.

سقراط: وهل يكون كلّ إنسانٍ نجّاراً، أو الإنسان البارع فقط؟

هرموجينس: الحاذقون فقط.

سقراط: عندما يستخدم الثقّاب المخرز، فعمل من سيستخدمه جيّداً؟

هرموجينس: عمل المشتغل بالمعادن.

سقراط: وهل يكون كلّ رجل حداداً، أو الرجل الحاذق فقط؟

هرموجينس: البارع فقط.

سقراط: جيّد. وعندما يستعمل المعلم الإسم، فعمل من سيستخدم؟

هرموجينس: إنّني أتحيّر هنا مرّة ثانية.

سقراط: ألا تستطيع أن تقول مَن الذي يعطي الأسماء التي نستخدمها على الأقلّ؟
هرموجينس: إنّني لا أقدر حقاً.
سقراط: ألا يبدو لك أنّ القانون يعطينا إيّاها؟
هرموجينس: نعم، إنّني أفترض ذلك.
سقراط: عندما يستخدم المعلم الإسم إذن، فهو يستعمل عمل المشرّع؟
هرموجينس: أوافق.
سقراط: وهل يكون كلّ إنسانٍ مشرّعاً، أو الإنسان البارع فقط؟
هرموجينس: الحاذق فقط.
سقراط: لا يقدر كلّ إنسان إذن، يا هرموجينس، أن يهب إسماً، بل صانع الأسماء فقط؛ ويبدو هذا أنه هو المشرّع الذي هو الأندر من كلّ الحرفيّين الحاذقين في العالم.
هرموجينس: صدقاً.
سقراط: وكيف يخلق المشرّع الأسماء؟ وإلاَم يتطلّع؟ تأمّل هذا مليّاً في ضوء الأمثلة السابقة: إلاَم يتطلّع النجار في صنع الوشيعة؟ ألا يتطلع إلى الطريقة التي يجب أن يعمل بها في طبيعة الأشياء؟
هرموجينس: بدون ريب.
سقراط: وافترض أنّ المكّوك أو الوشيعة تتحطّم في الصناعة، فهل سيصنع الصانع غيرها، ناظراً إلى الواحدة المكسورة؟ أو أنّه سيتطلّع إلى الشكل الذي صنع الوشيعة الأخرى طبقاً لها؟
هرموجينس: عليّ أن أتصوّر أنه تطلع إلى الشكل.
سقراط: ألا يمكن أن يسمّى هذا الوشيعة الحقيقية أو المثالية بعدل؟
هرموجينس: إنّني أعتقد كذلك.
سقراط: وإنّ أيّة وشائع أريدت لصناعة الأثواب، رقيقة أو سميكة، مصنوعة من

الكتّان أو الصوف أو من المواد الأخرى، فهذه كلها يجب أن يكون لها شكل المكّوك حقاً؛ لكن ينبغي على الصانع أن ينتج الشكل الطبيعّي والأكثر تناسباً لعمله الطبيعّي في كلٍّ منها أيضاً.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ويصح الشيء عينه عن الأدوات الأخرى. عندما اكتشف إنسان الأداة التي تُكيَّف لكلٍّ عمل بالطبيعة، يلزمه أن يجسِّد هذا الشكل الطبيعّي، وليست الأشكال الأخرى التي يتوهّمها والتي تناسب هواه. وينطبق هذا على المادّة مهما كانت هذه المادّة التي يستعملها. كمثال، ينبغي أن يعرف كيف يصنع أشكال المخارز من الحديد المكيَّف بالطبيعة لاستعمالاته المتعدّدة.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: وكيف سيضع في الخشب أشكال الوشائع المكيَّفة بالطبيعة لاستعمالها.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: لأنّ أشكال الوشائع المتعددة ستنطبق على أنواع النسيج المتعدّد بالطبيعة؛ وإنّ هذا لصحيح عن الأدوات بشكل عامّ.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن، بالنسبة إلى الأسماء؛ ألا يجب أن يعرف مشرّعنا كيف يخلق الإسم الحقيقيّ الطبيعيّ لكلّ شيء في أصواتٍ ومقاطع لفظيّة، وليؤلّف أو يعطي كلّ الأسماء بقصد الإسم المثاليّ إذا أمسى مسمياً في أيّ معنى حقيقيّ؟ وينبغي علينا أن لا نسيء فهم الحقيقة وهي أنّ مشرّعين مختلفين لن يستعملوا المقاطع اللفظيّة عينها. إذ لا يصنع كلُّ حداد الأدوات جميعها من الحديد عينه، مع أنّه يمكنه أن يصنع الأداة عينها للغرض عينه. إنّ الشكل يجب أن يكون هو الشكل نفسه، لكنّ المادّة يجب أن تتباين وتختلف. ويبقى أنّ الأداة بإمكانها أن تكون جيّدة بشكلٍ متساوٍ، ومهما يكن الحديد

الذي صُنعت منه، سواء صُنعت في هيلاس أو في أيّة بلاد غريبة؛ لا فرق في ذلك.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: ولهذا السبب لن تحسَب المشرِّعَ مشرِّعاً سيئاً، سواء أكان هيلينياً أو من البربر، شريطة أن يجسِّد أو يصوِّر شكل الإسم المناسب لكلّ موضوع في أيّة مقاطع لفظيّة كانت، ولا يهمُّ إذا كان من هذه البلاد أو من تلك.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: لكن مَن سيقرّر حينئذ كيف يُعطى الشكل للمكوك، أيّاً كان نوع الخشب الذي يمكن استعماله؟ أيكون النجّار الذي يصنع المكوك أو الحائك الذي سيستعمله؟

هرموجينس: عليّ أن أقول، إنّه الذي يستعمله، يا سقراط.

سقراط: ومن يستخدم عمل صانع القيثارة؟ ألن يكون هو الإنسان الذي يعرف كيف يدير العمل؟ وكذلك من يعرف إذا ما كان العمل المُنجز قد نُفِّذ جيّداً أو لم يُنفَّذ؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: ومن يكون هو؟

هرموجينس: العازف على القيثارة.

سقراط: ومن سيدير دفّة السفينة؟

هرموجينس: القبطان.

سقراط: ومن سيكون أكثر قدرة على أن يدير أو يقود المشرِّع في عمله ويكون مؤهّلاً ليحكم، إذا ما كان العمل أنجز جيّداً، في هذه البلاد أو في أيّة بلاد أخرى؟ ألن يكون الإنسان هو المستخدم؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: ألا يجب أن يكون هذا هو الذي يعرف كيف سيطرح الأسئلة؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: والذي يعرف كيف سيجيب عليها؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: والذي يعرف كيف يسأل ويجيب ستسمّيه أنت عالِمَ المنطق.

هرموجينس: نعم؛ إنّ ذلك الإسم سيكون اسمه.

سقراط: إذن فإنّ عمل النجّار هو صنع الدفّة، وعلى القبطان أن يديرها، إذا ما كانت الدفّة قد صُنعت جيداً.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: ويكون عمل المشرّع إعطاء الأسماء، ويجب أن يكون عالم المنطق قائده وهاديه إذا ما كانت الأسماء تُعطى بحقّ.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: إذن، يا هرموجينس، عليّ أن أقول إنّ منح الأسماء هذا لا يمكن أن يكون مسألة خفيفة كما تتوهّم، أو أنّه عمل أشخاص زهيدين تافهين أو كيفما اتّفق؛ وأن كراتيلوس لعلى حقّ في القول بأنّ الأشياء تمتلك أسماء بالطبيعة، وأنّه ليس كلّ إنسان يكون مخترعاً للأسماء، بل هو فقط الذي ينظر في الإسم الذي يمتلك كلّ شيء بالطبيعة ويكون قادراً على أن يجسّد أو يصوّر أو يعبّر عن هذا الإسم في حروف ومقاطع لفظيّة.

هرموجينس: لا أستطيع أن أرى كيف أجيبك على محاوراتك، يا سقراط؛ لكنّني أجد صعوبة في تغيير رأيي كله في لحظة، وإنّي لا أعتقد بأنّه يجب عليّ أن أكون أكثر اقتناعاً، وإذا ما كنت ستريني ما هو ذلك الذي تسميه التناسب الطبيعي للأسماء.

سقراط: يا طيّبي هرموجينس، ليسَ لدي أيّ شيء لأريه. ألم أخبرك لتوّي الآن

« لكنّك نسيت ذلك » بأنّني لم أعرف شيئاً، واقترحت كي أشترك معك في البحث؟ لكنْ الآن، بما أنّنا تناقشنا في المسألة، فلقد حقّقنا خطوة لأنّنا اكتشفنا أن الأسماء تمتلك حقيقة بالطبيعة، وأنّه ليس كل إنسانٍ يعرف كيف يعطي الشيء إسماً.

هرموجينس: جيّد جداً.

سقراط: علينا أن نتقدّم بعد هذا كي نتباحث عن ماهيّة هذه الحقيقة، أو صحّة الأسماء « مفترضين أنّك ترغب في معرفتها ».

هرموجينس: إنّني أرغب أن أعرفها، بكلّ تأكيد.

سقراط: تأمّل مليّاً إذن.

هرموجينس: كيف سأتأمل ملياً؟

سقراط: إنّ الطريقة الصحيحة هي أن يساعدك أولئك الذين يعرفون وينبغي عليك أن تدفع لهم مالاً وعبارات شكر على السواء. وهؤلاء هم السوفسطائيون، والذي اشترى منهم أخوك كالياس صيت الحكمة وبثمنٍ عالٍ على الأصحّ - . لكنك أنت لم تصل إلى ميراثك حتّى الآن، ولهذا السبب فمن الأفضل لك أن تذهب إليه وأن تلتمس منه وترجوه أن يخبرك ماذا تعلّم من بروتاغوراس بشأن تناسب الأسماء.

هرموجينس: بل كم سأكون متناقضاً مع ذاتي إذا ما أقمت أيَّ وزن لما قاله بروتاغوراس وما تؤكّده كتبه، في حين أنني أنكره وأرفض حقيقته(٢)!

سقراط: إذا ما استخففت به إذن، ينبغي عليك أن تتعلّم من هوميروس والشعراء.

هرموجينس: وأين يقول هوميروس أيّ شيء بشأن الأسماء، وماذا يقول؟

سقراط: يتكلّم غالباً بشكل خاصّ وبنبل، يتكلّم في الأمكنة حيث يميّز الأسماء المختلفة التي تعطيها الآلهة والرجال للأشياء عينها. ألاَ يدلي في هذه المقاطع بتصريح عميق ومدهش بخصوص صحّة الأسماء؟ ويلزم الافتراض بوضوح

أن الآلهة يسمّون الأشياء بأسمائها الطبيعيّة الحقيقيّة؛ ألا تعتقد هكذا؟

هرموجينس: لماذا، إنّهم يسمّونها بحقّ طبعاً. إذا ما كانوا يسمونها على الإطلاق. لكن إلامَ تشير أنت؟

سقراط: ألا تعرف ما يقوله هوميروس بشأن النّهر في طروادة الذي حارب في معركة فريدة مع هيفياستوس؟ يقول: « النهر الذي سمّته الآلهةُ اكسانثوس، ودعاه الرجال سكامندر ».

هرموجينس: إنّني أتذكّر.

سقراط: حسناً، أليس ذلك الدرس درساً هامّاً بشأن هذا النهر؟ ـ لنقل أنّه ينبغي أن يدعى اكسانثوس وليس سكامندر ـ أو الدرس بشأن الطائر، الذي، كما يقول هو: « الآلهة تدعوه خالقيس، والرجال سيمَنْديس » ولنتعلّم كم يكون اسم خالقيس أكثر صحّة من إسم سيمَنْديس، هل تعتبر أنَّ تلك القضيّة قضيّة تافهة؟ أو الدرس بخصوص باتييا وميرينا[٣]؟ وهناك ملاحظات عديدة أخرى من النوع عينه في عمل هوميروس وأعمال الشعراء الآخرين. وبعدُ، فإنّني أظنّ أن هذا الشيء هو ما وراء فهمك وفهمي؛ لكنّ إسميْ سكاماندريوس وأستياناكس اللذين يؤكّد هوميروس أنّهما قد كانا اسمي ابن هيكتور، هما أكثر حقيقة ضمن مجال القدرات الإنسانية كما أميل للظنّ. وما يعنيه الشاعر بالصحيح يمكنه أن يكون أكثر استعداداً للفهم في ذلك المثل. أجرؤ على القول بأنّك تتذكّر السطور التي أشير إليها[٤].

هرموجينس: إنّني أفعل.

سقراط: دعني أسألك إذن، أيٌّ من الإسمين المعطيين لابن هيكتور ظنّه هوميروس أنه الأكثر صحة: أستيانكس أو سكاماندريوس؟

هرموجينس: إنّني لا أعرف.

سقراط: كيف ستجيب، إذا سئلت، سواء أكان العاقل أو الغبيّ هو الأكثر احتمالاً لأن يعطي أسماءً صحيحة؟

هرموجينس: عليَّ أن أقول العاقل، بالطبع.

سقراط: وأيّهما الأعقل؟ الرجال أو النساء في مدينة ما، مأخوذَين كنوع.

هرموجينس: يجب أن أقول، الرجال.

سقراط: ويقول هوميروس، كما تعرف، بأنّ رجال طرواده يسمّونه أستيانكس « ملك المدينة »؛ لكن إذا دعاه الرجال أستيانكس، فإنّ الإسم الآخر سكاماندريوس يمكن أن يكون قد أعطته إياه النساء.

هرموجينس: يمكن.

سقراط: أوَلا ينبغي أنّ هوميروس تصوَّر أنّ الطرواديّين أعقل من زوجاتهم؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً.

سقراط: إذن لا شكّ بأنّه رأى أن اسم استيانكس أكثر صحّة ليطلق على الولد من اسم سكاماندريوس.

هرموجينس: بوضوح.

سقراط: وما هو سبب ذلك؟ دعنا نتأمّل مليّاً: ألا يقترح هو نفسه سبباً جيّداً جداً عندما يقول: « لأنّه هو بمفرده دافع عن مدينتهم وعن أسوارها الطويلة .»؟ يبدو أنّ هذا السبب هو سبب جيّد بتسمية تلك المدينة باسم الإبن المنقذ الذي أنقذ أباه، طبقاً لبيان هوميروس.

هرموجينس: إنّني أرى.

سقراط: لماذا، يا هرموجينس، إنّني لم أرَ بنفسي حتى الآن؛ فهل ترى أنت؟

هرموجينس: لا، حقّاً؛ ليس أنا.

سقراط: لكن أخبرني، يا صديقي، أولم يُعطِ هوميروس إسم هيكتور بنفسه أيضاً؟

هرموجينس: ماذا عن ذلك؟

سقراط: يظهر لي أنّ الإسم يكون الشيء عينه تقريباً مثل إسم أستيانكس ـ فكلا الإسمين هيليني: وملك ومالك لهما المعنى عينه تقريباً، وكلاهما وصفٌ لملك. إنّني أفترض وأسلّم جدلاً، أنّ إنساناً يكون مالكاً لذلك الذي يكون ملكاً عليه؛ أنّه يحكمه بوضوح، ويمتلكه، ويقتنيه. لكنّك لربّما تعتقد أنّني وجدت دلالة ما لرأي هوميروس بشأن صحّة الأسماء.

هرموجينس: أؤكد لك أنّي أظنّ غيراً من ذلك، وأعتقد بأنّك على الطريق الصحيح.

سقراط: أعتقدُ أن هناك سبباً في تسمية شبل الأسد أسداً، ومهر الحصان حصاناً. إنّني أتكلّم عن مسار الطبيعة الاعتياديّة، عندما يُنتج حيوان على غرار نوعه، ولا أتكلّم عن الولادات الاستثنائية. فإذا وضعت الفرس عجلاً خلافاً للطبيعة، عليّ ان لا أسمّي ذلك مهراً بل عجلاً حينئذ. ولا أسمي أيّة ولادةٍ غير إنسانية لأبوين إنسانيين، باسم الانسان. ويمكن قول الشيء عينه عن الأشجار والأشياء الأخرى. هل توافقني؟

هرموجينس: نعم، إنّني أوافقك الرأي.

سقراط: شكراً لك؛ ينبغي عليك أن تراقبني وترى أنني لا أضلّلك. إنّ إبن الملك يدعى ملكاً على القاعدة عينها. وسواء أكانت المقاطع اللفظيّة للإسم الشيء عينه أم لا، فذلك لا يشكّل فرقاً، شرط استبقاء المعنى للإسم. ولا تشكّل الإضافة أو الإنقاص لحرفٍ أيَّ فرق ما دام الشيء يبقى قيد التملّك للإسم ويظهر فيه.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: مسألة بسيطة جداً. يمكنني أن أوضح معناي بأسماء الحروف، والتي تعرف أنت أنّها لا تكون الشيء عينه كالحروف عينها ما عدا أربعة منها، E,V,O,W؛

أمّا الحروف الباقية، سواء أكانت حروف علة أو حروفاً تدلّ على صوت ساكن، فإنّنا نؤلّف منها أسماء بإضافة الحروف الأخرى. لكنّنا ما دمنا نعرض ونشرح قيمة الحرف، فإنّ أسماءً كهذه التي تعيّن الشيء بجلاء، هي أسماء صحيحة. خذ، كمثال، الحرف « بيتا » beta إنّ إضافة الحرف M,T,A لا تسيء له، ولا تمنع الإسم كلّه من امتلاك القيمة التي قصدها المشرّع ـ هكذا عرف هو جيداً كيف يهب الحروف أسماء.

هرموجينس: أعتقد بأنّك لمحق.

سقراط: أوَلا يمكن أن يقال الشيء عينه عن الملك. والملك سيكون ابن ملك غالباً، والإبن الصالح أو النبيل إبناً لسيّدٍ خيّرٍ وشريف المنبت. وبشكل مماثل فإنّ الذريّة من كلّ نوع، في طور الطبيعة المنتظمة، تكون مثل آبائها. ولهذا السبب يجب أن تمتلك الإسم عينه. ومع ذلك فإنّ مقاطع الكلمات يمكن أن تختفي حتى تظهر مختلفة للشخص الجاهل. ويمكن لهذا الشخص أن لا يراها، برغم أنّها الشيء عينه، تماماً كما أن أيّاً منّا لن يتعرّف على العلاجات عينها تحت التنكرات المتباينة للّون والرائحة برغم أنها تكون الشيء عينه الذي يُعتبر قوّتها. وفي نمط مماثل فإنّ المتخصّص في دراسة أصل الكلمات يعتبر ويتأمّل قوة كلّ إسم، ولا يهمل الإسم بإضافة أو إبدال أو إنقاص حرف أو حرفين، أو حينما يُعبَّر أو يُوضَّح المعنى عينه في حروف متباينة بالكامل حقاً. وكما قيل منذ برهة وجيزة، فإنّ آسْمَيْ هيكتور واستيانكس لهما حرف واحد متشابه، ومع ذلك فإنّهما يمتلكان المعنى عينه. وكم لدى ارخيبوليس « حاكم المدينة » القليل من الأشياء المشتركة مع أسماء الحروف! ومع هذا فإنّ المعنى يكون الشيء عينه. وهناك أسماء عديدة أخرى تعني « ملك » تماماً. مرّة ثانية، هناك أسماء متعدّدة للقائد العسكريّ، كمثال، اسم آجيس « القائد » وبوليمارخوس « المقدَّم في

الحرب » ويوليبميوس « المحارب الجيّد ». وهناك الأسماء الأخرى التي تدلّ على الطبيب، كاسم إياتروكليس، « الشافي المشهور » واكيسيمبروتوس « مداوي المخلوقات البشريّة ». وهناك أسماء أخرى يمكن إيرادها والاستشهاد بها، وهي التي تختلف في مقاطع كلماتها وحروفها، لكنّها تمتلك المعنى عينه. ألن تقول هذا؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: يجب أن تُنسب الأسماء عينها إذن، إلى أولئك الذين يتبعون آباءَهم في طور الطبيعة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وماذا عن أولئك الذين يتابعون طور الطبيعة حتى النهاية ويكونون ما يدعو للعجب؟ كمثال، عندما يمتلك إنسان خيِّر وديَّان ابناً كافراً أو زنديقاً، فلا يجب أن يحمل إسم أبيه، بل إسم الصنف الذي يخصّه، تماماً كما في الحالة التي آفترِضَ فيها سابقاً أنّ الفرس تلد عجلاً.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ الإبن الزّنديق لأبٍ ديَّان ورعٍ يجب أن يتلقى إسم الصنف المناسب؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لا ينبغي أن يدعى ثيوفيلوس « محبوب الله » أو مينيسيثيوس « يقظاً بالله »، أو أيّاً من هذه الأسماء. وإذا كانت هذه الأسماء تعطى عن حق وحقيقة، فإنّ اسمه يجب أن يحوز معنىً مضادّاً وعكسيّاً.

هرموجينس: بدون ريب، يا سقراط.

سقراط: مرّة ثانية، يا هرموجينس، هناكك إسم أورسيتيز « إنسان الجبال » الذي يظهر أنّه سُمّي بحقّ، سواء إذا منحت الصدفة الإسم، أو لربّما أعطاه إياه شاعر ما ليوضح الوحشية وقساوة وقفرة طبيعة بطله الجبليّة.

هرموجينس: إنّ هذا لمحتمل جدّاً.

سقراط: ويكونْ إسم أبيه وفقاً للطبيعة.

هرموجينس: على ما يبدو.

سقراط: نعم، إذ كما يكون إسمه، فهكذا تكون طبيعته. إن اغاممنون « الرائع الإقامة » هو واحد صابر وواق في إنجاز قراراته، وتوّجها بفضيلته ومتابعته لحرب طرَوادة بكُلّ الجيش الضخم العرمرم، فما هو إلا برهان لهذا الجلَدِ والقدرة على الاحتمال، والذي يدل عليه الإسم اغاممنون. إنّني أعتقد أيضاً أنّ آتريوس دُعي هكذا بحقّ، وذلك لقتله كريسيبوس ولقسوته التي تتعدّى حد المعقول على ثيستيس اللذين هما مضرّان ومدمّران لسمعته. إن إسمه هذا مغيَّرٌ قليلاً ومخفيٌّ كي لا يفهمه كل شخص، لكن لا صعوبة للمتخصّص في دراسة أصل الكلمات أن يدرك المعنى المقصود، إذا ما تفكّر به أنّه الواحد المدمِّر، فإنّ اسمه يكون إسماً صحيحاً في كل وجهة نظر. وأعتقد أن بيلوبس سُمّي أيضاً بشكل مناسب؛ فهو سُمّي هكذا لأنه يرى ما يكون قريباً فقط .

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: لأنّه طبقاً للتقليد، فهو لم يكن لديه تفكير بعيد أو تبصر بكلّ الشرور التي سيستلزمها قتل ميرتيلوس عمداً على السلالة كلّها في الأزمنة السحيقة؛ بل إنّه رأى ما هو في متناول اليد ومباشراً فقط. أو بكلمات أخرى، أي « قريب ». إنّ كل شخص سيوافق على أن إسم تانتالوس يُعطى في تطابق مع الطبيعة بحقّ، إذا كانت الأعراف والتقاليد حقيقيّة.

هرموجينس: وما هي الأعراف؟

سقراط: قيل أنّ محناً ومصائب رهيبة حدثت له في حياته ففي آخرها، حدث الدمار المطلق لبلاده. وبعد موته تدلّى « ταλαντεία » الحجر فوق رأسه في العالم

السفليّ. يتّفق كلّ هذا مع إسمه بشكل رائع. يمكنك أن تتصوّر أنّ شخصاً ما أراد أن يسمّيه « ταλάντατος الأكثر ثقلاً نزولاً بالنكبات والمصائب »، مخفياً الإسم بتغييره إلى إسم تانتالوس. أما إسم زيوس، الذي هو إسم أبيه المزعوم، فإن له معنىً ممتازاً أيضاً، مع أنّه صعبٌ فهمه لأنه يشبه الجملة في الحقيقة، الجملة المقسّمة إلى جزأين، لأنّ بعضهم يدعونه زينا « Ζῆνα » مستعملين نصف الجزء، ويدعوه الآخرون الذين يستعملون النصف الآخر ديا « Δία »، ويعني الإسمان معاً طبيعة الإله. وكما قلنا فإنّ عمل الإسم هو أن يوضح طبيعة الإله. إذ ليس هناك أحد هو سبب حياة وحياة الكلّ إلاّه، هو المولى وملك الجميع. إنّنا عند ذلك محقّون في تسميته زينا وديا اللّذين هما اسم واحد. ومع أنّه اسم مقسّم، فإنه يعني الله الذي من خلاله تمتلك المخلوقات كلّها حياة على الدوام، « δι' ὃν ζῆν ἀεὶ πᾶσι τοῖς ζῶσιν ὑπάρχει ».

هناك كلام ينمّ عن عدم توقير، عند الوهلة الأولى، في تسميته إبن كرونوس، « الذي هو مثلٌ للحماقة »، ويمكننا على الأصحّ أن نتوقّع زيوس ليكون طفلَ ألمعيٍّ رائع، يكون شيئاً حقيقياً؛ لأنّ هذا هو معنى إسم أبيه: Κρόνος وظاهرياً Κόρος « ليحصد أو ليمحي κορέω »، ليس في إدراك الشباب، بل دالاً على العقل الصافي المزيَّن: « sc. ἀπὸ τοῦ κορεῖν ». أمّا: « ἀπὸ τοῦ ὁρᾶν τὰ ἄνω » فإنّ يورانوس أنجبته كما يخبرنا التعليم، والتي هي طريقة امتلاك العقل الصافي التقيّ، كما يخبرنا علماء النجوم. ولهذا السبب فإنّ إسم يورانوس هو اسم صحيح. إذا ما تمكّنت من تذكّر أصل إسم هيسيود، تمنّيت لو تابعت واختبرت استنتاجات أكثر من النوع عينه عن أسلاف الآلهة الأقليين ـ إذا ما تمكّنت من ذلك لأمكنني أن أرى حينئذ إذا ما كانت هذه الحكمة التي أتت إليّ كلّها في لحظة، مع أنني لا أعرف من أين أتت، ستبقى صالحة وجيّدة إلى النهاية أو لا.

هرموجينس: تبدو لي، يا سقراط، أنّك ملهم بطريقة جديدة مثل النبيّ تماماً، وأنك متفوهٌ بوحي إلهي.

سقراط: نعم، يا هرموجينس، وأعتقد بأنّني تلقّيت الإلهام من يوثيفرو العظيم من مقاطعة بروسبالتيا، وهو الذي أعطاني محاضرة طويلة ابتدأت عند طلوع الفجر. هو تكلّم و أنا استمعت، ولم تملأ حكمته ونشوته الساحرة أذنيّ فقط بل إنها تملّكت روحي. أعتقد أنّ هذه الطريقة ستكون الطريقة الصحيحة. اليوم سأدع قوّته الإلهية تعمل وتنهي التحقيق والبحث عن الأسماء؛ لكنّنا غداً سنسحره بعيداً ونخلق منه تطهيراً، إذا ما كنت أنت مثالاً لذلك، وإذا قدرنا على أن نجد كاهناً أو سوفسطائياً يكون حاذقاً في تطهيرٍ من هذا النوع.

هرموجينس: أميل إلى ذلك من كلّ قلبي لأنّني محبٌ للاستطلاع والتعلّم، ولأسمع بقيّة التحقيق بشأن الأسماء.

سقراط: دعنا نتقدم إذن؛ ومن أين ستريدنا أن نبدأ الآن بما أنّنا قد حصلنا على نوع من مخطّطٍ تمهيديٍّ للتساؤل؟ هل توجد أيّة أسماءٍ تشهد على أنفسها بأنّها لم تُعطَ على نحوٍ اعتباطي، بل إنّها تمتلك توافقاً طبيعيّاً؟ إنّ أسماء الأبطال والرجال قابلة لأن تكون أسماء خادعة بشكل عامّ لأنّها تسمّى تيمّناً بأسماء أسلافنا على الغالب، كما قلنا، والذين يمكن أن لا يكون لهم أيّ دخل بهذه الأسماء؛ أو أنها تكون تعبيراً عن رغبة مثل إسم يوتيشايدس « إبن الحظّ السعيد »، أو إسم سوسياس « المخلّص »، أو إسم ثيوفيلوس « محبوب الله »، والأسماء الأخرى. لكنّني أعتقد أنّه كان من الأفضل لنا ترك أمثلة كهذه، إذ ستكون هناك فرصة أكثر لإيجاد الصحّة في أسماء الاشياء التي تكون خالدة وغير قابلة للتغير ـ وقد وجب أخذ أقصى الحذر بشأنها وذلك عند تسميتها، ولربّما يمكن أن يوجد بعض أسماء كهذه الأسماء التي أعطتها أكثر من سلطة إنسانية ما.

هرموجينس: أعتقد هذا، يا سقراط.

سقراط: ألا يجب أن نبدأ نحن بالتفكير ملياً بالآلهة، وأن نبيِّن لأيّ سبب سُمُّوا هكذا بحقّ؟

هرموجينس: نعم، سيكون ذلك جيّداً.

سقراط: إنّ رأيي سيكون شيئاً من هذا النوع: أعتقد أنّ الشمس، القمر، الأرض، النجوم، والسماء، والتي لا تزال هي الآلهة للعديد من البربر، كانت هي آلهة الهيلينيين الأصليين القدماء المعروفة. شاهدوا أنّها كانت متحركة ومسرعة على الدوام، فدُعيت آلهة وعدَّاءَة لطبيعة سرعتها « θεούς, θέοντας »؛ وعندما أصبح الرجال ملمّين بالآلهة الأخرى، استعملوا الإسم عينه لهم كلّهم. هل تعتقد بأنّ هذا محتمل؟

هرموجينس: أعتقد أنّه محتمل جداً.

سقراط: ماذا سيلي الآلهة؟

هرموجينس: ألا يجب أن يأتي تالياً أنصاف الآلهة(٥) والأبطال والرجال؟

سقراط: وماذا تتصوّر أنه يمكن أن يكون المعنى لهذه الكلمة « نصف إله »؟ أخبرني إذا ما كانت وجهة نظري صحيحة.

هرموجينس: دعني أسمع.

سقراط: أتعرف كيف استعمل هيسيود الكلمة؟

هرموجينس: إنّني لا أعرف.

سقراط: ألا تتذكّر أنّه تكلّم عن السلالة أو الجنس الذهبيّ الذي أتى أوّلاً؟

هرموجينس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: قال عنهم:

« لكن الآن فإنّ القضاء والقدر حجب هذا الجنس
إنهم مسمُّون أنصاف الآلهة الأتقياء تحت الأرض،

الأخيّار الرحماء، محولو الأمراض والشرّ، حارسو وأوصياء الرجال الفانين »[٦].

هرموجينس: ما هو الاستنتاج؟

سقراط: ما هو الاستنتاج! لماذا، إنّني أفترض أنّه يعني بالرجال الذهبيّين، ليس رجالاً مصنوعين من الذهب بالمعنى الحرفيّ، للكلمة، بل رجال أخيارٌ ونبلاء. وإنّي لمقتنعٌ بهذا، لأنّه يقول بعد ذلك إنّنا نحن الجنس الحديديّ.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: أوَ لا تفترض أنت أنّ الرجال الأخيار في أيامنا الخاصّة، ألاَ تفترض أنّه سيقول عنهم إنّهم السلالة الذهبيّة؟

هرموجينس: من المحتمل جدّاً.

سقراط: أليس الأخيار حكماء؟

هرموجينس: بلى إنّهم حكماء.

سقراط: ولهذا السبب فإنّي مؤمن أتمّ الإيمان وأكثره رسوخاً بأنّه سمّاهم أنصاف آلهة لأنّهم كانوا δαήμονες « العارفين أو الحكماء ». وتوجد الكلمة عينها في لهجتنا الآتيكيّة الأقدم. وبعدُ فإنّه هو والشعراء الآخرون يقولون بصدق، بأنّه عندما يتوفّى الإنسان الصالح فإنه يُكرّم ويحوز حصة عظيمة بين المتوفين، ويصبح نصف إله؛ ويُعطى له هذا الإسم الذي يعني الحكمة. وإنّني أقول أيضاً، إنّ كل إنسان يحدث أن يكون إنساناً خيّراً فهو أكثر من إنسان « δαιμόνιον » في الحياة والممات على حدّ سواء، ويدعى نصف إله بحقّ.

هرموجينس: إذن فإنّني أعتقد، على الأصحّ، أنّني وإياك لدينا وجهة نظر واحدة؛ لكن ما هو معنى كلمة « بطل » ἥρως ؟ وكانت في الكتابة القديمة ἔρως .

سقراط: لا أعتقد أن هناك صعوبةً في شرحها، لأنّ الإسم لم يلحقه تغيير كثير، ويفيد أنّهم وُلدوا من الحبّ.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: ألا تعرف أنّ الأبطال هم أنصاف آلهة؟

هرموجينس: ماذا بعدئذ؟

سقراط: إنهم جميعهم، إمَّا تحدَّروا من محبّة إله لامرأة إنسانيّة أو من محبّة رجل إنسانيٍّ لإلهة. فكِّر بالكلمة في اللّهجة الأتيكيّة القديمة ولسوف ترى بشكل أفضل أنّ إسم الأبطال ما هو إلا تبديل ضعيف لإسم إيروس فقط، والذي نشأت عنه كلمةِ أبطال. أمَّا أن يكون هذا هو المعنى، أو إن لم يكن، فحينئذ هم قد كانوا بارعين كعلماء الكلام وعلماء المنطق، وكانوا قادرين على أن يخلقوا السؤال « ἐρωτᾶν » لأنّ كلمة εἴρειν مساوية لكلمة λέγειν . ولهذا السبب، وكما قلت سابقاً، فإنّ الأبطال يصبحون علماء كلام وعلماء منطق في اللهجة الأتيكيّة. كلّ هذا سهل بما فيه الكفاية. إنّ كلّ نوع من الأبطال يكون صنفاً من السوفسطائيين وعلماء الكلام. لكن هل تستطيع أن تخبرني لماذا تسمى الرجال بالإسم ἄνθρωποι ؟ إنّ ذلك الشيء هو الشيء الأكثر صعوبة.

هرموجينس: لا، إنّني لا أقدر حقّاً، ولن أحاول ذلك حتى إن استطعت لأنّي أعتقد أنّك أنت الأكثر إمكانيةً كي تنجح فيه.

سقراط: بمعنى أنّك تثق بإلهام يوثيفرو.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: إنّ ثقتك هذه ليست عبثاً، لأنّ تفكيراً مُبْدعَاً جديداً حلَّ عليَّ في هذه اللحظة بالتحديد، وإن لم أكن حذراً فإنّي سأكون أحكَم ممّا يجب قبل فجر الغد. والآن، كن معي، وتذكّر أوّلاً أنّنا وضعنا وسمّينا الحروف من الكلمات غالباً، وأعطينا أسماءً كما نرغب ونسرّ، وغيّرنا العلامات النطقيّة. خذ، كمثال، الكلمة Διὶ φίλος ؛ فلكي نبدّل هذا الجزء من الجملة إلى إسم،

أسقطنا واحداً من الحروف التاسعة في الأبجديّة وأصدرنا صوتاً خفيضاً بدلاً من الصوت الحادّ لمقطع الكلمة الوسطى. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الحروف أُدخلت في كلماتٍ بعض المرّات بدلاً من أن تُحذف، واختير الصوت الحادّ مكان الصوت الخفيض.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: يبدو أنّ الاسم ἄνθρωπος الذي كان جزءاً من الجملة مرّة، يبدو أنّه حالة من هذا النوع تماماً، لأنّ حرفاً واحداً هو a قد تمّ إسقاطه فتغيّر الصوت الحادّ في مقطع الكلمة إلى صوتٍ خفيض.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: أعني أنّ الكلمة « إنسان » تدلُّ ضمناً على أنّ الحيوانات الأخرى لا تبحث وتتحقّق، أو تتأمّل، أو تنظر عاليا فيما تراه « ἀναθρεῖ »، لكنّ الإنسان لا يرى فقط « ὄπωπε » بل يتأمّل ويعتبر وينظر عالياً في ذلك الذي يراه. ولذلك فإنّه الحيوان الوحيد من بين كلّ الحيوانات المدعو بحق ἄνθρωπος ، يعني ἀναθρῶν ἃ ὄπωπεν.

هرموجينس: أيمكنني أن أسألك لتفحص كلمة أخرى فتشبع فضولي؟

سقراط: بالتأكيد.

هرموجينس: سأورد تلك الكلمات التي تبدو لي أنّها تتبع تالياً في نظام. إنّنا نميّز الروح والجسم في داخل الإنسان، كما تعرف.

سقراط: طبعاً.

هرموجينس: دعنا نجهد كي نحلّلها مثلما حلّلنا الكلمات السابقة.

سقراط: أنت تريدني قبل كل شيء أن أفحص التناسب الطبيعيّ لكلمتي ψυχή « روح » وبعدئذ لكلمة σῶμα « جسد »؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذا كنت سأقول ما يحدث لي الآن في هذه اللحظة، فعليَّ أن أتصوّر أنّ أولئك الذين استعملوا في البدء الإسم ψυχή عنوا أنّ الروح عندما تكون في الجسم فهي سبب وأصل الحياة، وتهب قوة التنفّس والانبعاث « ἀναψῦχον »، وعندما تكفُّ هذه القوة الانبعاثيّة عن أداء وظيفتها فإنّ الجسد سيفنى ويهلك ويموت حينئذ، ويسمُّون هذا نَفْساً، إذا لم أكن مخطئاً. لكن توقّف للحظة من فضلك؛ أتخيّل أنّي أستطيع أن أكتشف شيئاً ما سيكون أكثر قبولاً لمريدي يوثيفرو، لأنّني أخشى أن يسخروا من هذا الإيضاح ويعتبرون أنّه تفسير مبتذل. ماذا ستقول لتعليلٍ آخر؟

هرموجينس: دعني أسمع.

سقراط: ما هو ذلك الذي يُبقي ويحمل ويهب الحياة والحركة إلى كامل طبيعة الجسم؟ أيكون ذلك الروح؟

هرموجينس: إنّه ذلك تماماً.

سقراط: أوَلاَ تعتقد مع أناكساغوراس بأنّ العقل أو الروح تكون منظّمة وحاوية المبدأ والأصل والعنصر المميّز لكلّ الأشياء؟

هرموجينس: نعم، إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: إذن يمكنك أن تقول دون تردد إنّها القوة φυσέχη التي تحمل وتدعم وتحفظ الطبيعة ἡ φύσιν καὶ ὀχεῖ ἔχει ويمكن لهذه القوة أن تنقّى وتُصقل لتصبح كلمة ψυχή.

هرموجينس: بالتأكيد؛ أعتقد أنّ هذا الاشتقاق والاستنتاج عمليّان.

سقراط: إنّهما هكذا، برغم أنّ الإسم كان في شكله الأصلي إسماً غريباً بكلّ تأكيد.

هرموجينس: لكن ماذا سنقول عن الكلمة التالية؟

سقراط: تعني كلمة σῶμα « الجسم ».

هرموجينس: نعم.

سقراط: يمكن تأويلها بشكل متعدّد؛ ومع ذلك فبأكثر تعدّديّة إذا سُمِحَ بتعديل صغير. يقول البعض إنّ الجسد يكون قبراً « σῆμα » للروح، والتي يمكن أن تعتبر أنّها مدفونة في حياتنا الحاضرة؛ أو أنّه المؤشّر أو الدليل للروح، لأنّ الروح تُعطي إشارات إلى الجسم « σημαίνει ». لكن الشيء الأكثر احتمالاً بالنسبة لي هو أنّ الشعراء الأوروفيوسيين هم مخترعو الإسم، وكانوا تحت انطباع أنّ الروح تقاسي العقاب على آثام محدَّدة ارتكبتها، وأنّ الجسد هو تطويق أو انحباس أو سجن تكون الروح فيه مسجونة ومحتجزة، وتبقى آمنة « σῶμα, σώζηται » كما يدل هذا الإسم ضمناً σῶμα ، حتّى تدفع الغرامة. وطبقاً لوجهة النظر هذه، فإنّه لا يُحتاج حتّى لحرف a من الكلمة أن يلحقه تغيير.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّنا قلنا كفاية عن هذا النوع من الكلمات. لكن أليست لدينا أيّة توضيحات أكثر عن أسماء الآلهة، مثل ذلك الإسم الذي أعطيته لزيوس؟ سأحبّ أن أعرف إذا ما كان يطبّق علمياً أيُّ مبدأ لتصحيحها.

سقراط: نعم، حقاً، يا هرموجينس. وهناك مبدأ ممتاز واحد يجب أن نعترف به كرجال ذوي إدراك، وهو أنّنا لا نعرف شيئاً عن الآلهة، لا عن طبيعتهم، ولا عن الأسماء التي يعطونها لأنفسهم. لكنّنا متأكّدون أنّ الأسماء التي يسمّون أنفسهم بها هي أسماء حقيقيّة، مهما كانت. وهذه المبادىء هي من أفضل المبادىء كلّها. وما ينبغي قوله كشيء أفضل تالياً، كما يكون العرف بالصلوات، إنّنا سوف ندعوهم بأيّ نوع أو صنف من الأسماء، أو بأسماء تدلُّ على الأبوّة التي يبتهجون فيها لأنّنا لا نعرف أيّة أسماء أخرى. إنّ ذلك العرف والتقليد، هو عرف جيد في رأيي. دعنا نعلن لهم، في المقام الأوّل،

إذا سرّك ذلك، دعنا نعلن أنّنا لسنا متسائلين عنهم ولا محققين بشأنهم؛ نفترض نحن أنّنا قادرون على فعل ذلك. لكن ما نحن عاملون هو أننا محققون ومتسائلون بخصوص معنى الرجال وذلك بإعطائهم هذه الأسماء، ويمكن أن تُوجد في هذا ملامة صغيرة.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّك محقّ تماماً، وسأحبّ أن أفعل كما تقول.

سقراط: هل سنبدأ، إذن، بهيستيا(٧) طبقاً للتقليد والعرف؟

هرموجينس: نعم، إنّ ذلك سيكون مناسباً جدّاً.

سقراط: ماذا عنى، على سبيل الإفتراض، اسم هيستيا ومن أعطاه؟

هرموجينس: إنّ ذلك لسؤال آخر وهو بالتأكيد السؤال الأكثر صعوبة.

سقراط: يا عزيزي هرموجينس، إنّ فارضي الأسماء الأُوَل يُفترضُ أنّهم قد كانوا رجالاً غير عاديّين، بل إنّهم رجالٌ محققون ومتكلمون طموحون.

هرموجينس: حسناً، وماذا بشأنهم؟

سقراط: عليّ أن أعزو فرض الأسماء لمثل هكذا رجال. حتّى إذا حلّلت الأسماء الغريبة، فإنّ المعنى يبقى بعيد المنال. كمثال، أنّ ذلك الذي نسمّيه *οὐσία* يدعوه البعض *ἐσσία* ، ويدعوه الأخرون مرة ثانية *ὠσία* . والآن فإنّ جوهر الأشياء يجب أن يدعى *ἑστία* ، الذي يماثل الأسماء الأولى من هذه « *ἐσσία = ἑστία* » ويكون ذلك شيئاً عقلانياً بما فيه الكفاية. هناك سبب في تسمية الأثنينّ ذلك الأسم *ἑστία* الذي يشترك في الإسم *οὐσία* ، لأنّه يبدو وأننا قلنا في العصور الغابرة أيضاً *ἐσσία* لكلمة *οὐσία*. ويمكنك أن تسجّل أن هذه الأسماء قد كانت لأولئك الذين عيّنوا أنّ تلك الأضاحي وجب تقديمها بادىء ذي بدء إلى *ἑστία* ، والذي كان شيئاً طبيعيّاً بما فيه الكفاية إذا عنوا أنّ إسم *ἑστία* كان جوهر كل الأشياء. يبدو أنّ أولئك الذي يقولون الإسم *ὠθοῦν* مرّة ثانية، يبدو أنّهم ميّالون إلى رأي هيراقليطوس

القائل بأنّ كلّ الأشياء تسيل وتجري ولا شيء يقف. إنّ المبدأ الدافع بالنسبة لهم هو « ὠσία » وهو السبب والقوّة الحاكمة على كل الأشياء، ولذلك فإنّها دعيت ὠσία بحقّ. كفاية عن هذا الذي هو كلّ ما نقدر على تأكيده نحن الذين لا نعرف شيئاً. يجب أن نعتبر ونتأمّل في نظام يلي بِ ريًا وكرونوس بعد هيستيا، مع أنّ الإسم كرونوس قد تمّ بحثه سابقاً. لكنّني أجرؤ على القول بأنّي لن أتكلّم سفاسف عظيمة.

هرموجينس: لماذا، يا سقراط.

سقراط: يا صديقي الصالح، إنّني اكتشفت خليّة حكمة.

هرموجينس: من أيّة طبيعة؟

سقراط: حسناً، إنّي أكون مضحكاً في الوصف، ومع ذلك فإنّني أعتقد أنّ ما أقوله هو معقول ومقبول في الظاهر تماماً.

هرموجينس: كيف يكون معقولاً؟

سقراط: أُوهم نفسي أنّ هيراقليطوس كان مردِّداً تعاليم حكميّة قديمة كقدم أيّام كرونوس وريًا، والتي تكلّم عنها هوميروس أيضاً.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: يُفترض أنّ هيراقليطوس قال إنّ كلّ الأشياء تكون في حركة، ولا شيء يكون في سكون. يقارن هو الأشياء بجدولٍ، ويقول بأنّك 'لا تستطيع أن تدخل في المياه عينها مرتين.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: حسناً، إذن، كيف يمكننا أن نتفادى استنتاج أنه هو الذي أعطى الإسمين لكرونوس وريًا إلى أسلاف الآلهة، ووافق على تعاليم هيراقليطوس تقريباً؟ أيكون إعطاء إسمي جدولين عرضيّاً واتفاقيّاً لكليهما على نحوٍ صِرْف؟ قارن السطر الذي يخبرنا به هوميروس، كما أعتقد، عن أن هيسيود يقول هذا أيضاً: « المحيط، أصل الآلهة، والأم تيثيس[٧] »

ويقول أورفيوس مرّة ثانية، إنّ: « نهر المحيط الجميل كان الأول ليتزوج، وتزوّج هو اخته تيثيس التي كانت ابنة أمّه ».

ترى أنّ هذه المصادفة هي مصادفة رائعة، وهي كلّها في اتّجاه هيراقليطوس.

هرموجينس: أعتقد أن هناك شيئاً ما فيما تقول، يا سقراط؛ لكنّني لا أعرف معنى الإسم تيثيس.

سقراط: حسناً، إنّه إسم يكاد يكون مُفسّراً ذاتيّاً تقريباً، كونه إسم الينبوع فقط، بتخفٍّ قليل تيثيس لأن العبارتين مصفّى ومرشّح « διαττώμενον, ἠθούμενον » تعنيان ينبوعاً، وأمّا الإسم تيثوس فهو مؤلف من هاتين الكلمتين.

هرموجينس: إنّ الفكرة لحاذقة، يا سقراط.

سقراط: لتكن متأكّداً. لكن ماذا يأتي بعد ذلك؟ لقد تكلّمنا عن زيوس.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إذن دعنا نهتمّ بعدئذ بأخويه الإثنين، بوسايدون وبلوتو، سواء إذا دُعي الأخير بذلك الإسم أو دعي باسم أخيه.

هرموجينس: مهما كلّف الأمر.

سقراط: إسم بوسايدون ποσίδεσμος ، هو سلسلة القدمين. إنّ مخترع الأسماء الأصلّي. اوقفه عنصر الماء عن الاستمرار بالمسير. ولهذا فإنّه دعا حاكم هذا العنصر بوسايدون. إنّ الحرف ε أُدخِل كحليةٍ على الأرجح. ومع ذلك، لربّما لا يكون ذلك كما نقول، لكن يمكن أنّ هذا الاسم قد كُتب في الأصل بتضعيف الحرف λ وليس مع الحرف σ ، بما معناه أنّ الله عرف أشياء كثيرة « πολλὰ εἰδώς »، ولربّما كونه هو الذي يهزّ الأرض، ولقد سمّي من الارتجاج باسم « σείειν »، وأُضيف الحرفان π و δ إليه. يعطي بلوتو الثروة « πλοῦτος »، وإسمه يعني واهب الغنى، الذي يأتي من باطن الأرض. يبدو أن الناس تخيلوا بشكل عام أنّ المصطلح يعني مثوى الأموات،

موصول باللامرئي « ἀειδές »، وبما أنّهم يخافون هذا الإسم، فهم يسمون الإله بلوتو كبديل.

هرموجينس: وما هو رأيك الخاص، يا سقراط؟

سقراط: أعتبر أنّ الرجال يرتكبون أخطاء عديدة بشأن قوّة هذا الإله ويخافونه بدون سبب وجيه. كمثال، إنّهم لخائفون لأنّ الإنسان، عندما يموت، سيكون في ذلك المكان « مثوى الأموات » إلى الأبد، وهم خائفون كذلك لأنّ الروح المجرّدة من الجسد تذهب إليه(٨). لكنّ اعتقادي أنّ كلّ هذا يتوافق تماماً، وأنّ الدور والمهام والإسم للإله كلّها تنسجم مع ذلك بحقّ.

هرموجينس: لماذا، وكيف يكون ذلك؟

سقراط: إنّني سأقول لك رأيي الخاصّ؛ لكن بادىء ذي بدء، سأسألك سؤالاً: أيُّ قيد يشعر به أيّ حيوان أنه القيد الأقوى؟ وأيّه يجعله يلازم المكان عينه: الرغبة أو الضرورة؟

هرموجينس: إنّ الرغبة هي القيد الأقوى ببعد كبير، يا سقراط.

سقراط: أوَلا تعتقد أنّ العديد من الأشخاص سيهربون من مثوى الأموات إذا لم يوثَق أولئك الذين يغادرون إليه بأقوى السلاسل؟

هرموجينس: إنّهم سيفعلون ذلك بالتأكيد.

سقراط: وإذا قيّدهم بأعظم السلاسل، فبرغبة ما عندئذ، كما سأستنتج بدون ريب وليس بالضرورة.

هرموجينس: يبدو هكذا.

سقراط: إنّ الرغبة تكون من أنواع عديدة، على كل حال.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ولذلك فإنّ القيد يكون بأقوى الرغبات وأعظمها، إذا لم يكن بأهمّها.

هرموجينس: نعم.

سقراط: وهل تكون أيّة رغبة أقوى من التفكير أنّك ستُجعَل أفضل ممّا أنت بواسطة الاجتماع والاختلاط مع الآخرين؟

هرموجينس: لا بالتأكيد.

سقراط: أليس هذا هو السبب، يا هرموجينس، الذي من أجله لا يعزم أيّ شخص على الرجوع إلينا من عند مَن ذهب إليه؟ حتى أنّ الجنيّات، مثل بقية العالم كله، قد وُضِعت تحت سحره. إنّ سحراً وافتتاناً كهذا، كما أتصوّر، يقدر الله أن يدخله في كلماته. وطبقاً لهذا التصوّر، يكون هذا هو السوفسطائي الكامل والأكثر إنجازاً، والمحسن الأعظم لقاطني العالم الآخر. وحتّى لنا نحن الذين فوق الأرض، فإنّه هو يرسل من الأدنى النعم والبركات، لأنّه يمتلك منها أكثر بكثير ممّا يريد حيث هو؛ ولهذا السبب فإنّه يدعى بلوتو « أو الغني ». سجّل أيضاً، أنّه لا يمتلك أيّ شيء ليقوم به مع الرجال في حين يكونون هم في الجسد، بل عندما تتحرَّر الروح من رغبات وشرور الجسم فقط. ألا تعتقد أنّ هذا هو ما يميّزه كأنّه فيلسوف عظيم يكون عالماً جدّاً أنّ الروح في حالتها التحرّريَّة يستطيع أن يوثقها برغبة الفضيلة، لكنّها تُربَك وتُهيَّج وتُخبَّل بالجسد، عند ذلك، حتّى أنّ أباه كرونوس ذاته لن يكفي كي يبقيها معه بسلاسله البعيدة الشهرة.

هرموجينس: هناك مقدار من الحقيقة في ما تقول.

سقراط: نعم، يا هرموجينس، والمشرّع يسمي هذا مثوى الأموات، ليس من اللاّمرئي - إنّه غيرٌ من ذلك ببعيد، بل يسميه من معرفته « εἰδέναι » بكلّ الأشياء النبيلة.

هرموجينس: جيّد جدّاً؛ وماذا سيقول عن ديميتر، وهيرا، وأبوللو، وأثينا، وهيفياستوس، وآرِس، والآلهة الآخرين؟

سقراط: يبدو أنّ إسم ديميتر يعني ἡ διδοῦσα μήτηρ الذي يقدّم الغذاء مثل الأمّ؛ وهيرا هي الواحدة الفاتنة « ἐρατή ». إنّ زيوس، طبقاً للعرف، أحبّها

وتزّوجها. ولربّما أنّ هذا الإسم قد أُعطي عندما كان المشرّع مفكّراً بالسماوات، ويمكن أن يكون تخفيّاً للهواء فقط « ἀήρ »، ووضع هو النهاية في مكان البداية. إنّك ستدرك الحقيقة إذا ردّدت حروف إسم هيرا عدّة مرّات متتالية. إنّ الناس يخافون الإسم فيريفاتا كما يرهبون الإسم أبوللو. أن الخوف ينشأ، إذا لم أكن مخطئاً، من جهلهم بطبيعة الأسماء. لكنّهم يستمرون في تغيير الإسم إلى إسم فرسيفون، وهم مرتعبون من هذا؛ في حين أنّ الإسم الجديد يعني فقط أنّ الآلهة يكونون عقلاء « σοφή » لأنّهم يرون أنّ كلّ شيء في العالم هو في حركة « φερομένων ». إنّ ذلك المبدأ الذي يتضمّن ويقارب ويكون قادراً على أن يتبعهم، هو الحكمة. ولذلك، يمكن أن تُدعى الآلهة فيريبافي بحقّ « Φερεπάφα »، أو باسم ما شبيه بذلك، لأنّها تقارب وتلامس ذلك الذي يكون في حركة « τοῦ φερομένου ἐφαπτομένη »، مظهرة حكمتها. « لربّما يكون هذا هو السبب الذي من أجله اختارها هادس Hades لتكون رفيقة له، والذي هو ذاته حكيم »؛ لكنّهم بدّلوا إسمها إلى فيريفاتا في هذه الأيّام لأنّ الجيل الحاضر يهتمّ بالصوت العذب أكثر من اهتمامه بالحقيقة. يوجد الإسم الآخر، أبوللو، الذي يُفترض بشكل عامّ أنّه يمتلك أكثر أهميّة وله معنى عسير. هل لاحظت هذه الحقيقة؟

هرموجينس: لتكن متأكّداً أنّني فعلت، وما تقوله هو حقيقة.

سقراط: لكنّ الإسم، في رأيي، هو الإسم الأكثر تعبيراً عن قوّة وسلطة الله بحقّ.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: إنّني سأجهد لأوضح ذلك، فأنا لا أعتقد أنّ أيَّ إسم مفرد قد كان بإمكانه أن يُكيّف تكييفاً أفضل ليوضح ويعبّر عن خاصيّات الله، متضمّناً، وفي طريقة، دالاً على كل الأسماء الأربعة منها: الموسيقى، والنبوّة، والطبّ، والرمي بالسهام.

هرموجينس: يجب أن يكون هذا الإسم إسماً غريباً، وسأحبّ أن أسمع الإيضاح والتفسير.

سقراط: قل على الأصحّ إنّه إسم متناسق متناغم كما يليق بإله الإيقاع وتناسب الألحان. في المقام الأوّل، إنّ التنظيف والتطهير اللذين يستخدمهما الحكماء والإلهيّون، وإنّ التبخير بالعقاقير السحريّة أو الطبيّة، بالإضافة إلى الغسيل وذر المنظفات، إن هذه كلّها تمتلك الهدف عينه، وهو أن تجعل الإنسان إنساناً نقيّاً صافياً في الروح والجسد.

هرموجينس: حقيقيٌ تماماً.

سقراط: أليس أبوللو هو المطهِّر، والغاسل، والغافر لكلّ النجاسات؟

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إذن فيما يتعلق بغسله وغفرانه، كونه الطبيب الذي يأمر بها وينظمّها، فيمكن أن يسمى بحق Ἀπολούων « المطهِّر »؛ ويمكن أن يدعى بتناسب Ἀπλῶς من ἁπλοῦς « المخلِّص أو الصادق » وذلك فيما يتعلّق بسلطاته وألوهيته وصدقِهِ وإخلاصه، مثلما هو في اللّهجة الثيساليّة، لأنّ كلّ الثيساليين يدعونه Ἄπλους ؛ ويكون هو أيضاً ἀεὶ βάλλων « أي مطلق النّار دائماً » لأنّه هو سيّد الرمي بالسهام الذي لا يخطىء. أو مرّة ثانية، يمكن للإسم أن يدلّ على خواصّه الموسيقيّة. وكما يُفترض الحرف ἀ أنّه يعني « معاً » في الكلمة ἀκόλουθος وفي الكلمة ἄκοιτις وفي كلمات متعدّدة أخرى، هكذا فإنّ إسم أبوللو سيكون « متحرّكاً معاً »، سواء إذا كان في أعمدة السماء كما تُسمّى، أو في إيقاع الأغنيّة التي تدعى انسجاماً أو تناغماً لأنّ كلّ هذه الأشياء تتحرك في وقت واحد « ἅμα πολεῖ » وبإيقاع محدَّد، كما نسمع من أولئك المتخصّصين الخبيرين في الموسيقى وعلم النجوم. إنّه هو الإله الذي يترأس ذلك الإيقاع أو التناغم ويشرف عليه

ويجعل كلَّ الأشياء تتحرّك معاً بين الآلهة والرجال. ومثلما يُستبدل الحرف a فيَ كلمتي ἀκόλουθος و ἄκοιτις ، يُستبدل بكلمة ὁμο ، هكذا يكون الإسم Ἀπόλλων مساوياً للإسم ὁμοπολῶν ؛ وأُضيفَ الحرف الثاني λ فقط كي يتمّ تفادي صوت الدّمار النذير بالشؤم « ἀπολῶν, ». وبعدُ فإنّ الشكّ بهذه القوّة التدميريّة لا يزال يساور عقول البعض الذين لا يعتبرون أو يتأمّلون ملياً القيمة الحقيقيّة لهذا الإسم الذي يمتلك مرجعاً وسنداً لكلّ قدرات الله، كما كنت قائلاً لتوّي، هذا الإسم الذي هو واحد، المندفع أبداً، المحرّك معاً، « ὁμοπολῶν ἀπολούων, ἀεὶ βάλλων, ἁπλοῦς, ».
سيبدو أنّ إسم آلهة الشعر والموسيقى مشتقٌّ من خلقهم للتساؤلات والتحقيقات الفلسفيّة « μῶσθαι »؛ وتدعى ليتو باسمها لأنّها هي إلهة لطيفة وراغبة « ἐθελήμων » كي تمنحنا التماساتنا. أو يمكن أن يكون اسمها ليثو، كما يدعوها الغرباء غالباً ـ يبدو أنّهم يعنون بالإسم هذا ضمناً الأنس والودّ، وطريقة سلوكها السّهل والناعم « λεῖον ἦθος ». سميَّت أرتيميس بهذا الإسم بسبب طبيعتها الصحيَّة ذات النظام الجيّد، وبسبب محبتها للعذريَّة، وربّما لأنّها حاذقة في ممارسة الفضيلة « ἀρετή »، وربما لأنّها تكره الاتصال الجنسي بين النوعين « τὸν ἄροτον μισήσασα ». إنّ من أعطى الآلهة إسمها هذا يمكن أنّه كان لديه واحد من هذه الأسباب أو كلّها.

هرموجينس: ما هو معنى الإسمين ديونيسيوس وأفروديت؟

سقراط: يا ابن هيبونيكوس، إنّك تسأل سؤالاً جليلاً مقدَّساً. هناك إيضاح وتفسير جدّي وظريف لكلا هذين الإسمين. إنّ التفسير الجدّيّ لم يكن ممّا لديّ، لكن لا اعتراض لسماعك الإيضاح الظريف لأنّ الآلهة تحبّ الطرفة أيضاً. إنّ إسم Διόνυσος هو بكلّ بساطة διδοὺς οἶνον أي « معطي النبيذ »، كما يمكن أن يدعى على سبيل المزاح باسم Διδοίνυσος ـ ويكون إسم οἶνος أو

يكون اسم *oiόvovs* بشكل مناسب، لأنّ النبيذ يجعل أولئك الذين يشربون يعتقدون « *oἴεσθαι* » بأنّهم يمتلكون عقلاً أي « *νοῦν* » عندما لا يمتلكون أيّاً منه. إنّ اشتقاق اسم أفروديات، أي مولودة من الزَّبَد « *ἀφρός* »، يمكن أن يُقبل بناءً على سلطة هيسيود.

هرموجينس: لا يزال إسم أثينا باقياً، والذي لن تنساه، يا سقراط، بما أنّك أنت أثيني؛ ويوجد إسم هيفياستوس وآريس أيضاً.

سقراط: إنّني لست ناسياً لهما على الأرجح.

هرموجينس: لا؛ حقاً.

سقراط: لا صعوبة في إيضاح وتفسير اللّقب الآخر لأثينا.

هرموجينس: أي لقبٍ آخر؟

سقراط: ندعوها نحن بالاس.

هرموجينس: لتكن متأكداً.

سقراط: ولا يمكننا أن نكون مخطئين في الافتراض أنّ هذا الإسم الأخير مشتق من الرقصات المسلّحة لأنّه للرفعة والسموّ الذاتيّة أو لأيّ شيء آخر فوق الأرض، أو لاستعمال الأيدي. وندعو نحن هذا اهتزازاً أو ارتجاجاً « *πάλλειν* »، أو نسمّيه رقصاً؛ والكلمات عينها لها استعمال انعكاسي.

هرموجينس: إنّ هذا لحقيقيٌّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ هذا التفسير هو تفسير للإسم بالاس؟

هرموجينس: نعم؛ لكن ماذا تقول عن الإسم الآخر؟

سقراط: عن إسم أثينا؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: إنّ تلك المسألة أخطر من سابقاتها. وأعتقد يا صديقي، أن التعليلات الحديثة التي أدخلها هوميروس ستساعد في إيضاح وجهة نظر الغابرين

الأقدمين. إنّ أكثريّة هؤلاء يؤكّدون في شروحهم عن الشاعر أنّه عنى باسم أثينا « العقل » أي « νοῦς » و« الذكاء » أي « διάνοια ». ويظهر أنّ صانع الأسماء كانت له فكرة مشابهة بشأنها؛ ودعاها بلقب أعلى هو« الذكاء الإلهي » أو « θεοῦ νόησις » وكأنه سيقول: إنّ هذه هي التي تمتلك عقل الله « θεονόα » - مستعملاً هنا حرف a كتنوّع منطقيٍّ لحرف η ومبعداً حرف ι ، وحرف σ (٩). لربّما يمكن أن يعني الإسم على كلّ حال θεονόη « هي التي تعرف أشياء إلهية ». أي، «θεῖα νοοῦσα» أفضل ممّا يعرفها الآخرون. ولن نكون مخطئين بعيداً في الافتراض وهو أنّ مؤلف هذا الإسم رغب في أن يعيّن شخصيّة هذه الإلهة بالذّكاء الإنساني ἐν ἤθει νόησιν؛ ولذلك أعطاها الإسم ἠθονόη ، الذي بدّله هو أو الذين أتوا بعده إلى ما اعتقدوا أنّه، شكلاً وترتيباً، أجمل ودعاها أثينا.

هرموجينس: لكن ماذا ستقول عن هيفياستوس؟

سقراط: هل تتكلّم أنت عن سيّدٍ أميرِ شعشعانيّ ؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ الكلمة Ἥφαιστος تكون Φαῖστος ولقد أضاف هو الحرف لجاذبيته. إنّ ذلك جليّ لأيّ شخص.

هرموجينس: إنّ ذلك محتمل جدّاً إلى أن تدخل في تفكيرك فكرة أخرى محتملة.

سقراط: كي تمنع هذا من أن يحدث، كان من الأفضل لك أن تسأل عن اشتقاق اسم آريس.

هرموجينس: ما هو إسم آريس؟

سقراط: يمكن لإسم آريس أن يدعى، إذا شئت، من رجولته « ἄρρεν, » وشجاعته، أو إذا سرّك، يمكن أن يسمّى من طبيعته الصعبة وغير المتغيرة، الذي هو معنى الكلمة: ἄρρατος . إنّ إشتاق الإسم الأخير مناسب لإله الحرب في كلّ طريقة.

هرموجينس: محتمل جدّاً.

سقراط: والآن أستحلفك بالآلهة، دعنا لا نمتلك أكثر من ذلك عن الآلهة، لأنّني أخاف الحديث بشأنهم؛ إسأل عن أيِّ شخص سواهم، وسترى أنّ أحصنة يوثيفرو تقدر أن تقفز على أقدامها الخلفيّة.

هرموجينس: سأسألك عن إله واحد فقط! أريد أن أعرف عن هرمس، الذي يقال أنّني لست إبناً حقيقيّاً له. دعنا نفهم مضمون إسمه، وسأعرف عندئذ إذا ما كان هناك أيّ معنى فيما يقوله كراتيلوس.

سقراط: سأتصوّر أن إسم هرمس يختص بالكلام، ويفيد أنّه يكون المؤوّل « ἑρμηνεύς » أو المفسر أو الرسول أو السارق أو الكاذب أو عاقد الصفقات. إنّ كل هذه الصفحات لها علاقة بهذه اللغة، كما سبق وأخبرتك(١٠). أمّا الكلمة εἴρειν فهي تعبير كلامي. وتوجد كلمة هوميريّة غالباً ما تتكرّر وتحدثἐμήσατοالتي تعني أنّه هو « مبتدع أو مخترع ». إنّ المشرّع شكّل من هاتين الكلمتين εἴρειν و μήσασθαι. إسم الإله الذي اخترع اللغة والكلام؛ ويمكننا أن نتصوّر أنّه يملي علينا استعمال هذا الإسم. فقد قال لنا: « أوه يا أصدقائي، بما أنّكم ترون أنّه يكون مبتدع القصص والأحاديث، يمكنكم أن تدعوهُ بحقّ Εἰρέμης ، وكنا نحن قد أدخلنا عليه تحسيناً، كما نعتقد، وأصبح الإسم هرمس. يبدو أنّ إيريس قد سُمِّيت من الفعل « ليخبر » أو « εἴρειν » لأنّها كانت رسولة.

هرموجينس: إذن فأنا متأكّد من أنّ كراتيلوس كان على حقّ تماماً في القول أنّني لم أكن إبناً لهرمس في الحقيقة « Ἑρμογένης » لأنّني لست متكلّماً جيداً.

سقراط: هناك سبب أيضاً، يا صديقي، في كون Pan « بان » الشكل المضاعف لإبن هرمس.

هرموجينس: كيف تعرف؟

سقراط: إنّك لدارٍ أنّ الكلام يفيد كلَّ شيء « πᾶν » وأنّه يديرها دائريّاً على الدوام، وأنّ له نوعين اثنين: نوعٍ حقيقي وآخر مزيَّف.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: أليس النوع الحقيقيّ فيه هو النوع المتدفّق أو اللطيف أو المقدَّس الذي يقطن عالياً بين الآلهة، بينما النوع الزائف يسكن بين الرجال تحتيّاً، وإنّه لخشن مثل تيس المأساة؟ فالقصص والتزييفات تختصّ بالحياة المأساويّة والشهوانيّة، والمأساة هي مكان لها.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: إذن فإنّ Pan « بان » المعلن لكلّ شيء « πᾶν » والمحرّك السرمديّ « ἀεὶ πολῶν » لكلّ شيء، يدعى بحقّ αἰπόλος أو قطيع الماعز، كونه الهيئة الثنائية أو النوع الثنائي لهرمس. إنّه لطيف في جزئه الأعلى وخشن مثل الماعز في مناطقه السفلى. وبما أنّه ابن لهرمس فإنّه الكلام أو أخو الكلام، وليس بأعجوبة أن يكون اخ مشابه لأخيه. لكن، كما قلت يا عزيزي هرموجينس، دعنا نبتعد عن الآلهة.

هرموجينس: دعنا نفعل ذلك عن هذا النوع من الآلهة، بكلّ تأكيد. لكن لِمَ لا نبحث نحن في نوعٍ آخر من أنواع الآلهة: الشمس، القمر، النجوم، الأرض، الأثير، الهواء، النار، الماء، الفُصول، والسنين؟

سقراط: إنّك تفرض عدّة أعمالٍ شاقّة ومهمّة عليّ، ولن أرفض البحث فيها، إذا ما سرّك ذلك.

هرموجينس: إنّ البحث فيها سيسرّني حقّاً.

سقراط: كيف ستريدني أن أبدأ؟ هل سأبحث، بادىء ذي بدء، في الذي ذكرته أوّلاً أي الشمس؟

هرموجينس: جيّد جداً.

سقراط: سيكون أصل أو منشأ الشمس أوضح في الشكل الدوريّ[١١] على

الأرجح، لأنّ الدوريانز يدعونه ἅλιος ، ولربّما أعطي له هذا الإسم لأنه عندما يشرق يجمع « ἀλίζοι » الرجال معاً، أو ربما لأنّه دائم المسير في طريقه «ἀεὶ εἱλεῖν ἰών» على مقربة من الأرض؛ أو من الإسم αἰολεῖν الذي يشابه معنى الإسم ποικίλλειν « لتعدّد الألوان » لأنّه يعدّد ألوان منتوجات الأرض.

هرموجينس: لكن ما هو σελήνη « القمر »؟

سقراط: إنّ الإسم غير محظوظ بالنسبة لأناكساغوراس على الأصحّ.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: يبدو أنّ الكلمة تسبق اكتشافها الحديث العهد، وهو أنّ القمر يتلقّى نوره من الشمس.

هرموجينس: لماذا تقول هذا؟

سقراط: إنّ الكلمتين σέλας « إشراق » و φῶς « نور » لهما المعنى عينه تقريباً.

هرموجينس: نعم.

سقراط: إنّ هذا النور في جوار القمر هو نور جديد على الدوام « νέον »، وهو قديم دائماً « ἔνον » إذا ما صدق ما قاله أتباع أناكساغوراس إن الشمس تضيف نوراً جديداً في دورتها أبداً بشكل دائم، ويوجد النور القديم للشهر السابق.

هرموجينس: حقيقي جداً.

سقراط: إنّ القمر لا يُدعى σελαναία إلاّ نادراً.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: وبما أنّه يمتلك نوراً هو قديم دائماً كما أنّه نور جديد على الدوام « ἔνον νέον ἀεί » يمكن أن يكون له الإسم σελαενονεοάεια بشكل مناسب تماماً؛ وعندما يوضع هذا الإسم في شكله الصحيح يصبح σελαναία .

هرموجينس: إنّ هذا الإسم هو إسم من النوع الحماسيّ، يا سقراط، لكن ماذا تقول عن الشهر والنجوم؟

سقراط: يسمَّى « الشهر » μεισ لتنقُّص أو لتقلُّل، لأنّ الشهر يعاني من النقص. ويبدو أنّ إسم ἄστρα « النجوم »، أنّه مشتقٌّ من ἀστραπή « النور الكفيف » الذي يكون تحسيناً على إسم μειοῦσθαι ، والذي يفيد اعتلال أو اضطّراب العيون « ἀναστρ ἔφειν ὦπα ».

هرموجينس: ماذا تقول عن إسم πῦρ « النار » وعن إسمὕδωρ« الماء »؟

سقراط: إنّني محتار كيف سأوضح إسم πῦρ ؛ إمَّا أنّ وحي يوثيفرو هجرني، أو أن هناك صعوبة كبيرة جدّاً في هذه الكلمة. من فضلك، لاحظ الوسيلة التي أختارها كلّما واجهتني صعوبة من هذا النوع.

هرموجينس: ما هي هذه الصعوبة؟

سقراط: سأخبرك؛ لكنّني سأحب أن أعرف، في أول الأمر، إذا ما كنت تستطيع أن تقول لي ما هو معنى الكلمة πυρ

هرموجينس: إنّني لا أقدر على ذلك حقاً.

سقراط: هل سأخبرك ما الذي أشتبه أنّه المعنى الحقيقيّ لهذه الكلمة، وللعديد من الكلمات الأخرى؟ إعتقادي أنّها ذات أصل غريب، يستعير منه الهيلينيون غالباً، خاصّة أولئك الذين هم تحت سيادة البربر.

هرموجينس: ما هو الاستنتاج؟

سقراط: إنّ أيّ شخص ينشد اظهار التناسب لهذه الكلمات بوضوح طبقاً للّغة الهيلينيّة، وليس وفقاً للّغة التي اشتُقَّت منها، إنّ هذا الشخص سيواجه ارتباكاً على الأرجح.

هرموجينس: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: حسناً إذن، تأمّل مليّاً إذا ما كانت هذه الكلمة πῦρ كلمة غريبة؛ إذ ليس لها علاقة باللّسان الهيلينيّ، ويمكن الانتباه إلى أن الفريجيين لديهم

الكلمة عينها مع تغيير طفيف، تماماً مثلما يمتلكون الكلمتين ὕδωρ « الماء » و κύνες « الكلاب »، وكذلك عديد من الكلمات الأخرى.

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: يجب تفادي أيّة تفسيرات محرّفة للكلمات؛ لأنّه يمكن إيجاد شيء ما سهل يقال بشأنها. وهكذا فإنّني تخلّصت من كلمتي πῦρ و ὕδωρ .
أمّا كلمة Ἀήρ « الهواء » يا هرموجينس، فيمكن تفسيرها كأنّها العنصر الذي يرفع « αἴρει » الأشياء من الأرض، أو كأنّها السائل أو المتدفّق على الدوام « ἀεὶ ῥεῖ »، أو لأنّ الجريان أو الحركة المتواصلة للهواء تكون الريح، والشعراء يدعون الرياح « هبّات أو عواصف الهواء » « ἀῆται ». إنّ مَن يستعمل هذا الاصطلاح يمكن أن يعني، إذا جاز التعبير، التغيّر المتواصل أو الحركة الدائمة « ἀητόρρουν »، بمعنى الريح الجارية الدائمة الحركة « πνευματόρρουν ». ولأنّ الريح المتحركة هذه يمكن شرحها أو التعبير عنها بكلا الاصطلاحين، فهو يستخدم الكلمة هواء « ἀήρ = ἀήτης ῥέω ».
ينبغي عليّ أن أفسّر أو أؤوّل كلمة Αἰθήρ « الأثير » كأنّها كلمة ἀειθεήρ ؛ يمكن أن يقال هذا بكل صحّة لأنّ هذا العنصر يجري في حركة دائمة على مقربة من الهواء « ἀεὶ θεῖ περὶ τὸν ἀέρα ῥέων ». إنّ معنى كلمة γῆ « الأرض » تتجلّى أفضل عندما تكون في الشكل γαῖα ، لأنّ الأرض يمكن أن تُدعى « أُمّاً » بحقّ « γαῖα, γεννήτειρα »، كما هي في لغة هوميروس « الاوديسة. إنّ الكلمة γεγάασι تعني γεγεννῆσθαι أنّ كلّ شيء حسن حتّى الآن. فماذا سنتناول تالياً؟

هرموجينس: توجد ὧραι « الفصول »، يا سقراط ويوجد اسما السنة الإثنان، ἐνιαυτός ، ἔτος .

سقراط: إنّ كلمة ὧραι يجب تهجئتها بالطريقة الأتيكية القديمة، إذا أردت أن تعرف الحقيقة المشتملة بشأنها؛ إنّها تسمّى الـ ὅραι لأنّها تقسّم « ὁρίζουσιν »

فصول الصيف والشتاء والرياح وفاكهة الأرض. يظهر أنّ الكلمتين ἐνιαυτός و ἔτος هما الشيء عينه - « إنّهما الكلمتان اللتان تحضران النباتات ونتاج الأرض إلى النور كلٌّ في دوره، وتستعرضانها داخل نفسيهما « ἐν ἑαυτῷ ἐξετάζει ». إنّ هذه تنقسم إلى كلمتين، كلمة ἐνιαυτός من كلمة ἑαυτῷ، وكلمة ἔτος من كلمة ἐτάζει، تماماً مثلما قُسِّم Ζεύς ، كما لاحظنا سابقاً، إلى إسم Ζῆνα و Δία . أما الفرضيّة كلّها فتعني أنّ قوّة المعاينة هذه تكون واحدة من الداخل، لكنّ لها اسمين اثنين وكلمتين ἐνιαυτός و ἔτος كونها مشكّلة هكذا من افتراض مفرد.

هرموجينس: إنّك تحرز تقدّماً مدهشاً حقا، يا سقراط.

سقراط: أتفتكر أنّ هذه هي انطلاقات جسورة للحكمة.

هرموجينس: إنّني أفعل.

سقراط: ويمكنك أيضاً أن تكون أكثر ميلاً لقول ذلك قريباً.

هرموجينس: سأحبّ أن أعرف، في المقام التالي، كيف ستفسّر الأسماء المعطاة للفضائل. أيّ مبدأ أو قاعدة صحيحة توجد لتلك الكلمات الرائعة: الحكمة، الفهم، العدل، وللبقيّة الباقية منها؟

سقراط: إنّ هذا هو نوعٌ هائلٌ من أنواع الأسماء التي تبرزها إلى النور. يبقى، بما أنّني ارتديت جلد الأسد، أن لا أجبن، وأني لأفترض أنّه ينبغي أن أتأمّل معنى الحكمة « φρόνησις » والفهم « σύνεσις » والاحتكام « γνώμη » والمعرفة « ἐπιστήμη » وكلّ هذه الكلمات الرائعة، كما تسمّيها.

هرموجينس: بالتأكيد. يلزمنا أن لا نكفّ عن ذلك حتى نستخرج معناها.

سقراط: بكلب مصر! أعتقد أنّ الفكرة التي أتت إلى رأسي لتوّها[١٢] لم تكن فكرة سيّئة المصدر؛ وهي أنّ معطي الأسماء البدائيين كانوا مثل العديد من فلاسفتنا الحديثين، الذين عندما يبحثون في طبيعة الأشياء، يصابون بالدّوار

بسبب مضيِّهم بالسير في حلقة مفرغة باستمرار، ويتصوّرون بعدئذ أنّ العالم هو الفاعل لِمَا يقومون به وهو المتحرّك في كل اتجاه. ويفترضون هذا الظهور الذي ينشأ من حالتهم الداخليّة الخاصّة، يفترضونه أنّه حقيقة الطبيعة. يعتقدون أن لا شيء يوجد مستقرّاً أو دائماً، بل هو في تغيّر مستمرّ وفي حركة، وأنّ العالم ممتلىء على الدوام بكلّ نوع من أنواع الحركة والتغيير. إنّ اعتبار الأسماء التي ذكرتها قادني لأن أقوم بهذا التأمّل الملِيّ.

هرموجينس: كيف يكون ذلك، يا سقراط؟

سقراط: ربما لم تلاحظ أنّ الحركة أو التغيّر المستمرّ أو النشوء للأشياء، هي الأكثر إبانة في الأسماء التي قد تمّ الاستشهاد بها.

هرموجينس: لا، حقاً، إنّني كنت عالماً بها بصعوبة.

سقراط: خذ الإسم الأوّل من تلك الأسماء التي ذكرتها. إنّ هذا الإسم دالٌّ على الحركة بوضوح.

هرموجينس: ماذا كان الإسم؟

سقراط: Φρόνησις « الحكمة » التي يمكن أن تعني φορᾶς καὶ ῥοῦ νόησις « قوّة إدراك الحركة والتغيّر المستمرّ »، أو ربّما تعني φορᾶς ὄνησις « نعمة أو بركة الحركة »، لكنّها متّصلة بكلمة φέρεσθαι « حركة » على أية حال. أمّا كلمة γνώμη « إصدار الحكم أو القضاء » مرّة ثانية، فإنّها تدلّ ضمناً بكلّ تأكيد، على التأمّل مليّاً، أو الاعتبار أو التفكير «νώμησις» في النشوء « γονή »، إذ التعبير « ليتأمّل مليّاً » هو الشيء عينه مثل التعبير « كي تأخذ بعين الاعتبار أو تفكّر »؛ أو إذا كنت ستفضّل، هناك كلمة νόησις ، التي قد ذكرتها لتوّي بالتحديد، والتي هي νέου ἕσις « الرغبة في الجديد ». أمّا الكلمة νέος فإنّها تعني ضمناً أنّ العالم يكون في عملية الخلق على الدوام. أراد واهب الأسماء أن يعبِّر عن هذا التلهّف

الروحيّ لأنّ الإسم الأصليّ كان νόεεσις ، وليس νόησις ؛ لكن حرف
η أخذ مكان تضعيف الحرف ε . أمّا الكلمة σωφροσύνη فهي
النجاة « σωτηρία » لتلك الحكمة « φρόνησις΄ » والتي أخذناها بعين
الاعتبار لتوّنا. وتماثل كلمة Ἐπιστήμη' « معرفة » هذه الكلمة، وتدلّ على
أنّ الروح التي تكون صالحة لأيّ شيء تتبع « ἕπεται » أي حركة
الأشياء، وهي غير سابقةٍ لها وغير مقصّرةٍ عنها. ولهذا السبب فإنّ الكلمة
يجب أن تُقرأ على الأصحّ مثل ἐπειστήμη ، مدخلين عليها الحرف
ε . وأمّا الكلمة Σύνεσις « فهم » فيمكن اعتبارها كنوع من
الاستنتاج في أسلوب مماثل. إنّ الكلمة هذه مشتقة من συνιέναι لتمضي
على طول مع هذه. ومثل الكلمة ἐπίσταοθαι « تعرف » التي تدلّ ضمناً
على تقدّم الروح في صحبة مع طبيعة الأشياء. وتكون الكلمة Σοφία
« حكمة » أكثر إبهاماً، وتظهر على أنّها لا تكون ذات منشأ وطنيّ؛ وأمّا
معناها فهو ملامسة الحركة أو تيّار الأشياء. يجب أن تتذكّر أنّ الشعراء
عندما يتكلّمون عن ابتداء أيّة حركة سريعة فهم يستعملون غالباً كلمة
ἐσύθη « هو يتسرّع ». ووُجد لاقيدايموني شهير سُمّي Σοῦς
« متسرّع »، لأن اللاقيدايمونيين يدلّون على الحركة السريعة بهذه الكلمة.
والملامَسَة « ἐπαφή » للحركة يُعبّر عنها بالكلمة σοφία ، لأنّ كلّ
الأشياء يُفترض أنّها تكون في حركة. الخير « ἀγαθόν » يكون الإسم
الذي قُصِد به كلقبٍ للبديع « ἀγαστῷ΄ » في الطبيعة ككلّ. ومع أنّ كلّ
الأشياء تتحرّك، يبقى أن هناك درجاتٍ للحركة، بعضها أسرع، وبعضها
أبطأ. لكن هناك بعض الأشياء التي تكون رائعة لسرعتها وبسرعتها. ويسمّى
هذا الجزء الجدير بالإعجاب في الطبيعة ἀγαθόν .

أمّا Δικαιοσύνη « العدل » فإنّه بوضوح δικαίου σύνεσις أي « فهم

العادل »؛ لكنّ الكلمة الحقيقية δίκαιον هي أكثر صعوبة. إنّ الناس متّفقون بشأن كلمة العدل إلى مدىً محدَّد فقط، وحينئذ يبدأ تعارضهم في الآراء بخصوص ذلك. وأمّا الذين يفترضون أنّ كلّ الأشياء هي في حركة، فهم يتصوّرون أنّ الجزء الأعظم من الطبيعة هو مجرَّد وعاء، ويقولون إنّ هناك قوّة مخترقة هي التي تمرّ من خلال هذا كلّه. وهذه القوة هي أداة الخلق في الجميع، وهي العنصر الأدقّ والأسرع لأنّها إن لم تكن العنصر الأدقّ والألطف، والقوّة التي لا يستطيع أحد أن يبقيها خارجاً، والتي هي الأسرع أيضاً، والمارّة بجانب الأشياء الأخرى وكأنّها لا تزال واقفة بغير حراك، فهي لا تقدر أن تنفذ من خلال العالم المتحرّك. وهذا العنصر، وهو الذي يشرف على كلّ الأشياء لأنّه يقدر أن يخترق « διαϊόν » الكلّ، يُدعى بحقّ δίκαιον ؛ وقد أُضيف الحرف κ بغرض عذوبة الصوت فقط. هناك اتفاق إلى هذا الحدّ، كما كنت قائلاً، بين العديد من الرجال بشأن معنى « العدل ». لكن أنا، يا هرموجينس، قد كنت مثابراً ومصرّاً في بحثي وتحقيقي حتى تعلّمت كلّ الحقيقة كسرٌ. عنيت، أنّ هذا العدل الذي أتكلّم عنه هو السبب أيضاً لأنّ السبب هو ذلك الذي يأتي من خلاله أو بواسطته أيّ شيء إلى الوجود. وأتى شخص ما وهمس في أذني أنّ العدل دُعي هكذا بحقّ لأنّه يكون مشتركاً في طبيعة السبب. لكن عندما أبدأ باستجوابهم بلطف، بعد سماع ما قالوه، وأقول: « حسناً، يا صديقي الممتاز، ما هو ذلك الذي يكون عادلاً، بناءً على افتراضنا » يعتقدون أنّني أطرح أسئلة متعبة، وأنّي أقفز فوق العوائق. ولقد أُجبت مسبقاً بشكلٍ كافٍ. وبعدُ، فإنّهم يعطونني تعليلات وأوصافاً متنوّعة ومتضاربة في سعيهم كي يقنعوني. فواحدهم يقول إنّ العدل هو الشمس، وإنّه هو وحده العنصر الثاقب أو المخترِق «διαϊόντα» والحارِق « κάοντα » الذي هو حارس

الطبيعة. وحينما أردِّد هذه النظريّة الجميلة أمام الآخرين بفرح، فهو يجيب بتعليق هجائي قائلاً: « ماذا، ألا يوجد عدل عندما تغرب الشمس؟ ». وعندما أستعطف سائلي بجديَّة كي يخبرني رأيه الخاصّ الأمين بشأن النقطة الرئيسيّة عينها، يقول إنّها « النار ». لكنّ هذه الإجابة ليست إجابة مفهومة أو جليَّة. يقول آخر، « لا، إنّها ليست النار المجرَّدة بل عنصر الحرارة الموجود في النار ». ويصرِّح رجل آخر أنّه يضحك ويسخر من أقوالهم جميعاً، ويقول إنّ العدل يجب أن يكون العقل، طبقاً لعقيدة وتعليم أناكساغوراس لأنّ العقل كما يقولون يمتلك قوّة مطلقة، ولا يختلط بأيّ شيء، وينظِّم كلّ الأشياء، ويمرُّ من خلالها كلّها. إنّني وجدت نفسي أخيراً، يا صديقي، وجدتُها في ارتباك أكثر بخصوص طبيعة العدل ممّا كنته قبل أن أبتدىء بالعلم. لكنّني لم أزل أتمسَّك بالرأي القائل بأنّ الإسم الذي قادني إلى هذا الاستطراد، أُعطي للعدل للأسباب التي ذكرتها.

هرموجينس: أعتقد، يا سقراط، أنّك لست مرتجِلاً كلماتك الآن؛ ويُفترض أنّك سمعتها من شخص ما.

سقراط: لكن ليس الكلمات الباقية.

هرموجينس: بصعوبة.

سقراط: حسناً، إذن، دعني أواصل البحث على أمل أن أجعلك تعتقد في أصالة الأسماء الباقية. ماذا يبقى بعد العدل؟ إنّني لا أفتكر أنّنا بحثنا في الشجاعة بعدُ « ἀνδρεία ». أما الظلم « ἀδικία » الذي ليس أكثر من إعاقة للمبدأ المخترق بوضوح، أي «διαϊόντος» فليس بحاجة لأن يؤخذ بعين الاعتبار. حسناً، إذن، يبدو أنّ الإسم ἀνδρεία يدلّ ضمناً على معركة. إنّ هذه المعركة تكون في عالم الوجود، وطبقاً لمذهب وتعاليم التغيّر المتواصل. إنّها تكون ضدّ التغيّر المتواصل « ἐναντία ῥοή ». إذا أنت انتزعت الحرف δ من الكلمة

ἀνδρεία ، فإنّ الإسم يدلّ على الشيء في الحال، ويمكنك أن تفهم بوضوح أنّ ἀνδρεία لا يكون التيّار أو الدّفق المضادّ لكلّ دفق، بل إنّه مضادٌّ لذلك الذي يعاكس العدّ فقط، لأنّه إذا كان مختلِفاً عن هذا فإنّ الشجاعة لم يتم الثناء عليها. إنّ كلمَتيْ ἄρρην « ذَكر » و ἀνήρ « رجل » تتضمّنان تلميحاً مشابهاً للمبدأ عينه: للتغيُّر المتواصل المتّجه إلى أعلى τῇ ἄνω ῥοῇ. إنّ كلمة Γυνή « إمرأة » أشتبه أنها هي الكلمة عينها مثل γονή « ولادة ». أما كلمة θῆλυ « أنثى » فيظهر أنّها مشتقّة جزئيّاً من كلمة θηλή « الحلمة » لأنّ حَلَمَة الثدي تشبه المطر، وتجعل كلّ الأشياء تزدهر « τεθηλέναι ».

هرموجينس: إنّ ذلك محتمل بكلّ تأكيد.

سقراط: نعم؛ ويبدو أنّ الكلمة المحدَّدة θάλλειν « لتزدهر »، يبدو أنها تصف نموّ الشباب الذي يكون نموّاً سريعاً ومفاجئاً على الدوام. وهذا يعبَّر عنه بالمشرِّع في الإسم الذي هو مركّب من كلمتين θεῖν « راكض أو مندفع بسرعة »، وليس كلمة ἅλλεσθαι « قافز ». لاحظ كيف أنّي أعدو بسرعة عندما أصل إلى أرض ناعمة. هناك العديد من الأسماء الجيّدة التي يُعتقَد أنّها ذات أهميّة بشكل عامّ.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: هناك معنى الكلمة τέχνη « فنّ » كمثال.

هرموجينس: حقيقي تماماً.

سقراط: يمكن لتلك الكلمة أن تُماثل بكلمة ἐχονόη ، وتعبِّر عن امتلاك العقل وما عليك إلاّ أن تبعد منها الحرف τ وتولج الحرفين ο ، الأول بين حرفي χ و ν والثانية بين حرفي ν و η .

هرموجينس: إنّ سبكك للحروف يزداد، يا سقراط.

سقراط: نعم، يا صديقي العزيز؛ لكنّك تعرف أنّ الأسماء الأصليّة قد دُفِنت منذ

زمن بعيد وأخفاها الناس الذين ألصقوا حروفاً ونزعوا الحروف الأخرى بقصد عذوبة الكلام، ثم شوّهوها وزيّنوها بغير ذوق في كلّ نوع من أنواع الوسائل. ويمكن أنّ الزمن قد كان له دور في عمليّة التغيير هذه. خذ، كمثال، الكلمة κάτοπτρον ؛ لماذا أُدخل عليها الحرف ρ ؟ يجب أن يكون هذا الإدخال قد أولجه شخص ما لا يهتمّ أبداً بشأن الحقيقة. وبإضافات من هذا النوع لا يقدر أيّ مخلوق إنساني أن يكتشف معنى الكلمة الأصليّ. وهناك مثال آخر في الكلمة σφίγξ, σφιγγός ، التي يجب أن تكون كلمتي φίγξ و φιγγός على الأرجح، وهناك أمثلة أخرى غير هذه الأمثلة.

هرموجينس: إنّ ذلك حقيقيّ تماماً، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك، إذا سُمِح لك أن تضع وتنتزع أيّة حروف تسرّك، فإنّ الأسماء، ستُخلق بكلّ سهولة، ويمكن لأيّ إسم أن يُكيَّف ليناسب أيّ موضوع.

هرموجينس: حقاً.

سقراط: نعم، إنّ ذلك لحقيقيّ. ولهذا السبب فحاكم مطلق حكيم، مثلك، عليه أن يراقب قوانين الاعتدال والاحتمال.

هرموجينس: تلك هي رغبتي.

سقراط: وهذا ما أرغبه أيضاً، يا هرموجينس. لكن لا تكن دقيقاً كثيراً، وإلا « فإنّك ستجعلني أفقد قوّتي »(١٣) لأنك سمحت لي أن أضيف كلمة μηχανή « اختراع » إلى كلمة τέχνη « فنّ ». سأكون هنا في قمة تصميمي. أتصوّر كلمة μηχανή أنّها إشارة إنجازٍ كبرى ؛ لأنّ كلمة ἄνειν μῆκος تمتلك معنى العظمة، وكذلك هاتان الكلمتان، μῆκος و ἄνειν فإنّهما تخلقان الكلمة μηχανή . لكن، كما قلت، كوني في قمّة تصميمي الآن، سأحبّ أن أتأمّل مليّاً معنى كلمتي ἀρετή « فضيلة »

و κακία « رذيلة ». إنّني لا أفهم كلمة ἀρετή حتى الآن. غير أنّ كلمة κακία هي كلمة واضحة، وتّتفق مع القواعد والمبادىء التي تقدّمت، لأنّ كلّ الأشياء هي في تغيُّر متواصِل « ἰόντων ». وتكون كلمة κακία كلمة « مُنطَلِق على نحوٍ سيِّىء κακῶς ἰόν »؛ وهذه الحركة الشرّيرة عندما توجد وتبقى في الروح تمتلك الإسم العامّ κακία ، أو رذيلة، ويكون هذا الإسم إسماً مناسباً لها. أمّا معنى الكلمات κακῶς ἰέναι فيمكن أن يُشرَح بشكلٍ أبعد باستعمال كلمة δειλία « جبن » التي يجب أن تأتي بعد كلمة ἀνδρεία ، لكنّها كانت منسيَّة. وكما أخشى، فإنّها ليست الكلمة الوحيدة التي قد أُهمِلَت. أمّا كلمة Δειλία فتعني أنّ الروح تكون مطوَّقة بسلسلة قويَّة « δεσμός »، لأنّ كلمة λίαν تعني القوّة، ولهذا السبب فإنّ كلمة δειλία تعني الرباط الأعظم والأقوى للروح. وتكون كلمة ἀπορία « صعوبة » شرّاً من الطبيعة عينها « ليس من حرف a ». وأمّا كلمة πορεύεσθαι « لتنطلق »، فإنّها مثل أيّ شيء آخر يكوّن إعاقةً عن السير والحركة. إذن يبدو أنّ كلمة κακία تعني κακῶς ἰέναι ، أو منطلقاً بسوء، أو ماشياً مضطرباً أو متعثراً والذي تكون عاقبته أو نتيجته أنّ الروح تصبح مملوءَة بالرذيلة. وإذا كانت الكلمة κακία الإسم لهذا النوع من الشيء، فإنّ كلمة ἀρετή ستكون لها ضدّاً، مفيدةً سهولة في الحركة في المقام الأوّل. حينئذ فإنّ تيّار أو دفق الروح يكون غير معوَّق أو مُعتَرَضٍ سبيله، ويمتلك خاصيّة الدّفق الدائم لهذا السبب بدون عائقٍ أو عرقلة، وتسمّى لذلك كلمة ἀρετή ، أو بصِحّة أكثر، كلمة ἀειρειτή المتدفّق أبداً ». وربّما أنّها امتلكت شكلاً آخر، αἱρετή « المرغوب فيه » مشيرة إلى أنّ لا شيء يكون مرغوباً فيه أكثر من الفضيلة. وهذه الكلمة قد تمّ العمل عليها فتحوّلت إلى آخر من صنعي. غير أنّي أعتقد أنّه إذا كانت الكلمة

السابقة κακία كلمة صحيحة، حينئذ فإنّ الكلمة ἀρετή هي كلمة صحيحة أيضاً.

هرموجينس: لكن ما معنى كلمة κακόν التي لعبت دوراً مهمّاً في البحث السابق.

سقراط: إنّ هذه الكلمة هي كلمة مفردة وبالكاد أستطيع أن أشكّل عنها رأياً. ولهذا السبب يجب عليّ أن أستعين بوسيلتي الحاذقة أو ألتجيء إليها.

هرموجينس: أيّة وسيلة؟

سقراط: الوسيلة ذات الأصل والمنشأ الغريب، والتي سوف أعطيها لهذه الكلمة أيضاً.

هرموجينس: مرجّحٌ جدّاً أنّك محقّ؛ لكن إفترض أن نترك هذه الكلمات ونسعى كي نرى الأساس المنطقيّ لكلمة καλόν ولكلمة αἰσχρόν .

سقراط: إنّ معنى كلمة αἰσχρόν واضح، كونها فقط ἀεὶ ἴσχον « المانع الدائم من التدفّق »، وهذا يكون في تطابق مع اشتقاقاتنا السابقة. أعتقد أنّ من أعطى الإسم كان ناقداً قاسياً لأيّ شيء يميل على الدوام إلى الجمود. ومن ثمّ أعطى الإسم ἀεισχοροῦν » ويكون هذا الآن مُختلِطاً معاً في كلمة ἀεὶ ἴσχον ῥοῦν.

هرموجينس: لكن ماذا تقول عن كلمة καλόν ؟

سقراط: تلك كلمة أكثر غموضاً؛ وبرغم ذلك فهي تتكلّم عن نفسها. إنّها قد عُدِّلت بالتركيب والتطويل لحرف الـ ο فقط.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: يظهر أنّ هذا الإسم يدلّ على العقل.

هرموجينس: كيف ذلك؟

سقراط: دعني أسألك ما هو السبب الذي من أجله يمتلك أيّ شيء إسماً؛ أليس السبب هو المبدأ الذي يفرض الإسم؟

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلا يجب أن يكون هذا السبب عقل الآلهة، أو الرجال، أو كليهما؟

هرموجينس: بالتأكيد. نعم.

سقراط: وذلك الذي يدعى «καλέσαν» ويسمّي « καλοῦν » الأشياء بأسمائها، هو العقل مرّة ثانية.

هرموجينس: يبدو أنّه هكذا.

سقراط: أليست أعمال الفكر والعقل أعمالاً جديرة بالثناء؟ أوَليست الأعمال الأخرى أعمالاً تستحقّ اللوم؟

هرموجينس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: الشفاء يؤدّي عمل الطبيب، والنّجارة تقوم بعمل النجار.

هرموجينس: بالضبط.

سقراط: وينفّذ مبدأ الجمال مهمّات الجميل.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: ونؤكّد أنّ هذا المبدأ هو العقل.

هرموجينس: حقيقي جداً.

سقراط: إذن فإنّ الحكمة تدعى جمالاً بحقّ لأنها تؤدي الأعمال التي ندركها ونتكلّم عنها كالجميل.

هرموجينس: إنّ ذلك لجلي.

سقراط: أيّة أسماء إضافية تبقى لنا لنوضحها؟

هرموجينس: هناك الكلمات التي تتّصل بكلمة ἀγαθόν وكلمة καλόν ، مثل كلمة συμφέρον وكلمات λυσιτελοῦν, ὠφέλιμον, κερδαλέον ومضادّاتها.

سقراط: أعتقد أنّه يمكنك أن تكتشف بنفسك معنى كلمة συμφέρον « ملائم » وذلك على ضوء الأمثلة السابقة لأنّ هذه الكلمة هي أخت الكلمة

ἐπιστήμη مفيدة حركة الروح على وجه الضبط « φορά » التي ترافق العالم. وأمّا الأشياء المفعولة على هذا المبدأ فتدعى على الأرجح σύμφορα أوσυμφέροντα؛ لأنّها تكون محمولة دائريّاً مع العالم. مرّة ثانية، فإنّ كلمة، κερδαλέον « مُربح » تُدعى من كلمة κέρδος« ربح »، لكنّك يجب أن تبدّل حرف الـ δ إلى الحرف ν إذا أردت أن تدرك المعنى لأنّ هذه الكلمة تعني الخير أيضاً لكن بطريقة أخرى. إن من أعطى الإسم قصد أن يوضح قوّة المزج «κεραννύμενον» والاختراق العالمي للخير، وأدخل هو في تشكيل الكلمة، على كل حال، أدخل حرف δ بدلاً من حرف ν. وهكذا خلق كلمة κέρδος .

هرموجينس: حسناً، لكن ما هي كلمة λυσιτελοῦν « مُكسِب »؟

سقراط: أفترض، يا هرموجينس، أنّ المشرّع لم يستخدم هذه الكلمة، مثلما يفعل تجّار التجزئة، ليصفوا ذلك الذي يعوّض عن أو يَردّ الكلفة «λύει τὰ τέλη». لكنّه أخذ بعين الاعتبار المربح أي « λυσιτελοῦν »، كأنه ذلك الذي كونه الشيء الأسرع في البقاء، والذي لا يسمح لإقامةٍ في الأشياء ولا لتوقّف مؤقّت أو نهايةٍ للحركة. لكن إذا ابتدأ ليوجَد أية نهاية، فإنّه يدع الشيء ليمضي ثانية على الدوام « λύει » ويجعل الحركة خالدة وغير منقطعة. ومن وجهة النظر هذه، كما يبدو لي، فإنّ الخير كان يعيّن بسعادة λυσιτελοῦν - كونه ذلك الشيء الذي يطلق « λύον » النهاية « τέλος » للحركة. تُشتقُّ الكلمة Ὠφέλιμον « المفيد » من ὀφέλλειν ، يعني ذلك الذي يخلق ويزيد. إنّ هذه الكلمة الأخيرة هي كلمةً هوميريّة عامّة ولها أصلٌ أجنبيّ.

هرموجينس: وماذا تقول عن مضادّاتها؟

سقراط: بالكاد أعتقد أنّني أحتاج لأتكلّم عن مُثُلٍ هي مجرّد سلبيات.

هرموجينس: أيّها هي؟

سقراط: الكلمات ἀξύμφορον « غير الملائم »، ἀνωφελές « غير المربح »، ἀλυσιτελές « غير المفيد »، ἀκερδές « غير المكسِب ».

هرموجينس: حقاً.

سقراط: إنّني سآخذ على الأصحّ الكلمات βλαβερόν « الضارّ »، ζημιῶδες « المؤذي ».

هرموجينس: جيّد.

سقراط: إنّ الكلمة βλαβερόν هي الكلمة التي قيل إنّها تمنع أو تؤذي βλάπτειν « التيّار أو الدفّق » ῥοῦν. وأمّا كلمة βλάπτον تكون βουλόμενον « ناشدة أن تضبط أو توثق ». وهذه الكلمة ستكون كلمة βουλαπτεροῦν بشكل مناسب وهي تحسّنت إلى كلمة βλαβερόν، كما أتصوّر.

هرموجينس: إنّك تُظهر نتائج غريبة، يا سقراط، في اشتقاق الأسماء. وعندما أسمع كلمة βουλαπτεροῦν فإنّني لا أستطيع الامتناع عن تصوُّر أنك محوِّلٌ فمك إلى ناي، ومعلناً إستهلالاً ما إلى الإلهة أثينا.

سقراط: إنّ ذلك هو خطأ صانعي الأسماء، يا هرموجينس؛ وليس خطئي.

هرموجينس: حقيقيّ جدّاً؛ لكن ما هو اشتقاق الإسم ζημιῶδες؟

سقراط: ما هو معنى الكلمة ζημιῶδες؟ دعني أعلّق، يا هرموجينس، كم كنت محقّاً في القول بأنّ التغييرات الكبيرة في معاني الكلمات مصنوعة بوضع وسحب الحروف فيها ومنها؛ حتّى أنّ استبدالاً طفيفاً جدّاً فيها سيُعطي فهماً مضادّاً بعض المرّات بشكل كامل. يمكنني أن أستشهد بالكلمة δέον، التي تذكرني في هذه اللحظة بما كنت ذاهباً لأقوله لك، وهي أن اللغة الجميلة المنمّقة للأزمنة الحديثة حرّفت وأخفقت وبدّلت المعنى الأصلي

لكلمة δέον بشكل كامل، وأيضاً لكلمة ζημιῶδες المعيَّنتين كليهما في اللغة القديمة بشكلٍ واضح.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: سأحاول أن أشرح لك. إنّك تعلمُ بأنّ أجدادنا أحبُّوا الأصوات لحرفَي ι و δ ، خاصّة النساء منهم اللواتي هنّ أكثر محافظة على اللغة القديمة، لكنّ الحبّ تبدّل الآن إلى حرفي η أو ε ، وحرف δ إلى حرف ζ ؛ يُفترض هذا أنّه يزيد روعة الصوت.

هرموجينس: ماذا تعني؟

سقراط: كمثال، دَعَوا هُمُ اليوم في الأزمنة الغابرة جدّاً، دعوه إمّا ἱμέρα أو ἑμέρα ، وهو الذي ندعوه نحن ἡμέρα

هرموجينس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: هل تلاحظ أنّ الشكل القديم فقط يبيِّن قصدَ معطي الإسم؟ والذي هو السبب، إنّ الرجال يتوقون لكلمة « ἱμείρουσι » ويحبّون الذي يعقب الظلام، ولهذا السبب دعوا اليوم ἱμέρα ، من ἵμερος ، أي رغبة.

هرموجينس: بوضوح.

سقراط: لكنّ الإسم الآن حُرِّف إلى درجة أنّك لا تستطيع أن تخبر عن المعنى، ورغم ذلك هناك بعضٌ ممّن يتصوّر أنّ اليوم يدعى ἡμέρα لأنّه يجعل الأشياء لطيفة « ἥμερα »(١٤).

هرموجينس: إنّ تلك هي وجهة نظري.

سقراط: وهل تعرف أنّ الأقدمين قالوا δυογόν وليس ζυγόν ؟

هرموجينس: إنّهم فعلوا هكذا.

سقراط: وأما كلمة ζυγόν « نيِّر » فليس لها معنى - ينبغي أن تكون ، الكلمة التي تعني توثيق الإثنين معاً « δυεῖν ἀγωγή » بغرض الجرّ . لقد

غُيِّرت هذه الكلمة إلى كلمة ζυγόν. وهناك عديد من الأمثلة الأخرى ذات التبديل المشابه.

هرموجينس: يوجد.

سقراط: وإذا تابعت تسلسل الأفكار عينه، فيمكنني أن أُعلِّق وأقول بأنّ الكلمة δέον « التزام أو واجب »، لها معنى هو الضدّ لكلّ تسميات الخير؛ لأنّ كلمة δέον هي نوع من الخير هنا. وهي، بالرّغم من هذا القيد « δεσμ » أو الشيء المعوّق للحركة، فإنّها لذلك تمتلك لها أخاً βλαβερόν

هرموجينس: إنّها تبدو هكذا حقاً، يا سقراط.

سقراط: ليس إذا عدت إلى الشكل القديم الذي يكون أكثر احتمالاً أنّه الأصح، فتُقرأ الكلمة διόν بدلاً من δέον. أمّا إذا غيّرت الحرف ι إلى ε على غرار الأسلوب القديم، ستتّفق هذه الكلمة حينئذٍ مع الكلمات الأخرى التي تعني الخير، وهي إصطلاح ثناء. وأمّا مؤلّف أو مبدع الأسماء فلم يناقض نفسه، بل إنّ في كل هذه التسميات المتنوعة، δέον « إلزامي »، ὠφέλιμον « نافع »، λυσιτελοῦν « مُكسِب »، κερδαλέον « مُربح » ἀγαθόν « خير »، συμφέρον « مناسب »، εὔπορον « وافر »، في كلّ هذه التسميات فإنّ التصوّر عينه يدلّ ضمناً على المبدأ المنظِّم أو المنتشر الذي يُثنَى عليه، والمبدأ المقيِّد أو الموثِّق الذي يُلام. ويوضِّح هذا بأبعد من ذلك بالكلمة ζημιώδης « مؤذي » التي إذا تغيَّر حرفها ζ فقط إلى حرف δ كما هو في اللغة القديمة، فالكلمة ستصبح δημιώδης. وهذا الإسم، كما ستتصوّر، معطىً إلى ذلك الإسم الذي يوثِّق الحركة أي « δοῦντι ἰόν ».

هرموجينس: وماذا تقول عن الكلمة ἡδονή « لذّة »، λύπη « ألم »، ἐπιθυμία « رغبة » وما شابهها، يا سقراط؟

سقراط: لا أعتقد، يا هرموجينس، أن هناك صعوبة كبرى بشأنها. إنّ كلمة ἡδονή تشبه إسمّاً للعمل الذي يميل إلى الفائدة « ὄνησις ». ويمكن أن يُفترض أنّ الشكل الأصلي قد كان ἡονή ، لكنّه تغيّر بإدخال الحرف δ . أمّا الكلمة Λύπη فيظهر أنّها اشتُقّت من الاسترخاء « λύειν » الذي يشعر الجسم به عندما يكون في حالة حزن. وتكون كلمة ἀνία « مضايقة » إعاقة الحركة « ἀ ἰέναι ». أمّا كلمة ἀλγηδών « كَرْب » فهي كلمة أجنبيّة، إذا لم أكن مخطئاً، والتي اشتُقّت من كلمة ἀλγεινός « مؤلم ». ودعيت كلمة « حزن » منْ تَصَنُّع « ὀδύνη » الحزن. أمّا في كلمة ἀχθηδών « انزعاج » « الكلمة تكدح أيضاً »، كما يمكن لأيِّ شخص أن يرى، تكون كلمة χαρά « فرح » العبارة لسلاسة وإسهاب الروح بالتحديد « χέω ». دعيت كلمة τέρψις « بهجة » بسبب زحف اللذّة « ἕρποι » من خلال الروح، التي يمكن تشبيهها بالنَّفَس « πνοή » وتكون كما ينبغي ἑρπνοῦν ، لكنّها قد تبدّلت مع الوقت إلى كلمة τερπνόν . أمّا كلمتا εὐφροσύνη « مسرّة » وكلمة ἐπιθυμία فإنّهما توضحان نفسيتهما. سمّيت السابقة التي يجب أن تكون ενφερσσvvn وقد تغيّرت إلى εὐφεροσύνη ، كما يمكن لأيِّ شخص أن يرى، سُمّيت ذلك من تحرّك الروح « φέρεσθαι » في تناغم مع الطبيعة. وتكون كلمة ἐπιθυμία ، القوّة التي تدخل إلى الروح بحقّ، ἡ ἐπὶ τὸν θυμὸν ἴουσα δύναμις ؛ أمّا كلمة θυμός « عاطفة » فإنّها ربما سمّيت من الاندفاع السريع « θύσεως » ومن غليان الروح. وتدلّ كلمة ἵμερος « رغبة »، تدلّ على التيّار أو الدفق الأكثر « ῥοῦς » الذي يثير الروح διὰ τὴν ἕσιν τῆς ῥοῆς لأنّه يتدفّق بالرغبة « ἱέμενος ῥεῖ » ويعبّر عن توقٍ في أثر الأشياء، وجذبٍ عنيف للروح إليها. ويدعى « ἵμερος » من امتلاك هذه القوّة؛ وتكون كلمة πόθος « توق »،

معبّرة عن الرغبة في ذلك الذي لا يكون حاضراً بل غائباً، وفي مكانٍ آخر « που ». وهذا هو السبب الذي من أجله يُستعمل الإسم πόθος للأشياء الغائبة، كما تُستعمل كلمة ἵμερος للأشياء الحاضرة. تدعى كلمة ἔρως « حبّ »، هكذا لأنّها تجري داخلاً « ἐσρῶν » من الخارج. إنّ الدفق أو التيّار لا يكون ملازما في أولئك المتأثّرين، بل إنّه تأثير مُدْخَلٌ من خلال العينين وبواسطتهما. ودعي السيلان إلى الداخل ἔσρος « تدفّقاً »، دُعي ذلك في الزمن القديم عندما استعمل الغابرون الحرف ο مكان الحرف ω ، ويسمّى ἔρως . وبعدُ فإنّ الحرف ω استبدل بِ الحرف ο . لكن ماذا، ألا تعطيني كلمة أخرى؟

هرموجينس: ما رأيك بكلمة δόξα « رأي » وذلك النوع من الكلمات؟

سقراط: إن كلمة Δόξα « رأي » إمّا مشتقّة من كلمة δίωξις « ملاحقة »، وتعني مسيرة الروح في ملاحقة المعرفة، أو مشتقّة من إطلاق سهم « τόξον »؛ ويكون الاشتقاق الأخير اشتقاقاً أكثر ترجيحاً، ويُعزَّز بكلمة οἴησις « تفكير » التي تكون فقط كلمة οἶσις « متحرّك ». وتدلّ هذه الكلمة ضمناً على حركة الروح إلى الطبيعة الجوهريّة لكلّ شيء، تماماً مثلما تكون كلمة βουλή « خطّة » ذات علاقة بالإطلاق « βολή ». وتضمّ كلمة βούλεσθαι « لتتمنّى »، الفكرة للتسديد والتروّي. يبدو أنّ كل هذه الكلمات تتبع كلمة δόξο ، وتشمل كلها فكرة الإطلاق، تماماً مثلما تكون كلمة ἀβουλία ، « غياب الخطة ». وتكون على الجانب الآخر حظاً عاثراً، أو مفقوداً، أو مخطئاً العلامة، أو القصد، أو الاقتراح، أو الهدف.

هرموجينس: إنّك لمسرع في عَدْوِك الآن، يا سقراط.

سقراط: لماذا؟ نعم. إنّني في الدورة الأخيرة من السباق. لكن يبقى عليّ أن أتعامل مع كلمة ἀνάγκη « ضرورة »، التي يجب أن تأتي تالياً، ومع كلمة ἑκούσιον « الاختياري ». وتكون بالتأكيد كلمةΕκούσιο المطواع « εἶκον »

واللّامقاوم. إنّ الفكرة المتضمَّنة هي فكرةٌ لَذّنةٌ وليست معاكسة، أي إذعان، كما كنت قائلاً لتوّي، إذعان لتلك الحركة التي تكون في تطابق مع إرادتنا. لكنّ فكرة الضروريّ والمقاوم كونها معاكسة لإرادتنا، فتدلّ ضمناً على الخطأ والجهل. إنّ الفكرة مأخوذة من السير خلال الوَهْد أو المَسِيل المتعذّر اجتيازه، الوَهْد الوعر، والمكسو بالعشب، والذي يعيقُ الحركة. وهذا هو الاشتقاق لكلمة ἀναγκαῖον « ضروريّ » ἀν'ἄγκη ἰόν ، ذاهباً من خلال الوَهْد أو المسيل. لكن ما دمتُ قويّاً دعنا نثابر على العمل، وإنّني لآمل منك أن تواظب على أسئلتك.

هرموجينس: حسناً، إذن. دعني أسأل بخصوص الأعظم والأنبل مثل كلمة ἀλήθεια « حقيقة » وكلمة ψεῦδος « باطل » وكلمة ὄν « وجود »، غير ناسٍ أنْ أحقق وأتساءَل لماذا تمتلك الكلمة ὄνομα « إسم » الذي هو موضوع بحثنا، هذا الإسم هو ὄνομα .؟

سقراط: هل تعرف أنت الكلمة μαίεσθαι« لتنشد »؟

هرموجينس: نعم - إنّها تعني الشيء عينه مثل الكلمة ζητεῖν « لتحقق أو لتستعلم ».

سقراط: يبدو أنّ الكلمة ὄνομα هي جملة موجزة، تعني أنّ الهدف الذي يتمّ البحث عنه، يكون إسماً، كما أنّه لا يزال أكثر وضوحاً في كلمة ὀνομαστόν « جدير بالملاحظة » الذي يصرّح في كلمات عديدة أنّ الوجود الحقيقيّ يكون ذلك الذي يوجد بحثٌ من أجله، أي « ὂν οὗ μάσμα ». وأمّا كلمة ἀλήθεια فهي تكتّل للكلمة θεία ἄλη « التطواف الإلهي » وهي دالّة على الحركة الإلهيّة للوجود. أمّا كلمة ψεῦδος« زيف أو باطل » فإنّها الضدّ للحركة. هناك اسم سيّىء آخر أعطاه المشرّع إلى الركود أو الخُمول المُجبَر، الذي يقارنه بالنوم « εὕδειν ». غير أنّ المعنى الأصليّ للكلمة أُخفيَ بإضافة الحرف ψ ؛ أمّا الحروف ὄν وοὐσία فإنها تكون ἰόν مع حرف

؛ مفصولاً. يتّفق هذا مع المبدأ الصحيح، لأنّ الوجود الذي يُدعى غير ماضٍ بشكل مماثل« οὐκίον أو οὐκ ἰόν = οὐκὶ ὄν ».

هرموجينس: إنّك تعمل بجدٍّ ورجولة، يا سقراط، محقّقاً في هذه الأسماء. لكن إفترض أنّ شخصاً ما سألك، ماذا عن كلمات كهذه ἰόν و ῥέον و δοῦν ؟ أرني تناسبها.

سقراط: تعني، كيف سأجيبه؟

هرموجينس: نعم.

سقراط: لقد اقتُرِحَت طريقةٌ واحدة مسبقاً لإعطاء المظهر للإجابة.

هرموجينس: أيّة طريقة؟

سقراط: لأقول انّ الأسماء التي لا نفهمها تكون ذات أصل غريب؛ ويمكن أن يكون شيء ما من هذا النوع حقيقيّاً عن عديدها. في حالات أخرى فإنّ الأشكال الأصليّة للكلمات، يمكن أنّها قد ضاعت في ثنايا العصور. إنّ الأسماء قد حُرِّفت هكذا في كلّ نمطٍ من أنماط الطرائق، ذلك أنّنا لا نحتاج للدهشة إذا ما قورنت اللغة القديمة باللغة المستعملة اليوم لنعرف انها ستظهر أنّها لسان أو لهجة بربريّة.

هرموجينس: محتمل جداً.

سقراط: نعم، محتمل جداً. لكن يبقى أنّ البحث يتطلّب انتباهنا الجدّي، ويجب علينا أن لا نتراجع أو نُحجم لأنّه ينبغي أن نتذكّر، أنّه إذا ما واصل أيّ شخص تحليل الأسماء إلى كلمات، وتساءَل أيضاً عن العناصر التي تشكّلت منها الكلمات، وثابر على ترديد هذه العملية بشكل دائم، فإنّ مَنْ سيجيبه على تساؤله يلزمه أن يسلّم التحقيق إلى اليأس.

هرموجينس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وفي أيّة نقطة رئيسيّة عليه أن تهن عزيمته ويتخلّى عن التحقيق؟ ألا يلزمه

أن يتوّقف عندما يصل إلى الأسماء التي هي عناصر كلّ الأسماء الأخرى وكذلك الجمل؟ لأنّ هذه لا يمكن افتراضها بعدل أنّها تتألّف من الأسماء الأخرى. فالكلمة ἀγαθόν « خير »، كمثال، هي تركيب لكلمتي ἀγαστός « بديع » ولكلمة θοός « سريع »، كما كنّا قائلين. ولربّما ينبغي أن نعلن أنّ كلمة θοός تؤلّف من العناصر الأخرى، وهذه من العناصر الأخرى مرّة ثانية. لكن إذا حصلنا في النهاية على شيء ما يكون غير قابلٍ لتحليل أبعد، سنكون محقّين في القول عندئذ أنّنا وصلنا إلى العنصر الأوّلي في نهاية المطاف، ولا نكون مجبرين بعد الآن لأن نحلّل إلى أسماء أخرى.

هرموجينس: أعتقد بأنّك على حقّ.

سقراط: وافترض أنّ الأسماء التي نسأل بشأنها الآن ستصبح عناصر أولى، أفلا يجب أن تُختبر صحّتها طبقاً لأسلوبٍ وطريقة جديدة ما؟

هرموجينس: محتمل جداً.

سقراط: هكذا تماماً، يا هرموجينس! يبدو أنّ كلّ الذي تقدّم من بحث يرتكز على هذه النقطة الرئيسيّة. وإذا كان هذا الإنطباع انطباعاً صحيحاً، كما أعتقد، فإنّني سأقول لك مرة ثانية حينئذ، تعال وساعدني، ذلك كي لا أقع في سخريةٍ ما في تقرير مبدأ الأسماء الأولى.

هرموجينس: دعني أسمع، وسأفعل أفضل ما أقدر عليه لأساعدك.

سقراط: أعتقد أنّك ستعترف معي، أنّ مبدأً واحداً قابلاً للتطبيق على كلّ الأسماء، من أسهلها إلى أكثرها تعقيداً عندما تُعتبر أسماءً بكلّ بساطة، لا يوجد فرق بينها.

هرموجينس: إنّني سأعترف.

سقراط: لكن الآن، وفي الشرح الذي أتممناه لتوّنا، حُكِم على الأسماء بصحّةٍ طبقاً لقوّتها كي تبيّن ماذا يشبه كلّ شيء.

هرموجينس: طبعاً.

سقراط: وإنّ هذه هي صفة مميّزة للأسماء الأولى بقدر ما تكون هي للأسماء الثانويّة تماماً. ويُتَضمَّن هذا في كونها أسماء.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لكنّ الأسماء الثانويّة استمدَّت أهميّتها من الأسماء الأولى، كما أتصوّر.

هرموجينس: يبدو هكذا.

سقراط: جيد جداً؛ لكن حينئذ كيف للأسماء الأولى التي لا توجد فوق الأسماء الأخرى، أن تُظهِرَ طبيعة الأشياء، بقدر ما يمكن تبيينها، والتي يجب أن تفعله هي إذن لتكون أسماء حقيقية؟ وإنّني سأسألك سؤالاً هنا: إفترض أنّنا لم نمتلك صوتاً ولا لساناً، وأردنا أن نعيِّن أهدافاً لبعضنا البعض، ألا يجب أن نصنع إشارات باليدين والرأس وبقيّة الجسم، مثلما يقوم به الصم والبكم؟

هرموجينس: لن يكون هناك خيارٌ آخر، يا سقراط.

سقراط: ينبغي علينا أن نقلِّد طبيعة الشيء. إن رفع أيدينا إلى السماء سيعني الخفة والاتجاه إلى أعلى؛ الثقل والنزول إلى أسفل سيعبّر عنه بتركها تسقط على الأرض. أمّا إذا كنّا واصفين عدوَ الحصان، أو أي حيوان آخر، فإنّنا سنجعل حركة أجسامنا وإيماءَاتها متطابقة مع ذلك بالقدر الذي نستطيعه.

هرموجينس: نعم، يتوجّب علينا أن نفعل كما تقول.

سقراط: إفترض أنّه اذا كان لزاماً علينا أن نسلك هذه الطريقة كي نعيِّن أيّ شيء بحركات الجسم، فسينبغي علينا أن نقلّد الشيء الذي نشير إليه.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وكذلك حينما نريد أن نعبّر عن شيء ما بالصوت، أو اللسان، أو الفم، فإنّ إيضاح ذلك سيُنجز بالتقليد، من خلال، أو بواسطة أحد هذه الأعضاء. لذلك الذي نريد أن نوضحه.

هرموجينس: أعتقد ذلك.

سقراط: يبدو أنّ الإسم هو إذن، تقليدٌ صوتيّ لأيّ هدف؛ ويقال إنّ إنساناً يسمّي أيّ شيء عندما يقلّده بالصوت.

هرموجينس: إنّني أعتقد ذلك.

سقراط: لا، يا صديقي، إنّني ميّال للاعتقاد بأنّنا لم نصل إلى الحقيقة لغاية الآن.

هرموجينس: لِمَ لا؟

سقراط: لأنّنا إنْ فعلنا فسنُجبر على الاعتراف بأن الأناس الذين يقلّدون الغنم أو الديوك أو الحيوانات الأخرى، يسمّون عندها بأسماء الذين يقلّدون.

هرموجينس: حقيقيّ تماماً

سقراط: إذن يمكن أنّني قد كنت محقّاً فيما قلته؟

هرموجينس: لا، في رأيي. لكنّني أرغب في أن تخبرني، يا سقراط، أيّ نوع من التقليد يكون إسماً؟

سقراط: عليّ أن أجيب في المقام الأوّل، أنّ هذا التقليد لا يكون تقليداً موسيقيّاً، مع أنّه يكون تقليداً صوتيّاً أيضاً؛ ولا يكون تقليداً لِمَا تقلده الموسيقى، مرّة ثانية؛ إنّ هذه الأشياء لن تكون تسميات في حكمي. دعني أضع المسألة كما يلي: كلّ الأشياء تمتلك صوتاً وشكلاً، وعديدها يمتلك لوناً.

هرموجينس: بالتأكيد.

سقراط: لكن لا يظهر أنّ فنّ التسمية يختصّ بالتقليدات من هذا النوع. إنّ الفنون التي تكون ذات علاقة بها هي فنون الرّسم والموسيقى.

هرموجينس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية، ألا يوجد جوهر لكلّ شيء في رأينا، تماماً كما يوجد لون، أو صوت؟ ألا يوجد جوهر للّون والصوت عينهما بادىء ذي بدء، كما يوجد جوهر لأيّ شيء آخر؟

هرموجينس: عليّ أن أعتقد كذلك.

سقراط: حسناً، وإذا ما استطاع أيٌّ شخص إيضاح ذلك الجوهر لكلِّ شيء في حروف ومقاطع لفظيَّة، ألن يعبِّر هو عن الطبيعة الحقيقيّة لكلّ شيء؟

هرموجينس: هكذا تماماً.

سقراط: إنّ الموسيقيّ ورسّام اليد كانا الاسمين اللذين أعطيتهما للمقلّدين الآخرين. فماذا سيدعى هذا المقلِّد؟

هرموجينس: أتصوّر، يا سقراط، أنّه يجب أن يكون المسمّي، أو معطي الأسماء، الذي نبحث عنه.

سقراط: إذا كان هذا صحيحاً، فإنّني أعتقد حينئذ أنّنا في حالة تخولنا ان نعتبر ونتأمّل مليّاً في الأسماء .التالية: ῥοή « تيار أو دفق »، ἰέναι « لتنطلق، لتمضي »، σχέσις « تذكّر أو استبقاء ». إنّها أسماء نسأل نحن بشأنها؛ ويمكننا أن نرى إذا ما أدرك المسمّي طبيعتها في الحروف والمقاطع اللفظية في أسلوب يعطي أداءً أميناً للجوهر.

هرموجينس: جيد جداً.

سقراط: لكن هل تكون هذه الأسماء أسماءً أُولى، أو أن هناك أسماءً أخرى غيرها؟

هرموجينس: يجب أن يكون هناك غيرها.

سقراط: عليَّ أن أتوقّع ذلك. لكن بأيِّ نوع من أنواع التحليل يبدأ المقلِّد؟ بما أنّه يفترض أنّه لا يقلّد الجوهر بالمقاطع اللفظيّة والحروف، ألن يكون صحيحاً له كي يفصل الحروف أولاً، تماماً كأولئك الذين يقدّمون نظريّة الإيقاع ويميّزون أهميّات الأوّليّات أوّلاً، ويلتفتون إلى الأصوات المركّبة بعدئذ؟ وعندما يؤدّون ذلك، وليس قبله، يتقدّمون إلى اعتبار وتأمّل الإيقاعات أو الأوزان الشعريَّة.

هرموجينس: نعم.

سقراط: ألا يلزم أن نبتدىء بالطريقة عينها مع الحروف، فاصلين حروف العلة،

وبعدئذ نصنّف الأصوات الساكنة والصامتة، طبقاً للمصطلحات العلميّة التي تلقيناها من المتعلّمين؟ وكذلك أيضاً شبه الأصوات الليّنة التي تكون حروف علّة، ولا تكون حروفاً صامتة مع ذلك؛ ومن ثمّ نفرّق حروف العلة أنفسها إلى أنواع. وبعد إتمامنا لهذا التصنيف، يجب أن نعطي انتباهنا إلى تلك الأشياء الموجودة كلّها التي يلزمها أن تتلقّى إسماً، ونرى إذا ما كان يوجد أيّة أنواع يمكن البتّ فيها كما في حالة الحروف. وسنشاهد طبائعها من الآن وصاعداً، ونرى أيضاً إذا ما كان فيها أنواع كما يوجد في الحروف. وعندما نعتبر ونتأمل كلّ هذا جيداً، يلزمنا أن نفهم كيف نطبّقها على ما يشبهها - هذا إذا ما استُعمل حرف واحد يرمز إلى شيء واحد، أو إذا وُجد خليط متعدّد منها؛ تماماً كما في الرسم اليدوي. فالرسّام اليدوي الذي يريد أن يصوّر أيّ شيء يستعمل اللون الأرجوانيّ بعض المرّات فقط، أو أي لون آخر، ويمزج ألواناً متعدّدة بعض المرّات، كما تكون طريقته عندما يلزمه أن يصوّر لون اللحم أو أيّ شيء آخر من ذلك النوع - يستخدم ألوانه كما يبدو أنّ أشكاله تحتاجها. أمّا استخدام الحروف، المفرد أو المتعدّد منها، فإنّنا سوف نشكّل منها مقاطع الكلمات عند الحاجة كما تسمّى، ونوجد من تركيب مقاطع الكلمات أسماءً وأفعالاً. وهكذا نصل أخيراً في اللغة من تجميع الأسماء والأفعال، نصل إلى سعة الأفق والجمال والكمال. وكما يخلق الرسّام اليدوي الشكل، هكذا سوف نؤلّف نحن خطاباً بفنّ المسمّي أو عالم الكلام، أو مهما يمكن تسميته. إنّني أتكلّم حرفيّاً عن أنفسنا عندما أقول هذا، بل إنّني حُملت مِن مكان إلى آخر - عنيت أنّ هذ لطريقة كانت الطريقة التي لم « نشكّل نحن » لغة بواسطتها، بل الأقدمين الذين شكّلوها أو رتّبوها، وما وضعوه معاً علينا أن نفكّكه إلى قطع في أسلوب مماثل، إذا ما كان علينا الوصول إلى رؤيا علميّة عن الموضوع ككلّ. وينبغي

علينا أن نرى إذا ما كانت العناصر الأساسيّة الأوّليّة ممنوحة بحقّ، أو إذا ما كانت العناصر الثانويّة لها مكان الصدارة، لأنّها إذا لم تكن كذلك، فإنّ التركيب منها، يا عزيزي هرموجينس، سيكون قطعة عمل يُرثى لها، وفي الوجهة الخاطئة.

هرموجينس: أستطيع أن أصدّق ذلك تماماً، يا سقراط.

سقراط: حسناً، لكن هل تفترض أنّك ستقدر على أن تحلّلها بهذه الطريقة؟ لأنّني متأكّد أنّي لن أفعل.

هرموجينس: إنّني سأكون أقل منك قدرة على الارجح.

سقراط: هل سنتركها، إذن؟ أو أنّنا سنحاول أن نكتشف، إذا قدرنا، شيئاً ما بشأنها، طبقاً لمقياس قدرتنا، قائلين بطريقة استهلالية، كما ذكرت عن الآلهة قبلاً، أنّنا لا نعرف عنها شيئاً في الحقيقة. وما نقوم به هو أنّنا ننظر في أمر الأفكار الإنسانية بشأنها. دعنا نقول لأنفسنا في هذا التساؤل الحاضر، قبل أن نتابع تحقيقنا، دعنا نقول إنّ الطريقة العليا السامية هي الطريقة التي يجب أن نتّبعها نحن أو الآخرون الذين سيحلّلون اللغة إلى أيّ غرض صحيح. لكن تحت الظروف الحاضرة، كما يُقال، يجب علينا أن نقوم بأفضل ما نقدر عليه. ماذا تعتقد؟

هرموجينس: إنّي أصادق على ما تقول.

سقراط: يجب أن نقلّد تلك المقاصد في الحروف ومقاطع الكلمات، وأن نجد هكذا تعبيراً يمكن أن يبدو مضحكاً، يا هرموجينس، لكن لا يمكن تفادي ذلك ـ ليس هناك مبدأ أفضل يمكننا أن نتطلع بواسطته إلى حقيقة الأسماء الأولى. وبما أنّنا محرومون من هذه الحقيقة، يلزمنا بل ويجب علينا أن نلجأ إلى المساعدة الإلهيّة، شأننا في ذلك شأن شعراء المأساة الذين لديهم آلهة ينتظرونها في الهواء عند أيّ ارتباكٍ يواجهونه. وينبغي علينا أن نتخلّص من

صعوبتنا في أسلوب مشابه، بالقول إنّ « الآلهة أعطوا الأسماء الأولى، ولهذا السبب فهي أسماءٌ صحيحة ». هل ستكون هذه الوسيلة هي الوسيلة الفضلى ـ أو أنّه يجب أن يقال إنّنا تلقيناها من شعبٍ بربريٍّ ما، وإنّ البربر هم أقدم منّا وأعرق؟ أو إنّ أبناء العصور القديمة ألقوا أقنعةً فوقها، وهذا شيءٌ مبرَّر من النوع عينه كالشيء الذي سبقه؟ لا! إنّ كلّ هذه الأشياء ليست أسباباً بل إنّها نوع من المبرّرات الحاذقة لإخفاقنا في شرح المنحى الذي فُرضت فيه الأسماء الأولى. ومع ذلك فإنّ أيّ تجاهل لهذه الأسماء يشمل جهلاً بالكلمات الثانويّة؛ لأنّ شخصاً ما سيُخفِّض لإيضاح هذه من العناصر التي لا نعرف عنها شيئاً. بوضوح إذن، إنّ الاستاذ الجامعي في علم اللغة سيكون قادراً على أن يعطي تفسيراً صافياً جدّاً للأسماء الأولى، أو دعه يتمّ التأكيد له أنّه سيتكلّم بإسفاف فقط بشأن الباقي. ألا تفترض أن هذا حقيقي؟

هرموجينس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: إنّ أفكاري الأصلية عن الأسماء هي أفكار جامحة ومضحكة بحقّ، وبرغم ذلك ليس لدي أيّ اعتراض في نقلها لك إذا رغبت، وإنّني لآمل أنّك سوف تبلغني عن أيّ شيء أفضل يمكن أن تمتلكه بالمقابل.

هرموجينس: لا تخف، إنّي سأفعل أفضل ما أقدر عليه.

سقراط: يظهر لي في المقام الأوّل أن الحرف ῥ هو الأداة العامّة التي تعبّر عن كلّ حركة « κίνησις ». لكنّني لم أوضح معنى هذا الحرف الأخير حتى الآن، الذي معناه تماماً « منطلِقاً » ἴεσις[2]؛ لأنّ الحرف η لم يكن قيد الاستعمال عند الغابرين الذين استخدموا حرف ε فقط؛ والكلمة المصدر هي κίειν ، التي هي كلمة ذات صياغة غريبة، تماماً مثلما هي كلمة ἰέναι . أمّا الكلمة القديمة κίνησις فستعطى بصحّة مثلما تعطى كلمة

ιεσις في تطابق مع الحروف الحديثة. مفترضين هذه الصياغة الغريبة لكلمة *κίειν* ، ومسلّمين بأنّ التغيير للحرف وإدخال الحرف η ، فإنّه يصبح لدينا كلمة *κίνησις* التي وجب أنّها قد كانت كلمة *κιείνησις* أو كلمة *εἶσις* ؛ وأمّا كلمة *στᾶσις* فهي السلب لكلمة *ἰέναι* « أو *εἶσις* »، وأُدخلت عليها تحسينات فأضحت كلمة *στάσις* . وبعدُ فإنّ الحرف ρ ، كما كنت قائلاً، بدا لفارض الأسماء أنّه وسيلة ممتازة للتعبير عن الحركة؛ ويستعمل هذا الحرف لهذا الغرض تكراراً. كمثال يُحضِر هو الحركة بحرف ρ في الكلمتين الحقيقيتين *ῥεῖν* و *ῥοή* ؛ وكذلك في كلمتي *τρόμος* « مرتعشٌ » و *τραχύς* « صارمٌ ». مرّة ثانية كذلك في كلمات مثل *κρούειν* « يندفع بسرعة » *θραύειν* « يشقّ طريقه » *ἐρείκειν* « يرفس » و *θρύπτειν* « يندفع » و *κερματίζειν* « يفتّت » و *ῥυμβεῖν* « ينعطف فجأة ». إنّه يجد تعبيراً في الحرف ρ في كل أنواع هذه الحركات بشكل عامّ. أقول ذلك لأنّه، كما أتصوّر، راقب أنّ اللسان كان أكثر تحرّكاً وأقلّ راحة في تلفُّظ هذا الحرف الذي استعمله هو لهذا السبب كي يعبّر عن الحركة، تماماً مثلما إذا استعمل الحرف ι فهو يعبّر عندئذ عن العناصر اللطيفة التي تمرّ من خلال كلّ شيء. هذا هو السبب الذي من أجله يكون الحرف ι كتقليد للحركة، *ἰέναι* ، *ἴεσθαι* . هناك نوع آخر من الحروف مثل، σ ، ψ ، φ ، وحرف ζ ، الذي يصاحب تلفظها إنفاقاً كبيراً للتَنَفّس. استُعمِلت هذه الكلمات في تقليد هكذا أفكار مثل كلمة *ψυχρόν* « مرتعش » كلمة *ζέον* « مهتاج »، كلمة، *σείεσθαι* « ليكن مهتزاً »، وكلمة *σεισμός* « صدمة ». وتدخل هذه الكلمات بمعطي الأسماء على الدوام عندما يريد أن يقلّد الذي يكون *φυσῶδες* « عاصفاً ». يبدو أنّه تصوّر أنّ الإغلاق والضغط على اللسان في نطق كلمتي δ و τ كان معبّراً عن الالتزام بمكان والإقامة فيه. راقب معطي الأسماء أيضاً سهولة الحركة للكلمة λ ، في اللفظ

الذي ينساب على اللسان ووجد هدف هذا التعبير عن الرقة واللطف مثلما يكون ذلك في كلمة λεῖος « منبسط » وفي الكلمة ὀλισθάνειν « ليجري بسلاسة » نفسه، وفي الكلمة λιπαρόν « أملس أو صقيل »، وفي الكلمة κολλῶδες « مغرّي » وما شابه من الكلمات. إنّ الصوت الأثقل لحرف γ أعاق انسياب اللسان؛ بينما اعطى اتّحاد هذين الحرفين فكرة عن طبيعة لزجة ورطبة، كما في الكلمات γλίσχρος ، γλυκύς ، γλοιῶδες . ولاحظ كذلك أنّ الحرف ν يصوِّت من الداخل، وذلك ليمتلك فكرة عن الصفة الداخليّة؛ ومن ثمّ أَدخل الصوت في كلمتي ἔνδον و ἐντός وخصّص الحرف α لإيضاح الحجم، وحرف η لإيضاح الطول، لأنّهما حرفان كبيران، في حين كان الحرف ο علامة الاستدارة. ولهذا السبب هناك حروف من حرف ο كثيرة مختلطة في الكلمة γογγύλον « مستدير ». وبشكل عامّ، فإنّ بواسطة هذا النوع من التكييف للحروف بعض المرات، وللمقاطع اللفظيّة كلها مرّات أخرى، اوجد المشرع، على ما يبدو، إشارات وأسماء لكلّ شيء موجود؛ وتقدّم من هذه النقطة ليصمّم كلمات مركبّة. إنّ هذه هي وجهة نظري، يا هرموجينس، عن حقيقة الأسماء. لكنّني يجب أن أسمع ما لدى كراتيلوس إذا كان عنده أكثر من هذا ليقوله.

هرموجينس: لكن، يا سقراط، كما قلت قبلاً، فإنّ كراتيلوس غالباً ما حيّرني بشكل كبير. يقول إنّ هناك تناسباً في الأسماء، لكنّه لا يوضح أبداً ما هو هذا التناسب. وهكذا فإنّي لا أستطيع القول إذا ما كان إبهامه هذا إبهاماً مقصوداً كلّما أُثير هذا الموضوع، أو أنّه عكس ذلك. أخبرني الآن، يا كراتيلوس، هنا في حضور سقراط، هل توافق على ما قد قاله سقراط بشأن الأسماء، أو هل عندك شيء ما أفضل لتقوله؟ وإذا كان لديك ذلك، قل لي ما هو وما هي وجهة نظرك، وحينئذ فإمّا أن تتعلّم من سقراط، وإمّا سقراط وأنا سنتعلّم منك.

كراتيلوس: حسناً، لكنّك لا تفترض بالتأكيد، ياهرموجينس، أنّك تستطيع أن تتعلّم، أو أنّني سأوضح أيّ موضوع ذي أهميّة كله في لحظة. على كلّ حال، ليس الموضوع كموضوع اللغة، الذي لربما يكون أكبر من كلّ المواضيع بالتحديد.

هرموجينس: لا، حقّاً؛ لكن كما يقول هيسيود، وأتّفق أنا معه فيما يقول، « أن تضيف القليل إلى القليل » هو شيء جدير أن يُبذل الجهد من أجله. ولهذا السبب إذا ظننت أنّك تقدر على أن تضيف أيّ شيء إلى معرفتنا، مهما يكن صغيراً، فلا تحجم عن ذلك، بل ألزم سقراط وألزمني أيضاً، إذ لدينا آدّعاء ضدّك.

سقراط: إنّني لست واثقاً من نفسي بأيّة حال، يا كراتيلوس، على ضوء ما أنجزه هرموجينس وأنا؛ وبناءً على ذلك لا تتردّد في قول ما تفكّر به، هذا القول الذي سيكون قولاً أفضل ممّا عندي، وسأقبله من وجهة نظري بكلّ سرور. وإنّي لن أُفاجأ على الإطلاق إذا وجدت أنّك اكتشفت نظرية ما أفضل، لأنّك تأمّلت مليّاً هذه القضايا، وكان لديك معلمون. وإذا تكونت لديك نظريّة عن حقيقة الأسماء حقّاً، فيمكنك أن تعتبرني في عداد مريديك.

كراتيلوس: إنّك محقّ، يا سقراط، في القول أنّني قمت بدراسةٍ عن هذه المسائل، ويمكنني أن أحوّلك إلى مريدٍ لي على الأرجح. لكنّني أخشى أن يكون العكس أكثر احتمالاً، وإنّني وجدت نفسي تتحرّك الآن لتقول لك ما يقوله أخيل في « الصلوات » إلى اجاكس: « يا إجاكس اللامع، يا ابن تيلامون، يا سيّد الناس، إنّك ظهرت متكلّماً في كلّ الأشياء وكان تفكيرك قريباً جدّاً إلى تفكيري ».

وأنت، يا سقراط، تبدو لي أنّك وسيط وحي، وتعطي أجوبة قريبة جدّاً لِما أفكّر به، سواء إذا كنت ملهماً بيوثيفرو، أو إذا كانت عروسة الشعر قد كانت لزمنٍ خلا ساكنة في صدرك بدون أن تدري أنت نفسك بها.

سقراط: يا كراتيلوس الممتاز، إنّني قد تساءَلت لوقت طويل في حكمتي الخاصة وحقّقت عنها، ووجدتها ما وراء التصديق. أعتقد أنّه يجب أن أتوقف وأسأل نفسي، ماذا أنا قائل؟ إذ لا شيء أسوأ من خداع الذات عندما يكون الخادع في بيتك بشكلٍ دائم ومعك أبداً - إنّ هذا الشيء رهيبٌ تماماً. ولهذا السبب يجب أن أُعيد ترتيب موقع خُطاي غالباً وأكافح كي « أنظر إلى الأمام وإلى الخلف » مستعيراً كلمات هوميروس التي قيلت سابقاً. وبعدُ دعني أرى، أين نحن الآن؟ أما قلنا أنّ الإسم الصحيح يدل على طبيعة الشيء؟ هل برهنا هذه الفرضيّة بشكلٍ كافٍ؟

كراتيلوس: نعم، يا سقراط.

سقراط: إنَّ الأسماء معطاةٌ إذاً كي تمنح تعليمات أو ترشد؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وتكون التسمية فنّاً، وتمتلك صنّاعاً بارعين؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: ومن هم هؤلاء الصناع؟

كراتيلوس: إنّهم المشرّعون، كما أعلنت أنت في البدء.

سقراط: وهل يترعرع هذا الفنّ بين الرجال مثلما تترعرع بقيّة الفنون؟ دعني أوضح ما أعنيه. إنّ بعض رسّامي اليد أفضل وبعضهم أسوأ.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: والرسّامون الأفضل ينفّذون أعمالهم، أعني رسومهم التوضيحيّة، ينفّذونها بشكل أفضل. أمّا الرسّامون العاديون فينفذونها بشكل أسوأ. وأقول عن البنّائين الشيء نفسه: النوع الأفضل منهم يبني بيوتاً أجمل، ويبني الأسوأ بيوتاً أسوأ.

كراتيلوس: صدقاً.

سقراط: وهناك بعض المشرّعين الذين يؤدون عملهم بشكل أفضل، والآخرون بشكل أسوأ بطريقة مماثلة.

كراتيلوس: لا؛ إنّني لا أتفق معك هناك.

سقراط: إذن فأنت لا تعتقد أنّ بعض القوانين أفضل والبعض الآخر أسوأ؟

كراتيلوس: لا، حقاً.

سقراط: وافترض أنّه لا يُفرض إسم واحد أكثر من الإسم الآخر بشكل مناسب، في رأيك؟

كراتيلوس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ كلّ الأسماء تُفرض على نحوٍ صحيح.

كراتيلوس: نعم، إذا كانت هي أسماءً على الإطلاق.

سقراط: حسناً، ماذا تقول عن إسم صديقنا هرموجينس، الذي ذُكِر قبلاً؟ لتفترض أنّه ليس فيه شيءٌ عن طبيعة هرمس. هل سنقول إنّ هذا الإسم هو إسم مغلوطٌ، أو إنّه ليس إسمه على الإطلاق؟

كراتيلوس: عليّ أن أجيب أنّ إسم هرموجينس ليس إسمه على الإطلاق، بل يظهر أنه إسمه فقط، وهو في الحقيقة إسم شخص آخر ما يمتلك الطبيعة التي تماثله.

سقراط: ألا ينبغي أن نضيف قائلين بأنّ الشخص الذي يسمّيه هرموجينس لا يتكلّم الصدق، لأنّه لا يمكن أن يكون هناك شكّ إذا ما كنت قادراً على أن تدعوه هرموجينس بحقّ، إذا لم يكن إسمه كذلك.

كراتيلوس: ماذا تعني؟

سقراط: هل يعادل تصريحك هذا القول الذي يقول: إنّه مستحيل أن تتكلّم باطلاً أو تزييفاً بكلّ ما في الكلمة من معنى؟ لأنّ هناك العديد ممّن يقول هذا، يا عزيزي كراتيلوس، وقد وُجد كثيرُهُم في الماضي.

كراتيلوس: لماذا يا سقراط! كيف يستطيع إنسان أن يقول ذلك الذي لا يكون؟ أيقول شيئاً ما وبرغم ذلك يقول لا شيء؟ أليس التزييف هو قول الشيء الذي لا يكون؟

سقراط: إنّ مناقشتك، يا صديقي، مناقشة حاذقة جدّاً لإنسان في عمري. لكنّني سأحبّ أن أعرف إذا ما كنت أنت واحداً من أولئك الفلاسفة الذين يعتقدون أنّ التزييف أو الباطل يمكن تكلمه وليس قوله.

كراتيلوس: إنّه لا يُحكى ولا يقال.

سقراط: ولا يُنطق ولا يُخاطَب به. كمثال: إذا ما حيَّاك شخص في بلاد أجنبيَّة، وصافحك قائلاً: « مرحباً، أيّها الأثيني الغريب، يا هرموجينس، يا آبن سميكريون » - إنّ هذه الكلمات، سواء إذا تُكُلِّمت، نُطقت، قيلت، أو خُوطبت، لن يكون لها قابلية التطبيق العملي عليك بل على صديقنا هرموجينس فقط، أو لربّما ليس على أيّ شخص على الإطلاق.

كراتيلوس: إنّ المتكلم سيكون متكلّماً سفاسف فقط، يا سقراط، في رأيي.

سقراط: حسناً، لكنّ ذلك سيكون كفاية لي، إذا ما كنت ستقول سواء إذا كانت السفاسف سفاسف حقيقية أو مزيَّفة، أو حقيقية جزئياً أو مزيفة إلى حدٍّ ما؛ لأنّه حتّى ذلك سيكون كافياً.

كراتيلوس: علي أن أقول إنّه يكون قد وضع نفسه في حركة من غير نتيجة؛ وإنّ كلماته ستكون صوتاً بدون معْنى مثل الضجيج الذي يحدثه التطريق على قِدرٍ نحاسيّ.

سقراط: لكن دعني أرى، يا كراتيلوس، إذا ما كنّا نقدر على إيجاد نقطة التقاء لأنّك ستعترف أنّ الإسم ليس الشيء عينه مع الشيء المسمى.

كراتيلوس: إنّني سأفعل.

سقراط: وهل ستعترف أن الإسم هو تقليد للشيء أيضاً؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وستقول بأنّ الصور هي تقليد للأشياء أيضاً، لكنّها تقليد بطريقة أخرى.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: أعتقد بأنّك يمكن أن تكون محقّاً. لكنّني لا أفهمك جيداً.أرجو أن تقول إذن، إذا ما كان نوعا التقليد كلاهما « أعني الصور أو الكلمات كليهما » يمكن نسبتهما إلى، أو قابلين للتطبيق على الأشياء التي تكون هي التقليد.

كراتيلوس: إنّهما يكونان.

سقراط: أنظر أولاً إلى المسألة هكذا: يمكن لشخص أن يعزو شَبَه الرجل إلى الرجل، وشَبَهَ المرأة إلى المرأة؛ وهكذا دواليك؟

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: وبشكل معكوس، هل يمكن لشخص أن ينسب شَبَه الرجل إلى المرأة، وشَبَه المرأة إلى الرجل.

كراتيلوس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل تكون الطريقتان كلاهما للارجاع اللتين تعزوان لكل منهما ذلك الذي يختص بهما وبشبههما؟

كراتيلوس: تلك هي وجهة نظري.

سقراط: وبعدُ إذن، بما أنّني توّاق كي نفهم المحاورة فهماً جيداً، دعني أقرر وجهة نظري. إنّ الطريقة الأولى للعزو، سواء أُطبّقت على الأشكال أو الأسماء، فإنّني أسميها طريقة صحيحة. وعندما تطبّق على الأسماء فقط، فإنّها طريقة حقيقيّة كما أنّها طريقة صحيحة؛ وأما الصيغة الأخرى التي يُعطى بها أو يُردُّ إليها ذلك الذي لا يكون متشابهاً، فإنّني أسمّيها طريقة خاطئة. وكذلك في حالة الأسماء، المزيّفة منها كما الخطأ.

كراتيلوس: أقترح أنّ ذلك يمكن أن يكون حقيقياً في حالة الصور، يا سقراط، والتي يمكن عزوها بشكل خاطىء. لكنّ ذلك لا يكون في حالة الأسماء ـ يلزم أن تكون الأسماء أسماءً صحيحة على الدوام.

سقراط: لماذا؟ ما هو الفرق؟ ألا يمكنني أن أذهب إلى رجل وأقول له « إن هذه

الصورة هي صورتك »، وأُريه شبهه الخاص، أو لربّما شَبَه امرأة؛ وحينما أقول « أُري »، أعني أنّني أُحضر أمام حاسة البصر.

كراتيلوس: بالتأكيد.

سقراط: أوَلاَ يمكنني أن أذهب إليه مرّة ثانية، وأقول، « إنّ هذا الإسم هو إسمك »؟ ـ لأنّ الإسم يكون تقليداً مثل الصورة. ألا يمكنني أن أقول له « هذا هو إسمك »؟ أولاَ يمكنني حينئذ أن أحضر لحاسة سمعه التقليد لنفسه، عندما أقول، « إنّ هذا الرجل يكون رجلاً »؛ أو عن أنثى من النوع الإنساني، حينما أقول، « إنّ هذه المرأة تكون امرأة »، كما يمكن للحالة أن تكون؟ ألا يكون ذلك كلُّه ممكناً؟ ألا يحدث هذا بعض المرات؟

كراتيلوس: سأتّفق معك بكلّ سرور، يا سقراط، ولذلك أقول، مُنِحت.

سقراط: إنّني شاكر لك ذلك، يا صديقي، إذا كانت الحقيقة صحيحة. ليس من الضروريّ أن أُصِرَّ على المجادلة في الوقت الحاضر، لكنّني إذا استطعت أن أنسب الأسماء كما أتصوّر إلى الأهداف، فإنّ النسبة الصحيحة لهما يمكن أن تدعى نسبة حقيقية، والعزو الخاطىء لهما باطلاً. وبعدُ، إذا ما وُجدت هكذا نسبة خاطئة للأسماء، يمكن أن يوجد عزو خاطىء أيضاً أو غير مناسب للأفعال؛ وإنْ يكنْ هكذا للأسماء والأفعال يكنْ للجمل حينئذ، التي تتشكّل منها. فماذا تقول، يا كراتيلوس؟

كراتيلوس: إنّني أوافق؛ وأعتقد بأنّ ما تقوله هو قول حقيقي جداً، يا سقراط.

سقراط: وأبعد من ذلك، فإنّ الأسماء الأصليّة يمكن مقارنتها بالصور، ويمكنك في الصور إمّا أن تصدر حكماً على كلّ الألوان والأشكال المناسبة، أو يمكنك أن لا تصدر حكماً عنها كلّها. يمكن أن يكون بعضُها ناقصاً؛ أو يمكن أن يوجد عديد أو كثير منها. ألا يمكن أن يكون ذلك؟

كراتيلوس: حقيقي جداً.

سقراط: والذي يصدر حكماً عليها جميعاً يعطي صورة ووصفاً حيّاً كاملاً لها؛

والذي يزيل أو يضيف إليها ينتج صورة أو وصفاً حيّاً لها أيضاً، لكنّ عمله لا يكون عملاً جيّداً بأيّة حال.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: في أسلوب مماثل، إنّ الذي يقلّد مادّة الأشياء بالمقاطع اللفظيّة والحروف، إذا أصدر حكماً على كلّ ذلك الذي يكون مناسباً، فإنّه سينتج وصفاً حيّاً جيّداً. أو بكلمات أخرى سينتج إسماً. لكن إذا أنقص أو لربّما أضاف قليلاً، فهو سيقدّم وصفاً حيّاً لكنّه ليس وصفاً جيداً. من أجل ذلك أستنتج أنّ بعض الأسماء تكون أسماء جيدة التأليف وبعضها الآخر سيّىء.

كراتيلوس: لربّما.

سقراط: إذن، يمكن أن يكون المشتغل بفنّ تأليف الأسماء جيّداً بعض المرات، أو يمكن أن يكون سيّئاً؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: هذا المشتغل بفنّ تأليف الأسماء يسمّى المشرّع.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ المشرّع مثله مثل بقية الفنانين، يمكن أن يكون جيّداً أو سيّئاً. يجب أن يكون هذا هكذا بكلّ تأكيد إذا ثبتت صحّة اعترافاتنا السابقة.

كراتيلوس: حقيقيّ جداً، يا سقراط؛ لكنّك ترى أنّ حالة اللغة هي حالة مختلفة، وإنّنا عندما خصّصنا الحرفين α أو β بمساعدة علم الصرف والنحو، أو أية حروف أخرى لاسم محدَّد، إذن، فإنّنا إذا أضفنا أو أنقصنا أو وضعنا حرفاً في غير مكانه، فإنّ الإسم المكتوب لا يُكتب خطأً فقط، بل إنّه لا يكون إسماً مكتوباً على الإطلاق؛ وفي أيٍّ من هذه الحالات يصبح الإسم حالاً غيراً من إسم.

سقراط: لكنّني أشكّ فيما إذا كان استنتاجك استنتاجاً صحيحاً بشكل كامل، يا كراتيلوس.

كراتيلوس: لِمَ ذلك؟

سقراط: أعتقد أنّ ما تقوله يمكن أن يكون حقيقياً عن هذه الأشياء التي يجب أن تؤلَّف من رقم محدَّد، إذا ما أُلِّفت على الإطلاق. كمثال يصبح الرقم عشرة غيراً من العشرة إذا ما أُضيفت له وحدة أو أُنقصت منه، وهكذا عن أيّ رقم آخر. لكنّ هذا لا يصحّ في ذلك الذي يكون نوعيّاً أو في شيء آخر يُحضر تحت الوصف الحيّ. يلزمني أن أقول إنّ الوصف الحيّ، أو الصورة، لن تكون صورةً بعد اليوم، إذا كانت معبّرة في كل نقطة رئيسيّة عن الحقيقة بكاملها على الأصحّ. دعنا نفترض وجود هدفين اثنين: سيكون واحدهما كراتيلوس، والثاني الوصف الحيّ لكراتيلوس، وسنفترض أيضاً أنّ إلهاماً ما لا يصنع تصويراً كذلك الذي سيقوم به الرسّام اليدوي لشكلك الخارجيّ ولونك، بل إنّه يخلق نظاماً داخليّاً مثلك أيضاً، له الدّفء والنعومة عينها، ويُدخل إلى هذا النظام الحركة، والروح، والعقل كهذا الذي تملك. وبكلمة فهو ينسخ كل نوعيّاتك ويضعها في شكل آخر بجانبك. فهل ستقول بأنّ هذا كان كراتيلوس وصورته أو أنه وُجد هناك كراتيلوسان اثنان؟

كراتيلوس: عليّ أن أقول أنّه وُجد هناك كراتيلوسان اثنان.

سقراط: أنت ترى إذن، يا صديقي، أنّنا يجب أن نجد مبدأً ما مختلفاً للحقيقة في الصور الحيَّة، وفي الحالات الأخرى التي ذكرت. وينبغي أن لا نصرَّ على أنّ الوصف الحيّ أو الصورة لا تكون صورة بعد اليوم عندما يُضاف إليها أو يُنقص منها شيء ما. ألا تتصوَّر أنّ الصور تكون بعيدة جداً عن امتلاك النوعيّات التي هي النسخة المطابقة للحقائق التي تحضرها بالضبط؟

كراتيلوس: نعم، إنّني أرى.

سقراط: لكن حينئذ كم سيكون تأثير الأسماء مضحكاً على الأشياء المسمَّاة، إذا ما صُنعت مثلها في كلّ طريقة على الدوام! بالتأكيد يلزمنا عندئذ أن نحوز

اثنين من كلِّ شيء، ولا أحد سيكون قادراً على أن يقرِّر أيُّها كانت الأسماء وأيُّها كانت الحقائق.

كراتيلوس: حقيقيٌ تماماً.

سقراط: لا تخف إذن، بل لتكن لك الشجاعة لتعترف بأنّ إسماً واحداً يمكن أن يُعطى بصحّة، وأنَّ آخر يُعطى على نحوٍ غير صحيح. ولا تصرّ على أنّ الأسماء سوف تشمَّل كلّ الحروف، إلى حدّ أنها ستكون الشيء عينه مع الشيء؛ بل اسمح بالاستبدال الاقتضائي للحروف غير الصالحة. وإذا كان الاستبدال لحرفٍ أيضاً فيجب أن يكون لإسم في جملة، وإنْ لإسم في جملة أيضاً فلجملة لا تكون جملة تناسب المسألة. واعترفْ أنّ الشيء يمكن أن يسمّى ويوصف ما دام الإبقاء على الحرف الأبجدي العام لذلك الشيء الذي تصف. وكان هذا هو ما لاحظه هرموجينس وأنا، كما ستتذكّر، لاحظناه في المثال الخاصّ بالأسماء والحروف.

كراتيلوس: نعم، إنّني أتذكّر.

سقراط: جيد؛ وعندما يُحفظ الحرف الأبجديّ العامّ، حتّى إذا فُقدت بعض الحروف المناسبة، يبقى أنّ الشيء يكون شيئاً مفيداً. حسناً، إذا كانت كلّ الحروف المعطاة لم تُعطَ جيّداً عندما أعطي بعض منها فقط، فأنا أعتقد أنّه من الأفضل لنا أن نعترف بهذا، خشية أن نتعرّض للعقوبة مثل المسافرين في آيجينا الذين يطوفون الشوارع في ساعة متأخّرة من الليل. وكن مُخبَراً بالحقيقة عينها بطريقة مماثلة أنّنا وصلنا متأخّرين جداً، وإلاّ، فما يجب عليك إلاّ أن تجد فكرة ما جديدة لصحّة الأسماء، وأن لا تبقى على تفكيرك بعد اليوم، وهو أنّ إسماً يكون التعبير عن شيء في الحروف أو في المقاطع اللفظيّة لأنّك إذا قلت كليهما، فستكون متناقضاً مع نفسك.

كراتيلوس: أعترف تماماً، يا سقراط، بأنّ ما تقوله هو قول معقول تماماً.

سقراط: إذن بما أنّنا اتفقنا لهذا البعد، دعنا نسأل أنفسنا إذا ما كان يجب على الإسم المفروض بحقّ وبصحّة، أن يمتلك الحروف المناسبة.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: وأنّ الحروف المناسبة هي تلك الحروف التي تكون مثل الأشياء.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: كفاية عن الأسماء المعطاة بصحة إذن. أمّا في الأسماء المعطاة على نحو غير صحيح، فإنّ الجزء الأكبر منها يمكن افتراضه أنّه يتألّف من الحروف المناسبة والمتشابهة، أو أنّه لن يكون هناك تشابهٌ؛ لكنّه سيكون هناك جزءٌ بطريقة مماثلة، هو الذي يكون غير مناسب ويفسد جمال وتشكّل الكلمة. هل ستعترف بذلك؟

كراتيلوس: لا نفع، يا سقراط، في خصومتي لك، ما دمت لا أستطيع أن أقتنع أن إسماً يُعطى على نحوٍ غير صحيح يكون إسماً على الإطلاق.

سقراط: هل تعترف أنّ إسماً يكون البيان عن شيء؟

كراتيلوس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: إذن، إذا كانت الأسماء الأصليّة أو الأوّليّة قُصِد بها أن تكون بيانات عن الأشياء، فهل تستطيع أن تتصور، أيّةَ طريقةٍ أفضل لتشكيلها من أن تشبّهها قدر الإمكان بتلك الأهداف التي تحضرها تقريباً؟ أو أنّك ستفضّل فكرة هرموجينس والعديدين الآخرين الذين يقولون بأنّ الأسماء هي أسماءٌ اصطلاحيّة، وأنّ لها معانٍ لأولئك الذين اتفقوا بشأنها، والذين حازوا معرفة مسبقة عن الأشياء المقصودة بها، وأنّ الاصطلاح هو الذي يجعل الإسم إسماً صحيحاً. وسواء إذا التزمت أنت باصطلاحك الحاضر، أو خلقت

اصطلاحاً آخراً جديداً ومضادّاً له، طبقاً للذي تسمّي الصغير كبيراً والكبير صغيراً بواسطته، سيقولون إنّ ذلك لا يوجد فرقاً، إذا وافقت أنت على ذلك فقط. أيّاً من هاتين النظريّتين تفضّل؟

كراتيلوس: إنّ البيان بالشّبه، يا سقراط، هو أفضل من البيان أو التصوير بأيّة إشارة اتّفاقية بشكل لا يُحدّ.

سقراط: جيّد جداً. لكن إذا تشابه الإسم بالشيء، يجب أن يكون لدى الحروف التي تألّفت منها الأسماء الأولى، شبه بالأشياء أيضاً. وفي عودة إلى الوصف الحيّ للصورة، إنّني أسأل، كيف يمكن لأيّ شخصٍ أن يركّب صورة أبداً ستكون صورة شبيهة بأيّ شيء على الإطلاق؟ كيف يستطيع ذلك إذا لم توجد موادّ ملوّنة في الطبيعة تشبه الأشياء المقلّدة لفنّ الرسم، والتي تُركّب الصورة منها؟

كراتيلوس: مستحيل.

سقراط: ليس بأكثر ممّا تقدر الأسماء أن تشبه أيّ شيء موجود في الحقيقة قط، ما لم تحتوِ العناصر التي رُكّبت منها، منذ البدء، بعض درجات من الشبه بالأشياء التي تكون الأسماء تقليداً لها. أما العناصر الأصليّة فتكون الحروف.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: دعني أدعوك الآن كي تأخذ بعين الاعتبار. وتتأمّل مليّاً ما قلناه، هرموجينس وأنا بشأن الأصوات. هل تتّفق معي أنّ الحرْف ρ يعبّر عن السرعة، الحركة، والقساوة؟ هل كنّا محقّين أو مخطئين في هكذا قول؟

كراتيلوس: عليّ أن أقول إنكما كنتما محقّين.

سقراط: وأنّ الحرف λ كان معبّراً عن اللطف أو النعومة، وعن السلاسة، وما شابه.

كراتيلوس: هناك أنت محقّ مرّة ثانية.

سقراط: ومع ذلك، كما تدرك أنت، فإنّ ذلك الذي ندعوه بناء σκληρότης ، يسمّيه الأريتيريون σκληρότηρ .

كراتيلوس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن هل الحرفان ρ و σ مشابهان للشيء عينه؛ وهل لهما الأهمية عينها في نهاية الحرف ρ ، التي توجد لنا في الحرف σ ، أو أن ليس لكليهما أهميّة؟

كراتيلوس: لا، إنّ لكليهما أهميّة بكلّ تأكيد.

سقراط: بقدر ما يكون حرف σ وحرف ρ متشابهين، أو بقدر عدم تشابههما؟

كراتيلوس: بقدر ما يكونان متشابهين.

سقراط: هل هما متشابهان بشكل كامل؟

كراتيلوس: نعم؛ لغرض التعبير عن الحركة.

سقراط: وماذا تقول عن إدخال الحرف λ ؟ لأنّ ذلك الحرف لا يكون حرفاً معبّراً عن الصلابة بل عن النعومة.

كراتيلوس: لماذا؟ لربّما يكون الحرف λ أُدخِل خطأً، يا سقراط، ويلزم تغييره إلى حرف ρ ، كما كنت قائلاً لهرموجينس، وإنّه لكذلك في رأيي بحقّ، عندما تكلّمت عن إضافةِ وإنقاصِ الحروف عند الاقتضاء.

سقراط: جيّد. لكن يبقى أنّ الحرف يكون مفهوماً لكلينا، عندما أقول كلمة σκληρός « صعب »، تعرف أنت ما أقصده وأعنيه.

كراتيلوس: نعم، يا صديقي العزيز، وإنّ إيضاح ذلك هو عُرْف.

سقراط: وإنّ الذي يكون عرفاً ما هو إلا اصطلاح. عندما أتفوّه أنا بهذا الصوت، فإنّه يكون لديَّ ذلك الشيء في العقل وتعرف أنت أنّني أمتلكه في العقل؛ أليس هذا ما تعنيه أنت بِ « العرف »؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: وإذا عرفت معناي حينما أتكلّم، فإن هناك إشارة معطاة مني لك.

كراتيلوس: نعم.

سقراط: يمكن أن ينشأ هذا الدليل لِمَا أعنيه من غير المتشابه كما ينشأ من المتشابه. كمثال، في الحرف λ من الكلمة σκληρότης. لكن إذا كان هذا صحيحاً، فإنّك قد خلقت اصطلاحاً مع نفسك، وأنّ صحّة الإسم أصبحت اصطلاحاً، بما أنّ الحروف التي تكون غير متشابهة تكون مشيرة مع تلك الحروف التي تكون غير متشابهة بشكل متساو، ذلك إذا أُقرّت بالعرف والاصطلاح. ولنفترض حتّى أنّك تميّز العرف من الاصطلاح هكذا كثيراً على الدوام، مع افتراض ذلك، يبقى أنّه يجب عليك أن تقول بأنّ دلالة أو أهميّة الكلمات يعطيها العرف وليس الشَبَه. لكن بما أنّنا اتّفقنا لهذا الحدّ، يا كراتيلوس، « لأنّني سأفترض أنّ صمتك دليل الموافقة »، عندئذ فإنّ العرف والاصطلاح يمكن افتراضهما أنّهما يُساهمان في الدّلالة على أفكارنا. وأفترض أنّك ستجد أسماءً مشابهة لكلّ رقم فردي، ما لم تجز ذلك الذي تسمّيه اصطلاحاً واتفاقاً لأن يمتلك سلطة في تقرير صحّة الأسماء. إنّني أتّفق معك تماماً على أنّ الكلمات يجب أن تشبه الأشياء بقدر الإمكان. لكنّني أخشى أنّ يكون هذا الجزء للتشابه، كما يقول هرموجينس، نوعاً من الجوع الذي ينبغي أن يضاف للاصطلاح بالمساعدة الميكانيكيّة قصد التصحيح لأنّني أعتقد بأنّنا إذا استطعنا أن نستعمل العبارات التي تكون متشابهة على الدوام، أو تقريباً على الدوام، ولذلك عبارات مناسبة، فإنّ هذه ستكون الحالة الأكثر كمالاً للّغة؛ كما يكون ما هو ضدّها الحالة الأكثر نقصاً. لكن دعني أسألك، ما هي قوّة الأسماء، وما النفع منها؟

كراتيلوس: إنّ نفع الأسماء، يا سقراط، كما سأتصوّر، يكون لتُعلِم أو لتخبِر. إنّ الحقيقة البسيطة هي أنَّ من يعرف الأسماء يعرف الأشياء التي تعبِّر أو توضِّح بها.

سقراط: أفترض أنّك تعني، يا كراتيلوس، أنّه كما يكون الإسم، هكذا يكون الشيء أيضاً. وأنَّ مَن يعرف الواحد سيعرف الآخر، لأنّهما متشابهان، وكلّ الأشياء تقع تحت الفنّ أو العلم عينه. ولهذا السبب فأنت تقول بأنّ من يعرف الأسماء سيعرف الأشياء أيضاً.

كراتيلوس: إنّ هذا هو ما أعنيه بالضبط.

سقراط: لكن دعنا نأخذ بعين الاعتبار ونتأمّل مليّاً ما هي طبيعة هذه المعلومات بشأن الأشياء التي تُعطيها لنا الأسماء، طبقاً لك. هل هي النوع الأفضل من أنواع المعلومات؟ أو أن هناك نوعاً أفضل؟ فماذا تقول؟

كراتيلوس: أعتقد بأنّها النوع الوحيد والأفضل من كلّ المعلومات ولا يمكن أن يُوجد أيّ شيء آخر.

سقراط: لكن هل تعتقد أنّه بالعملية عينها تُكتشف تلك الأشياء، وأنّ الذي اكتشف الأسماء اكتشف الأشياء أيضاً؟ وأنّ هذه الطريقة هي الطريقة الوحيدة للتعليم؟ هل هناك طريقة أخرى للتحقيق والاكتشاف؟

كراتيلوس: أعتقد بكلّ تأكيد أنّ طرائق البحث والتحقيق والاكتشاف تكون من الطبيعة عينها مثلما يكون التثقيف والتعليم.

سقراط: حسناً، لكن ألا ترى، يا كراتيلوس، أنَّ من يتبع الأسماء في البحث عَقِبَ الأشياء، ويحلّل معانيها، ألا ترى أنّه يتعرّض للخداع؟

كراتيلوس: كيف ذلك؟

سقراط: لماذا؟ بوضوح إنّ مَن أعطى الأسماء بادىء ذي بدء أعطاها طبقاً لفهمه للأشياء التي تدلّ عليها ـ ألَم يقُمْ هو بذلك؟

كراتيلوس: حقاً.

سقراط: وإذا كان هذا الإدراك إدراكاً خاطئاً، وأعطى هو الأسماء طبقاً لفهمه لها، ففي أيّ موقع سنجد أنفسنا، أعني نحن أتباعه؟ ألن نُخدع به؟

كراتيلوس: لكن، يا سقراط، ربّما لا تنشأ حالة كهذه، لأنّه يكون ضروريّاً بل يجب أن يمتلك الشخص الذي يفرض الأسماء معرفة، أو إذا كان ذلك بطريقة أخرى، فإنّ أسماءَه لن تكون أسماء على الإطلاق، كما دافعتُ أنا عن ذلك لفترة طويلة. وأنت لديك برهان واضح أنّ هذا الشخص لم يفتقد الحقيقة، والبرهان. إنّه يكون ثابتاً على المبدأ بشكل تامّ. ألم تقدّم أنت نفسك ملاحظة(١٥) وهي أنّ الكلمات التي تتفوّه بها لها ميزة وصفة وهدف مشترك؟

سقراط: لكن ذلك ليس جواباً، أيّها الصديق كراتيلوس، لأنّه إذا ابتدأ هو في الخطأ، كان بإمكانه أن يجبر الباقي على اتّفاق مع الخطأ الأصلي ومع نفسه. لن يكون هناك شيء غريب في هذا، بأكثر ممّا يكون في الرسم الهندسيّ البيانيّ الذي يمتلك غالباً خللاً طفيفاً وغير منظور في الجزء الأوّل من العملية، ويكون غير صحيح بشكل متين في الاقتطاعات الطويلة التي تلي(١٦). وهذا هو السبب الذي من أجله ينبغي على كلّ إنسان أن ينفق أفكاره الرئيسيّة وانتباهه على التأمّل ملياً في مبادئه الأولى: هل وُضعت هي أو لم توضع بحقّ؟ وعندما يمحّصها كما ينبغي، يأتي الوقت بعدها كي يأخذ بعين الاعتبار متانة وتماسك الباقي، حتى إن كان هذا هكذا، فإنّني سأكون مندهشاً لأجد أنّ الأسماء تكون متماسكة بحقّ. ودعنا هنا نعود لبحثنا السابق. ألم نقل بأنّ مجموع مفرداتنا اللغويّة يعيّن جوهر الأشياء على افتراض أنّ كلّ الأشياء هي في حركة وتقدّم وتغيّر متواصل؟ ألا تدرك أن ذلك هو معناها؟

كراتيلوس: نعم؛ إنّ ذلك هو معناها بالتأكيد، وإنّه لمعنى حقيقي.

سقراط: دعنا نعود إلى كلمة ἐπιστήμη « معرفة »، ونلاحظ كم هي غامضة هذه الكلمة، باديةً لتعني على الأصح توقّف الروح في الأشياء بدلاً من أن تذهب

في دوران معها. ولهذا السبب علينا أن نترك البداية في الوقت الحاضر، وأن لا نرفض الحرف ϵ ، بل أن نصنع إدخالاً للحرف ، بدلاً من الحرف ϵ « ليس كلمة πιστήμη ، بل كلمة ἐπιστήμη ». خذ مثالاً آخر: βέβαιον « أكيد » إنّ هذه الكلمة هي التعبير عن المركز والموقع، وليس عن الحركة. مرة ثانية، فإنّ الكلمة ἱστορία « تحقيق » تحمل على مظهرها الخارجيّ التوقّف « ἱστάναι » للدفق؛ وتدلّ الكلمة πιστόν « مخلص » على انقطاع الجركة بدون ريب؛ وتوضح إذن، مرّة ثانية، كلمة μνήμη « ذاكرة »، كما يمكن لأيّ شخص أن يرى، توضح السكون في الروح، وليس الحركة. أكثر من ذلك، فإنّ الكلمتين كهذه ἁμαρτία و συμφορά ، اللتين لهما معنىً سيّىء، ستكونان الشيء عينه مثل كلمة σύνεσις وكلمة ἐπιστήμη ، وكذلك الكلمات الأخرى التي لها معنىً جيد، ممحّصين في ضوء دراسة أصلها وتأريخها، « مستدلّين بهذه الكلمات ὁμαρτεῖν ، συνιέναι ، ἕπεσθαι ، συμφέρεσθαι ». ويمكن قول الشيء عينه كثيراً عن كلمتي ἀμαθία و ἀκολασία ، لأنّ كلمة ἀμαθία يمكن شرحها مثل ذلك: ἡ ἅμα θεῷ ἰόντος πορεία ، ويمكن شرح كلمة ἀκολασία مثل ἡ ἀκολουθία τοῖς πράγμασιν . وهكذا نجد نحن المعنى الأسوأ للأسماء الموجودة في هذه الأمثلة، وتصبح مشكّلةً على القاعدة عينها كتلك الأسماء التي تمتلك المعنى الأفضل. وأعتقد أنّ أيَّ شخص يقبل ويتحمّل الازعاج يمكنه أن يجد العديد من الأمثلة الأخرى التي يعيّنها معطي الأسماء، وهي ليس أنّ الأشياء كلّها في حركة أو تقدّم، بل إنّها تكون في سكون، وهو ضد الحركة وعكسها.

كراتيلوس: نعم، يا سقراط، لكن راقب. إنّ العدد الأكبر منها يوضح ويعبّر عن الحركة.

سقراط: ماذا عن ذلك، يا كراتيلوس؟ هل سنعدُّها نحن كما نُعدُّ الأصوات؟ وهل تكون صحّة الأسماء صوتَ الأكثريّة؟ هل سنقول إنّ أيّ نوع توجد الأكثريّة فيه، فإنّ تلك الأكثرية تكون الأسماء الحقيقية؟

كراتيلوس: لا، إنّ ذلك ليس شيئاً معقولاً.

سقراط: لا بالتأكيد، لكن لنقل أنّنا أنجزنا هذا السؤال ونتقدّم الآن لنسأل السؤال الآخر الذي أحبّ أن أعرف إذا ما كنت توافقني بشأنه. ألم نعترف مؤخّراً أن الذين أعطوا الأسماء الأولى في الدول، الدول الهيلينيّة والبربريّة على حدّ سواء، ألم نعترف أنّهم كانوا المشرّعين وأنّ الفنّ الذي أعطى الأسماء كان فنّ المشرّع؟

كراتيلوس: حقيقي تماماً.

سقراط: أخبرني إذن، هل يعرف المشرّعون الأوائل الذين كانوا أوّل من أعطى الأسماء، هل يعرفون الأشياء التي سمّوها أم لا؟

كراتيلوس: يجب أنّهم عرفوها، يا سقراط.

سقراط: لماذا، نعم، يا صديقي كراتيلوس، إنّه لمن الصعب التفكير بأنّهم قد كانوا جهلة.

كراتيلوس: عليّ أن أقول لا.

سقراط: دعنا نعود إلى النقطة التي انحرفنا عنها. قلت أنت، إذا تذكّرت، إنّ من أعطى الأسماء يجب أنّه عرف الأشياء التي أسماها. أما تزال على هذا الرأي؟

كراتيلوس: إنّني لكذلك.

سقراط: وهل ستقول بأنّ الذي أعطى الأسماء الأولى كانت له معرفة بالأشياء التي أسماها؟

كراتيلوس: يجب أن أفعل هكذا.

سقراط: لكن كيف أمكنه أن يتعلّم أو يكتشف الأشياء من الأسماء إذا لم تكن الأسماء الأصليّة معطاة حتى الآن؟ لأنّنا إذا كنا محقّين في وجهة نظرنا فإنّ الطريقة الوحيدة للعلم واكتشاف الأشياء، هي أن نكتشف الأسماء بأنفسنا، أو أن نتعلّمها من الآخرين.

كراتيلوس: أعتقد أن هناك قدراً جيّداً من الحقيقة فيما تقول، يا سقراط.

سقراط: لكن إذا كانت الأشياء لتعرف بواسطة الأسماء، كيف يمكننا أن نفترض أنَّ الذين أعطوا الأسماء إمتلكوا معرفة، أو أنّهم كانوا مشرّعين، قبل أن تكون الأسماء أسماءً على الإطلاق؟ ولهذا السبب قبل أن يكون لديهم معرفة بها.

كراتيلوس: أعتقد، يا سقراط، بأنّ التعليل الحقيقي للمسألة هو، أنّ قوّة أكثر من قوّة إنسانيّة أعطت الأشياء أسماءَها الأولى، وأنّ الأسماء التي تُعطى هكذا تكون أسماءَها الحقيقة بالضرورة.

سقراط: كيف أصبح معطي الأسماء إذن، إذا كان هو مخلوقاً مُلْهَماً أو إلهاً، كيف أصبح مناقضاً لنفسه؟ ألم نقل لتوّنا بأنّه صنع بعض الأسماء معبرة عن السكون والأخرى عن الحركة؟ فهل كنا مخطئين؟

كراتيلوس: لكنّني أفترض أنّ واحداً من الافتراضين الإثنين لن يكون إسماً على الإطلاق.

سقراط: وأيّهما إذن هو صنع، يا صديقي الصالح؟ هل صنع الأسماء المعبّرة عن الحركة، أو تلك التي تعبّر عن السكون؟ هذه هي النقطة الرئيسيَّة التي لا يُستطاع تقريرها بعدِّها، كما قلت قبلاً.

كراتيلوس: لا حقّاً، يا سقراط، إنّ ذلك لن يكون شيئاً عادلاً.

سقراط: لكن إذا كانت هذه المعركة معركة أسماء، بعضهم يؤكّد أنّها تشبه الحقيقة، وبعضهم يجادل أنّها هي، فكيف أو بأيّ مقياس سنحكم بينهما؟ إن هناك أسماء أخرى يُستطاع الاحتكام لها. لكن يجب الالتجاء بمقياس أو

معيار آخر والاستعانة به، وهو سيوضح أيّاً من الاثنين يكون صحيحاً بدون استخدام الأسماء. وهذا ينبغي أن يكون مقياساً يبيّن حقيقة الأشياء.

كراتيلوس: إنّني أوافق.

سقراط: لكن إذا كان هذا حقيقياً، يا كراتيلوس، فإنّني أفترض حينئذ أنّ كلّ الأشياء يمكن معرفتها بدون أسماء.

كراتيلوس: بجلاء.

سقراط: لكن بأيّة وسيلة أخرى ستتوقّع أنت أن تعرفها؟ أيّة طريقة أخرى يمكن أن تكون هناك لمعرفتها، ما عدا الطريقة الحقيقية والطبيعيّة، ومن خلال صِلاتها وتشابهها، عندما تكون مجانسة بعضها لبعض، وبواسطة أنفسها أو من خلالها؟ لأنّ ذلك الذي يكون غيراً ومختلفاً عنها يجب أن يدلّ على شيء ما غيرٍ ومختلفٍ عنها.

كراتيلوس: أعتقد أنّ ما تقوله هو قول حقيقيّ.

سقراط: لحظة! ألم نعترف مرات عديدة بأنّ الأسماء المعطاة بحقّ تكون شبهاً وتصويرات حيّة عن الأشياء التي نسمّيها؟

كراتيلوس: نعم.

سقراط: دعنا نفترض لأي مدى يسرّك أن تستطيع تعلُّم الأشياء بواسطة الأسماء، ودعنا نفترض أيضاً أنّك تقدر على أن تتعلّمها من الأشياء أنفسها ـ أيّهما الطريقة الأنبل والأوضح على الأرجح؟ التعلّم من التصويرات الحيّة أو الصور البلاغيّة، سواء إذا كان التصوير الحيّ هو التعبير الذي قد أُدرِك بحقّ، أو التعلّم من الحقيقة، سواء إذا كانت الحقيقة أو التصوير الحيّ أو الصور البلاغية قد أُنجزت على نحوٍ وافٍ وكما ينبغي؟

كراتيلوس: سأقول إنّ التعلّم من الحقيقة يجب أن يكون الطريقة الأفضل.

سقراط: كيف يُدرس أو يكتشف الوجود الحقيقي؟ يكون، كما أشتبه، ما وراء

نطاق قدرتك وقدرتي. يلزمنا أن نرتاح قانعين بالإعتراف أنّ معرفة الأشياء لا تشتق من الأسماء. لا؛ يجب أن تُدرس هذه وأن تُستقصى في ارتباطاتها بعضها ببعض على الأصحّ؟

كراتيلوس: بوضوح، يا سقراط.

سقراط: هناك نقطة رئيسية أخرى. إنّني لا أحبّ أن نُفْرَضَ على أيّ شيء بهكذا مظهر لأسماءٍ وافرة، متّجهة كلّها إلى الناحية عينها. إنّني لا أنكر أنّ من أعطوا الأسماء أعطوها بحقّ تحت انطباع أنّ كلّ الأشياء كانت في حركة وفي تغيّر متواصل. وكان هذا الرأي زأيهم الصادق، على ما أعتقد، لكنّه كان رأياً خاطئاً. وبما أنّهم وقعوا في نوع من الدوّامة، فإنّهم حُمِلوا دائريّاً، ويريدون أن يجرُّونا خلفهم. وهناك مسألة غالباً ما أحلم بخصوصها، يا سيّد كراتيلوس، وأحبّ أن أسألك عن رأيك فيها. قل لي، إذا كانت هناك طبيعة ثابتة للخير، الجمال، ولأشياء أخرى عديدة، أم لا.

كراتيلوس: إنّني أعتقد بوجودها بوضوح، يا سقراط.

سقراط: دعنا إذن نأخذ الجمال الحقيقيّ هدف تحقيقنا غير سائلين إذا ما كان الوجه جميلاً، أو أيّ شيء من هذا النوع، لأنّ كلّ هذه الأشياء تظهر على أنّها في تغيّر متواصل. لكن دعنا نسأل إذا ما كان الجمال الحقيقيّ يحتفظ بنوعيّته الجوهريّة.

كراتيلوس: بدون ريب.

سقراط: وإذا ما كان هذا هارباً من إدراكنا ولا نقدر على الإمساك به، فكيف نستطيع أن نستعمل له المسندات « ذلك » أو « من هكذا نوع »؟ ألا يجب أن تصبح هذه مختلفة وأن تعتزل بالأحرى، وأن لا تكون « هكذا » بعد اليوم، في حين تكون الكلمة في أفواهنا؟

كراتيلوس: بدون شكّ.

سقراط: إذن، كيف يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي لا يكون في الحالة عينها

شيئاً حقيقياً؟ إذ لو بقي شيء للحظةٍ في الحالة عينها فإنه لن يخضع لأيّ تغيير أثناء ذلك الوقت على الأقلّ. وإذا بقي أبداً الشيء عينه وفي الحالة عينها، فإنّه لا يكون عُرضة للحركة أو للتغيير على الإطلاق، ما دام لا يتغيّر من شكله أو صيغته الأصليّة.

كراتيلوس: إنّه لا يكون.

سقراط: ومع ذلك لا يمكن للمتغيّر أن يَعرفه أي شخص لأنّه سيصبح هو غيراً وذا طبيعة مختلفة في اللحظة التي يتقدم فيها المراقب ليراقبه، ذلك أنّك لا تستطيع أن تصل أبعد من ذلك في معرفة طبيعته أو حالته. إفترض، أن لا معرفة تستطيع أن تعرف ذلك الذي يكون معروفاً أنّه لا يمتلك حالة.

كراتيلوس: صدقاً.

سقراط: ولا نستطيع أن نقول بعقلانيّة، يا كراتيلوس، إنّ هناكَ معرفةً أو عارفاً على الإطلاق، إذا كان كل شيء في حالة تحوّل ولا يوجد أيّ شيء ثابتاً، لأنّه إذا لم تتنوّع قوّة المعرفة هذه وتفقد ذاتيّتها، حينئذ فإنّ المعرفة أو العارف يمكن أن يستمرَّ ليستقرَّ ويبقى على الدوام. لكن إذا كانت الطبيعة المحدَّدة للمعرفة معرَّضة للتغيير، فإنّها ستتحوَّل عندئذ إلى شيءٍ ما مغاير للمعرفة، وستنقطع المعرفة من الوجود. وإذا كان التحوّل مستمرّاً على الدوام، فلن تكون هناك معرفة. وطبقاً لوجهة النظر هذه، فلن يكون هناك واحدٌ لتعرف ولا شيء كي يُعرف. لكن إذا وُجِد أبداً ذلك الذي يَعرف وذلك الذي يُعرف، ويوجد الجميل ويوجد الخيِّر، ويوجد كل شيء آخر أيضاً فإنّني لا أعتقد أنّها تقدر على أن تشابه عمليّة أو تغيّراً متواصلاً حينئذٍ، كما كنا مفترضين لتونا الآن. سواء أوجدت هذه الطبيعة الأزلية في الأشياء، أو كانت الحقيقة هي ما يقوله هيراقليطس وأتباعه وعديدٌ آخرون، فإنّه لسؤال صعبٌ تقريره. ولن يحبُّ إنسان ذو إدراكٍ أن يضع نفسه أو ثقافته العقليّة في قوة

الأسماء. ولا سيثق بالأسماء هكذا بعيداً أو يثق بمعطي الأسماء مثلما يكون واثقاً بأيّةِ معرفة تدين لها نفسه وتدين لها الكائنات الأخرى في حالة رديئة من الوهم والتزييف. إنّه لن يعتقد بأنّ كلّ الأشياء ترشح مثلما ترشح القِدر، أو أنّ العالم الخارجي كلّه مُبتَلٍ بالزّكام وبالتهاب القناة التنفسيّة. يمكن أن يكون هذا صحيحاً، يا كراتيلوس، لكنّه مرجّح جدّاً لأن يكون غير حقيقيّ أيضاً؛ ولذلك فلن أريدك أن تقتنع به بسهولة أيضاً. تأمّل هذه الأشياء جيّداً كما يفعل الرجال، ولا تقبل هكذا فكرة بسهولة: أنت فتيٌّ وسِنُّك تؤهّلك للتعلّم، وعندما تجد الحقيقة، تعال إليّ وقاسمنيها.

كراتيلوس: سأفعل كما تقول، برغم أنّي أستطيع أن أؤكّد لك، يا سقراط، أنّني قد تأمّلت المسألة مليّاً بشكل مسبق، وكانت النتيجة، بعد مقدارٍ كبير من العناء والأخذ بعين الاعتبار لها، أنني ملت إلى هيراقليطس.

سقراط: إذن، عندما تعود في يوم آخر، يا صديقي، ستعطيني درساً. لكن إذهب إلى الريف كما أنت عازم على أن تفعل في الوقت الحاضر، وسوف يهديك هرموجينس على طريقك.

كراتيلوس: جيّد جداً، يا سقراط. آمل، على كلّ حال، أن تواصل التفكير بشأن هذه القضايا بنفسك.

محاورة سيمبوزيوم ـ المائدة

افكار المحاورة الرئيسية

بينما كان أبولودوروس يسير في طريقه إلى بيته في فاليروم، ناداه غلوكون، وقال له: أيها الرجل الفاليرومي، باسم أبولودوروس، توقّف! فعلت ما أمرني به. واستطرد قائلاً، لقد بحثت عنك منذ برهة وجيزة، كي أتمكّن من أن أسألك بخصوص الأحاديث في الثناء على الحبّ التي ألقاها سقراط وألسيبيادس والآخرون في بيت أغاثون. ومَنْ إن لم تكن أنت، سيكون راوية كلمات صديقك. قل لي من كان حاضراً في الاجتماع؟

أجابه أبولودوروس، لا تتصوّر يا غلوكون، أنّ المناسبة كانت مناسبة حديثة العهد، أو أنّه قد كان باستطاعتي حضور اللقاء. إنّ أغاثون لم يسكن في مدينة أثينا منذ عدة سنين، وأنا جعلت كلّ ما يقوله سقراط وما يفعله شغلي اليومي. أمّا الإنسان الذي أخبرني عمّا دار في اللقاء الذي تتكلّم عنه، فهو الشخص نفسه الذي أعلم هفونيكس بمحتواها. إنه أريستوديموس من مقاطعة سيداثينايوم، الذي حضر الوليمة، وهو أحد المعجبين بسقراط والشديدي الإخلاص له. إنّني سألت سقراط عن حقيقة بعض أجزاء القصّة وصادق هو عليها.

قال غلوكون: دعنا نروي القصّة مرّة ثانية. أجبته، يسرّني جدّاً أن أتكلّم عن الفلسفة، أو أن أسمع الآخرين يتحدّثون عنها، وهذا ما أسميّه الربح الحقيقي. في الواقع، إنّ أريستوديموس هذا ذهب بصحبة سقراط إلى بيت أغاثون حيث أعدَّت المأدبة، لكن سقراط تأخّر بعض الوقت في مناسبة تأمّل وذهول، بينما سرت وحيداً حتى وصلت إلى بيت أغاثون الذي رحّب بي ودعاني للدخول وتناول العشاء مع الحاضرين. لكن أين سقراط؟ سألني أغاثون. استدرتُ، ولم أرَ سقراط في أي

مكان، وأوضحت للحاضرين أنّنا كنا سويّة للحظةٍ مضت، وأتيت إلى العشاء بناءً لدعوته. قال أغاثون، مخاطباً الصبيّ الموجود عنده، إذهب وابحث عنه، وأنت خذ مكانك بجوار أريكسيماخوس، يا أريستوديموس. في حينه، دخل خادم آخر إلى المكان وقال إنّ سقراط اعتزل في الرّواق المعمّد في البيت المجاور، وهناك تسمّر، وعندما ناديته لم يُبدِ حراكاً ولم يردّ عليّ جواباً. قال أريستوديموس: دعه وشأنه، إنّ لديه طريقة للإنطلاق بنفسه، سيظهر قريباً ولذلك لا تزعجه.

بعد أن مضى من الوقت أكثره، دخل سقراط، وتوسّل إليه أغاثون كي يجلس بالقرب منه، قائلاً: « ذلك كي أتمكّن من أن أَلمُسَك، وأستفيد من تلك الأفكار الحكيْمة التي إختزنها عقلك عندما كنت في الرّواق المعمّد، والتي هي في حوزتك الآن. فأنا متأكّد بأنّك لم تغادر ذلك المكان إلاّ بعد أن حصلت على ما تبتغيه ». أخذ سقراط مكانه بجانب أغاثون، واقترح أريكسيماخوس بعد انتهاء العشاء، بأن يتحاور الحاضرون آنئذ قائلاً: بما أنّ إله الحبّ هو الإله الوحيد الذي لا يمتلك قصائد وتراتيل تليت في تمجيده وتكريمه، لذلك أحبّ منكم جميعاً المساهمة في الثناء على هذا الإله العظيم، وأن يؤلف كلٌّ منا خطاباً في مدحه، ولنبدأ من الشمال إلى اليمين. دع المتكلّم يعطينا أفضل ما عنده وما يقدر عليه من إبداعٍ فكريٍّ. وليشرع فيدروس في الكلام لأنّه يجلس في الصف الأوّل على اليد اليسرى، ولأنّه أبو هذا الموضوع.

قال سقراط: لا أحد سيعارض اقتراحك، يا أريكسيماخوس، وليبدأ فايدروس في الثناء على الحبّ، وليكن له الحظّ الجيّد. أعرب المجتمعون كلهم عن موافقتهم، وتمنّوا عليه أن يفعل كما أمره سقراط.

إبتدأ فايدروس كلامه بإثبات أنّ الحبّ هو إله جبّار، وأنّه إله رائع بين الآلهة، وهو أكبرهم سنّاً، ومصدر المنافع الأعظم لنا جميعاً. هو يزرع الألفة والمحبّة والوفاء بين المحبّين الذين منهم ستتشكّل أهم الجيوش التي لا تُقهر، ومنهم سينشأ أفضل

الحكّام، وسيضحّي المحبّ بحياته فداءً لمحبوبه. وما ألكسيتس، إبنة بيلياس، إلاّ خير شاهد على ما أقول، عندما قدّمت حياتها وفاء لزوجها، بينما لم يقدم أحد على ذلك حتى لا أمه ولا أبوه، وظهرا وكأنهما غريبان ينتسبان إليه بالإسم فقط. وأقدر أن أستشهد بعشرات الأشخاص الذين قاموا بالعمل عينه واعطوا أروع الأمثلة في قداسة الحب، وهم كرمتهم الآلهة بإرسالهم إلى الجزر المباركة. لذلك أقول إنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً وأنبلهم وأقواهم، وهو الموجِدُ الرئيسي لكلّ الأشياء، وواهب الفضيلة والسعادة في الحياة بعد الموت.

وتكلّم بوسانياس بعد ذلك، حيث قال: أعتقد، يا فايدروس، بأنّ محاورتك لم تصغها في شكل حقيقيّ تماماً، بل علينا جميعاً أن نثني على الحبّ في أسلوب مميّز، خاصّة أنّ هناك أكثر من حبّ واحد. نعرف جميعنا أنّ الحبّ لا ينفصل عن أفروديت، وبما أنّ هناك إلهتين اثنتين، يجب أن يكون هناك حبّان. أما الإلهة الأولى فهي الأكبر سناً وليس لها أمّ، وتسمّى أفروديت السماويّة، وهي ابنة يورانوس؛ وتسمى الإلهة الفتيّة اسماً عاماً وهي ابنة زيوس وليون، ويدعى حبها حباً عاماً بحق في حين يُسمّى الحبّ الآخر حباً سماويّاً. إنّ كلّ الآلهة تثني عليهما، لكن ليس بدون تمييز لطبائعهما. ولهذا يجب عليّ أن أفرّق بين صفات الحبّين الإثنين. وبعدُ فإنّ الأعمال تتنوّع طبقاً لأسلوب أدائها. أعني، أنّ الأعمال عندما تُفعل خطأً فإنّها تكون أعمالاً طالحة؛ وعندما تُنجز جيداً تكون أعمالاً صالحة. وفي نمطٍ مماثل لا يكون كلُّ نوع من أنواعِ المحّبة ولا كل حبٍ نبيلاً، بل ذلك الذي يُلهِم الرجال كي يُحبوا بنبلٍ فقط. إنّ الحبّ الذي يكون من ذريّة أفروديت العامّة هو مشاع بالضرورة، ويحرّك النوع الأحقر من الرجال فيتخطى حبهم حبّ النساء إلى حبّ الشباب، ويغرمون بالجسد بدلاً من الروح، وهم يقومون بفعل الخير والشرّ بدون أيّ تمييز. لكن نسل أفروديت السماويّة، لم يولد من الأنثى، بل كان الدور في ولادته للذكر فقط، ولهذا فإنّ الملهمين بهذا النوع من الحبّ يستديرون إلى

الذكور ويبتهجون في الذي يكون الأكثر بسالة وذكاءً بالطبيعة. لكنّ حب الصبيان هذا يجب أن يُمنعَ بالقانون، لأنّ القانون هو الذي يهذّب ويصقل نزوات النفس البشريّة ويقمع شهواتها.

وبعدُ فإنّ القوانين هنا وفي لاقيدايمونيا مشوّشة بشأن الحبّ، لكنّها مفهومة في أكثر المدن الأخرى بسهولة، وهي تتعاطف مع علاقاتٍ من هذا النوع. أما العرف في البلدان التي يحكمها البربر فإنّه شائن ومخزٍ، بسبب حكوماتهم الإستبداديَّة. فهم لا يهتمّون بالفلسفة ولا بالألعاب الرياضيَّة لأن منافع الحكام ومصالحهم تقتضي أن يكون رعاياهم فقراء النفوس، وأن لا يوجد رباط قويّ للصداقة أو للمجتمع بينهم، ويرجع ذلك إلى أنانيّة الحكّام وجبن المحكومين. ويُظَنُّ أنّ الحبَّ العلني أكثر شرفاً من الحبّ السرّي، وهو الأنبل والأسمى. وأقول إنّ الذي يحبّ الجسم أكثر من حبّه للروح، لا يمكن أن يحوز على الإستقرار، لأنّه يحبّ الشيء غير المستقر والمزعزع. لكن الحبّ ذا النزعة النبيلة يستمرّ مدى الحياة، وهو الذي يصبح حبّاً واحداً ثابتاً ومتيناً. هناك عار في أن يكون الإنسان مقهوراً بحبّ المال أو حبّ القوّة السياسيَّة. وهاتان القوّتان ليستا من طبيعة أزليّة وباقية، ولم تنشأ منهما أيّة صداقة سمحة. أمّا عرفنا في بلادنا فيقضي أن يقدِّم المحبّ إلى محبوبه خدمة تحت فكرة أنّه سيتحسّن بها إمّا في الحكمة، أو في أيّة نقطة رئيسية ما خاصّة بالفضيلة، وعندئذ ينغمس المحبوب في حبّ حبيبه بشرف. ويأتي هذا الحبّ من الإلهة السماويّة عينها، وهو حبٌّ سماويّ. أمّا الحبّ الآخر فيختلف عن هذا الحبّ اختلافاً كبيراً.

بعد أن انتهى بوسانياس من الكلام، قال أريسطوديموس، إنّ دور أريسطوفان جاء كي يبدأ حديثه، لكنّه كان يحزّق، إمّا من كثرة الكلام أو من سبب ما آخر. ولهذا التفت إلى أريكسيماخوس الطبيب وقال له: « يا أريكسيماخوس، إمّا عليك أن توقف حزقتي أو أن تتكلّم بدلاً عني حتّى أشفى ممّا أنا فيه ».

ردَّ عليه أريكسيماخوس بأنّه سيقوم بالعملين معاً وقال، سأتكلّم أنا بدورك وتكلّم أنت بدوري، وسأنصحك بأن تمتنع عن التنفّس. وإذا لم تتحسّن الحزقة بعد بعض الوقت، تغرغر حينئذ بقليلٍ من الماء. وإنْ بقيت الحزقة عنيفة، دغدغ أنفك بشيء ما واعطس. وإذا عطست مرّة أو مرّتين، فإنّ الحزقة الأكثر عنفاً ستتوقّف حالاً بكلّ تأكيد.

بدأ أريكسيماخوس الكلام قائلاً: لقد شاهدنا أنّ بوسانياس ابتدأ كلامه جيّداً، لكنّ نهايته كانت نهاية غير مقنعة، وعليَّ أن أسدَّ هذا النقص. أعتقد أنّه كان محقّاً عندما ميَّز نوعين من أنواع الحب. لكنّ فنّي كطبيب يقول إنّ الحبّ المضاعف لا يكون شعور روح الإنسانِ كنحو الجمال الإنساني فحسب، بل هو عاطفة موجّهة إلى العديد من الأهداف الأخرى. وهذا الحب يوجد في الأشياء الأخرى: في أجسام الحيوانات، وفيما تنتجه الأرض، وفي كلّ ما هو كائن. لكن أفضل الأطبّاء هو مَن يقدر على أن يفصل الحبّ الجميل والمنصف عن الحبّ الكريه والقذر، أو أن يحوّل الواحد إلى الآخر. ومَنْ يعرف كيف يستأصل الحبّ وكيف يزرعه، ويقدر على أن يوفّق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعل من أصحابها أصدقاء محبين، فإنّه ممارس حاذق وبارع في مهنته. وبعدُ فإنّ العناصر الأكثر عداءً هي الأكثر تضادّاً، وإنّ أبانا أيسكولابيوس، عارفاً كيف يغرس الصداقة والإتّفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع فنّنا. وليس فنّ الطبّ بكلّ فروعه تحت سلطته بل إنّ فنّ الألعاب الرياضية والزراعة لكذلك.

وأمّا في علم الموسيقى فيوجد التوفيق عينه بين المتضادّات. وما الإيقاع إلاّ تآلف الأصوات. ويكون تآلف الأصوات نوعاً من الإتفاق. والموسيقى تخلق الحبّ والوئام بيننا، وعلم الموسيقى يكون ظاهرة علم الحبّ أيضاً في تطبيقه العمليّ على الإيقاع والتناغم. أمّا نوع التأليف الذي يصحُّ فيه إسم الإصطلاح « غنائيّ »، أو الألحان المؤلّفة مسبقاً، فيُحتاج للفنّان البارع كي يذلّل الصعوبة حينئذ. وهنا يجب

أن تردِّد القصّة القديمة عن الحبّ الجميل والسماويّ، وعن الحبّ العامّ الذي يأتي من بولي ـ هيمنا وما ينتج عنهما.إنّ مساء الفصول ممتلىء من كلا هذين المبدأين أيضاً، والحب المعتدل هو الحبّ الذي يولِّد التآلف والصحّة والوفرة، أمّا الحبّ الخليع فإنّه يؤذي ويدمّر. إنّ الحبّ الأوّل يختصّ بالخير، ويهبنا الإعتدال والعدل، وهو أصل سعادتنا، ويمنحنا المشاركة والصداقة مع الآلهة ومع بعضنا بعضاً. بهذا أنهى أريكسيماخوس كلامه عن الحبّ.

أما أريسطوفان الذي شفي من حزقته فابتدأ كلامه بما يلي: إنّ الجنس البشريّ، كما أعتقد، لم يفهم قوّة هذا الحبّ على الإطلاق. فلو فهمه الناس لما كان من واجبهم إلاّ أن يبنوا المعابد والهياكل تخليداً لذكراه ويلزم أن يقدّموا التضحيات تكريماً له، لأنّه الصديق الأفضل للرجال من الآلهة كلّها، وهو المساعد لهم وشافيهم من الأمراض التي تعيق سعادة السلالة البشريّة، وسأعطيكم مثلاً على ذلك. إنّ طبيعة الإنسان الأصليّة لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. وكانت الأجناس ثلاثة في العدد، وليست إثنتين كما هي الآن. وُجد الرجل، المرأة، وآتحادهما آنئذ. كان شكل الإنسان الأول مستديراً، وكذلك شكل ظهره وجانبيه، وكان له أربعة أيدٍ والعدد عينه من الأقدام ورأس واحد بوجهين. وكان ينظر في الإتجاهات المضادّة؛ وأما أذناه فكانت أربعة في العدد، وكان له عضوان محجوبان. وبعدُ فإنّ الأجناس هذه كانت ثلاثة، لأنّ الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد. كان الإنسان طفل الشمس في الأصل، المرأة طفلة الأرض، والرجل ـ المرأة طفل القمر، وكانوا كلّهم ذوي شكلٍ مستدير. اكتشف زيوس طريقة لفصلهم إلى إثنين وسوّاهما كما هما الآن رجلاً وامرأة، وأعطى الأمر لأبوللو كي يتمّم الصّنعة. وبدآ يتناسلان بعد أن أُتِمّت أجهزتهما التناسليّة. وهكذا تكون الرغبة في بعضنا بعضاً قديمة وقد غُرِست فينا ووحّدت طبائعنا الأصليّة مرّة ثانية، بل إنّ هذه الطبائع عينها كانت في حالة شاذّة. وأعتقد، أنّنا إذا ما أنجزنا

حبّنا بشكل تامّ، وعاد كلّ منّا إلى طبيعته الأصليّة وإلى حبّه الحقيقيّ الأساسي، فإنّ سلالتنا ستكون سعيدة حينئذ.

ثم أتى دور أغاثون الذي استهلّ حديثه قائلاً: إنّ المتكلّمين السابقين بدلاً من أن يثنوا على الحبّ الإله ويكشفوا عن طبيعته، هنّأوا الجنس البشريَّ على المنافع التي يمنحها الحب لهم. لكنّني سأطري على الله بادىء ذي بدء، وأتكلّم عن هباته بعدئذ. وهذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة على الدوام. إنّ الحب هو أقدم الآلهة كلّها، لأنّه هو الأجمل والأفضل. إنّه الأجمل لأنّه الأفتى والألطف، وهو يسكن في قلوب وأرواح الآلهة والرجال على حدٍ سواء. إنّ هذا الحب لا يؤذي أحداً. وهو عادل ومعتدل إلى أقصى حدّ، والعدل هو الحاكم المعترف به للملذّات والرغبات، وهو الأشجع من كل الآلهة، وهو شاعر وحكيم. إنّه الخالق لكلّ المخلوقات. ومنذ أن وُلِد الحبّ انبجس كل خير في السّماء وعلى الأرض، وهو الذي يهدّىء غضب الرجال ويملأهم بالشعور والعاطفة. إنّه كيّس، وخيِّر، مدهش الحكماء، إنشداه الآلهة، مصدر الرقّة، الترف، التمنّي، الولع، النعومة، الرشاقة. إنه يحترم الخير، يهمل الشرّ، ينقذ من الخوف، دليلٌ، رفيقٌ، محاربٌ، مجدُ الآلهة والرجال، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً.

عندما أنهى أغاثون كلامه، قال أريسطوديموس إنّه كان هناك هتاف عامّ؛ فهو إعتقد أنّ الشابّ تكلّم بأسلوبٍ جديرٍ به، وبإله الحبّ. وقال سقراط، بعد أن نظر إلى أريكسيماخوس: قل لي، يا إبن أكيومينوس، أليس هناك سبب لخوفي؟ أو لم أكن أنا نبيّاً حقيقياً حينما قلت إنّ أغاثون سيولّف خطبة رائعة، وإنّي سأكون في ضيقٍ شديد.

أجاب أريكسيماخوس، قائلاً: يبدو لي إنّ الشقّ الأول من نبوءتك باغاثون جزء صادق، لكن الشقّ الذي تقول فيه بأنّك ستكون في ضيق شديد، ليس كذلك.

قال له سقراط: لماذا، يا صدقي العزيز، ألا يجب أن أكون أنا أو أيّ شخص آخر في عسرٍ شديد، وقد وجب عليه أن يتكلّم بعد أن سمع حديثاً غنياً ومتنوعاً كهذا؟ إنّ هذا الحديث بلغ الذروة في جمال الإلقاء وأسلوب الكلمات المستنتجة، وذكّرني ببلاغة جورجياس، ولن أتمكّن من قول أيّ شيء بعده. لقد أدركت كم كنت غبيّاً في الموافقة على مشاركتكم في الثناء على الحبّ، وفي القول بأنّني كنت خبيراً به أيضاً. تخيّلت لبساطتي، أنّ جوهر المدح يجب أن يكون الحقيقة، ولهذا فإنّ على المتكلّم أن يختار أفضل الموضوعات وأن يبيّنها في أفضل أسلوب، وبهذا نكون قد أعطينا الحبّ حقّه بصدق. وإذا ما أردتم سماع ثنائي على الحبّ فإني على استعداد لأن أتكلّم بأسلوبي الخاصّ، ومع ذلك لن أجعل نفسي مضحكاً بالدخول في أيّة مناقشة معك، يا أغاثون. وقل لي أنت، يا فايدروس، إذا ما كنت ستحب أن تمتلك الحقيقة بخصوص الحبّ؟

أجابه الجميع بأنّه يقدر أن يتكلم كما يشاء وبأية طريقة يريد.

إبتدأ سقراط كلامه بالقول: أعتقد، يا عزيزي أغاثون، أنّك كنت محقّاً بدون ريب في خطبتك عندما اقترحت الكلام عن طبيعة الحبّ أوّلاً وعن عمله بعد ذلك. والآن سأكرّر لك قصّة عن الحبّ سمعتها من النبيّة ديوتيما، من مانتيني. إنّها امرأة حكيمة في هذا الحقل وفي أنواع متعدّدة أخرى من أنواع المعرفة. وهي التي أعاقت المرض عشر سنين في الأيام القديمة عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحل بهم مرض الطاعون. إنّ ديوتيما كانت معلّمتي في فنّ الحبّ، وسأحاول قدر استطاعتي أن أعيد لكم ما قالته لي بهذا الصدّد. قلت لها أوّلاً بالكلمات عينها التي استخدمها معي أغاثون تقريباً، قلت لها بأنّ الحبّ كان إلهاً جبّاراً، وانه إله جميل بشكل مماثل، وهي برهنت لي أنّ الحبّ لم يكن جيملاً ولا خيّراً، بل وسطاً بين ذلك. وقالت لي إنّ الحبّ هو نفسٌ عظيمة وهو توسّط بين الإلهي والفاني. هو يربط العالم كلّه معاً، ومن خلاله تجد فنون النبيّ والكاهن تضحياتهم وأسرارهم

المحفوفة بالغموض. إنّ الحبّ فيلسوف أو محبٌّ للحكمة. وكونه محبّاً للحكمة فإنّه وسط بين العاقل والجاهل، وهذه هي طبيعته ونشأته. وأقول لك بشكل عامّ، إنّ كلّ رغبة بالخير والسعادة هي القوّة العظيمة والحاذقة للحبّ. ويمكن أن أصف لك الحبّ، يا سقراط، بجملة عظيمة المعنى كبيرة الفائدة، وهي أنّ الحبّ هو الاقتناء الأبدي السّرمدي للخير. أمّا إذا ما سألتني، ماذا يفعل أولئك الذين يبدون كلّ هذا الشّغف والحرارة التي تدعى الحبّ، وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم وتفكيرهم، فإنّني سأعلّمك بأنّ الهدف الماثل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء أكان هذا الجمال في الروح أو في الجسد. والرجال كلّهم مُحضرون إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم. والولادة يجب أن تكون في الجمال وليس في القبح، والنشوء بالنسبة إلى المخلوق الفاني هو نوع من الخلود والبقاء، وهذا ما تنشده الطبيعة الفانية لأنّ النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً أو مختلفاً في المكان القديم على الدوام. وبهذا تكون عمليّة التجدّد في الروح وفي الجسد مستمرّة بشكل دائم.

أقول لك، يا سقراط، إنّ أولئك الحبالى في أجسامهم فقط، يذهبون إلى الرجال بأنفسهم وينجبون الأطفال ـ هذه هي ميزة حبّهم، ويأملون في أن تحفظ ذريّتهم تذكارهم، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكلّ الزمن المستقبليّ. لكنّ الأرواح الحبلى ـ لأن هناك رجالاً هم أكثر إبداعاً في أرواحهم ممّا هم في أجسامهم بكل تأكيد، وهُمُ إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسباً للروح كي تحمل وتلد. وإذا ما سألتني ما هي هذه المفاهيم، فإنّني أجيبك، بأنّها الحكمة والفضيلة بشكل عام. لكنّ النوع الأعظم والأجمل للحكمة ببعدٍ كبير هو ذلك النوع الذي يختصّ بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. ومَنْ تُزرع في روحه هذه البذور منذ الصغر، يرغب في أن ينجب ويتوالد بها عندما يكبر ويصل إلى سنّ النضج. وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من المشوّه بطبيعة

الحال، وفوق كلّ الجميع، فإنّه عندما يجد روحاً جميلة،ونبيلة وحسنة التربية يحتضن الإثنين في شخص واحد.

هذه هي أسرار الحبّ الأقل الذي يمكنك حتّى أنت أن تلجها، يا سقراط، والتي ستقودك إلى أسرارٍ أعظم وأكثر خفية وهي تاجها كلها. إنّ مَنْ سيتقدّم في طلب صحبة الجمال الجسديّ في سنّ فتوّته على نحوٍ صحيح، يلزمه أن يخلق أفكاراً جميلة خارجة عن ذلك. ولسوف يدرك بنفسه قريباً أنّ جمال جسم ما يماثل جمال جسمٍ آخر. وعندما يعرف ذلك فسيضع حدّاً لحبّه العنيف للجسد الواحد، وسيتأمّل مليّاً في المرحلة التالية، وهو أنّ الجمال الروحيّ يكون أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجيّ، وسيبحث بدقّة ويحضر إلى الولادة الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب، حتى يُجبر تالياً على أن يتأمّل ويرى الجمال في العادات والنظم الاجتماعية وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلّها هو جمال من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصيّ ما هو إلاّ شيء طفيف. وسيقوده هاديه بعد تأمّل العادات والنظم الاجتماعية إلى تأمّل العلوم كي يتمكّن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي يشغلها الجمال من قبلُ، وسيتّجه بعدئذ، نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق في حبٍّ غير محدود للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطىء ويصبح قويّاً. وأخيراً فإنّ الرؤيا تكشف له عن علمٍ فردٍ واحدٍ فقط، هو علم الجمال في كلّ مكان. إلى هذا العلم سأتقدّم. أعطني المجال من فضلك.

إنّ مَنْ قد تدرّب في أشياء الحبّ إلى هذا الحد، يا سقراط، ومَنْ تعلّم ليرى الجمال في نظامٍ مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعةً ذات جمال خلاّب عندما يصل إلى النهاية « ويكون هذا هو السبب النهائيّ لكلّ أعمالنا الشاقّة السالفة ». إنّها طبيعة تعتبر طبيعة أبديّة في المقام الأوّل، لا تعرف الولادة أو الموت، النموّ أو الفساد؛ ثانياً، إنّها ليست جميلة في وجهة نظر واحدة وبشعة في أخرى، أو أنّها تشبه أيّ شيء. إنّه الجمال المحض، منفصل، بسيط، وأزليّ يضفي على الجمالات

الناشئة والفانية أبداً كلّ الأشياء الجميلة الأخرى، بدون أن يقاسي هو نفسه نقصاناً، أو زيادة، أو تغييراً. إنّ الذي يصعد من هذه الأشياء الأرضيّة تحت تأثير الحب الحقيقيّ، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضيّة ويرتفع إلى أعلى لأجل الجمال الآخر، مستخدماً هذه كدرجات فقط، يرتقي من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كلّ الأشكال الجسديّة الجميلة. ومن الأشكال الجسديّة الجميلة يرتقي إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل إلى العلم الذي تكلّمت عنه من قبلُ، ذلك العلم الذي لا يكون له هدف أو غايةٌ أخرى غيرٌ من الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط.

قالت الغريبة من مانتيني، هذه هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان، يا عزيزي سقراط، فوق كل الحيوات الأخرى، حياة في تأمّل الجمال المطلق. إنّه الجمال الذي إذا ما شاهدته لمرّة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لبّهم حضورك الآن؛ وستكون أنت وسيكون العديدون قانعين ليعيشوا، وهم يشاهدونهم فقط ويحادثونهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكناً. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقيّ فسيرى الجمال الإلهيّ، أعني، الجمال النقيّ والصافي وغير المزيّف، الجمال اللّامدنّس بالتلوث الجسديّ وبكلّ ألوان وتفاهات الحياة الفانية، ناظراً إلى هناك، ومجرياً محادثة مع الجمال الحقيقيّ البسيط الإلهي.

هكذا كانت كلمات ديوتيما، يا فايدروس، وأنا أخاطبك وأخاطب كلّ الحاضرين هنا كذلك، وإنّي لمقتنع بصدقها وصحّتها، وأحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعيّة الإنسانيّة لن نجد بسهولة مساعداً أفضل من الحبّ.

عندما انتهى سقراط من كلامه أطرت المجموعة على ما قاله، وكان أريسطوفان على وشك أن يبدأ ليقول شيئاً ما إجابة على التلميح الذي أشار له سقراط في

كلامه الخاصّ، لكنّ الباب قُرع بشكل رئيسيّ ومفاجىء، ودخل ألسيبيادس. كان صوته يدوّي، وفي حالة من السكر عظيمة، وبقي يزأر ويصيح « أين أغاثون، أرشدوني إلى أغاثون؟ ». وكان يتوّج رأسه بإكليل ضخم من شجر اللّبلاب والبنفسج، وتتدلّى منه شرائط حريرية. ثم قال: هل ستسمحون لرجلٍ ثملٍ جدّاً أن يكون رفيق مرحكم الصّاخب، وأن أتوّج أغاثون وهو أجمل وأعقل الرجال كما أدعوه؟ ثم جلس بعدئذ في المكان الخالي بين أغاثون وسقراط، والتفت إلى سقراط قائلاً، يا للسّماء! ما هذا؟ إنه سقراط! إنك موجود هنا وتتربّص بي على الدوام. دعني أتوّج رأسه، يا أغاثون، كما توّجت رأسك، رأسه العجيب الرائع، الذي هو الفاتح والمتغلب على كلّ الجنس البشري ببلاغته وفصاحته. بعد وقت قصير مضى في الشراب والحديث قال أريكسيماخوس لألسيبيادس: لقد أصدرنا قراراً قبل أن تصل إلى هنا، يا ألسيبيادس، بأن يثني كلّ واحد منا على الحبّ، ومرّ الدور علينا من اليسار إلى اليمين. وبما أنّنا تكلّمنا جميعاً، وبقيت أنت بدون أن تتكلّم برغم أنّك شربت حتّى الثمالة، فيجب عليك أن تدلي بدلوك في الكلام.

أجابه ألسيبيادس: إنّ ذلك جيد، يا أريكسيماخوس، لكنّ مقارنة خطاب إنسان سكران بخطابات أولئك الرجال غير الثملين والرصينين ليست مقارنة عادلة. وسأحبّ أن أعرف، يا صديقي الحلو، إذا ما كنت تصدّق حقّاً ما قاله سقراط لتوّه الآن؛ فأنا أستطيع أن أؤكّد لك أنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وأنّي إن مدحت أيّ شخص في حضوره، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، فإنّه سيرفع يده عني بجهدٍ جهيد.

ولهذا السبب، يا أولادي، فإنّني سأُثني على سقراط في الاستعارة التي ستظهر له أنّها رسم كاريكاتوري، ليس لأهزأ به، لا سمح الله، بل من أجل قول الحقيقة فقط. إنّ سقراط يشبه تماثيل سيلينوس النصفيّة بالضبط التي توضع في حوانيت مجموعة التماثيل وفي أفواهها مزامير أو نايات، وهي مصنوعة كي تفتح في

وسطها، وفي داخلها صور للآلهة. وأقول أيضاً بأنّه يشبه مارسياس الساطيري، وأنّه عازف الناي الأكثر روعة ببعدٍ كبير ممّا يكونه مارسياس نفسه. واعتاد سقراط على أن يسحر أرواح الرجال بقوة نَفَسِهِ. إنّ مجرّد أجزاء أو مقاطع من كلماتك، يا سقراط، حتّى وإن كانت ثانويّة، فإنّها تذهل وتمتلك روح كل إنسان يسمعها. وعندما أسمعها فإنّ قلبي يقفز داخل صدري وعينيّ تنهمران دموعاً، وألاحظ أنّ العديد من الرجال الآخرين يتأثرون بها بالطريقة عينها. وبماذا سأحدثكم عن اعتداله؟ تعرفون أنتم أنّ الجمال والغنى وكل النعم الأخرى التي تجلب السعادة العظيمة في الرأي الشعبيّ، تعرفون أنّ هذه النعم لا أهميّة لها عنده البتّة، ويستخفّ بها بشكل مطلق، ولا يعتبر الأشخاص الممنوحة لهم على الإطلاق. وأقول لكم، إنّني عندما فتحت هذا التمثال النصفيّ لسقراط ونظرت في داخل قصده الجادّ والهامّ، رأيت في داخله صوراً إلهيّة وذهبيّة ذات جمال يسبي العقول، وكنت مستعدّاً لفعل ما يأمرني به سقراط في لحظة. وسأخبركم قصّةً حدثت بيني وبين ذلك الإنسان المعجب بجمالي، والذي تدهشني حكمته وصبره واعتداله ورجولته الطبيعيّة، وكلّ الذي حدث أثناءها جرى قبل أن أذهب وإياه في الحملة العسكريّة على بوتيدايا، وكانت لديَّ فرصة لملاحظة قوته غير العادية في تحمّل المشقّات، في صبره على البرد القارس، في صموده أمام العدو، وفي شجاعته الخارقة. إنّه هو الذي أنقذ حياتي، ولقد تلقيت في المعركة جائزة البسالة، ولقد جرحت أثناءها، لكنّ سقراط لم يتركني بل أنقذني وأنقذ أسلحتي كلها. وكان من الواجب اللازب أن يحصل هو على جائزة الشجاعة تلك التي أراد القادة الحربيون أن يمنحوني إياها بسبب رتبتي في الجيش، لكنّه كان هو أكثر إصراراً من القادة العسكريين على منح الجائزة لي بدلاً من منحها له. وحدث شيء مماثل في معركة ديليوم حيث كان الجيش الأثيني يتقهقر هناك، وقد أبدى سقراط في هذه المعركة شجاعة مماثلة للشجاعة التي أظهرها في المعركة السابقة.

أقول لكم باختصار إنّ من يرى هذا التمثال النصفيّ مفتوحاً وينعم النظر في داخله، سيجد أنّ كلمات سقراط هي الكلمات الوحيدة التي تمتلك معنى فيها، وهي الكلمات الأكثر إلهية أيضاً. إنّها كلمات زاخرة بصور الفضيلة الجميلة، وبالإدراك والمعرفة الأرحب والأشمل، أو على الأصح أنّها تعمّ كلَّ شيء يجب أن يتذكّره إنسان، إذا ما كان ليصبح إنساناً ذا جلال وشرف. وهذا، يا أصدقائي، هو ثنائي على سقراط.

عندما انتهى ألسيبيادس من كلامه، أُعجب الجميع بصراحته، وردَّ سقراط على ما قاله. وهكذا انتهت المحاورة بذهاب كلِّ شخص من الأشخاص المتحاورين حيث شاء.

محاورة سيمبوزيوم ــ أو المائدة

اشخاص المحاورة

أبولودوروس، الذي يكرّر المحاورة التي سمعها من أريستوديموس، والتي قصّها مرة لغلوكون قبل الآن، يكررها لرفاقه.

فيذروس	سقراط
ألسيبيادس	بوسانياس
أريكسيماخوس	أريسطوفان
أغاثون	وجماعة من المستمتعين

المشهد: بيت أغاثون.

أبولودوروس: فيما يتعلق بخصوص الأشياء التي سألت كي تتلقّى جواباً بشأنها، أعتقد بأنّني لست مهيّاً بشكل سيّء للإجابة عليها لأنّني أتيت أول من أمسِ من بيتي في فاليروم إلى المدينة دعاني أحد معارفي الشخصيين الذي رآني من خلفٍ، دعاني من مسافة مداعباً قائلاً: أيها الرجل الفاليروميّ، باسم أبولودوروس، توقّف! فعلت كما أُمِرت؛ فقال، إنّني كنت أبحث عنك، يا أبولودوروس، لتوّي الآن فقط، وذلك لأسألك بخصوص الأحاديث في الثناء على الحبّ التي ألقاها سقراط، ألسيبيادس والآخرون خلال العشاء الذي أقامه أغاثون. أَخبر فوينكس، بن فيليب، شخصاً آخر وهو الذي أعلمني بها. إنّ سرده لهذه الأحاديث كان سرداً غير واضح، لكنّه قال بأنّك عرفتها، وأرغب منك بالتالي أن تعطيني تفسيراً لها. ومَنْ إذا لم تكن أنت، من سيكون مُخبِر كلمات صديقك. قل لي أولاً، هل حضرت هذا الاجتماع؟

أبولودوروس: إنّ الذي أخبرك ذلك، يا غلوكون، لا شكّ أنّه قد كان غامضاً جدّاً حقّاً، إذا تصوّرت أنت أنّ المناسبة كانت مناسبة حديثة العهد؛ أو أنّه قد كان باستطاعتي الحضور خلال اللّقاء.

غلوكون: لماذا، نعم، إنّني افتكرت ذلك.

أبولودوروس: مستحيل؛ هل أنت جاهل بأنّ أغاثون لم يسكن في مدينة أثينا منذ عدّة سنين؛ وأنّه لم يمضِ سوى أقلّ من سنوات ثلاث وأصبحتُ بعدها ملمّاً بسقراط، وجعَلتُ من كلّ ما يقوله وما يفعله شغلي اليوميّ. مضى زمن طفت أثناءه حول العالم، متوهّماً أنّني موظف جيّد، لكنّني كنت المخلوق الأكثر بؤساً في الحقيقة، ليس بأفضل ممّا أنت عليه الآن. ظننتُ أنّي يجب أن أفعل أيّ شيء غيرَ أن أكون فيلسوفاً.

غلوكون: حسناً، أخبرني متى حدث الاجتماع، بعيداً عن الهزء.

أبولودوروس: حدث في زمن صباي، عندما فاز أغاثون بالجائزة عن قصيدته الأولى التي نظمها في المأساة، في اليوم الذي تلا ذلك حينما قدّم هو وجوقته أضْحية النصر.

غلوكون: لا شك إذن أنّها قد كانت لزمن طويل مضى، ومَنْ أخبرك ذلك؟ هل فعل سقراط هذا؟

أبولودوروس: لا حقاً، بل إنّه الشخص نفسه الذي أخبر فوينكس؛ ـ كان هو شخصاً صغيراً، لم يلبس أيّ حذاء قطّ، إنّه أريستوديموس، من مقاطعة سيّد أثينايوم. لقد حضر وليمة أغاثون؛ وأعتقد أنّه لم يكن في تلك الأيام شخص كان أكثر المعجبين المخلصين لسقراط منه. علاوة على ذلك، فإنّني سألت سقراط عن حقيقة بعض أجزاء قصّته، فصادق عليها. عندئذ، قال غلوكون: دعنا نروي القصّة مرّة ثانية؛ ألم تُهيّأ الطريق إلى أثينا لتوّها بالمحادثة؟ وهكذا مشينا، وتحادثنا عن مقالة في الحبّ. ولهذا السبب، كما قلت في البدء،

إنّني لست مجهَّزاً بشكل سيِّىءٍ كي أستجيب لالتماسك، وإذا أردت سرداً آخر للمقالة، فإنّه سيكون ملكاً لك. إذ إنّ الكلام عن الفلسفة أو سماع الآخرين يتحادثون عنها وفيها يعطيني اللذّة الأكبر على الدوام، ولا تقلّ شيئاً عن الربح. لكنّني عندما أسمع ضرباً آخر من ضروب الحديث، خاصة الذي يدور حولكم يا رجال الأعمال الأغنياء فإنّ محادثة كهذه تثير استيائي؛ وإنّني أتشفّق عليكم وأرثي حالكم، يا رفاقي، لأنّكم تعتقدون بأنّكم فاعلون شيئاً ما عندما لا تكونون مؤدِّين أيّ شيء في الحقيقة. وأجرؤ على القول بأنّكم ترثون لحالي بالمقابل، أنتم الذين تعتبرونني مخلوقاً غير سعيد، ومن المحتمل أن تكونوا محقّين تماماً في ذلك. لكنّني أعرف بدون ريب ما تظنّونه بي فقط ـ هذا هو الفرق.

رفيق: إنّني أرى، يا أبولودوروس، أنّك أنت الشيء نفسه تماماً ـ تتكلّم شرّاً عن نفسك، وعن الآخرين؛ وإنّي لأعتقد بأنّك تتصوّر أنّ كلّ الجنس البشريّ غير سعيدٍ، ما عدا سقراط، وأنت أوّل الجميع. لا أستطيع أن أتصوّر كيف اكتسبت الإسم أبولودوروس اللّطيف المعتدل؛ لأنّك أنت الشيء نفسه على الدوام، ثائراً ضدّ نفسك وضدّ الآخرين عدا سقراط.

أبولودوروس: نعم، يا صديق، وبما أنّني أمتلك هذه الأفكار عن نفسي وعنكم، فلا حاجة بي أن أبرهن أنني فاقد صوابي ومجنون.

رفيق: نحن لسنا بحاجة للخصام، يا أبولودوروس؛ لكن دعني أجدِّد التماسي إليك كي تعيد سرد المحادثة.

أبولودوروس: حسناً، إنّ قصّة الحبّ كانت على هذا النحو ـ لكن لربّما كان من الأفضل أن ابتدىء من الأول، وأجهد كي أعطيك الكلمات الدقيقة التي تفوّه بها أريستوديموس. قال إنّه قابل سقراط بعد أن استحمّ ولبس خفّيه؛ وبما أنّ منظر الخُفّ كان منظراً غير اعتيادي، سأله إذا ما كان ذاهباً لمكان ما، ذلك أنه قد تحوّل إلى رجل أنيق.

أجاب سقراط: إنّني ذاهب إلى مأدبة أغاثون الذي رفضت دعوته لي البارحة إلى تضحيته بيوم النصر، لخوفي الجمع الغفير من الناس، لكنّني وعدته بأنّي سوف آتي اليوم بدلاً من البارحة؛ وهكذا فإنّي تدثّرت بملابسي الفاخرة، لأنه رجل وسيم وأنيق . فماذا تقول أنت في الذهاب معي بدون دعوة؟

أريستوديموس: سأفعل كما تأمرني.

سقراط: إتبعني إذن، ودعنا نقوّض المثل القائل:

إلى ولائم الرجال الأقلّ أهميّة الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛

بدلاً من مثلنا السائر الذي يجري:

إلى ولائم الأخيار، الأخيار يذهبون غير مدعوّين؛ ويلزم أن يُدعَمَ هذا التغيير بسلطة هوميروس نفسه الذي لا يقوّض المثل فقط بل يعتدي عليه اعتداءً صارخاً حرفيّاً، لأنّه بعد أن يصوِّر أغاميمنون وكأنه أكثر الرجال بسالة، يجعل مينيلوس، الذي هو « محاربٌ واهن العزيمة » يأتي غير مدعوٍّ إلى وليمة أغاميمنون الذي يولِمُ ويقدم الأضاحي، ولا يعني هذا أنّ الأفضل يذهب إلى الاردأ، بل على العكس من ذلك.

اريستوديموس: أخشى بالأحرى، يا سقراط، ألاّ تكون هذه هي حالتي؛ وأن أكون مثل مينيلوس في عمل هوميروس، حينئذ سأكون الشخص الأدنى مستوىً، الذي إلى ولائم العقلاء يذهب غير مدعوٍّ.

لكنّني سوف أقول إنّك دعوتني؛ وهكذا يكون عذرك جاهزاً، إثنان ذاهبان معاً. أجابني هو في نمطٍ هوميريٍّ، سيخترع واحدنا أو الآخر عذراً بالمناسبة. تعال: دعنا نبدأ المسير.

عندما سارا بعد محادثة من هذا النوع، تأخّر سقراط في مناسبة ذهول، ورغب أريستوديموس، الذي كان منتظراً، رغب أن يذهب للبحث عنه. وعندما وصل إلى بيت أغاثون وجد الأبواب مفتوحة على مصراعيها،

وحدث شيء مضحك. قابله الخادم الذي خرج وقاده حالاً إلى حجرة الطعام التي كان الضيوف فيها، لأنّ المأدبة كانت على وشك أن تبدأ. قال أغاثون، أهلاً وسهلاً، يا أريستوديموس، إنّك وصلت في الوقت المناسب كي تتناول معنا طعام العشاء. إذا أتيت من أجل قضيّة أخرى دعها وشأنها، واعتبر نفسك واحداً منّا. فقد بحثت عنك نهار البارحة وقصدت أن أدعوك للغشاء، إذا ما استطعت أن أجدك، لكن ماذا فعلت بسقراط؟

استدرت دائريّاً، لكنّي لم أشاهد سقراط؛ وكان عليّ أنّ أوضح أنّه قد كان معي للحظةٍ مضت، وأنّني أتيت إلى العشاء بناءً لدعوته.

أغاثون: كنت أنت محقّاً في قدومك؛ لكن أين هو سقراط نفسه؟

اريستوديموس: إنّه كان خلفي لتوّه الآن، عندما دخلت، وأنا لا أقدر أن أخمّن ماذا حدث له.

أغاثون: إذهب وابحث عنه، يا صبيّ، واحضره إلى هنا، وأنت، يا أريستوديموس، خذ المكان بجوار أريكسيماخوس.

[ساعده الخادم عندئذ ليغسل يديه ووجهه، ثم تمدّد على الأريكة، ودخل خادم آخر في الحال وقدّم تقريراً بأنّ صديقنا سقراط اعتزل في الروّاق المعمّد في البيت المجاور]. قال: « هناك تسمّر سقراط » وعندما أناديه فهو لن يبدي حراكاً ».

أغاثون: ما أغرب هذا منه، إذاً يجب أن تدعوه مرّة ثانية، وأن تلح على فعل ذلك.

قال مخبري؛ دعه وشأنه، إنّ لديه طريقة للإنطلاق بنفسه، وكذلك للوقوف بثبات في أيّ مكان يحدث أن يكون فيه. أعتقد بأنّه سيظهر قريباً؛ لذلك لا تزعجه.

أغاثون: حسناً، إذا اعتقدت هكذا، فإنّني سأدعه وشأنه. وأضاف بعد أن استدار

إلى الخدم « دعنا نتناول طعام عشائنا بدون أن ننتظره. قدّموا ما تريدون، إذ ليس هناك أيّ شخص يأمركم، وحتّى الآن لن أترككم لوحدكم قطّ. لكن تصوّروا أنّكم أنتم أصحاب الدعوة بهذه المناسبة، وأنّني والجماعة ضيوفكم؛ عاملونا جيّداً، وبعدئذ فنحن سوف نأمركم ». قُدِّم العشاء بعد هذا، لكنّنا بقينا بدون سقراط؛ وعبّر أغاثون أثناء الطّعام عن رغبته ليرسل شخصاً في طلبه مرّات عديدة، لكن أريستوديموس عارض ذلك؛ وأخيراً بعد أن كان وقت الوليمة على وشك أن ينتهي ـ لأنّ المناسبة، لم تكن لمدة طويلة، كالمعتاد ـ دخل سقراط. توسّل إليه أغاثون، الذي كان متّكئاً وحده عند نهاية الطاولة، توسّل إليه أن يجلس بالقرب منه؛ ذلك، « كي أتمكّن من أن ألمُسَكَ » وأستفيد من تلك الأفكار الحكيمة التي أتت إلى عقلك عندما كنت لوحدك في الرواق المعمّد، «لأنّني متأكّد من أنّك لم تغادر ذلك المكان إلا بعدما وجدت ما كنت تنشده».

سقراط: كم أرغب أخذ هذا المكان بقربه، كما تمنّى، وإن أمكن لتلك الحكمة أن تنتقل باللّمس، من الرجل الأكثر امتلاءً إلى الرجل الأكثر خلوّاً منها؛ كما يجري الماء من خلال الصوف خارج الكوب الأكثر امتلاءً إلى الآخر الأكثر خلواً؛ وإن كان ذلك هكذا، فكم سيكون الإستلقاء بجانبك امتيازاً كبيراً، له تقديري! لأنّك سوف تملأني بدفقٍ من الحكمة وافرٍ وصافٍ؛ في حين أنّ الذي يخصّني هو من نوع عاديٍّ ومشكوكٍ فيه، وليس بأفضل من الحلم. لكنّ الذي يخصّك هو ساطع وممتلىء وعداً، وظهر ذلك جلياً في كلّ سناءٍ وروعةِ شبابك يوم أول من أمس، في حضور أكثر من ثلاثين ألف هيليني.

اغاثون: إنّك لمتهكّم، يا سقراط، وقبل أن تقرّر أنت وأنا بوقت طويل مَنْ سيحمل غصن الغار للحكمة ـ سيكون ديونيسوس الحكم. لكن الآن من الأفضل لك أن تشغل نفسك بالعشاء.

[أخذ سقراط مكانه على الأريكة، وشرب مع الباقين؛ وحينئذ سُكِبت السوائل على الأرض، وبعد أن قُدِّمت ترتيلة إلى الإله، وأقيمت الاحتفالات المعتادة، كانوا على وشك أن يبتدئوا بالشراب]، عندما قال بوسانياس: وبعدُ، يا أصدقائي، كيف نستطيع أن نشرب بأقلّ أذىً لأنفسنا؟ إن بوسعي أن أؤكد لك أنّي ما زلت أشعر بتأثير ما شربته نهار البارحة إفرادياً، ويلزمني وقت كي أستعيد وضعي الطبيعي؛ وأعتقد بأنّ أكثركم يعاني المأزق عينه لأنّكم كنتم في الحفلة حينها. إعتبر إذن: كيف يمكن أن يدار الشراب بالطريقة الأسهل؟

أريسطوفان: إنّني أوافق كليّة، يجب علينا، مهما كلّف الأمر، أن نتفادى الشراب الثقيل، لأنّني كنت واحداً من أولئك الذين كانوا منغمسين عميقاً في الشراب نهار البارحة.

أريكسيماخوس: أعتقد بأنّك محقّ، يا ابن أكيومينوس؛ لكنّني سأبقى محبّاً لسماع شخص آخر يتكلّم: هل يستطيع أغاثون أن يشرب شراباً ثقيلاً؟

أغاثون: إنّني لست كفؤاً لها.

أريكسيماخوس: إنّها نعمة، لأنّ الرؤوس الضعيفة كرأسي، ورأس أريستوديموس، فايدروس، والآخرين الذين لا يقدرون على أن يشربوا أبداً، ليجدوا أن الرؤوس الأقوى ليست في مزاجٍ شرابيّ. « إنّني لا أضمّن سقراط، الذي هو قادر إمّا أن يشرب أو أن يمتنع عن الشراب، ولن يهمه أيّهما يفعل ». حسناً، ما دام أحد من المجموعة الموجودة لا يبدو أنّه ميّالٌ ليشرب كثيراً، يمكنني أن أُسامَحَ لتكلّمي الحقيقة بشأن الشراب الكثير. إنّ خبرتي كطبيب أقنعتني أنّ الشراب هو مراسٌ سيّىء، لن أتّبعه إذا ما استطعت، ولن أنصح به الآخرين بكلّ تأكيد، وأقلّ من الجميع لكلّ شخص لا يزال تحت تأثير احتفال البارحة المخمور.

إنّني أفعل ما تنصح به دائماً، وخاصّة ما توصيني به وتصفه كطبيب، واصل فايدروس الميرهينوسيان قائلاً. وستفعل الشيء عينه بقية الجماعة الموجودين، إذا كانوا حكماء.

وافق الجميع على أن لا يكون الشراب الثقيل نظام اليوم هذا، لكن على أن يشرب الكلّ بقدر ما يُسرُّون فقط.

قال أريكسيماخوس بعدئذ: بما أنّكم وافقتم جميعاً على أن يكون الشراب اختيارياً، وعلى أن لا يُجبر أحد على ذلك، فإنّني أقدّم اقتراحاً، في المقام التالي، وهو أن تُخبَرَ الفتاة التي تعزف على الناي، والتي ظهرت لتوّها الآن، بالابتعاد عنا وأن تعزف لوحدها، أو إذا أحبّت، فلتعزف النساء اللواتي في الداخل(١٧). دعونا اليوم نؤدّي محاورة بدلاً من ذلك؛ أو إذا ما سمحتم لي، فإنّني سأخبركم أيّ نوع من المحادثة سنقوم بها. [لقد لقي هذا الاقتراح الترحيب الجماعيّ]، ومن ثمّ تقدّم أريكسيماخوس متحدّثاً كما يلي:

سأبدأ على غرار أسلوب ميلانيب في عمل يوريبايدس: الكلمة ليست كلمتي، التي على وشك أن أتفوّه بها، بل إنّها لفايدروس الموجود هنا. لأنّه يقول لي دائماً بنغمة ساخطة: «أيّ شيء غريب هو هذا، يا أريكسيماخوس، في حين أنّ الآلهة الآخرين يمتلكون قصائد وتراتيل أُلّفت في تكريمهم، أمّا إله الحبّ العظيم الغابر، فلم يكن لديه قطّ مادح بين كلّ الشعراء الكثيري العدد. هناك السوفسطائيّون الجديرون بالاعتبار أيضاً ـ كمثال بروديكوس الممتاز ـ الذي أسهب في النثر بمدح الفضائل لهيراكليس وللأبطال الآخرين، والتي ليست فضائل إستثنائية بعد كلّ شيء، باعتبار أنّني واجهت أعمالاً فلسفيّة قد جعلت فائدة الملح موضوع الحديث البليغ، والعديد من الأشياء الأخرى المماثلة التي كانت كلمات التكريم والتبجيل تنصبّ عليها، وذلك

كي يعتقد فقط بأنّها قد وُجدت رغبة عارمة أُبدِعت بشأنها. وبرغم ذلك فإنّه لا أحد تجرأ أبداً على أن يقدم ترتيلة في الثناء على الحبّ جديرة بالتقدير حتّى اليوم! هكذا قد أُهمِل هذا الإله العظيم بشكل تامّ». والآن يبدو لي أن فايدروس محقّ تماماً في هذا، ولذلك فإنّني أحب أن أقدّم له مساهمة بشأنه؛ وإنّي لأفتكر أيضاً في هذه اللحظة أنّنا لا نستطيع أن نفعل أفضل من تكريم إله الحبّ. إذا وافقتموني، فلن يكون هناك نقص مي المحادثة؛ وما أعنيه هو اقتراح في أن يؤلّف كلٌّ منّا بدوره خطاباً في تبجيل الحبّ مبتدئين من الشمال إلى اليمين. دع البادىء يعطينا أفضل ما يقدر على إنتاجه من أفكار؛ وسيشرع فايدروس بالكلام، لأنّه يجلس في الصفّ الأوّل على اليد اليسرى، ولأنّه أبو هذا الموضوع.

سقراط: لا أحد سيصوّت ضدّك، يا أريكسيماخوس. كيف يمكنني أن أضادّ اقتراحك الذي يعلن أنّه لا يدرك أيّ شيء سوى قضايا الحبّ؛ ولا أفترض أنّ أغاثون أوْ بوسانياس سيفعلان ذلك؛ ولا يُستطاع وجود أيّ شكّ بشأن أريسطوفان، وهُمْ الذين يهتمّون بديونيسيوس وأفروديت. لا ولن يعارض هذا أحدٌ من أولئك الذين أراهم حولي. يبدو الاقتراح، كما يمكنني أن أدرك، صعباً علينا بالأحرى نحن الذين نحتلّ المقاعد الخلفيّة؛ لكنّنا سنكون قانعين إنّ سمعنا بعض الأحاديث الجيّدة أوّلاً. دع فايدروس يبدأ في الثناء على الحبّ، وتمنّ له الحظّ الجيد. [أعرب كل المجتمعين عن موافقتهم، وتمنّوا عليه أن يفعل كما أمره سقراط].

لم يتذكّر أريستوديموس كلّ الخطابات المفردة، ولا أتذكّر أنا كلّ ذلك الذي يتعلّق بي؛ غير أنّني سأخبرك ما تصورته الأكثر جدارة بالتذكّر، وما قاله المتكلّمون الرئيسيّون.

إبتدأ فايدروس بإثبات أنّ الحبّ هو إله جبّار، وأنّه رائع بين الآلهة والرجال

لعدة اعتبارات، لكنّه مدهش في ولادته بشكل خاصّ. إنّه أكبر الآلهة سنّاً، وهذا شرف له. والبرهان على مطالبته بهذا الشرف، هو أنّه ليس هناك نصب تذكاريٌّ لآبائه؛ ولم يثبت الشعراء ولا الكتّاب النثريون أنّه كان لديه أيٌّ منها، كما يقول هيسيود:

بادىء ذي بدء أتى الشواش، وبعدئذ الأرض الفسيحة المتوسطة، المركز الأبديّ لكلّ الكائنات والحب. بكلماتٍ أخرى، أتى إلى الوجود بعد الشواش هذا الشيئان الأرض والحب، ويشير بارمينايدس إلى النشوء أيضاً:

بادىء ذي بدء في موكب الآلهة، هُمُ كوّنوا الحبّ.

ويتفق أكيوسيلوس مع هيسيود. عديدة هي الحجج التي تعترف بأنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً، وليس أكبر سناً فقط، بل إنّه مصدر المنافع الأعظم لنا جميعاً. إنّني لا أعرف أيّة نعمة أكبر منه للإنسان الفتيّ المبتدىء بالحياة غيراً من محبٍّ فاضل، أو إلى المحبّ غيراً من محبوب يانع لأنّ المبدأ الذي ينبغي أن يكون مرشد الرجال الذين سيعيشون بنبل ـ أقول، إنّ ذلك المبدأ، ليس الأنسباء، ولا الشرف، ولا الغنى، ولا أيّ تأثير آخر قادر على أن يُزرع جيّداً هكذا مثل الحبّ. عمَّ أتكلّم أنا؟ هل أتكلّم عن معنى الشرف والعار، الذي بدون الأول لا تستطيع الدول والأفراد أن تقوم بأيّ عملٍ خيِّرٍ أو عظيم. وأقول إنّ المحبّ الذي يظهر للعيان أنّه يؤدّي أيّ عملٍ شائن، وأنّه يذعن من خلال الجبن عندما يهينه الآخرون، وسيكون أكثر تألّماً إذا اكتشف محبوبه هذا من كونه مشاهَداً بأبيه، أو برفاقه، أو بأيّ شخص آخر. عندما يوجد المحبوب في أيّ وضع مشين أيضاً، فإنّه يمتلكه الشعور عينه بشأ حبيبه. وإذا وُجدت طريقة ما للإختراع وهو أنّه يجب أن تنشأ الدولة أو أن يجهَّز جيش من الأحبّاء ومّمن يحبّون فقط(١٨)، هُمُ سيكونون أفضل حكامٍ لمدينتهم بالتحديد، ممتنعين عن كلّ ما هو مخزٍ، ومتشبّهين ببعضهم بعضاً في

الشرف. وأنّها لمبالغة أنْ أقول بأنّهم عندما يحاربون بعضهم إلى جانب بعض، وبالرغم من أنّهم مجرّد حفنة صغيرة، فإنّهم سيقهرون العالم، لأنّ الذي يختاره المحبّ يراه الجنس البشريّ كلّه على الأصح، وليس محبوبه فقط. أمّا عند تخلّيه عن موقعه، أو إلقاء سلاحه فإنه سيكون مستعدّاً كي يموت ألف مرّة مفضّلاً ذلك على تحمُّل هجر محبوبه أو أن يخذله في ساعة الخطر. إنّ الجبان الفعليّ لن يصبح بطلاً ملهماً، مساوياً للرجل الأشجع، في وقت كهذا. اذا لم يستحثه الحب وينفخ فيه حياة. تلك الشجاعة التي، كما يقول هوميروس، ينفخها الله في أرواح بعض الأبطال، ويغرس حبّ هبته السخيّ في الحبيب.

سيجعل الحبّ الرجال يجرؤون على الموت من أجل محبوبهم - والحبّ وحده. وستفعل النساء تماماً كما يفعل الرجال ذلك. وما ألكستيس، إبنة بيلياس إلاّ خير شاهد حيّ لهيلاس كلها على هذا لأنّها كانت على استعداد للتضحية بحياتها من أجل زوجها، عندما لم يُقدم أحد على ذلك، مع أنّه كان لديه أب وأمّ، لكن رقّة حبّها فاقت حبّهما؛ ذلك أنّها جعلتهما يبدوان غرباء في الدم والقربى من ابنهما الخاصّ، وينتسبان له بالإسم فقط. وكم ظهر عملها هذا نبيلاً للآلهة وللرجال أيضاً، ذلك أنها واحدة من بين النساء القلائل جداً اللواتي فعلن بفضيلة، والتي مُنِحتْ امتياز العودة حيّةً إلى الأرض إعجاباً بعملها النبيل. لقد دُفِعَ هذا الشرف الاستثنائي بالآلهة إلى إخلاص وفضيلة الحبّ دفعاً. لكن أورفيوس بن أوياغروس، العازف على القيثارة، أرسلوه هم بعيداً خالي الوفاض، محضرين له شبحها فقط الذي نشده هو، لكنّهم لم يتخلّوا عنها، لأنّه هو لم يظهر حيويّة ونشاطاً؛ إنّه كان مجرّد عازف قيثارة، ولم يجرؤ مثلما فعل ألكستيس على أن يموت من أجل الحبّ، بل وجد وسيلة تمكّنه من دخول مكان مثوى الأموات حيّاً. ولهذا

السبب هُمْ سبّبوا له أن يقاسي الموت على أيدي النساء بعد ذلك، كعقابٍ لجبنه. إنّ جائزة الحبّ كانت جائزة مختلفة جدّاً عن جائزة حبّ أخيل الحقيقيّ نحو محبّه باتروكلوس ـ محبّه وليس حبّه. إنّ الفكّرة التي تقول إنّ باتروكلوس كان المحبّ الواحد هي فكرة خاطئة غبيّة وقع فيها أخيل، لأنّ أخيل كان أجمل الإثنين، وكان أجمل من كلّ الأبطال الآخرين أيضاً. وكما يخبرنا هوميروس، كان «لا يزال أمرَدَ وأفتى بكثير». وبما أنّ الآلهة يكرمون الحبّ وفضيلة الحبّ بشكل عظيم، يبقى أن إعادة الحبّ من قِبَل المحبّ إلى المحبوب هو أكثر إعجاباً وتقديراً وينال مكافأتهم؛ إنّ المحبّ هو أكثر إلهيّة، لأن الله يلهمه. وبعدُ فإنّ أخيل كان مدركاً تماماً، لأنّ أمّه أخبرته، كان مدركاً أنّ بإمكانه أن يتفادى الموت ويعود إلى البيت ويعيش لعمرٍ مديدٍ طويل، إذا ما امتنع عن ذبح هيكتور. وبرغم ذلك ضحّى بحياته كي يثأر لصديقه، وتجرّأ على أن يموت من أجله. ومن أجل هذا كرّمته الآلهة حتى فوق ألكستيس وأرسلوه إلى الجزر المباركة. تلك هي ذواعيّ وأسبابي للتأكيد على أنّ الحبّ هو أكبر الآلهة سنّاً وأنبلهم وأقواهم، وهو الموجِد الرئيسي وواهب الفضيلة والسعادة، في الحياة وبعد الموت على قدم المساواة.

هذا الحديث، أو ما يشبهه، كان حديث فايدروس؛ وتلته خطب لبعض الرجال الآخرين التي لا يتذكرها أريستوديموس؛ لكنّ الحديث الثاني الذي كرّره كان حديث بوسانياس، حيث قال: أتصوّر، يا فايدروس، أنّ المحاورة لم تُطرح أمامنا في الصيغة الحقيقية تماماً. يجب أن لا نُستدعى كي نثني على الحبّ في هكذا نمطٍ غير مميّز. إذا وُجد حب واحد فقط، فإنّ ما قلته سيكون كافياً حينئذ، لكن بما أنّ هناك أكثر من حبّ واحد، كان عليك أن تبدأ بتقرير أيّ منه وجب أن يكون موضوع الإطراءات. إنّني سأحاول أن

أصلح هذا الخلل؛ وسأخبركم قبل كلّ شيءٍ أيّ حبٍّ يستحقّ الثناء، وسأحاول بعدئذ أن أرتّل الحديث عن الحبّ الجدير بالتمجيد في الأسلوب الذي يستحقّ. نعرف كلّنا أنّ الحبّ غير منفصلٍ عن أفروديت، وإذا كانت أفروديت واحدة فسيوجد حبّ واحد فقط؛ لكن بما أنّه يوجد إلهتان فينبغي أن يكون هناك حبّان. ألستُ محقّاً في التأكيد على أنّ هناك إلهتين؟ الأولى الأكبر سنّاً، ليس لها أم، وهي التي تُسمّى أفروديت السماويّة. إنّها ابنة يورانوس. أما الإلهة الفتيّة، التي هي ابنة زيوس وديون، فهي التي نسمّيها إسماً عامّاً؛ ويدعى الحبّ الذي يكون رفيقها في العمل حبّاً عامّاً بحقّ، بينما يسمّى الحبّ الآخر حبّاً سماويّاً. يجب أن تمتلك كلّ الآلهة ثناءً معطىً لهم، لكن ليس ثناء بدون تمييزٍ بين طبائعهم؛ ولهذا السبب ينبغي عليّ أن أفرّق بين صفات الحبّين الإثنين. وبعدُ فإن الأعمال تتنوّع طبقاً لأسلوب الأداء. خذْ، كمثال، الأداء الذي نقوم نحن به الآن ـ شرب، غناء، وحديث ـ إنّ هذه الأفعال ليست خيّرة أو شريرة في أنفسها، لكنّها تصبح في هذه الطريقة أو تلك طبقاً لأسلوب تنفيذها. وعندما تُفعل هذه الأشياء جيّداً فإنّها صالحة، وعندما تُفعل خطأً فإنها طالحة؛ وفي نمطٍ مماثل لا يكون كلُّ نوعٍ من أنواع المحبّة ولا كل حبٍّ نبيلاً، بل ذلك الذي يلهم الرجال كي يحيوا بنبلٍ فقط. إنّ الحبّ الذي يكون من ذريّة أفروديت العامّة يكون حبّاً مشاعاً بالضرورة، ولا يمتلك تمييزاً في المعاملة، كونه هكذا كي يحرّك النوع الأحقر من الرجال. هُمْ ميّالون كي يحبّوا النساء وكذلك الشباب، ويُغرمون بالجسد بدلاً من غرامهم بالروح ـ إنّ المخلوقات الأكثر غباء التي يقدرون على إيجادها هي أهداف هذا الحبّ الذي يرغب أن يكسب غاية فقط، لكنّه يحاول أبداً إنجاز هذه الغاية بنبل، ولذلك يفعل الخير والشرّ بدون أي تمييز تماماً. إنّ الإلهة التي هي أمّ هذا الحبّ هي أفتى من الأمّهات الأخريات ببعد

كبير، وهي وُلدت من اتحاد الذكر والأنثى واشتركت معهما كليهما. لكنّ نَسْل أفروديايت السماويّة متفرّع من أمّ ليس للأنثى أيّ دورٍ في ولادتها - إنّها ولدت من الذكر فقط. إنّ هذا الحبّ هو ذلك الحبّ الذي للشباب، وكونه الإلهة الأكبر سنّاً، فهو لا يفتقر لأيّ شيء. إنّ أولئك الملهمين بهذا الحبّ يستديرون إلى الذكور ويبتهجون بأنّهم يكونون الأكثر بسالة وذكاء بطبيعتهم؛ يمكن لأيٍّ شخص أن يدرك الحماس الصافي في مودّتهم الأخلاقيّة تحديداً. هُمْ لا يحبّون الصبيان، بل يحبّون المخلوقات الذكيّة الذين يكون عقلهم آخذاً بالتحسّن والتطوّر، وبالتحديد في الوقت الذي تبدأ لحاهم فيه بالنموّ. وأعي أنّهم مبتدئون من اختيارٍ كهذا، فإنّهم جاهزون لأن يكونوا مخلصين أوفياء لرفاقهم، ويقضون حياتهم كلّها معهم، ولا يأسرونهم بقلّة خبرتهم، ويخدعونهم، ويخلقون أغبياء منهم ويولّون هاربين إلى الآخرين. غير أنّ حبّ الصبيان الفتيان يجب أن يمنعه القانون، لأنّ مستقبلهم سيكون مستقبلاً غير واضح المعالم. يمكن أن يصبحوا إمّا أخياراً أو أشراراً في الروح أو الجسد، ويمكن أن يلقوا حماساً نبيلاً. إنّ الأخيار يفرضون هذا القانون على أنفسهم في نطاق إرادتهم الحرّة؛ ويجب على النوعيّة الفظّة من المحبّين أن يقيّدوا بالقوة، كأنْ نكبّتهم ونحاولُ منعهم من أن يركّزوا شهواتهم ونزواتهم على النساء ذات الولادة الحرّة. إنّ هؤلاء الأشخاص هم الذين يتجرّؤون على لوم الحبّ مشاهدين أنّ عدم تناسبهم وأنّ بعض الأناس يذهبون بعيداً كي يعيقوا هكذا مودّات بينهم من الخجل؛ إذ بالتأكيد لا شيء يُفعل بتهذيب وقانونيّة يمكن أن يُعنّف بعدل. وبعدُ فإنّ القواعد القانونيّة هنا في لاقيدايمونيا بشأن الحبّ مشوّشة، لكنّها في أكثر المدن بسيطة ومفهومة بسهولة. ففي إليس وبويوتيا، وفي البلدان التي لا تمتلك هبات الفصاحة والبلاغة، تكون غير معقّدة أبداً؛ إنّ القوانين تتعاطف مع

هذه الروابط بكلّ بساطة، ولا أحد يمتلك أي شيء ليقوله بالتشكيك فيها، سواء أكان شاباً أو مسناً، والسبب كونه، كما أفترض، أنّ الرجال هم قليلو الكلام في تلك الأجزاء من العالم، ولهذا فإنّ المحبّين لا يرغبون في أن ينزعجوا في المدافعة عن شكواهم. يصحّ العرف في أيونيا والأماكن الأخرى، وفي البلدان الّتي تخضع للبربر بشكل عام، يصحّ العرف أنّه عرفٌ شائنٌ ومخزٍ بسبب حكوماتهم الاستبدادية. إنّ محبّة الشباب قرينة السمعة السيئة التي تصدق فيها الفلسفة والألعاب الرياضية، لأنّ منافع الحكام ومصالحهم تقتضي، كما أفترض، أن يكون رعاياهم فقراء في النفس[١٩]، وأنه لا يوجد رباط قويّ للصداقة أو للمجتمع بينهم، ويكون الحبّ المحرّك لتلك الاشياء على الأصحّ، فوق كلّ البواعث الأخرى. إنّه الدرس الذي تعلّمه طُغاتنا الأثينيون بالخبرة، بما أنّ حبّ أريستوجاتيون وإخلاص هارموديوس كان له من العزيمة بحيث أبطل مفعول قوّتهم. ولهذا السبب، فإنّ السمعة السيّئة التي وقعت فيها هذه الارتباطات تُعزى للحالة المتدنّية للذين جعلوها ذات سمعة متدهورة. ذلك عائدٌ، إلى أنانيّة الحكّام وجبن المحكومين. وعلى الجانب الآخر، فإنّ الشرف غير المميّز الممنوح لهم في بعض البلدان يُعزى إلى الكسل الفكريّ لأولئك الذين يتمسّكون بهذا الرأي عنهم. أمّا في بلادنا، التي هي ملك لنا، فإنّه يسود مبدأ أفضل ببعد كبير، لكن، كما قلت، فإنّ الإيضاح عنه ليس سهلاً إدراكه. لاحظ أنّ الحبّ العلني يُعتقد بأنّه أكثر شرفاً من الحبّ السرّيّ، وأنّه الحبّ الأنبل والأسمى، حتّى إن كان أشخاصه أقل جمالاً من أشخاص الحبّ الآخر. تأمّلوا مليّاً أيضاً، ما أعظم التشجيع الذي يعطيه العالم للمحب، فهو لا يعامله وكأنّه كان يفعل شيئاً ما مخزياً؛ لكنّه إذا نجح يُثنى عليه، وإن أخفق يُلام. وتسمح له عادة الجنس البشريّ أن يفعل العديد من الأشياء الغريبة في ملاحقته لحبّه، والتي ستدينها الفلسفة

بمرارة إن تمّ القيام بها من أيّ محرّك أو فائدة أخرى، مثل المحبّة والرغبة في الحصول على المال أو أيّ نوع آخر من أنواع السلطة. يمكنه أن يصلّي، ويتضرّع، ويتوسّل، ويقطع على نفسه عهداً، ويكذب على الحصيرة عند الباب، ويقاسي العبودية التي هي أسوأ من العبوديّة التي لدى أيّ عبد - وفي أيّة حالة أخرى فإنّ الأصدقاء والأعداء سيكونون جاهزين كي يمنعوه من فعل ذلك بشكل متساوٍ، لكن الآن ليس هناك صديق سيستحي منه ويحذّره، وليس هناك عدوّ سيتّهمه بالدناءَة والتملّق. إنّ أعمال المحبّ تمتلك رشاقة وفضيلة تشرّفه. وقرّرت العادة والعرف أنها ليست معرّضة لأيّ تأنيب، لأنّ تلك الأعمال لها غرض نبيل. والأغرب من هذا كلّه أنه يمكنه هو فقط أن يحلف وأن يقسم كذباً بنفسه « هكذا يقول الرجال »، والآلهة سوف تصفح عن خطاياه، إذ لا يوجد أيّ شيء كقَسَم المحبّ هذا. هكذا هي الحرية الكاملة التي سمح بها الآلهة والرجال للمحبّ، طبقاً للعرف الذي يسود في هذا الجزء من العالم. يمكن لإنسان أن يحاور منطلقاً من وجهة النظر هذه بعدل وهو أنّه كي تُحبّ وكي تكون محبوباً في أثينا، فإنّ هذا يُعتبر الشيء الأكثر تبجيلاً. لكن عندما يمنع الآباء أولادهم من التحدّث مع أحبّائهم، ويضعونهم تحت عناية معلّم خصوصيّ يرشد لتلك النتيجة المطلوبة، وعندما يتفوّه رفاقهم وأترابهم بأيّ شيء من ذلك النوع الذي يمكنهم مراقبته، ويرفض الأكبر منهم سنّاً أن يُسكِتوا المؤنّبين ولا يعنّفوا هذا النقد الخاطىء - إنّ هذا الشخص الذي يتأمّل ملياً سيتصوّر عكس ذلك، وهو أنّنا نتمسّك بهذه الممارسات لكونها الأكثر خزياً. لكنّ الحقيقة، كما أتصوّر، هي أنّ الحكم على هكذا ممارسات لا يمكن أن يكون حكماً مطلقاً؛ وليست هذه الممارسات شريفة ولا مخزية في حدّ ذاتها، كما قلنا في بداية حديثنا، بل إنّها ممارسات شريفة لمن يتبعها بشرف، وخسيسة لمن يلاحقها بخسّة.

هناك عار في الإذعان للشرّ، أو الإذعان لأيّ أسلوب سيّء. لكنّ الأسلوب السيّء في الحبّ، هو أسلوب شرّير يتّبعه المحبّ السوقيّ بنفسه الذي يحبّ الجسم بدلاً من الروح. وهذا الحبّ لا يعطيه أيّ نوع من أنواع الاستقرار، لأنّه يحبّ شيئاً يكون مزعزعاً في نفسه. ولذلك عندما ينقضي ريعان الشباب الذي كان توّاقاً إليه، فإنّه يخترع جناحين ويطير بعيداً، مُهيناً كل كلماته ومخلفاً كل وعوده؛ في حين أنّ الحبّ ذا النزعة النبيلة يستمرّ مدى الحياة، لأنّه يصبح واحداً مع الحبّ الثابت والمتين. إنّ عرف بلادنا وتقليدها سيصادقان عليهما كليهما جيّداً وبحقّ، وسيجعلاننا نذعن للنوع الأول من أنواع المحبّ ونتفادى النوع الآخر؛ ولذلك فإنّ البعض يشجّع أن يلاحق، والبعض الآخر أن يهرب، مختبرين المحبّ والمحبوب كليهما في المنافسات والتجارب، إلى أن يُظهروا لأيٍّ من النوعين الإثنين من أنواع الحُبّ ينتسبون على التوالي. وهذا هو السبب الذي يلزم لأجله، في المقام الأوّل، أن تكون المودّات والروابط المتسرّعة شائنة لأنّ الوقت هو الاختبار الحقيقيّ لهذا الشيء كما لأكثر الأشياء الأخرى؛ وثانياً هناك خزيٌ في كون الإنسان مقهوراً بحبّ المال أو القوّة السياسيّة، سواء إذا أُخيف الإنسان كي يستسلم لهما بصعوبة كثيرة، أو يبقى عائشاً يستمتع بالمنافع التّي تقدّمها، ولا يقدر أن يرتفع فوق إغراءَاتهما. إذاً ما من واحدٍ من هذين الشيئين يكون ذا طبيعة أزلية أو باقية؛ هذا بدون أن أذكر أنّه لم ينشأ منهما أيّة صداقة سمحة. يبقى هناك بعدئذ طريق واحد للمودّة الشريفة التي تسمح تقاليدنا بها كي يتبّعها. فقاعدتنا وقوانيننا تقول: إنّ أيّة خدمة وضيعة يقوم بها المحبّ نحو المحبوب لا تُحسب تملّقاً أو تأنيباً لنفسه، وهكذا فإنّ المحبوب يمتلك طريقة واحدة فقط لهذه الخدمةِ الاختيارية التي ليست عرضة للتوبيخ، وهذه الطريقة هي خدمة موجّهة نحو الفضيلة.

تعرفون أنتم أنّ عادتنا هي أنّ أيّ شخصٍ يقدِّم خدمة إلى الشخص الآخر ظنّاً منه أنّه سيتحسّن بواسطتها إمّا في الحكمة، أو في نقطة ما أخرى خاصة بالفضيلة ـ أقول، إنّ خدمة اختيارية كتلك، لا يجب اعتبارها كأنّها عارٌ، ولا تكون معرّضة للإتّهام بالمداهنة. وهاتان العادتان، إحداهما حُبّ الشباب، والأخرى ممارسة الفلسفة والفضيلة بشكل عامّ، يجب أن يلتقيا في عرفٍ واحد، وحينئذ يمكن للمحبوب أن ينغمس في حبّ حبيبه بشرف. إذ عندما يأتي المحبّ والمحبوب معاً، ممتلكاً كلٌّ منهما قانوناً داخليّاً، المحبوب يظنّ أنّه محقٌّ في تقديم أيّة خدمة يستطيع تأديتها لمحبّه اللطيف الفاتن، والآخر محقٌّ في إظهار أيّ عطف يستطيعه لمن يجعله حكيماً وصالحاً؛ أحدهما قادر على نقل الفهم والفضيلة، والآخر ناشد إن ينالهما بقصد التعليم والحكمة؛ وعندما يُنجز هذا القانون ويلتقيان في قانون واحد، حينئذٍ، وحينئذ فقط، يمكن للمحبوب أن يرقّ ويلين لمحبّه بشرف. ولا يوجد أيّ عار عندما يكون المحبّ من هذا النوع النزيه، لا عار في كونه مخدوعاً، لكن هناك خزياً متساوياً بكلّ حالة أخرى في كونه مخدوعاً أم لا. لأنّ مَنْ يكون مهذّباً نحو حبيبه تحت انطباع أنّه حبيب غنيّ، ويصبح أمله خائباً بسبب أنّه ظهر فقيراً، إنّ هذا الشخص يُهان بعد كلّ هذا بالشيء عينه لأنّه فعل أفضل ما يقدر عليه ليبيّن أنّه يستطيع أن يسلّم نفسه إلى « الأغراض الدنيئة » لأجل الحصول على المال. لكنّ هذا الأسلوب في التعامل ليس أسلوباً شريفاً وعلى المبدأ عينه فإنّ مَنْ يسلّم نفسه إلى المحبّ لأنّه إنسان صالح وعلى أمل أنه سيتحسّن بعشرته، إنّ هذا الشخص يُظهر نفسه أنّه إنسان فاضل، حتّى يثبت قصد عاطفته أنها سافلة في النهاية، وأنّه ليس فيها فضيلة؛ حتّى مع أنّه قد خُدِع فإنّه ارتكب خطأً نبيلاً لأنّه برهن أنّه لن يفعل أيّ شيء من جانبه لأيّ شخص بالنظر إلى الفضيلة والإصلاح اللذين لا يوجد أيّ شيء أنبل

منهما. هكذا يكون قبول الواحد للآخر قبولاً نبيلاً في كل حالة، إذا كان هذا القبول يهدف للفضيلة. ويكون هذا الحبّ ذلك الحب الذي يأتي مِن الإلهة السماويّة، ويكون هو عينه حباً سماويّاً، وذا ثمن كبير للأفراد والمدن. إنّ هذا الحبّ يجعل المحبّ والمحبوب كليهما متشوّقين للقيام بتقدّمهما الأخلاقي الخاصّ بهما بشكل مماثل. لكنّ كلّ الحبّ الآخر يكون من ذرّيّة الغير، التي هي إلهةً عامّة. إنّني أقدّم إليك، يا فايدروس، مساهمتي هذه في الثناء على الحبّ، والتي هي مساهمة جيّدة بالقدر الذي أستطيع ارتجاله في هذه المناسبة.

وصل بوسانياس إلى نقطة صمت بعد ما قاله واستطرد: ـ إنّ هذه هي الطريقة المتّزنة التي قد علّمني الحكيم أن أتكلّم بواسطتها. وقال أريستوديموس إنّ دور أرسطوفان أتى كي يبدأ الحديث، لكن إمّا أنّه أكل أكثر من اللازم، أو لسببٍ ثانٍ آخر فإنّه كان يحزّق، ولم يتمكّن من الكلام. وهكذا إستدار إلى أريكسيماخوس الطبيب، الذي كان متّكئاً على الأريكة التي كانت أكثر انخفاضاً من مكان جلوسه، وقال، « يا أريكسيماخوس، إمّا عليك أن توقف حزقتي، أو أن تتكلّم في دوري حتى أشفى ممّا أنا فيه ».

أجابه أريكسيماخوس: إنّني سأقوم بكليهما، سأتكلّم بدورك وتكلّم أنت بدوري، وبينما أتحدّث دعني أنصحك بأن تمتنع عن التنفّس، وإذا لم تتحسن الحزقة بعد بعض الوقت، تغرغر بقليل من الماء حينئذ. وإذا بقيت الحزقة عنيفة، دغدغ أنفك بشيءٍ ما وأعطس. وإذا عطست مرّة أو مرّتين، فإنّه حتى الحزقة الأكثر عنفاً ستتوقّف حالاً بكلّ تأكيد. سأفعل كما تصف، قال أريسطوفان، والآن واصل كلامك.

تكلّم أريكسيماخوس كما يلي: لقد لاحظنا أنّ بوسانياس ابتدأ كلامه جيّداً، لكن كانت له نهاية غير مقنعة، وأنا يجب أن أسدّ حاجة هذا النقص.

أعتقد أنّ بوسانياس كان محقّاً عندما ميّز نوعين من أنواع الحبّ، لكنّ فنّي يقول لي إنّ الحبّ المضاعف ليس شعور روح الإنسان نحو الجمال الإنساني فحسب، بل إنّه عاطفة موجّهة إلى العديد من الأهداف الأخرى، ويوجد في الأشياء الأخرى. يوجد في أجسام كلّ الحيوانات وفي ما تنتجه الأرض، ويمكنني أن أقول بأنّه موجود في كل الكائنات؛ هكذا يكون الاستنتاج الذي يبدو أنّني استخلصته من فنّي الطبّيّ. لذلك فإنّني تعلّمت كم هو عظيم ومدهش وعالميّ إلهُ الحبّ الذي تمتدّ امبراطوريته فوق الأشياء كلّها، الإلهيّة منها والإنسانيّة. وسأبدأ كلامي من علم الطبّ كي أتمكّن من تشريفِ فنّي. يوجد هذان النوعان من أنواع الحبّ في الجسم بطبيعته؛ فحالة الجسم الصحّيّة وحالته المَرضيّة معترف بأنهما متشابهتان ومختلفتان. وكونهما غير متشابهتين، هما تمتلكان حباً ورغبات مختلفة. وهكذا فإنّ منية الأصحّاء تكون واحدة، ورغبة المرضى مغايرة ومتباينة. وكما قال بوسانياس لتوّه فإن الانغماس مع الرجال الأخيار عمل شريف، وأما مع الأشرار فعمل خسيس، وهكذا يكون الجسد. إنّ من الجودة بمكان، ومناسب لكلّ جسم، أن تُحبَّذ العناصر الصالحة والصحيّة « وهذا هو ما يدعى ممارسة علم الطبّ »، ولا يجب أن تُغمس عناصر السوء وعناصر المرض فيه، بل أن توهَنَ عزيمتها وتُضعَّف. هذا ما ينبغي على الطبيب أن يفعله، ويكمن فنّ علم الطبّ في هذا العمل؛ لأنّ علم الطبّ يمكن أن يُوصف باختصار وكأنّه المعرفة بحبّ ورغبات الجسد، وكيف سترضيها وتشبعها أو تقهرها وتكبح جماحها. أمّا أفضل الأطبّاء فهو مَن يقدر على أن يفصل الحبّ الجميل والمنصف عن الحبّ الكريه والقذر، أو أن يحوّل الواحد إلى الآخر، وهو الذي يعرف كيف يستأصل وكيف يزرع الحبّ. ومن يعرف كيف يوفّق بين العناصر الأكثر عداءً في المجتمع ويجعلها صديقة محبّة فإنّه ممارس حاذق وبارع في

مهنته. وبعدُ فإنّ العناصر الأكثر عداءً هي العناصر الأكثر تضادّاً، هذا هو مَثَلُ الحارّ والبارد، والمرّ والحلو، الرّطب والجافّ، وما شابه. إنّ أبانا آيسكولابيوس، عارفاً كيف يغرس الصداقة والاتفاق في هذه العناصر، كان هو مبدع فنّنا كما يخبرنا أصدقاؤنا الموجودون هنا، وأنا أصدِّقهم؛ ولا يكون فنّ الطبّ تحت سلطته فقط وفي كلّ فروعه، بل إن فنون الألعاب الرياضية وفنون الزراعة هي كذلك بشكل مماثل. إنّ أيّ شخص يبدو قليل اهتمام بالموضوع هذا سيدرك أيضاً أنه يوجد التوفيق عينه بين المضادّات في علم الموسيقى. وأفترض أن هذا كان المعنى الذي قصده هيراقليطس، رغم أنّ كلماته ليست دقيقة. يقول إنّ الواحد يكون متّحداً بالانفصال، مثل تآلف الألحان أو الإيقاع للقوس والقيثارة. وبعدُ فإنّها قمّة السخرية أن تقول إنّ الإيقاع يكون تنافراً أو إنّه مؤلَّف من عناصر لا تزال في حالة عدم انسجام. لكن ما عناه هيراقليطس، هو أنّ تآلف الألحان يُكتسب من خلال فنّ الموسيقى وبواسطته، وذلك بتوافق العلامات الموسيقية المختلفة لنوع الصّوت الأعلى والأسفل التي تضاربت لمرّة، إذ لو كانت العلامات الموسيقيّة العليا والسفلى لا تزال متضاربة، فلن يكون هناك إيقاع أو تناسب ألحان، ـ لا بوضوح، لأنّ الإيقاع هو تآلف الأصوات، وتآلف الأصوات نوع من أنواع الاتفاق؛ لكن لا يمكن أن يكون اتفاق الخلاف في حين تتّفق. إنّني أكرِّر، لا تستطيع أنت أن تعزف بطريقة إيقاعيّة ذلك الذي لا يتّفق. في نمط مماثل فإنّ الإيقاع يُركَّبُ من عناصر قصيرة وطويلة متّفقة. عندما تكون في انسجام. لكنْ أيّ انسجام؟ إنّه كالانسجام الشبيه بالمَثَل الذي أعطيناه في علم الطبّ. هكذا يكون في كل الحالات الأخرى التي تغرسها الموسيقى، خالقة الحبّ والوئام كي يكبرا بيننا. ولهذا فإنّ علم الموسيقى يكون علم ظاهرة الحبّ أيضاً في تطبيقه العملّي للإيقاع والتناغم. مرّة ثانية، ليس في

تكوين الإيقاع، كما في التناغم، صعوبة في إدراك الحبّ، وليس هناك إشارة لازدواجيّته حتى الآن. لكنّك عندما تريد أن تستعملهما في الحياة الفعليّة، إمّا في نوعٍ من أنواع التأليف الذي يصحّ فيه الاصطلاح « غنائي » أو في التوظيف الصحيح للنغمات أو أوزان الألحان المؤلّفة مسبقاً، والتي تسمّى الأخيرة تعليماً، حينئذ فإنّ الصعوبة تبدأ حقّاً، ويُحتاج للفنّان البارع عندئذ. إذن فإنّ القصّة القديمة يجب أن تُردَّد عن الحبّ الجميل والسماويّ ـ الحبّ الذي يأتي من يورانيا الجميلة ومن آلهة الشعر السماويّة ـ وكذلك يجب أن تُردَّد عن الواجب لمكافأة المعتدل، وعن أولئك الذين يكونون مفرطين كي يمكنهم أن يصبحوا معتدلين، وعن الاحتفاظ بحبّهم وصيانته. ومرّة ثانية، يجب أن تردّد القصّة القديمة عن الحبّ العامّ الذي يأتي من بولي ـ هيمينا، ويجب أن يُستعمل هذا مع الحذر والوعي، كي يُستمع لحكايته بسرور، لكنّه ينبغي أن لا يولِّد الفسق؛ تماماً كما أنّها مسألة كبرى في فنّنا الخاصّ وهي أن تنظِّم هكذا رغبات اللذّة الحسيّة، ذلك كي تنال مسرّتها بدون حضور المرض وشرّه. لذلك فإنّني أستنتج أنّه كما في علم الموسيقى، في علم الطبّ، وفي كلّ الأشياء الأخرى الإلهية والإنسانية أيضاً، يجب مراقبة كلا الحبّيْن على قدر الإمكان، لأنّ كليهما موجودان.

إنّ مسار الفصول ممتلىء من كلا هذين المبدأين أيضاً؛ وعندما تكتسب عناصر الحارّ والبارد، الرطب والجافّ، كما كنت قائلاً، عندما تكتسب الحبّ المعتدل بعضها لبعض، وتمزجه في تآلف أنغامٍ مشذّب ومبسّط، فإنّه يجلب إلى الرجال والحيوانات والنبات، الصحّة والوفرة ولا يصيبها بأي أذى؛ في حين أنّ الحبّ الخليع له اليد الطولى ويؤثّر على الفصول السنويّة، ويكون مدمِّراً ومؤذياً، كونه أصل مرض الطاعون ويجلب أنواعاً عديدة ومختلفة من الأمراض على الحيوانات والنبات. وأيضاً فإنّ الصقيع والبَرَدَ

والآفة الزراعية تَنزعُ لتنبثق من التفاوت والفوضى المشتركة التي مسبّبها هذا الحب، والتي يجب معرفتها فيما يتعلّق بدوران الأجسام السّماوية وفصول السنة التي يسمّى علمها علم النجوم. أكثر منْ ذلك، فإنّ كلّ التضحيات والنشاطات التي هي المقاطعة المختصّة بالألوهية والتي تشكّل المشاركة بين الآلهة والرجالِ ـ أقول، إنّ هذه الأشياء تختصّ بالإحتفاظ بالخير فقط وبشفاء الحبّ الشرّير. لأنّ كلّ نوع من أنواع العقول ينشأ بالاحتمال كنتيجة لتكريم رجل الحبّ الآخر، بدلاً من مكافأة وتمجيد وتبجيل الحبّ المعتدل، سواء أكانت علاقته علاقة بالآلهة أو بآبائه. ولهذا فإنّ العمل الأُلوهي هو أن يراقب ويحرس هؤلاء المحبّين وأن يشفيهم، والألوهيّة هي صانعة السّلام بينَ الآلهة والرجال، فِعلُها فِعلاً بمعرفة الميول والأهداف للدين والتقوى الموجودة في الحبّ الإنساني. تلك هي القوّة العظيمة والجبّارة، أو على الأصحّ هي القدرة الكليّة للحبّ بشكل عامّ. لكنّ الحبّ الذي يختصّ بالخير والذي يُكمّل في رفقة مع الاعتدال والعدل، سواء أكان بين الآلهة أو الرجال، فإنّ له الخصوصية الأكثر، ويمتلك القوّة الأعظم، ويكون أصل سعادتنا كلها، ويهبنا المشاركة والصداقة مع الآلهة الموجودة فوقنا، وكذلك يهبنا إيّاها مع بعضنا بعضاً. أجرؤ على القول، بأنّي أسقطت الكثير من الكلام الذي يمكن أن يقال في الثناء على الحبّ أيضاً، لكنّ هذا الإسقاط لم يكن مقصوداً. وأنت، يا أرسطوفان، يمكنك أن تعوّض ممّا حذفته أنا أو أن تأخذ منحىً آخر للمديح لأنّي أتصوّر أنّك قد تخلّصت من الحزقة.

أريسطوفان: نعم، إنّ الحزقة قد ولّت الآن، لكنّها لم تفعل ذلك إلاّ عندما استخدمت طريقة العطس؛ وإنّني أتساءَل إذا ما كان الجهاز المنظّم للجسم يمتلك حبّاً لهكذا ضوضاء ودغدغة، لأنّي عندما استخدمت هذه الطريقة كأقرب ما يكون شفيت من الحزقة.

أريكسيماخوس: كن حذراً، أيها الصديق أريسطوفان. ومع أنك عازم على أن تتكلم، فأنت تهزأ بي. وأنا بدوري علي أن أحترس وأرى اذا كنت سأتمكن من أن أسخر منك على حسابك، عندما يمكنك أن تتكلم بسلام.

أريسطوفان: إنّك لمحقّ تماماً « قالها ضاحكاً »، وأنا سأسحب كلماتي. لكن أرجوك أن لا تراقبني، لأنّني أخشى أن يسخر منّي الآخرون بسبب الحديث الذي أوشك على تأديته، بدل من أن يضحكوا معي، والذي يكون العمل الطبيعي للقائنا وتسليتنا.

أريكسيماخوس: وهل تتوقّع أن تطلق سهمك وتولّي هاربا، يا أريسطوفان؟ حسناً، ربّما إذا كنت محترساً جداً، وفي ذهنك أنّك ستُستَدعَى إلى الحساب، ربّما يمكنني أن أقتنع وأدعك وشأنك عندئذ.

تظاهر أريسطوفان بأنّه سيعبّر عن أفكاره بنوع آخر من أنواع الحديث. كانت نيته أن يثني على الحبّ بطريقة أخرى، مختلفةٍ عن الطريقة التي استخدمها بوسانياس أو أريكسيماخوس، فقال: إنّ أفراد الجنس البشريّ، كما أعتقد، محتكمين بذلك إلى إهمالهم للحبّ، لم يفهموا قوّة هذا الحبّ على الإطلاق لأنّهم إذا فهموها فمن واجبهم نحوه أن يبنوا المعابد والهياكل تخليداً لذكراه، وأن يقدّموا التضحيات الجليلة تكريماً له. لكنّ هذا الشيء لم يقم أحدٌ به، وهو ما كان يجب تأديته بالتأكيد الأكثر، ما دام الحبّ هو الصديق الأفضل للرجال من كلّ الآلهة، وهو المساعد والشافي من كل الأمراض التي هي أكثر إعاقة لسعادة السلالة البشرية. سأحاول أن أصف لكم قوّة هذا الحبّ، وستعلّمون أنتم بقيّة العالم ما سوف أثقّفكم. دعوني أعالج طبيعة الإنسان، في المقام الأوّل، وما حدث لها. إنّ طبيعة الإنسان الأصليّة لم تكن مثل طبيعته الحاضرة، بل كانت طبيعة مختلفة. الأجناس لم تكن كما هي الآن، بل كانت ثلاثة في العدد أصلاً؛ كان هناك الرجل،

المرأة، واتّحادهما، الذي بقي منه الاسم، لكن لم يبقَ منه أيّ شيء آخر. مرّة كان نوعاً مميزاً بشكل جسد وله إسم خاص به، وكان مؤلفاً باتحاد الذّكر والأنثى، لكن الآن حُفظت الكلمة « خنثوي » فقط، وكانت تلك الكلمة مثل الاصطلاح التوبيخي. في المقام الثاني، فإنّ الإنسان الأوّل كان شكله مستديراً، وكذلك كان شكل ظهره وجانبيه؛ وكان له أربعة أيدٍ، والعدد عينه من الأقدام، ورأس واحد بوجهين. وكان ينظر في الاتجاهات المضادّة، ورأسه هذا وُضع على رقبة مستديرة، وكانا متشابهين بالضبط؛ وكان له أربع آذان أيضاً، وعضوان محجوبان، وما بقي كي يتطابق معهما. لقد استطاع هذا الإنسان أن يمشي مستقيماً كما يفعل الرجال الآن، وكذلك أن يسير إلى الخلف وإلى الأمام كما يريد، وقدر على أن يتدحرج عدة مرات وبسرعة عظيمة، وتمكن من أن يستدير على يديه الأربعة وأرجله الأربعة، الثماني كلها، مثل البهلوانيات ذاهباً مرة فوق أخرى وأرجله في الهواء. إنّه قام بهذا العمل عندما أراد أن يجري بسرعة. وبعدُ فإنّ الأجناس كانت ثلاثة في العدد، وهكذا كما وصفتها لأنّ الشمس، القمر، والأرض كانت ثلاثة في العدد أيضاً، وكان الإنسان طفل الشمس في الأصل، والمرأة طفلة الأرض، والرجل - المرأة طفل القمر الذي صُنع من الشمس والأرض، وكانوا كلّهم ذوي شكل مستدير وتحركوا دائرياً ودائرياً لأنّهم شابهوا آباءَهم. أما جبروتهم وقوّتهم الجسديّة فكانا هائلين، وكانت أفكار قلوبهم عظيمة، وخططوا لهجوم على الآلهة؛ وحكت عنهم حكاية أوتيس وايفيلاتيس اللذين حاولا أن يزنا السماء، ويضعا أيديهما على الآلهة. إنّ الشكّ ساد في المجالس السماويّة. هل سيقتلونهم ويبيدون السلالة بالصواعق، كما فعلوا بالعمالقة، حينها ستكون نهاية للأضاحي والعبادة التي قدّمها الرجال لهم؛ لكن، على الجانب الآخر، لم يستطع الآلهة أن يقاسوا غطرستهم في

انفلاتهم. واكتشف زيوس طريقه أخيراً، بعد تأمّل مليّ ذي مقدار عظيم، قال: « يخيّل إليّ أنّي أمتلك مخطّطاً سيضعف قوّتهم الجسديّة، وهكذا سيخمد شغبهم. سوف يستمرّ الرجال في البقاء لكنّني سأقطعهم إلى اثنين، وستُقلّل قوّتهم الجسديّة حينئذ، ويزدادون في العدد. إنّ هذه العملية لها فائدة لجعلهم أكثر نفعاً لنا. هُمْ سيسيرون منتصبين على ساقين، وإذا ما بقوا متغطرسين ولن يهدؤوا، فإنّني سأشقّهم إلى نصفين مرّة ثانية وسيثبون هنا وهناك على ساق واحدة ». تكلم ذلك وقطع الرجال إلى نصفين، مثل التفاحة التي قُسِمَت إلى نصفين لتخليلها، أو كما يمكنك أن تقسم بيضة بالشعرة. وبما أنّه فصل أحدهما عن الآخر، أُمر أبوللو أن يعطي الوجه ونصف الرقبة دورة كي يتمكن الرجل من أن يتأمّل الجزء من نفسه: سيتعلّم هو هكذا درساً في التواضع. أمر أبوللو أيضاً أن يداوي جراحهم وأن يؤلف أشكالهم. وهكذا أعطى إستدارةً للوجه وجذب الجلد من كل الجوانب فوق ذلك الجزء من الجسم الذي نسمّيه البطن في لغتنا، جذبه مثل أكياس الدراهم التي سُحِبت بإحكام، وصنع هو فماً واحداً في الوسط، الذي ثبّته في عقدة « الشيء عينه الذي يُسمّى السرّة ». صاغ هو الصدر أيضاً وأخفى أكثر التجاعيد فيه، مثلما يمكن لصانع الأحذية أن يطرّي ويصقل الجلد في عملية التصنيع الأخيرة؛ ترك زيوس قليلاً منها، على كلّ حال، في منطقة البطن والسرّة، كشيء تذكاريٍّ كحالة الانسان الأوليّة. وبعد قسمة جزأي الإنسان الاثنين، بما أنّ كلاًّ منهما رغب نصفه الآخر، أصبحا معاً، ورميا بأذرعتهما حول بعضهما بعضاً، وحُبِكا في عناق مشترك، متشوّقيْن ليكونا معاً في شخص واحد. أوشكا أن يموتا من الجوع وإهمال النفس، لأنّهما لم يحبّا أن يفعلا أيّ شيء منفصلين. وعندما مات واحد من النصفين وبقي النصف الآخر، نشد الذي نجا من الموت رفيقاً آخر له، رجلاً كان أو امرأة

كما ندعوهما ـ كونهما الأقسام الكاملة للرجال والنساء، والتصقا بذلك. هكذا كانا كونهما مدمِّرين، عندما اخترع زيوس مخططاً جديداً شفقة منه عليهما: أدار أجزاء التوليد دورة إلى الأمام، لأنّ هذا الوضع لم يكن وضعهما على الدوام، وهما لم يزرعا البذار بعد اليوم كما يفعل الجندب بزرع بذاره في الأرض، بل زرعوا البذار أحدهما في الآخر؛ وبعد الإبدال أُنتج الذّكر في الأنثى كي يتمكنا من أن يتوالدا بالاحتضان المشترك للرجل والمرأة، ولتقدر السلالة على الاستمرار، أو إذا حضر الرجل إلى الرجل يمكنهما أن يكونا قانعين ومرتاحين، وأن يذهبا، كلٌّ في طريقه لإتمام أعمال الحياة. وهكذا فإن الرغبة قديمة في بعضنا بعضاً وقد غُرِست فينا، موحِّدة طبائعنا الأصليّة مرّة ثانية، ناشدة أن تجعلها واحدة من الإثنتين، وأن تداوي حالة الرجل. إنّ كل واحد منّا له جانب واحد حين انفصاله، وما هو إلا تطابق لنصف الرجل، ويبحث هو عن نصفه الآخر دائماً. إنّ الرجال الذين هم جزءٌ من تلك الطبيعة المضاعفة التي كانت تدعى خنثوية مرّة هم محبّون للنساء؛ إن الزانين هم من هذا التوالد بشكل عام، وأيضاً الزانيات اللاتي يشعرن برغبة جارفة نحو الرجال. إنّ النساء اللواتي هنَّ جزء من المرأة ليس لديهنَّ اهتمام بالرجال، بل يمتلكنَ موادّات أنثويّة؛ إنّ الرفيقات الأنثويات يكنَّ من هذا النوع. لكنّ النساء اللواتي هنَّ جزء من الذّكر يتبعن الذكر، وفي حين يكنَّ فتيات، كونهنَّ شرائح من الرجل الأصلي، ولديهنَّ عاطفة نحو الرجال ويعانقْنَهم. وأمّا الرجال هؤلاء فإنّهم أفضل الأولاد والشباب لأنّهم ذوو الطبائع الأكثر رجولة. يؤكّد البعض أنّهم قليلو الحياء، لكنّ هذا التأكيد ليس صحيحاً لأنّهم لا يفعلون هكذا بسبب افتقارهم للخجل، بل لأنّهم جسورون وفيهم طبائع الرجولة، ويمتلكون محيّاً رجولياً، وهم يتشوقون لمن يكون مثلهم. وهؤلاء الرجال عندما يكبرون يصبحون رجال دولتنا،

وهؤلاء فقط. وهذا هو برهان كبير على حقيقة ما أقول. وعندما يصلون إلى سنّ الرجولة يحبون الفتيان، ولا يميلون للزّواج وإنجاب الأطفال بشكل طبيعيّ. وإذا كان ذلك على الإطلاق، فهم يقومون به طاعةً للعرف، والعادة فقط، لكنّهم يقنعون إذا ما أمكن السماح لهم أن يعيشوا مع بعضهم بعضاً بدون زواج. إنّ طبائع كهذه الطبائع تنزع لتحبّ، وهي على استعداد لأن تعبد الحبّ، محتضنة ذلك الذي يكون نسيباً لها وقريباً منها على الدوام وعندما يتقابل أحدهما مع نصفه الآخر، النصف الحقيقيّ نفسه، سواء إذا كان هو محبّاً للفتيان أو محبّاً للنوع الآخر، فإنّ الزوجين ينتابهما الذهول في الحبّ والصداقة والمودّة، ولن يريد أحدهما إلاّ أن يبقى قبالة الآخر، كما يمكنني أن أقول، حتّى للحظة واحدة. هؤلاء الأناس الذين يقضون حياتهم كلّها معاً، ومع ذلك فهم لا يقدرون على أن يوضحوا ماذا يرغبون من بعضهم بعض لأنّ الشوق والحنين الشديد الحادّ الذي يمتلكه كلٌّ منهما نحو الآخر لا يظهر على أنّه رغبة المحبّين في الجماع، لكنّ شيئاً ما مغايراً ترغبه روح كلّ منهم بوضوح لا تستطيع أن تُخبر عنه، والذي تملك بشأنه هاجساً أسود ومشكوكاً فيه. إفترض، يا هيفياستوس، أن تأتي إلى الزوجين بكيس أدواته، هذين الزوجين المتمدّدين جنباً إلى جنب وتقول لهما: « ماذا تريدان أيّها الفانيان من بعضكما البعض؟ » فهما لن يكونا قادرين على الإيضاح. وإفترض أبعد من ذلك، وهو أنّه عندما رأى ارتباكهما قال: « هل ترغبان أن تكونا واحداً بالكمال؛ وأن تكونا معاً ليلاً نهاراً في عشرة بعضكما بعضاً؟ إذ لو كان هذا ما ترغبان، فإنّي على استعداد لأن أصهركما وأذيبكما معاً، وهكذا ستصبحان واحداً بعد أن كنتما اثنين. وطالما تحييان فإنّكما ستحييان حياة عارية كما لو كنتما رجلاً فرداً، وستبقيان روحاً واحدة مغادرة وليس روحين اثنين في العالم السفليّ بعد موتكما - إنّني أسأل ما إذا كان هذا

الذي ترغبانه بشوق وحبّ، أو ما إذا ما كنتما مقتنعَين لتنالاه؟ ». إن أياً من هذين الرجلين الإثنين حينما يسمع الاقتراح لن ينكر أو أنّه لن يعترف بأنّ هذا اللقاء أو الانصهار بعضهما في بعض، هذه الصيرورة في واحدٍ بدلاً من اثنين، لن يعترف بأنّ هذا كان التعبير الواضح عن حاجته القديمة[٢٠]. والسبب في ذلك هو أن الطبيعة الإنسانيّة كانت واحدة في الاصل وكنا نحن كُلاًّ؛ ودعيت الرغبة والملاحقة للكلّ حُبّاً. أقول؛ لقد مر زمن، عندما كنا واحداً، لكن الآن، وبسبب خبث الجنس البشريّ، فإنّ الله فرّقنا، مثلما تشتّت الأركاديون باللاقيداىمونيين إلى القرى. وإذا لم نُطِع الله، فهناكَ خطر من أنّنا سننشطر إلى نصفين مرّة ثانية ونطوف، مثل الصور الجانبيّة المنحوتة على النصب التذكارية التي تبين انشطار الأنف إلى النصف. وعندها سنكون شبيهين بالقصص. ولهذا السبب دعنا نحضّ كلّ الرجال على التقوى في كل أعمالهم، كي نتمكّن من تفادي الشرّ والحصول على الخير، مصطحبين الحبّ كقائد لنا وآمر. لا تدعوا أحداً يعاكسه ـ إنّ من يعانده هو عدو الآلهة، لأنّنا إذا كنا نحن أصدقاء الله وفي سلام معه، فإنّنا سنجد حبّنا الحقيقيّ، والذي نادراً ما يحدث في عالمنا المعاصر هذا. إنّني جدّيٌّ فيما أقوله وقلته، ولذلك يجب عليّ أن أستعطف أريكسيماخوس أن لا يهزأ بي، أو أن يجد أيّ تلميح ساخر فيما أقول كي يدلّ بوسانياس وأغاثون عليه، وهما ذوا طبيعة رجوليّة، كما أشتبه، ويخصّان النوع الذي قد وصفته. غير أنّ كلماتي تحتوي اجتهاداً أوسع ـ إنّها تتضمّن الرجال والنساء في كلّ مكان؛ وأعتقد إذا ما أُنجز حبّنا بشكل تامّ، وعاد كل منّا إلى طبيعته الأصليّة وإلى حبّه الحقيقيّ الأساسي، حينئذ فإنّ سلالتنا ستكون سعيدة. وإذا أُريد لهذا الشيء أن يكون أفضل الأشياء جميعها، وَجَب أن يكون الأفضل في الدرجة التالية وفي الحالات الحاضرة الأكثر قرباً من اتّحاد كهذا؛ وسيكون

ذلك الحصول على الحبّ المتجانس روحاً ونزعة. ولهذا السبب، إذا كنا سنثني نحن على من أعطانا الفائدة، ينبغي علينا أن نمدح إله الحبّ الذي هو المحسن الأكبر لنا، وهو معيدنا إلى طبيعتنا الخاصّة في هذه الحياة، وواهبنا الآمال السامية بالمستقبل، لأنّه وعدنا إذا كنا أتقياء بَرَرَة بأنه سيعيدنا إلى حالتنا السابقة الأصليّة، وأنّه سيشفينا ويجعلنا سعداء ومباركين. هذا هو حديثي عن الحبّ، يا أريكسيماخوس، والذي هو غير الحديث الذي قدمته أنت. يلزمني أن ألتمس منك أن توقف هجومك العنيف برماح سخريتك، كي يتمكن كلٌّ منّا أن يتكلّم بدوره؛ كلّ منا، أو بالأحرى كلانا، لأنّ أغاثون وسقراط هما الوحيدان اللذان لم يتكلّما حتى الآن.

أريكسيماخوس: حقاً، إنّني لست على استعداد لأهاجمك، لأنني ظننت بأنّ حديثك مدهشٌ، وإنْ لم أعرف بأنّ أغاثون وسقراط هما السيدان في فنّ الحبّ، إن لم أعرف ذلك سأكون خائفاً من أنّه ليس لديهما أيّ شيء ليقولاه، بعد عالم الأشياء الذي قد قيل مسبقاً، لكنّني لست بدون آمال برغم كل ما حدث.

سقراط: إنّك لعبت دورك جيداً، يا أريكسيماخوس، لكنّني إذا كنت كما أنا الآن، أو على الأصحّ كما سأكون عند إضافة أغاثون حديثه لحديث آخر جميل،فإنّك سترتعب حقّاً ويتركك ذكاؤك حينئذ.

أغاثون: تريد أن ترميني بإنذارٍ منك، يا سقراط، على أمل أن يتمكّن الإحباط منّي فكراً وعزيمة، خاصّة أنّ الجمهور الحاضر يتوقّع مني حديثاً، وملؤه الثقة بي.

سقراط: إنّني سأنسى بغرابة، يا أغاثون، شجاعتك وقوّتك العقليّة التي أبديتها عندما كانت تآليفك الفكرية على وشك أن تُعرض، وصعدت على المسرح مع الممثلين وواجهت المدرّج الرحب غير آبهٍ بما حولك تماماً. أقول، إنّني سأنسى بغرابة كل ذلك، إذا افتكرت بأنّ أعصابك يمكن أن تضطّرب في حفلة صغيرة كهذه يقيمها أصدقاء.

أغاثون: هل تعتقد، يا سقراط، بأنّ رأسي، وقد ملأه ما حدث على المدرج، أغمض عيني عن حقيقة أن قلّةً من الرجال العقلاء هم أكثر إخافة لرجلٍ ذي إدراك من كثرةٍ أغبياء؟

سقراط: لا، يا أغاثون، سأكون مخطئاً جداً في نسبة ذلك لك، أو نسبة أيّ عوزٍ للإدراك؛ إنّني أعلم تماماً أنّه إذا حدث لك وتقابلت مع أيٍّ من الذين تصورت أنّهم حكماء، فإنّك سوف تهتمّ برأيهم أكثر ممّا تهتمّ برأي الكثرة. لكن بما أنّنا قد كنا جزءاً من الكثرة الغبيّة في المدرّج فلا يمكن اعتبارنا كالحكماء المختارين؛ وأظنّ أنّك إذا تصادف حضورك، ليس في مجلس واحد منّا، بل في مجلس إنسانٍ حكيم ما بحقّ، فإنّك ستكون خجلاً إذا أحاق بك العار أمامه ـ ألن تكون كذلك؟

أغاثون: نعم.

سقراط: لكنّك لن تكون خجولاً أمام الكثرة، إذا ظننت بأنّك كنت فاعلاً شيئاً مخزياً.

هنا قاطعهما فايدروس، قائلاً: لا تُجبه، يا عزيزي أغاثون، لأنّه إذا ما استطاع الحصول على شريك يقدر على أن يتكلّم معه، خاصّة إذا كانت سماته جميلة، فإنّه لن يهتمّ بما سيحدث بشأن إكمال ما تنوي القيام به بعد الآن. وبعدُ فإنّني أحبّ أن أسمعه يتكلّم؛ لكن في الوقت الحاضر يجب عليّ أن لا أنسى امتداح الحبّ الذي ينبغي أن أسمعه منه ومن كلّ شخص. يمكنكما أن تتكلّما بينما تدفع أنت تقدمتكما إلى الله من الإجلال والثناء.

اغاثون: جيّد جداً، يا فايدروس، إنّني لا أرى سبباً يمنعني من متابعة حديثي، ما دامت لديَّ عدة مناسبات للتكلّم مع سقراط. دعني أقول كيف يلزمني أن أتحدّث.

تكَلّم أغاثون بعدئذ بما يلي: إنّ المتحدثين السابقين، بدلاً من أن يُثنوا على

الحبّ الإله، وبدل الكشف عن طبيعته، يظهر أنّهم هنّؤوا الجنس البشريّ على المنافع التي يهبها لهم. لكنّني بالأحرى سأطري الله بادىء ذي بدء، وأتكلّم بعدئذ عن عطاياه. إنّ هذه الطريقة هي الطريقة الصحيحة للثناء على كلّ شيء بشكل دائم. هل يمكنني أن أقول بدون عقوق أو اعتداء إنّ الحبّ هو الإله الأكثر قداسة من بين الآلهة المباركة كلّهم لأنّه الأجمل والأفضل؟ وهو الأجمل، لأنّه الأفتى، في المقام الأوّل، وهو الشاهد بنفسه على فتوّته. إنّه هارب من طريق العمر، وهربه هرب سريعٌ بما فيه الكفاية، وهو الآتي لنا بسرعة حقّاً أكثر ممّا نحبّ ونرغب. إنّ الحبّ لديه كره طبيعي للعمر ولن يقترب منه؛ لكنّ الشباب والحبّ يعيشان ويمتلكان وجودهما معاً ـ الشبيه للشبيه، كما يقول المثل القديم. إنّ أشياء عديدة قيلت وحكاها فيدروس بشأن الحبّ، أتّفق معه فيها، لكنّني لا أستطيع أن أوافق على أنّه أكبر سنّاً من لايبتوس وكرونوس. ليس هكذا، بل أؤكّد أنّه الأفتى من كلّ الآلهة وهو الممتلىء شباباً أبداً. إنّ الأعمال الغابرة الموجودة بين الآلهة، والتي تكلّم عنها هيسيود وبارمنيدس، إذا كانت التعاليم عنها صحيحة، إنّما فُعِلت بالضرورة وليس بالحبّ. لو كان الحبّ في تلك الأيّام، لما وجدت عبودية تشويه للآلهة، ولا وجد أيّ عمل من أعمال العنف الأخرى؛ بل قد كان هناك سلام وعذوبة، كما يوجد الآن في السماء، منذ أن بدأ حكم قانون الحبّ. الحب إذن هو فتيّ وشابّ، وهو طريّ العود أيضاً، ويجب أن يكون له مشاعر كهوميروس كي يصف رقّته، وكما يقول هوميروس في آيت أنّها إلهة وهي لطيفة، على الأقل فإن قدميها لطيفتان:

إنّ قدميها لطيفتان، لأنّها تضع خطواتها، ليس على الأرض بل على رؤوس الرجال.

هناك برهان ممتاز على لطفها في هذين السطرين، ذلك أنّها لا تسير على

الشيء القاسي بل على الشيء الناعم. دعنا نورد برهاناً مماثلاً على لطف الحبّ، لأنّه لا يسير على الأرض ولا حتى على جماجم الرجال التي ليست هكذا ليّنة جداً، بل إنّه يسير ويسري في قلوب وأرواح الآلهة والرّجال على حدّ سواء، وهذه هي ألينُ الأشياء كلّها: فيها يسري الحبّ ويسكن ويقيم بيته. طبعاً، ليس في كل روحٍ بدون استثناء، لأنّه يغادر المكان الصلب، لكنّه يتّخذ له مسكناً حيث النعومة، ويأوي بقدميه على الدوام وبكلّ الوسائل المتّبعة في الأماكن الناعمة، بل في الأماكن الأكثر نعومة، وكيف يمكنه أن يكون غيراً من أكثر الاشياء رقّة ولطفاً؟ في الحقيقة أنّ الحبّ هو الألين كما أنّه الأفتى، وهو ذو شكل مرنٍ أيضاً لأنّه إذا كان صلباً وبدون قدرة على الانثناء فهو لا يستطيع أن يلتفّ ويطوق كلّ شيء وأن يشقّ طريقهُ ملتفّاً داخل وخارج روح كل إنسان بدون أن يُكتشف. والبرهانِ على مرونة وتناسق شكله هو رشاقته، تلك الرشاقة المعترف بها عالميّاً أنّها تكون في نمطٍ خاصّ بالصّفة المميّزة للحبّ. إنّ الغلظة والحب هما في حربٍ أحدهما ضدّ الآخر على الدوام. ويُكشف الجمال لمظهر الحبّ العامّ بسكناه بين الزهور. فهو لا يقطن وسط مفاتن غير مزهرة أو ذابلة، سواء أكانت مفاتن للروح، للجسد، أو لأيّ شيء آخر، بل إنّه يقطن في المكان حيث الزهور والرياحين. هناك يجلس ويأوي. إنّني قلت كفاية فيما يختصّ بجمال الله؛ ومع ذلك يبقى ما لم أقله أكثر بكثير ممّا أستطيع قوله. سأتكلّم الآن عن فضيلة الحبّ: أمّا موضع اعتزازه الأكثر فهو أنّه يقدر على أن لا يفعل ولا يقاسي الأذى، إنّه لا يفعل الأذى لأيّ إله أو إنسان، ولا يقاسيه منهما كذلك. فهو لا يعاني بالقوة، وإذا هو فعل ـ إنّ القوة لا تقترب منه ـ ولا حينما يقوم بأيّ فعل يقوم به بالقوة، لأن كل الرجال يخدمونه في كلّ شيء بإرادتهم الحرّة. وحيث يوجد اتفاق اختياري، يوجد العدل هناك، كما تقول النواميس التي

هي أسياد المدينة. وليس الحبّ عادلاً فقط بل إنّه معتدل إلى أبعد حد، لأنّ العدل هو الحاكم المعترف به للملذات والرغبات، ولا توجد لذّة تُخضع الحبّ قطّ؛ إنّه هو سيّدها وهي خادمته، وإذا ما قهرها وتغلّب عليها فينبغي أن يكون معتدلاً حقاً. أمّا فيما يتعلّق بالشجاعة فلا يقدر حتى إله الحرب، أن يقف ضدّه؛ إنّه هو الأسير والحبّ هو السيّد، لأنّ الحبّ، حبّ أفروديت، يخضعه. وكما تجري الحكاية، فإنّ السيّد قوي أكثر من الخادم. وإذا تغلّب الحبّ وقهر الأشجع من كل الآخرين، فيجب أن يكون الأشجع. إنّني تكلّمت عن شجاعته وعدله واعتداله، لكن ينبغي عليَّ أنْ أتكلّم عن حكمته بعد الآن؛ ويلزمني أن أحاول أن أرفع أوج موضوع بحثي طبقاً لمقياس قدرتي. إنّ الحبّ شاعر في المقام الأول « وهنا فإنّني أعظّم فنّي، كما فعل أريكسيماخوس ». والحب هو باعث الشعر في الآخرين أيضاً، ولا يمكنه فعل ذلك إذا لم يكن هو ذاته شاعراً، ويصبح كلّ شخص شاعراً بلمسة منه، « برغم أنّه لم تكن لديه قوة موسيقية من قبلُ[٢١] ». يمكننا أن نستشهد بهذا كبرهانٍ مناسب، وهو أنّ الحبّ شاعر جيّد. ولأقل باختصار، ضليع في كلّ الفنون الجميلة؛ إذ لا أحد يستطيع أن يعطي الآخرين ما لا يمتلكه هو نفسه، أو أن يعلّم ما ليس لديه معرفة به. ومن سينكر أنَّ كلّ المخلوقات الحيّة هي من خلقه؟ أليست هي كلّها أعمال حكمته، وهو الذي أبدعها وأنجبها؟ أمّا بالنسبة إلى الفنانين، ألا نعرف نحن بأنّه هو الذي يمتلك حبّاً لمعلّمه ويظهره بريق الشّهرة؟ إنّ الذي يلامسه الحبّ لا يسير في الظلام. وفنونِ الطبّ والرمي بالسهام والألوهيّة اكتشفها أبوللو تحتِ هداية الحبّ والرغبة؛ وهكذا فإنّه هو رفيق الحبّ أيضاً. وبشكل مماثل فإنّ فنون آلهة الشعر، علم المعادن لهيفياستوس، علم الحياكة لأثينا، وعلم الحكم لزيوس الذي يمارسه فوق الآلهة والرجال، إنّ هذه العلوم كلّها ناشئة عن تعليم

الحبّ. وهكذا فأنت ترى أنّ الحبّ ليس له امبراطورية الآلهة في نظام - حبّ الجمال، كما يكون جليّاً، لأنّ الحبّ ليس له أيّ اهتمام بالشوائب. في الأيام القديمة، كما ابتدأت قولي، ارتكبت أعمالٌ مخيفة بين الآلهة، لأنّهم كانوا محكومين بالضرورة؛ لكن الآن، ومنذ ولادة الحبّ، ومن حبّ الجمال انبثق كلّ خير في السماء وعلى الأرض. ولهذا السبب، يا فايدروس، أقول عن الحبّ إنّه الأول والأجمل والأفضل في نفسه، وبعدئذ فهو سبب ما يكون أفضل وأجمل في الأشياء كلّها. وهنا يجول في تفكيري مقطع شعري قيل فيه وعنه أنّه الإله الذي:

يعطي السلام على الأرض ويسكّن الأعماق العاصفة،

الذي يهدّىء الرياح ويأمر المعذبين أن يناموا.

إنّه هو الذي يُفرِغ الرجال من السخط ويملأهم بالشعور والعاطفة، وهو الذي يجعلهم يجتمعون معاً في اللقاءات مثل لقاءات التضحيات، والولائم، والرقص حيث يكون هو السيّد الذي يبعث البشاشة ويقصي الفظاظة، والذي يعطي العطف والشفقة أبداً ولا يهب القسوة على الإطلاق. إنّ الحبّ كيّس وخيّر، مدهش الحكماء، انشداه الآلهة؛ يرغبه أولئك الذين ليس لديهم حصّة فيه؛ مصدر الرقة، الترف، التمنّي، الوَلَع، النعومة، الرشاقة، يحترم الخير، يهمل الشرّ. إنه في كلّ كلمة، عملٌ، رغبةٌ، منقذٌ في الخوف، دليلٌ، رفيق، محاربٌ، مجدُ الآلهة والرجال، القائد الأفضل والأكثر فتنة وجمالاً، الذي على خطاه يجب أن يسير كل رجل، ويجب أن يغنّي بعذوبة في تكريمه مشتركاً في ذلك اللحن الرخيم الذي يَسحر به الحبّ أرواح الآلهة والرجال على السواء. ذلك هو خطابي، يا فايدروس، إن نصفه كلام مزاح، وبرغم ذلك فإنّ له مقداراً من الجديّة طبقاً لمقدرتي، وإنّني أكرّسه لله.

عندما أنهى أغاثون كلامه، قال أريسطوفان إنّ الهتاف له عمَّ المكان. اعتقد

الجميع أنّ الرجل الشابّ تكلّم بأسلوب جدير بِه، وبإله الحبّ. ثمّ قال سقراط، بعد أن تطلّع إلى أريكسيماخوس: قل لي، يا ابن اكيومينوس، أليس هناك سبب لخوفي؟ أو لَمْ أكن أنا نبيّاً حينما قلت إنّ أغاثون سيؤلّف خطبة رائعة، وإنّني سأكون في ضيقٍ شديد.

أجابه أريكسيماخوس: إنّ الجزء الأول من النبوّة والذي يخصّ أغاثون. يبدو لي أنّه صادق؛ أما الجزء الذي تقول فيه بأنّك ستكون في ضيقٍ شديدٍ فليس كذلك.

قال سقراط: لماذا، يا صديقي العزيز أليسَ من سمِع حديثاً غنياً ومتنوعاً كهذا، يعتبر نفسه في عسرٍ شديد إذا كان عليه أن يتكلّم بعد ذلك سواء أكنت أنا أم غيري؟ إنّ أغاثون بلغ الذّروة في جمال الإلقاء وفي أسلوب الكلمات المستنتجة - مَنْ يقدر أن يستمع له بدون انذهال؟ عندما تأمّلت مليّاً ضعف شأن قوتي التي لا حدّ لها، كنت مستعدّاً لأن أولّي الأدبار من الخجل، لو كانت لديّ إمكانية للهرب. إنّني ذُكِّرت بجورجياس، وظننت عند نهاية خطابه، من خوفي، أنّ أغاثون كان يهزّ في وجهي الرأس الجورجيانيّ لسيّد عظيم في علم الكلام، وأنّه كان سيحوّلني ويحوّل حديثي إلى حجرٍ بكلّ بساطة، وأن يصيبني بالبكم، كما يقول هوميروس[٢٢]. وأدركت حينئذ كم كنت غبيّاً في الموافقة على الاشتراك معكم في الثناء على الحبّ، وفي القول بأنّني كنت خبيراً فيه أيضاً، في حين أنه ليس لديّ أيّ تصوّر كيف ينبغي أن يُثنى على أيّ شيء مهما يكن. تخيّلت، لبساطتي، أنّ جوهر المدح يلزم أن يكون الحقيقة، وأن هذا كونه مفترضاً مقدّماً، فإنّ على المتكلّم أن يختار أفضل الموضوعات وإن يبيّنها في أفضل أسلوب. وشعرت بالكبرياء تماماً لاعتقادي أنّي عرفت الطبيعة الحقيقية لكلّ إطراء ومدح، وإنّني سأتكلّم جيّداً، في حين أنّني أرى الآن عكس ذلك، وأشعر أنّك لكي تؤدّي إجلالاً

في الثناء على أيّ شيء بجودة، يلزمك أن تخصّص له كل أنواع العظمة والتمجيد، بدون اعتبار للحقيقة أو للتزييف - إنّ ذلك لا يهمّ؛ يبدو وكأنّ الاقتراح الأساسيّ لم يكن ذلك، وهو أنّ كلاً منّا سيثني على الحبّ بحقّ وصدق، بل ينبغي فقط بأن نظهر كي نمدحه. وهكذا، فإنّني أقترح، أنّك خصّصت للحبّ كلّ شكل من أشكال الثناء الممكن تصوُّره، الذي يُستطاع جمعه في أيّ مكان؛ وقلت أنت « إنّه هو كل شيء »، وإنه « السبب لكل ذلك »، جاعلاً إيّاه نموذجاً للجمال والامتياز لأولئك الذين لم يعرفوه، وعدّدت تسابيح نبيلة ومهيبة في المدح. لكن بما أنّني أسأت فهم طبيعة هذا المدح عندما قلت بأنّي سآخذ دوري في الحديث، فما يجب عليّ إلاّ أن ألتمس منك أن أكون في حلٍّ من الوعد الذي قطعته من الجهل. إنّه كان « كما سيقول الشاعر يوريبايدس »[٢٣] وعداً من الشفاه وليس من العقل. وداعاً إذن لهكذا إجهاد، فأنا لا أثني في تلك الطريقة؛ لا، حقاً، إنّني لا أستطيع القيام بذلك. لكنّك إذا أحببت أن تسمع الحقيقة بشأن الحبّ، يا فايدروس، فإنّي على استعدادٍ لأن أتكلّم بأسلوبي الخاصّ، ومع ذلك فلن أجعل نفسي مضحكاً بالدخول في أيّة منافسة معك. قل إذن إذا ما كنت ستحبّ أن تحوز الحقيقة بخصوص الحبّ، مقولة في أيّة كلمات وفي أيّ نظام يمكن أن يصدف، ويأتي إلى عقلي وفكري في هذا الوقت. فهل ستقبل ذلك؟

قال أريسطوديموس إنّ فايدروس والجماعة الموجودين قبلوا أن يتكلّم بأي أسلوب يعتقد أنّه الأسلوب الأفضل. أضاف سقراط قائلاً بعدئذ: دعني أحوز إذناً منكم باديء ذي بدءٍ لأسأل أغاثون أسئلة قليلة، كي أتمكّن من أخذ ما يقبل به وكأنه المقدّمات المنطقيّة لبحثي.

قال فايدروس: إنّني أمنحك الإذن، إطرح أسئلتك.

تقدّم سقراط بأسئلته كما يلي:

سقراط: أعتقد، يا عزيزي أغاثون، أنّك كنت محقّاً بدون ريب في خطبتك حينما اقترحت الكلام عن طبيعة الحبّ أوّلاً، وعن عمله بعد ذلك ـ إنّ هذه الطريقة للبدء في الكلام أصادق عليها كثيراً. وبما أنّك وضّحت طبيعته بهكذا بلاغة جليلة، هل يمكنني أن أسألك سؤالاً أبعد وهو إذا ما كان الحبّ بطبيعته حبٌّ شيء ما أو حبّ لا شيء؟ وهنا عليّ أن أوضح ما أعنيه: إنّني لا أريد منك أن تقول بأنّ الحبّ يكون حبٌّ أبٍ أو حبّ أمّ ـ إنّ هذا التعبير سيكون تعبيراً مضحكاً؛ بل كي تجيب كما إذا سألتك، هل يكون الأب أباً لشيء ما؟ ولن تجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال، إنّه أبٌ لابنٍ أو لبنت وسيكون هذا الجواب جواباً صحيحاً.

أغاثون: حقيقي جداً!

سقراط: وستقول الشيء عينه عن الأمّ؟

أغاثون: أوافق.

سقراط: ومع ذلك دعني أسألك سؤالاً أبعد كي أصوّر معناي؛ ألا يُعتبر الأخ أخاً لشيء ما بالضرورة؟

أغاثون: بالتأكيد.

سقراط: ذلك أنّه أخ لأخ أو لأخت؟

أغاثون: نعم.

سقراط: وبعدُ، فإنّني سأسألك سؤالاً بشأن الحبّ: ـ أيكون الحبّ حباً لشيء ما أو للا شيء؟

أغاثون: لشيء ما، بكلّ تأكيد.

سقراط: تذكّر هذا، وأخبرني ما أريد أن أعرف ـ وهو إذا ما كان يرغب الحبّ ذلك الذي هو الحبّ.

أغاثون: نعم، بكلّ تأكيد.

سقراط: وهل يمتلك، أو لا يمتلك، ذلك الذي يحبّه ويرغبه؟
أغاثون: عليّ أن أقول، لا على الأرجح.
سقراط: لا، إنّني سأريدك أن تتأمّل مليّاً إذا كانت الكلمة « بالضرورة » على الأصحّ. إنّ الاستنتاج معناه أنّ مَن يرغب شيئاً ما يكون مفتقراً لذلك الشيء، وأنّ من لا يتوق لشيء لا يكون في عَوَزٍ له. إنّ هذا الاستنتاج هو استنتاج حقيقي بالكلية وبالضرورة في حكمي، يا أغاثون. فماذا تعتقد؟
أغاثون: أتّفق معك.
سقراط: جيّد جدّاً. هل يرغب مَن يكون عظيماً، بأن يكون عظيماً، أو مَن يكون قوياً، بأن يكون قوياً؟
أغاثون: إنّ ذلك سيكون غير منسجم مع اعترافاتنا السابقة.
سقراط: صدقاً، لأنّ مَن يمتلك تلك النوعيات لا يمكنه أن يكون مفتقراً لها؟
أغاثون: حقيقيّ تماماً.
سقراط: إفترض أنّ رجلاً كونُه قويّاً رغب في أن يكون قويّاً، أو كونه سريعاً في أن يكون سريعاً، أو كونه معافىً رغب في أن يكون معافىً، ـ بما أنّه يمكن أن يُظنّ في تلك الحالة أنّه يتمنّى شيئاً يمتلكه أو يكون في حوزته، إنّي أشير إلى النقطة الأساسيّة كي يمكننا أن لا نضلّ في بحثنا ضلالاً مبيناً ـ سنرى بمجرّد التأمّل مليّاً أنّ مالكي هذه النوعيات ينبغي أنهم حازوا على منافعها الخاصّة في ذلك الوقت، سواء إذا اختاروا هذا الشيء أم لم يختاروه؛ ومَنْ يستطيع أن يرغب أو يتمنّى ذلك الذي يمتلكه؟ لهذا السبب، عندما يقول قائل، إنّني جيد وأرغب في أن أكون جيّداً، أو إنّني غنيٌّ وأتمنّى أن أكون غنيّاً، وإنّني أتوق لامتلاك ما هو في حوزتي بالضبط ـ سنجيبه: « أنت، يا صديقي، بما أنّ لديك الغنى والصحّة والقوة، فأنت تريد استمراريّتها؛ إذ في هذه اللّحظة، سواء تختار تلك أو لا تختارها، فأنت تمتلكها وهي في

حوزتك. وعندما تقول، إنّني أرغب ذلك الذي أمتلكه ولا أرغب شيئاً آخر، ألا يكون معناك أنك تريد أن تحوز في المستقبل على ما هو لديك وملكك في الحاضر»؟ يجب أن يتّفق معنا فيما نقول، ألا يلزمه أن يفعل ذلك؟

أغاثون: يلزمه أن يفعل ذلك.

سقراط: هو يرغب إذن ذلك الذي يمتلكه في الوقت الحاضر كي يمكن أن يكون محفوظاً له ومصاناً في المستقبل، والذي يساوي القول أنّه يتمنى شيئاً ما لا يمتلكه لم يحصل عليه حتّى الآن؟

أغاثون: حقيقي جداً.

سقراط: إذن، دعنا الآن نلخص المحاورة. أليس الحبّ حبّاً لشيء ما بادىء ذي بدء، وشيئاً ما يفتقر له الإنسان أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: تذكّر ما قلته في حديثك أيضاً، أو إذا أحببت فإنّني سأفعل ذلك: قلتَ إنّ الحبّ للجمال وضع امبراطورية الآلهة في نظام لأنّه لا يوجد حبّ في الأشياء المشوّهة ـ ألم تقل شيئاً من هذا النوع؟

أغاثون: نعم.

سقراط: نعم، يا صديقي، وكان التعليق محقّاً تماماً. وإذا كان هذا صحيحاً، فإنّ الحبّ هو حبّ الجمال وليس التشويه؟

أغاثون: إنّني أوافق.

سقراط: ولقد تمّ الاعتراف مسبقاً بأنّ الحبّ يكون حبّاً لشيء يحتاجه الشخص ولا يمتلكه؟

أغاثون: حقاً.

سقراط: يفتقر الحبّ إذن إلى الجمال ولا يمتلكه؟

أغاثون: بدون ريب.

سقراط: وهل ستسمّي ذلك الذي يعوزه الجمال ولا يمتلكه بأيه طريقة، هل ستسميه جميلاً؟

أغاثون: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن، أما زلت تقول إنّ الحبّ هو جميل؟

أغاثون: أخشى أنّني قلت ما قلته بدون فهم.

سقراط: حقاً، إنّك ألّفت خطاباً جيّداً جدّاً، يا أغاثون؛ لكن لا يزال هناك سؤال صغير واحد برغم ذلك وهو الذي أحبّ أن أسأله بكلّ سرور: ـ أليس الخيّر هو الجميل أيضاً؟

أغاثون: نعم.

سقراط: الحبّ إذن في افتقارة للجميل، يفتقر إلى الخيّر أيضاً[٢٤]؟

أغاثون: إنّني لا أستطيع أن أنقضك، يا سقراط ـ ليكن كما تقول.

سقراط: قل على الأصحّ، يا عزيزي أغاثون، إنّك لا تقدر على أن تنقض الحقيقة لأنّ سقراط يُنقض بسهولة.

وبعدُ، بما أنّني سأتركك، فإنّني سأكرّر قصّة الحبّ التي سمعتها من ديوتيما من مانتيني. إنّها امرأة حكيمة في هذا وفي أنواع متعدّدة أخرى من أنواع المعرفة، وهي التي أعاقت المرض عشر سنين في الأيام القديمة، عندما قدّم الأثينيون تضحية قبل أن يحلّ بهم مرض الطاعون. إن ديوتيما كانت معلّمتي في فنّ الحبّ، وسأحاول بأفضل ما أستطيع أن أعيد لكم ما قالته لي، مبتدئاً من الفرضيّات التي آتفقت وأغاثون عليها؛ سأفعل أفضل ما أقدر عليه بدون أيّة مساعدة[٢٥]. كما اقترحتَ أنت، يا أغاثون، إنّه لمناسب أن نتكلّم أولاً عن تكوين وطبيعة الحبّ، ومن ثمّ عن عمله. « أتصوّر بأنّه سيكون من الأسهل لي إذا إتّبعت في إعادة سردي لمحادثتي مع المرأة الحكيمة، طريقتها الحقيقيّة للسؤال والجواب ». قلت لها أوّلاً بالكلمات عينها

تقريباً التي استعملها معي أغاثون، قلت بأنّ الحبّ كان إلهاً جباراً، وأنّه جميل بشكل مماثل. وهي برهنت لي، كما برهنت أنا لها، أنّ الحبّ لم يكن جميلاً ولا خيِّراً بما بيّنتُهُ. « ماذا تعنين، يا ديوتيما » قلتُ لها، « هل الحبّ إذن شر وشناعة؟ » « صه » صرخت هي؛ « أيجب أن يكون شنيعاً ذلك الذي لا يكون جميلاً »؟ « بدون ريب » قلت أنا. « وهل يكون جاهلاً الذي لا يكون عاقلاً؟ ألا ترى أنتَ أن هناك شيئاً وسطاً بين الحكمة والجهل؟ ». « وماذا يمكن أن يكون ذلك؟ » قلتُ أنا. « الرأي الحقّ »، أجابت هي؛ « الذي كما تعرف، بما أنه غير قادر على إعطاء سبب، فليس معرفة »، « إذ كيف تستطيع المعرفة أن تكون خلواً من السبب؟ » ولا الجهل مرّة ثانية « وكذلك لا يقدر الجهل أن يصل إلى الحقيقة »، بل يكون شيئاً ما وسطاً بين الجهل والحكمة بوضوح. « حقيقيّ تماماً » أجبتُ أنا، « لا تُصرّ إذن » قالت هي « على أنّ الذي لا يكون جميلاً وخيِّراً فهو لذلك شناعة وشرّ، لأنّه يكون وسطاً بينهما ». « حسناً »، قلت أنا، « الحبّ يعترف به الجميع أنّه إله عظيم ». قالت: « بأولئك الذي يعرفون أو بأولئك الذين لا يعرفون؟ » أجبتها: « بالجميع ». « وكيف، يا سقراط » قالتها بابتسامة « كيف يستطيع الحبّ أن يحصل على الاعتراف بأنّه إله عظيم من قِبَل أولئك الذين يقولون إنّه ليس إلهاً على الإطلاق؟» « ومَن هم؟ » قلت أنا، « أنت وأنا اثنان منهم »، أجابت هي. « كيف يمكن أن يكون هذا؟ » قلت أنا، « إنّ ذلك مفهوم تماماً »، أجابت هي، « لأنّك أنت نفسك سوف تعترف أنّ الآلهة هم سعداء وجميلون ـ طبعاً ستفعل ذلك ـ هل ستجرؤ على القول بأنّ أيّ إله لم يكن هكذا؟»، « لا بالتأكيد »، أجبتُ أنا، « وتعني أنت بالسعداء، أولئك الذين يمتلكون أشياء خيِّرة وجميلة؟ ». « نعم ». « واعترفتَ أنت أنّ الحبّ، لأنه كان في عَوَزٍ، يرغب تلك الأشياء الخيِّرة

والجميلة التي يفتقر إليها؟ ». « نعم، إنّني فعلت ». « لكن كيف يمكن أن يكون إلهاً ذلك الذي لا يمتلك حصّة في الذي هو خيّر وجميل؟ ». « مستحيل ». « ألا ترى أنتَ إذن أنّك تنكر ألوهية الحبّ أيضاً »؟ سألت « ماذا يكون الحبّ؟ » سألت أنا؛ « هل يكون فانياً؟ ». « لا » « ماذا إذن؟ ». « كما في المثال السابق كذلك الآن، إنّه ليس بفانٍ ولا خالد، بل في توسّطٍ بين الاثنين ». « ما هو، يا ديوتيما؟ » « إنه نفسٌ عظيمة»، « وهو مثل كلّ النفوس يكون توسّطاً بين الإلهي والفاني ». « وما هي قوته؟ » قلت أنا. « إنّه يؤوّل بين الألهة والرجال، ناقلاً ومعيداً صلوات وتضحيات الرجال إلى الآلهة، وإلى الرجال أوامر الآلهة والمنافع بالمقابل، إنّه الوسيط الذي يمتدّ فوق الهوّة التي تفصل بينهم، ولهذا السبب فإنّ العالم كلّه مرتبطِ به معاً، ومن خلاله وبواسطته تجد فنون النبيّ والكاهن، تضحياتهم وأسرارهم المحفوفة بالغموض، تجد بواسطته طريقها. إنّ الله لا يختلط مع الإنسان؛ بل بواسطة الحبّ يستمرّ كلّ اتصال، وكذلك حديث الآلهة مع الرجال، سواء أكانوا قعوداً أو نياماً. إنّ الحكمة التي تفهم هذا الشيء هي حكمة روحانيّة؛ وكل حكمة أخرى، مثل تلك التي للفنون والأشغال اليدويّة هي دنيئة ومبتذلة. وبعدُ فإنّ هذه النفوس أو القوى المتوسّطة عديدة ومختلفة، والحبّ واحدٌ منها ». « ومن هو أبوه ومن هي أمه؟ » قلت أنا. « القصة » قالت هي، « ستستغرق وقتاً لسردها؛ وسأخبرك إيّاها بالرّغم من ذلك. في اليوم الذي وُلدت فيه أفروديت أُقيمت وليمة للآلهة كلّهم، وكان من بينهم الإله بوروس أو الوفرة، الذي هو ابن ميتيس أوَ الحكمة. وعندما انتهت الوليمة، فإن بينيا أو الفقر وقفت على الأبواب كي تستعطي، كما هي العادة في مناسبات كهذه. والآن فإنّ الوفرة الذي كان الأسوأ لناكتار « لم يوجد نبيذ في تلك الأيّام »، ذهب إلى حديقة زيوس واستسلم لنوم عميق؛ وبما أنّ

الفقر اعتبرت أنّه لم يوجد عندها وفرة، تآمرت على أن تنجب طفلاً منه. وبناء على ذلك اضطجعت بجنبه وحملت منه، لأنّه محبٌ للجميل بشكل طبيعيّ وجزئيّاً، ولأن أفروديت هي ذاتها جميلة، وبسبب أنّ مولودها وُلد أثناء الاحتفال بوليمة ولادتها أيضاً، ويكون رفيقها وخادمها وكما هو أصله، هكذا هي حظوظه أيضاً. إنّه فقير على الدوام في المقام الأول، وهو أيّ شيء سوى الرقّة والجمال، كما يتصوّره العديدون؛ وهو خشن وزَرِيٌّ وليس لديه حذاءٌ ينتعله، أو بيت يأوي إليه. إنّه يتمدّد على الأرض العارية مكشوفاً تحت السماء، في الشوارع، أو عند أبواب البيوت. هناك يرتاح، وهو مثل أمّه في كرب وضيق على الدوام. وهو مثل أبيه أيضاً، يشبهه بشكل جزئيٍّ كذلك. إنّه متآمر ضدّ الجميل والخيِّر بشكل دائم. إنّه جسور، مقدام، قويّ، صيّاد جبّار، محيك لخدعةٍ ما أو لأخرى على الدوام، حاذق في تعقّبه للحكمة، خصب في الموارد، فيلسوف في كل الأوقات، رهيب كعرّاف، ساحر، سوفسطائيّ. إنّه يكون بالطبيعة لا فانياً ولا خالداً، بل حيٌّ ومزدهر في لحظة عندما يكون في وفرة، وميّت في لحظة أخرى في اليوم عينه، ومحيّياً مرة ثانية بسبب طبيعة أبيه. لكنّ ذلك الذي يتدفّق إلى الداخل دائماً يتدفق إلى الخارج على الدوام، وهكذا فإنّه ليس في عَوَزٍ قط ولا في غنى أبداً؛ وأبعد من ذلك، فإنّه يكون وسطاً بين الجهل والمعرفة. إنّ حقيقية المسألة هي هكذا: لا إله يكون فيلسوفاً أو طالب حكمة، لأنّه حكيم من قبلُ. لا، ولا يطلب الجهلة الحكمة، وهنا يكمن شرّ الجهل، وشرّه أنّ الإنسان الذي لا يكون شريفاً ولا حكيماً يقتنع بنفسه وبما لديه بالرغم من هذا. « لا رغبة حيث لا شعور بالحاجة ». سألتها: « لكن من هو الحكيم إذن، يا ديوتيما؟ من هم محبّو الحكمة، إذا لم يكونوا الحكماء ولا الأغبياء؟ » أجابت. « طفل يمكنه أن يجيب على ذلك السؤال، إنّهم أولئك

الذين يكونون في وسط بين الاثنين؛ الحبّ هو واحد منهم. إنّ الحكمة هي الشيء الأكثر جمالاً، ويكون الحبّ للجمال؛ ولهذا السبب فإنّ الحبّ هو فيلسوف أو محبّ للحكمة، وكونه محبّاً للحكمة يكون في وسط بين العاقل والجاهل. ولهذا، فإنّ ولادته هي السبب أيضاً في ذلك؛ فأبوه غنيّ وحكيم، وأمّه فقيرة وغبيّة. تلك هي طبيعة ونفس الحبّ، يا عزيزي سقراط. إنّ خطأك في تصوّره كان خطأً طبيعياً جدّاً. أستنتج ممّا قلته أنت نفسك أنّه نشأ لأنّك اعتقدت بأنّ الحبّ هو ذلك الذي يُحَبُّ وليس ذلك الذي يُحِبّ. وإنّني لهذا السبب أعتقد أنّ الحب يظهر لك أنّه جميل، بشكل سامٍ. إنّ المحبوب هو الجميل الحقيقيّ، وهو مرهف، كامل، ومبارك؛ لكنّ المبدأ الفعليّ للحبّ هو من طبيعة مختلفة وهو كما وصفته ».

قلت لها: « أوه أيّتها المرأة الغريبة، إنّ ما قلتِهِ جيّدٌ؛ لكن لنفترض أنّ الحبّ يكون كما ترتئين، فما هي فائدته للرجال؟ ». أجابت: « سأحاول كشف ذلك، يا سقراط. إنّني تكلّمت مسبقاً عن طبيعته وولادته، وتعترف أنت بأنّ الحبّ هو حبّ الجميل. لكن شخصاً ما سيقول: ماذا يكمن في الحبّ، يا سقراط وديوتيما؟ - أو على الأصح دعني أطرح السؤال بشكل أوضح، وأقول: عندما يحبُّ إنسان الجميل، فماذا يرغب حبّه »؟ أجبتها: « إنّ الجميل يمكن أن يكون الجميل له ». قالت: « يبقى، أنّ الجواب يوحي بسؤال أبعد: ما الذي يُعطى بامتلاك الجمال »؟ أجبتها: « إنّ السؤال الذي طرحتِه ليس لديّ جواب جاهز له ». قالت: « دعني أضع الكلمة « خير » في مكان الجميل، وأكرّر السؤال مرّة ثانية: إذا كان هو الذي يحبّ الخير، فما هو الذي يحبه حينئذ »؟ « امتلاك الخير ». « وماذا يربح الذي يمتلك الخير »؟ « السعادة » أجبتها أنا؛ « هناك صعوبة أقلّ في الإجابة على ذلك السؤال ». قالت: « نعم، إنّ السعداء، يُجعلون سعداء باكتساب الأشياء

الخيِّرة، ولا توجد أيّة حاجة لتسأل لماذا يرغب إنسان السعادة؛ إنّ الإجابة على هذا السؤال تصبح واضحة الآن ». قلت لها: « إنّكِ لمحقّة، يا ديوتيما ». أجابت: « وهل يكون هذا التمنّي وهذه الرغبة مشتركة بالجميع وللجميع؟ وهل يتوق الرجال جميعهم لشوقها الخاصّ بها على الدوام، أو لبعضه فقط؟ فماذا تقول، يا سقراط »؟ أجبتها: « كلّ الرجال يتوقون لذلك، إنّ الرغبة يشترك فيها الجميع ». ردَّت هي: « لماذا لا يكون كل الرجال إذن، يا سقراط، مشيرين إلى الحبّ، بل لبعضهم بعض فقط؟ في حين تقول أنت إنّ كلّ الرجال يحبّون الاشياء عينها على الدوام ». قلت لها: « إنّني أنا نفسي أتعجب، لماذا يكون هذا »؟ أجابت هي: « لا يوجد شيء لتنشده فيه، والسبب هو أن جزءاً واحداً من الحبّ يكون منفصلاً ويتلقّى الإسم من الجميع، لكنّ الأقسام الأخرى لها أسماء مغايرة ». قلت لها: « اعطيني توضيحاً ». أجابتني كما يلي: « كما تعرف هناك فاعليّة إبداعيّة، معقَّدة ومتعدّدة. ذلك كلّه بسبّب الانتقال من اللاّوجود إلى الوجود الذي يكون « شعراً » أو خلقاً، والعمليّات لكلّ الفنون هي عمليّات إبداعيّة، وأسياد الفنون هم كلّهم شعراء أو مبدعون ». أجبتها: « جيّد جداً ». استطردت قائلة: « يبقى، أنت تعلم أنّهم لا يُسمُّون شعراء، بل لهم أسماء أخرى؛ إنّ ذلك الجزء من الفاعلية الإبداعيّة فقط الذي يكون مفصولاً عن الباقي والذي يختصّ بعلم الموسيقى ووزن الألحان، إن ذلك الجزء يدعى بإسم الكل ويسمّى قصيدة، وأولئك الذين يمتلكون قصائد في هذا المعنى للكلمة يُسمُّون شعراء ». قلت لها: « حقيقي تماماً ». واصلت تقول: « ويثبت الشيء عينه عن الحبّ. لأنّه لا يمكنك أن تقول بشكل عامّ إنّ كلّ رغبة بالخير والسعادة تكون القوة الحاذقة والعظيمة للحبّ؛ لكنّهم هم الذين يُجذبون نحوه بأيّ مسلكٍ آخر سواء إذا كان طريق جمع المال أو الألعاب الرياضية أو علم

الفلسفة. إنّ كل هؤلاء لا يُدعون محبّين: إنّ الإسم للكلّ يكون مناسباً لأولئك الذين تأخذ رغبتهم شكلاً واحداً فقط ـ وهم وحدهم يقال إنّهم يحبّون، أو أن يكونوا محبّين ». أجبتها: « أجرؤ على القول، بأنّك على حقّ ». أضافت تقول: « نعم، وأنت تسمع النّاس يقولون إنّ المحبين يبحثون عن نصفهم الآخر ويتوقون إليه؛ لكنّني أقول إنّهم لا يبحثون عن نصف أنفسهم ولا عن الكلّ، ما لم يكن النصف أو الكلّ خيّراً أيضاً؛ الرجال سيقطعون أيديهم وأقدامهم ويرمونها بعيداً، إذا اعتقدوا أنها شرّ. أتصوّر، أن كلاًّ منهم لا يلتصق بالذي يخصّه، إلاّ إذا وُجد شخص ما بالصدفة يُسمّي ذلك الذي يخصّه الخير، وما يخصّ الآخر الشرّ، إذ لا شيء يحبّه الرجال سوى الخير. هل هناك أي شيء آخر »؟ أجبتها: « بالتأكيد. عليَّ أن أقول، إنّه لا يوجد أيّ شيء آخر ». قالت: « إذن، فإنّ الحقيقة البسيطة هي، أنّ الرجال يحبون الخير ». أجبتها: « نعم ». استطردت قائلة: « يجب أن يضاف لذلك أنّهم يحبّون امتلاك الخير ». أجبتها: « نعم، ينبغي أن يضاف ذلك ». وواصلت تقول: « وليس امتلاك الخير فقط، بل امتلاك الخير أبديّاً ». أجبتها: « يلزم أن يضاف هذا أيضاً ». قالت: « يمكن وصف الحبّ إذن بشكل عامّ كأنّه الحبّ الأبديّ السرمديّ لامتلاك الخير ». أجبتها: « إنّ ذلك هو الأكثر حقيقة ».

واصلت هي قائلة: « إذا كانت هذه هي طبيعة الحبّ على الدوام، هل تستطيع أن تخبرني، بالإضافة إلى ذلك، ما هو نهج أو سلوك هذه الملاحقة؟ ماذا يفعل أولئك الذين يُبدون كلّ هذا الشّغف والحرارة التي تدعى الحبّ؟ وما هو الهدف الذي يمتلكونه في فكرتهم؟ أجبني، يا سقراط ». قلت لها: « لا، يا ديوتيما، إذا عرفت ذلك فلن أكون متسائلاً عن حكمتك، ولا كان يلزمني أن آتي إليك لأتعلّم منك بشأن هذه المسألة بالذات ». أجابتني:

« حسناً، إنّني سأعلّمك. إنّ الهدف الماثل في فكرتهم هو الولادة في الجمال، سواء إذا كانت الولادة في الروح أو الجسد ». قلت لها: « إنّي لا أفهمك، إنّ الوحي يحتاج إلى إيضاح ». أجابتني: « سأجعل معناي أوضح، أعني، أنّ الرجال كلّهم يكونون مُخضَرِين إلى الولادة في أجسامهم وفي أرواحهم. هناك العُمُر الذي تكون الطبيعة الإنسانية فيه راغبة في الإنجاب ـ الولادة الّتي يجب أن تكون في الجمال وليس في التشوّه. إنّ اتّحاد الرجل والمرأة هو إنجابٌ. وهو شيء إلٰهي، لأنّ الحمل والتوليد هما مبدآن خالدان في المخلوق الفاني، ولا يمكنهما أن يكونا في اللامتناسق على الإطلاق. لكنّ المشوَّه يكون لا متناسقاً مع كل ما هو إلهي، ومع الجميل المتناسق. الجمال إذن، هو القضاء والقَدَر أو الإلهة أو المخاض الذي يترأّس على الحبّ. ولهذا السبب، فإنّ قوة الإنجاب تكون ملائمة، عند اقتراب الجمال، وهي غالية، وكريمة، وتحمل وتنجب ثماراً، لكنّها تعبس وتنكمش عند رؤية القبح، وتتملّكها حاسّة ألم، وتنصرف، وتضمر، وتمتنع عن الإنجاب لكن ليس بدون ألمٍ حادٍّ مفاجيء. والسّبب أنّه عندما تحين ساعة الإنجاب، وتكون طبيعة الحمل ممتلئة، يوجد هكذا انفعال ونشوة بشأن الجمال الذي يكون اقترابه سبب تلطيف العذاب وألمه المرّ. إنّ الحبّ، يا سقراط، ليس كما تتخيّل، حبُّ الجمال فقط ». سألتُها: « ما هو إذن »؟ أجابت: « إنّه حبّ النشوة والولادة في الحبّ ». قلت لها: «نعم، نعم حقاً ». استطردت تقول: « لكنْ لماذا النشوء؟ لأنّ النشوء هو نوع من الخلود والبقاء للمخلوق الفاني، وإذا كان الحبّ امتلاك الخلود سرمديّاً، كما قد تمّ الاعتراف بهذا سابقاً، فإنّ كلّ الرجال سيرغبون الخلود مع الخير بالضرورة؛ لذلك يتبع أنّ الحبّ يجب أن يكون حباً للخلود ».

إنّ ديوتيما علّمتني كلّ هذا في أوقات مختلفة حينما تكلّمت عن الحبّ.

وتذكّرتها مرّة تقول: « ما هو سبب الحبّ، يا سقراط، وما هي الرغبة الناشئة عنه؟ ألا ترى أنت كيف أنّ كلّ الحيوانات، الطيور كما البهائم، هي في صراع عنيف، لرغبتها في الإنجاب عندما تصاب بعدوى الحبّ، الذي يبدأ بالتّوق للاتّحاد ويمرّ في العناية بالنسل، حيث الأضعف جاهز كي يحارب الأقوى من أجله بأقصى قوّته، ولأن يموت دفاعاً عنه كذلك. وستدع هذه الحيوانات أنفسها تُعذّب جوعاً، أو أنّها ستقدّم أيّة تضحية أخرى كي تبقي على صغارها. ولا شكّ أنّ الإنسان يفعل ذلك لسبب عقلاني، لكن لِمَ ينبغي أن تمتلك الحيوانات هذا الشعور العاطفيّ؟ هل تستطيع أن تخبرني لماذا؟ ». أجبتها، مرّةً ثانية، بأنّني لا أعرف. قالت لي: « وهل تتوقّع أن تصبح سيّداً في فنّ الحبّ، إنْ لم تعرف هذا؟ ». « لكنّني أخبرتُكِ مسبقاً يا ديوتيما، أنّ جهلي هذا هو السبب الذي من أجله أتيتُ إليكِ، فأنا واعٍ بأنّي أريد معلّماً. قولي لي إذن السّبب لهذا ولأسرار الحبّ الأخرى ». قالت: « لا تتعجّب إذا اعتقدت بأنّ الحبّ حبّ الخلود، كما اعترفنا بذلك مرّات عديدة لأنّه هنا مرة ثانية، وعلى المبدأ عينه أيضاً، تنشد الطبيعة الفانية لأن تكون سرمديّة وخالدة قدر الإمكان. وهذا يمكن الوصول إليه بالنشوء أو التولّد، لأنّ النشوء يترك خلفه وجوداً جديداً ومختلفاً في المكان القديم على الدوام. ليس هذا فحسب، حتّى أنّ هناك تتابعاً في حياة الفرد ذاته وليس هناك اتّساق كلّيّ: يدعى إنسان الشيء نفسه، وعلاوة على ذلك، فإنّه يكون في الفاصل الزمنيّ بين الشباب والشيخوخة، الذي يقال إنّ كلّ حيوان يمتلك خلالهما حياة وذاتيّة، وهو يجتاز عمليّة مستمرّة للخسارة والتعويض: شعره، لحمه، عظامه، دمه، وجسمه بكامله متغيّر على الدوام. وليس هذا حقيقيّاً عن الجسد فقط، بل عن الروح أيضاً، التي لا تبقى عاداتها، مزاجاتها، آراؤها، رغباتها، ملذّاتها، آلامها، مخاوفها، لا تبقى كما

هي في أيّ واحد فينا، بل هي آتية وذاهبة باستمرار. وما يبقى أكثر انشداهاً، يكون أكثر حقيقةً عن العلم بشكل متساوٍ. إنّ بعض العلوم لا تأتي إلى الحياة في عقولنا فقط، وتضمحلّ الأخرى. هكذا فإنّنا نحن لسنا الشيءْ عينه أبداً في اعتبارها أيضاً، بل إنّ المصير عينه يحدث لكلٍّ منها على انفراد. إذ ماذا يُفهم ضمنيّاً في الكلمة « التذكّر »، سوى مغادرة المعرفة، تلك المعرفة التي تكون منسيّةً أبداً، وهي تُجدَّد وتُصان بالتذكّر، وتظهر لتكون الشيء عينه مع أنّها جديدة في الحقيقة، طبقاً لذلك القانون الذي تُحفظ بواسطته كلّ الأشياء الفانية، ليس بالشيء عينه بشكل مطلق، بل بالتبديل. إنّ الفنائيّة القديمة الرثّة تترك خلفها وجوداً آخر جديداً ومتشابهاً - وهذا الوجود غير شبيه بالإلهي الذي يكون كلاً والشيء عينه سرمديّاً. وفي هذه الطريقة، يا سقراط، يشترك الجسد الفاني، أو أيّ شيء آخر فانٍ، يشترك في الخلود؛ لكنّه الخلود بطريقة أخرى. لا تنشده إذن في الحبّ الذي يمتلك كلّ الرجال نسلهم بواسطته؛ لأنّ ذلك الحبّ العالميّ والولوع يكون من أجل الخلود ».

أذهلتني كلماتها، وقلت لها: « أيكون هذا حقيقيّاً، أوه يا ديوتيما الأكثر حكمة »؟ وأجابتني هي بكل القوّة المقنعة لسوفسطائيّ بارع وقالت: « يمكنك أن تتأكّد من ذلك، يا سقراط. فكّر فقط في طموح الرجال، ولسوف تتعجّب من طرائقهم التي يتبعونها والّتي لا معنى لها. تأمّل مليّاً كيف أنّهم يهيّجهم حبّ الشهرة المتّقدّ. هُمُ جاهزون كي يجازفوا بأنفسهم ويقطعوا كلّ المسالك الوعرة، حتّى أصعب من تلك التي سيخوضونها من أجل أطفالهم، وهم مستعدّون كي يغدقوا المال ويتحمّلوا أيّ نوع من أنواع الكدح والعناء، وحتى الموت لأنّهم إذا فعلوا ذلك فسيتركون خلفهم إسماً خالداً. هل تتصوّر أنّ ألكستيس كان سيموت لينقذ أدميتوس، أو أنّ أخيل

كان سيثأر لباتروكلس، أو أنّ كودروس الذي يخصّك فعل ما فعله كي يصون مملكة أولاده ويحفظها؟ هل تعتقد أنّهم كانوا سيفعلون ذلك، إذا لم يتصوّروا جميعهم أنّ ذكرى فضائلهم التي لا تزال باقيةً بيننا. ستكون خالدة »؟ أضافت قائلة: « لا، إنّني لمقتنعة بأنّ كلّ الرجال يفعلون الأشياء كلّها، وأكثر ما يفعلون أفضلها، على أمل الحصول على الشهرة المجيدة التي تغدقها الفضيلة الخالدة، لأنّهم يرغبون الخالد ».

« إنّ أولئك الحُبالى في الجسد فقط يذهبون إلى النساء بأنفسهم وينجبون الأطفال - هذه هي ميزة حبّهم. إنّ ذريّتهم سوف تحفظ ذكراهم، كما يأملون، وتعطيهم البركة والنعمة والخلود الذي يرغبون لكلّ الزمن المستقبلي. لكنّ الأرواح الحُبلى - إذ هناك رجال هم أكثر إبداعاً في أرواحهم ممّا هم في أجسامهم بكلّ تأكيد، إنّهم إبداعيون في ذلك الذي يكون مناسباً للروح كي تحمل وتلد. وإذا ما سألتني، يا سقراط، ما هي هذه المفاهيم، فإنّني أجيبك بأنّها الحكمة والفضيلة بشكلٍ عام. إنّ كلّ الشعراء الإبداعيين وكلّ الفنانين الذين يستحقّون إسم المبدِع هم موجودون بين أرواحٍ كهذه. لكنّ النوع الأعظم والأجمل للحكمة يبعدٍ كبير هو ذلك النوع الذي يختصّ بتنظيم الدول والعائلات، والذي يدعى الاعتدال والعدل. والذي امتلك هذه البذور مزروعة في روحه في سنّ الفتوّة، فإنّه عندما يكبر ويصل إلى سنّ التّضج يرغب في أن ينجب ويتوالد. إنّه يطوف هنا وهناك ناشداً الجمال كي يتمكّن من أن يلد ذريّة - لأنّه لن ينجب أيّ شيء من التشوّه - وهو يحتضن الجسد الجميل بدلاً من الجسدِ المشوّهِ بطبيعة الحال؛ وفوق الجميع، عندما يجد روحاً جميلة ونبيلة وحسنة التربية، فإنّه يحتضن الرّوحين في شخصٍ واحد، وشخص كهذا يمتلىء بالحديث عن الفضيلة وطبيعة وممارسات الإنسان الصالح، ويحاول أن يثقّفه. إنّه يثمر ذلك الذي كوّن عنه

فكرة من قبلُ، وذلك عند ملامسة وفي عشرة الجميل الحاضر في فكره على الدوام، بل إنّه يفعل ذلك حتى في غيابه؛ وهو يعتني بذلك الذي أثمره في صحبته، وهما متزاوجان ومرتبطان برباط أقرب من أيّ رباط آخر بكثير، ويمتلكان صداقة أقرب من صداقة أولئك الذين يلدون أطفالاً غير خالدين، لأنَّ أطفالهما الذين يكونون ذريَّتهما المشتركة هم أجمل وأكثر خلوداً. مَن هو الذي، عندما يفتكر بهوميروس وهيسيود وببقيّة الشعراء العظام، لا يرغب في امتلاك أطفال شبيهة بأطفالهم، بدلاً من حيازة أطفال كأطفال الناس العاديين؟ من ذا الذي لن يتشبه بهما في إنجاب أطفالٍ كأطفالهما، الذين صانوا وحفظوا ذكراهما وأعطوهما مجداً أبديّاً. ومن ذا الذي يرفض أن يمتلك هكذا أطفال كليغاركوس، تحدّروا منه كي يكونوا المنقذين ليس للاقيدايمونيا فقط، بل لهيلاس كلّها، كما يمكن لشخص أن يقول؟ هناك صولون أيضاً، الذي هو الأب المبجّل والذي أوجد قوانين أثينا؛ وهناك مشرّعون آخرون في أماكن عديدة أخرى، بين الهيلينيين وبين البربر على حدّ سواء، والذين أعطوا العالم أعمالاً نبيلة متعددة، وقد كانوا آباءً للفضيلة من كلّ نوع؛ وشُيِّد العديد من المعابد إكراماً لهم ومن أجل أطفال كأطفالهم، والتي لم تُبْنَ في تكريم أيّ شخص قطّ، أو من أجل أطفاله الفانين.

« إنّ هذه الأسرار هي أسرار الحبّ الأقلّ، الذي يمكنك حتى أنت أن تلجها، يا سقراط؛ تلك الأسرار التي ستقودك إلى أسرار أعظم وأكثر خفية وهي تاجها كلها. لكنّك إذا تعقّبتها بنفسيّة سليمة، فإنني لا أعرف إذا ما كنت بقادرٍ على أن تبلغها، غير أنّني سأبذل قصارى جهدي كي أخبرك عنها، واتبعني إذا استطعت. إذ، مَن يتقدم على نحوٍ صحيح في هذه المسألة عليه أن يبدأ في سنّ فتوّته ليطلب صحبة الجمال الجسدي؛ وبادىء ذي بدء، إذا أرشده معلمه على نحو سليم، ليحبّ جسماً واحداً جميلاً فقط ـ

يلزمه خارجاً من ذلك أن يخلق أفكاراً جميلة، ولسوف يدرك بنفسه قريباً أنّ جمال جسم ما يماثل جمال جسم آخر؛ وحينئذ إذا كان جمال الشكل هو ما يلاحقه بشكل عامّ، فكم سيكون غبيّاً إذا لم يدرك أنّ الجمال في كلّ جسم هو واحد والشيء عينه! وعندما يدرك هذا فسيضع حدّاً لحبّه العنيف للجسم الواحد الذي سيستخفّ به ويعتبره شيئاً صغيراً، وسيصبح محبّاً ثابتاً وفيّاً لكلّ الأجسام الجميلة. وسيتأمّل مليّاً في المرحلة التالية أنّ الجمال الروحيّ هو أكثر نفاسة من جمال الشكل الخارجي؛ حتى إنْ لم تمتلك روح فاضلة سوى وَسَامة قليلة، سيكون قانعاً بحبّها ورعايتها والميل إليها، وسيبحث بدقّة، عن الأفكار التي يمكن أن تحسّن الشباب وسيبتدعها حتّى يُجبَر تالياً على أن يتأمّل مليّاً ويرى الجمال في العادات وفي النظم الاجتماعيّة وفي القوانين، وليفهم أنّ جمالها كلّها يكون من عائلة واحدة، وأنّ الجمال الشخصيّ ليس إلاّ جمالاً طفيفاً؛ وسيقوده هاديه إلى العلوم بعد العادات والنظم الاجتماعية، كي يتمكّن من مشاهدة المنطقة الفسيحة التي شغلها الجمال من قبلُ. يمكنه بعدئذ أن ينقطع ليكون شبيهاً بخادمِ لحبٍّ واحد فقط، لحبّ شابّ معيّن أو إنسانٍ أو مجتمع، ولن يرضى بأن يكون عبداً حقيراً وضيّق الأفق؛ بل سيتّجه نحو البحر الواسع من الجمال ويستغرق تأمّلاً فيه، وسيبدع العديد من الأفكار والمحادثات الجميلة والنبيلة في حبٍّ غير محدودٍ للحكمة، إلى أن يترعرع على ذلك الشاطىء ويصبح قويّاً. وأخيراً فإنّ الرؤيا تكشف له عن عِلمٍ واحدٍ فردٍ فقط، هو علم الجمال في كلّ مكان. إلى هذا العلم سأتقدم؛ إعطني من فضلك أجود انتباهك تماماً.

« إنّ مَن قد تدرّب لهذه الدرجة في أشياء الحب، ومَن تعلّم ليرى الجمال في نظام مناسب بالتسلسل، سيدرك طبيعةً ذات جمالٍ خلاّب عندما يصل إلى النهاية. وهذا، يا سقراط، هو السبب النهائي لكلّ أعمالنا الشاقّة السالفة.

إنّها طبيعة أبديَّة في المقام الأوّل، لا تعرف الولادة أو الموت، النموّ أو الفساد. ثانياً، إنّها لا تكون جميلة في وجهة نظرٍ وبشعة في أخرى، أو أنّها تكون جميلة في وقت أو في علاقة أو في مكان، وقبيحة في وقت آخر أو في نسبة أخرى أو في مكانٍ ثانٍ، كما لو أنّها كانت جميلة للبعض وذميمة إلى الآخرين، أو في شَبَهٍ للوجه أو لليدين أو لأيّ جزء آخر من أجزاء الجسم الإنساني، أو في شكلٍ من أشكال الكلام أو المعرفة، أو أنّها طبيعة موجودة في أيّ مخلوق فرديّ، كمثال، في المخلوق الحيّ، سواء أكان في السماء، أو على الأرض، أو كان في أيّ مكان آخر؛ بل إنّه جمال محض، منفصل، بسيط، وأزليّ، جمال يضفي على الجمالات الناشئة والفانية كلّ الاشياء الجميلةّ أبداً، بدون أن يقاسي هو ذاته نقصاناً، أو زيادة، أو تغييراً. إنّ من يسمو من هذه الأشياء الأرضيَّة تحت تأثير الحبّ الحقيقيّ، يجب أن يبدأ من الجمالات الأرضيَّة ويرتفع إلى أعلى من أجل ذلك الجمال الآخر، مستخدماً هذه الجمالات الأرضيّة كدرجاتٍ فقط، ويرتقي صُعداً من واحدتها إلى الثانية، ومن الثانية إلى كلّ الأشكال الجسديَّة الجميلة، ومن الأُشكال الجسدية الجميلة إلى الممارسات الجميلة، ومن الممارسات الجميلة إلى العلوم الجميلة، إلى أن يصل من العلوم الجميلة إلى العلم الذي تكلّمت عنه من قبلُ، العلم الذي ليس له هدف أو غاية أخرى غير الجمال المحض، ويعرف أخيراً ذلك الذي يكون جميلاً بذاته فقط ». ثم استطردت الغريبة من مانتيني قائلة: « إنّ هذه الحياة، يا عزيزي سقراط، هي الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان فوق كلّ الحيوات الأخرى، حياة في تأمّل الجمال المحض؛ إنه الجمال الذي اذا ما شاهدته لمرة، فلن تُرى بعدها في أثر مقياس الذهب والأثواب وجمال الأولاد والشباب الذين يسلب لبّك حضورهم الآن؛ وستكون أنت وسيكون العديد قانعين كي يعيشوا لمشاهدتهم فقط

ومحادثتهم بدون طعام أو شراب، إذا كان ذلك ممكناً ـ تريد أنت أن تنظر إليهم وأن تكون معهم. لكن ماذا إذا كان لدى الإنسان عيون لترى الجمال الحقيقي ـ الجمال الإلهي، أعني، الجمال النقيّ والصافي وغير المزيّف، الجمال اللامدنّس بالتلوّث الجسديّ وبكلّ ألوان وتفاهات الحياة الفانية ـ ناظراً إلى هناك، ومجرياً محادثة مع الجمال الحقيقيّ البسيط الإلهي؟ تذكّر كيف أنّك في تلك المشاركة فقط، تشاهد بواسطة الذي يمكن أن يُشَاهَد مع ذلك، ومَنْ يُشاهد سيتمكّن مِن أن يثمر أو يولّد، ليس صور الجمال، بل الحقائق لأنّه لا يملك الصورة بل الحقيقة، وبما أنّه يولّد أو يثمر الفضيلة الحقيقيّة سيصبح صديق الله كما ينبغي ويكون خالداً. وإذا تمكّن الإنسان الفاني من فعل ذلك، فهل ستكون هذه الحياة حياة حقيرة؟ ».

هكذا كانت كلمات ديوتيما، يا فيدروس. وأنا لا أخاطبك فقط بل أخاطبكم جميعاً، وإنّني لمقتنعٌ بصدقها وصحّتها. وكوني مقتنعاً بها، فإنّي أحاول أن أقنع الآخرين، وهو أنّ في بلوغ هذه الغاية الطبيعيّة الإنسانيّة لن نجد بسهولة مساعداً أفضل من الحبّ. ولهذا السّبب، أقول أيضاً إنّ كلّ إنسان يجب أن يكرّم الحبّ كما أكرّمه أنا وأن يسير في طرقه، ويحضّ الآخرين على أن يفعلوا الشيء عينه، وأن يثني على سلطة ونفسيّة الحبّ طبقاً لمقياس قدرتي الآن وإلى الأبد.

إنّ الكلمات التي تفوّهت بها لكم، يا فايدروس، يمكن أن تسمُّوها مديح الحبّ، أو أيّ شيء آخر تحبّونه.

عندما انتهى سقراط من كلامه، أطرت المجموعة على ما قاله، وكان أريسطوفان على وشك أن يقول شيئاً ما إجابةً على التلميح الذي أشار له سقراط لكلامه الخاصّ[٢٦]، عندما قُرِع باب البيت بشكلٍ قوي ومفاجىء، وكان صوت القاصفين، وصوت الفتاة التي تعزف على الناي مسموعاً. أخبر

أغاثون الحاضرين بأن يذهبوا ويروا مَنْ هم الداخلون إلى البيت عنوة. قال: « إذا كانوا أصدقاء لنا، أدعوهم للدخول، وإلاّ، فقولوا لهم إنّ وقت الشراب انتهى ». بعد وقت قصير سمعوا صوت ألسيبيادس مدوّياً في القاعة؛ كان في حالة من السكر عظيمة، وبقي يزأر ويصيح « أين أغاثون؟ أرشدوني إلى أغاثون ». وبعد مضيّ وقت طويل اهتدى إليه، مدعوماً بالفتاة العازفة على الناي وببعض خدمه، « مرحباً، أيّها الأصدقاء » قال لهم محيِّياً، وبدا عند الباب متوَّجاً بإكليلٍ ضخمٍ من شجر اللبلاب والبنفسج، وتتدلّى من رأسه شرائط حريريّة. « هل ستسمحون لرجلٍ ثملٍ جدّاً أن يكون رفيق مرحكم الصاخب؟ أو أنّني سأتوّج أغاثون، وكان هذا قصدي من المجيء إلى هنا، ومن الذّهاب سريعاً؟ لأنّي كنت غير قادر على أن آتي البارحة، ولهذا السبب فأنا هنا اليوم أحمل على رأسي شرائط الحرير هذه، ثم أزيلها عنه، كي يمكنني أن أتوّج رأس أجمل وأعقل الرجال هذا، كما يجوز السماح لي بأن أدعوه. هل تسخرون مني لأنّني سكران؟ وبرغم ذلك فأنا أعرف جيّداً بأنّي أقول الحقيقة، ومع هذا فأنتم تستطيعون أن تضحكوا. تعالوا الآن، لقد أعلنت شروطي: فهل سأدخل؟ نعم أوْ لا؟ هل ستشربون معي؟ ». كان الجمع الموجود صاخباً وملحّاً في رجائه لأن يأخذ مكانه بينهم، ودعاه أغاثون بشكل خاصّ كي يفعل ذلك. وبناء على ذلك وجّهه الذين كانوا معه؛ وبينما كان يواصل سيره، وبما أنّه قصد أن يتوّج أغاثون، أخذ الشرائط الحريريَّة من على رأسه ووضعها نصب عينيه؛ وهكذا حُجِب عنه سقراط، الذي فسح له مجالاً كي يستمرّ في سيره، ثم شَغَلَ ألسيبيادس المكان الخالي بين أغاثون وسقراط. وبعد جلوسه عانق أغاثون وتَوَّجَهُ. إنزعْ صندله يا صبيّ، قال أغاثون، ودعه يكون ثالثنا على الأريكة.

مهما كلّف الأمر؛ لكن مَنْ سيكون الشريك الثالث في مرحنا الصاخب؟

قال ألسيبيادس، واستدار ثمّ استهلّ عمله بما أنه شاهد سقراط، وقال: يا للسماء! ما هذا؟ لماذا، إنّه سقراط! إنّك موجود هنا، وتتربّص بي على الدوام، وتنقضُّ علي انقضاضاً مفاجئاً في كلّ الأماكن والنوعيّات غير المتوقّعة، كما هي عادتك. وبعدُ، ماذا لديك لتقوله عن نفسك، ولماذا أنت تتمدّد هنا، حيث إنّني أتصوّر بأنّك خطّطت كي تجد لك مكاناً، ليس بجانب شخص مُغرَم بالمزاح أو محبٍّ للهزل مثل أريسطوفان، بل بجانب الأجمل في هذه الجماعة الموجودة.

استدار سقراط إلى أغاثون وقال: ينبغي أن أسألك كي تحميني، يا أغاثون لأنّ شوقي لهذا الإنسان قد كَبُرَ وأصبح مسألة خطيرة بالنسبة لي. بما أنّني أمسيتّ من المعجَبين به فلم يُسمَحْ لي قطّ بأن أتكلّم مع أيّ جمال آخر، أو حتّى أن أتطلّع بهم. وإنْ فعلت، فإنّه يصير معي عنيفاً بسبب الغيرة والحسد، ولا يسيء معاملتي فقط بل إنّه يستطيع إن يرفع يديه عنّي بصعوبة، ويمكنه أن يوقع الأذى بي في هذه اللحظة. أنظر في هذه الحالة من فضلك، فإمّا أن تصلح ذات البين بيننا، أو إذا حاول أن يستخدم العنف، إحمني منه، لأن فرائصي ترتعد من محاولاته الجنونية المشوبة بالعاطفة.

لا يمكن أن يكون هناك وفاق بيني وبينك أبداً، يا سقراط، قال ألسيبيادس؛ لأنّ ما قلته الآن، سأعاقبك عليه بشدّة في وقت مناسب آخر. وعليّ أن أستعطفك في هذه اللحظة، يا أغاثون، لكي تعطيني بعض هذه الشرائط الحريرية كي أتمكنّ من تتويج رأسه، رأسه الرائع العجيب - إنّني لن أدعه يشكو منّي بسبب عدم تتويجي إيّاه وإهمالي له، وهو الفاتح لكلّ الجنس البشريّ والمتغلّب عليه ببلاغته وفصاحته؛ وليس هذا لمرّة واحدة فقط، كما كانت يوم ما قبل البارحة، بل على الدوام. [عند ذلك أخذ بعض الشرائط الحريريّة وتوّج بها رأس سقراط، ثم اتّكأ على الأريكة مرّة ثانية].

وقال بعدئذ: يا أصدقائي، تبدون غير ثملين ورصينين، وهذا شيء لا يمكن أن يبقى ويستمّر؛ ينبغي أن تشربوا، لأنني مُنِحت حقّ الدخول إلى هنا بناء على هذا الاتفاق، وأنتخَبْتُ نفسي سيّداً على الوليمة إلى أن تشربوا كميّة تفي بالمراد. دعنا نحوز طاساً كبيراً، يا أغاثون، إن كان هناك واحد هنا؛ أو على الأصحّ، قال هو، موجّهاً كلامه إلى الحاضرين، أحضروا لي مبرّد النبيذ ذاك - إنّ مبرّد النبيذ الذي لمحه كان إناءً يتّسع لأكثر من ربع غالون، فملأ ذلك الإناء وأفرغه وأمر الخادم أن يملأه لسقراط مرّة ثانية. قال ألسيبيادس: لاحظوا، يا أصدقائي، أنّ هذه الخدعة البارعة التي اخترعتها لن يكون لها أيّ تأثير على سقراط لأنّه يستطيع أن يشرب أيّة كميّة من النبيذ دون أن يقارب السكر على الإطلاق. شرب سقراط القدح الذي ملأه له الخادم.

قال أريكسيماخوس: ما هذا، يا ألسيبيادس؟ ألن نتحاور أو نغنّي فوق الأقداح، بل نشرب كما لو كنّا عطاشاً بكلّ بساطة؟

أجاب ألسيبيادس: مرحى، مرحى أيّها الولد الفاضل لأبٍ أكثر حكمة وفضلاً!

قال أريكسيماخوس: أُبادلك الشيء عينه، لكن ماذا ستفعل؟

قال ألسيبيادس: إنني أترك ذلك لك كي تقرّر:

الطبيب العاقل يساوي عشرة آلاف رجل.

هل يجب عليّ أن أصف وأنتم عليكم أن تطيعوا، فماذا تريدون؟

حسناً، قال أريكسيماخوس، إنّنا أصدرنا قراراً قبل أن تظهر للعيان وهو أنّ كلّ واحد منّا يجب أن يؤلف حديثاً للثناء على الحبّ، كلٌّ بدوره، وأفضل حديث يقدر آمرؤٌ على تأليفه؛ ومرّ الدور على كل واحد منا من اليسار إلى اليمين، وبما أنّنا تكلّمنا جميعاً، وبقيت أنت من غير المتكلمين، لكنّك شربت جيّداً، فيجب عليك أن تؤدّي دورك في الكلام، وافرض على سقراط بعدئذٍ أيّ عملٍ شاقّ يسرّك، ومن ثمّ سيفعل الشيء عينه الشخص الذي إلى يمين جاره، وهكذا دواليك.

إنّ ذلك جيّد، يا أريكسيماخوس، قال ألسيبيادس؛ ومع هذا فإنّ مقارنة خطاب إنسانٍ سكرانٍ بخطابات أولئك الرجال غير الثملين والرصينين هي مقارنة عادلة بالكاد. وسأحبّ أن أعرف أيضاً، يا صديقي الحلو، إذا ما كنت تصدّق حقّاً ما قاله سقراط لتوّه الآن؛ فأنا لا أستطيع أن أؤكّد لك أنّ الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، وأنّي إذا مدحت أيّ شخص سوى نفسه في حضوره، سواء إذا كان إلهاً أو إنساناً، فإنّه سيرفع يده عني بجهدٍ جهيد.

سقراط: يا للعار.

ألسيبيادس: أمسك لسانك عن كلام كهذا، لأنّني أقسم بأنّه لا يوجد شخص آخر هنا أُثني عليه عندما تكون أنت من ضمن المجموعة.

اريكسيماخوس: حسناً إذن، إثنِ على سقراط إذا أحببت.

ألسيبيادس: ماذا ترى، يا أريكسيماخوس؟ هل سأهاجمه وأُنزل به العقاب أمامكم جميعاً؟

سقراط: ماذا أنت على وشك أن تفعل؟ هل أنت ذاهب لتثير ضحكاً أكثر، على حسابي؟

ألسيبيادس: إنّني ذاهب لأتكلّم الحقيقة، إذا ما سمحت لي.

سقراط: إنّني لا أسمح لك فقط، بل أحضُّك على أن تتكلّم الحقيقة.

ألسيبيادس: سأتكلّم في الحال إذن، وإذا قلت أيّ شيء ليس حقيقياً، يمكنك أن تقاطعني إذا ما أردت، وقُلْ « إنّ هذه كذبة »، مع أنّ قصدي هو أن أقول الحقّ. لكنّك يجب أن لا تتعجّب كما تمرّ الأشياء في فكري على كل حال؛ لأنّ التعداد الرشيق والمنظّم لكلّ صفاتك المميّزة ليس بالعمل الشاقّ، لكنّه ليس بالعمل السهل على إنسان في حالتي.

والآن، يا أولادي، فإنّني سأثني على سقراط في استعارةٍ ستبدو له أنّها رسم

كاريكاتوريٌّ، وبرغم هذا فإنّي، إن تكلّمت، لن أتكلم لأهزأ به، بل سأتكلّم من أجل الحقيقة فقط. أقول، إنّ سقراط مثل تماثيل سيليتوس النصفيّة بالضبط، والتي توضع في حوانيت مجموعة التماثيل، وفي أفواهها مزامير ونايات؛ وهي مصنوعة كي تفتح في وسطها، وفي داخلها صور للآلهة. أقول أيضاً بأنّه يشبه مارسياس الساطيري. وأنت نفسك لن تنكر، يا سقراط، أنّ وجهك يشبه الساطير(٢٧). نعم، هناك شبَهٌ بينك وبينه في نقاط أخرى أيضاً. كمثال، أنت مَرِح، كما يمكنني أن أبرهن ذلك بشواهد، وإن لم تعترف بهذا. ألست أنت عازف ناي؟ إنّك لكذلك بالتأكيد، وأنت عازف أكثر روعة ببعد كبير من مارسياس نفسه. إنّ مارسياس اعتاد أن يسحر أرواح الرجال بقوة نَفَسِهِ حقّاً، ولا يزال عازفو موسيقاه يقومون بالشيء عينه. إنّ اتساق الأصوات والألحان الأولومبيّة استُمِدَّ من مارسياس الذي علّمها. وهذه الألحان، سواء إذا عزفها سيّدٌ موسيقي عظيم أو فتاةٌ عازفة على الناي تعيسة، فإن لها من القوة ما لا يمتلكها اتساق الأصوات الأخرى؛ إنّها وحدها تمتلك الروح وتكشف متطلبات أولئك الذي يحتاجون للآلهة والطقوس السّريّة الدينية، لأنها طقوسٌ إلهيّة، لكنك تحدث التأثير عينه بكلماتك فقط، ولا تحتاج للناي! هذا هو الفرق بينك وبينه. عندما نسمع نحن أيّ متكلّم آخر، حتى إن كان متكلّماً جيّداً، فإنّه لا يؤثر فينا تأثيراً كليّاً، أو لا يسبب تأثيراً كثيراً، في حين أنّ مجرّد أجزاء من حديثك ومقاطع من كلماتك، حتّى إذا كانت ثانوية، وكيفما أعيد سردها ولو كانت غير تامّة، فإنّها تذهل كلّ إنسان وتمتلك روحه، وهكذا تفعل بكلّ امرأة وطفل يدخل ويسمعها(٢٨) ولولا خوفي أنك ستظنني سكران ميئوساً منه، فإنّني كنت سأقسم، بالإضافة إلى كلامي، بأنّ تأثيرها عليّ كان ولا يزال قويّاً على الدوام. إنّ قلبي يقفز داخل صدري عندما أسمعها أكثر ممّا

يفعله أيّ طَرِبٍ أو مَرِحٍ كوريبانتيني، وتنهمر عيناي دموعاً، وألاحظ أنّ العديد من الأناس الآخرين يتأثّرون بالطريقة عينها بدون ريب. إنّني سمعت بريكلس والخطباء العظماء الآخرين، وظننت أنّهم تكلّموا جيّداً، لكن لم يخامرني أيّ شعور مشابهٍ قطّ؛ إنّ روحي لم تهتزّ بما قالوه، لا ولم أكن غاضباً إذ فكرت بحالتي الخاصّة المتّسمة بالتقليد والمحاكاة. لكنّ مارسياس هذا غالباً ما استدرجني إلى وضع كهذا، ممّا جعلني أشعر بل شعرت وكأنّني لا أستطيع أن أطيق الحياة التي أحيا « ستعترف بهذا، يا سقراط؟ »؛ وإنّني لمدرك في هذه اللحظة بالذات بأنّي إن لم أصمّ أذنيّ قبالته، وأطير كما أفعل من صوت السّيْرَانة(٢٩)، فلمْ أستطع أن أثبت أمامه، وسيكون قدري مثل أقدار الآخرين. إنّه سيثبتني في الأرض، وسأشيخ جاثياً على قدميه، لأنّه يجعلني أعترف بأنّه يجب عليّ أن لا أحيا كما أفعل، مهملاً العديد ممّا تحتاجه روحي الخاصّة وشاغلاً نفسي بما يخصّ الأثينيين؛ ولهذا السبب فإنّني سأصمّ أذنيّ وأحبس دموعي عنه. وهو الشخص الوحيد الذي جعلني خجلاً، ويمكنكم أن تعتقدوا بأنّ هذا ليس من طبيعتي، ليس هناك شخص آخر فعل معي الشيء عينه. أعرف بأنّي لا أستطيع أن أجيبه، أو أن أقول بأنّي لا يجب أن أفعل كما يأمر، لكنّني عندما أغادر مكان وجوده فإنّ حبّ الشعبيّة تحصل على أفضل ما تستطيع الحصول عليه منّي. ولهذا السبب فإنّي أنسَلُّ خارجاً وأهرب منه. وعندما أراه فإنّي أخجل ممّا اعترفت له به، تمنّيت لو أنه كان متوفّى عدّة مرات. وبرغم هذا فأنا أعرف بأنّي سأكون أكثر تأسّفاً من كوني مسروراً لو أنه توفّي؛ وهكذا فإنّي في حيرة من أمري ماذا سأفعل بشأن هذا الإنسان.

إنّ هذا هو ما قاسيت وما عاناه الآخرون من عازف القيثارة لهذا الساطير. ومع ذلك استمعوا إليّ مرّة أخرى لأريكم كيف هي صورته دقيقة، وكم

هي قوّته عجيبة. كونوا متأكّدين من أن لا أحد منكم يعرفه، غير أنّي سأكشفه لكم، بما أنّي ابتدأت فيجب عليّ أن أستمّر في ذلك. هل ترون مدى إعجاب سقراط بالجميل؟ إنّه معهم على الدوام وهو يعاني منهم بشكل مستمّر، وبعدئذ فهو لا يعرف شيئاً، وهو جاهل بكلّ شيء - هذا هو المظهر الذي يظهر به. ألا يشبه سيلينوس في هذا؟ تأكّدوا أنه كذلك: إنّ قِناعه الخارجي هو رأس سيلينوس المنحوت؛ لكن أوه يا رفاقي كيف سأصفه لكم عندما يشرب؟ وحينما يشرع بالشراب، فأيّ اعتدال يسكن في داخله! تعرفون أنتم أنّ الجمال والغنى وكل النعم الأخرى التي تجلب السعادة العظيمة فيْ الرأي الشعبيّ، تعرفون أنّ هذه النعم لا أهميّة لها عنده ويستخفُّ بها بشكل مطلق: إنّه لا يعتبر الأشخاص الممنوحة لهم هذه النّعم على الإطلاق، حتّى نحن لا يقيم لنا وزناً. إنّ هذه حقيقة؛ لكنّه يقضي حياته كلّها في إغاظة بني الإنسان. وبما أنّه يخفي مراميه الحقيقيّة على كلّ حال، فإنّني عندما فتحته ونظرت داخل قصده الجادّ والهامّ، رأيت فيه صوراً إلهيّة وذهبيّة ذات جمال يسبي العقول، وكنت مستعدّاً لأن أفعل ما يأمرني به سقراط في لحظة. يمكن أنّ تلك الصور التي قدّمتها لم يلاحظها الآخرون لكن أنا راقبتها بل رأيتها. وبعدُ فإنّني توهّمت أنه كان مفتتاً بجمالي بشكل جدّي، واعتقدتُ أنّ هذا كان نموذجاً رائعاً من نماذج الحظّ؛ كانت لديّ الوسائل لتعقّبه كي يخبرني كلّ شيء عرفه إذ كان لدي رأي مدهشٌ عن جاذبية شبابي. وعندما ذهبت إليه مرّة ثانية في متابعة هذا الغرض، أعدتُ المرافق الذي يلازمني عادة « إنّني سأعترف بالحقيقة كلّا، وأستعطفكم أن تسمعوني؛ وإذا ما نطقت باطلاً فاكشف عن هذا التزييف، يا سقراط ». حسناً، إنّنا كنّا معاً لوحدنا، هو وأنا، واعتقدت بأننا عندما نكون منفردين، فإنّي سأسمعه يتكلّم اللغة التي يستخدمها المحبون مع محبّيهم عندما يكونون

وحيدين، وكنت مبتهجاً لذلك. لم يحدث أيّ شيء من هذا النوع؛ بل حادثني كالمعتاد، وأمضى اليوم وانصرف بعدئذ. تحديته في قاعة المناقشات العامّة فيما بعدُ؛ وصارعني وضيّق عليّ عدة مرات عندما لم يكن أحد حاضراً هناك. توهّمت بأنّي يمكن أن أنجح بهذا الأسلوب. لم يكن نجاحي يساوي مثقال ذرّة، ولم يكن لديّ أيّة وسيلة معه. أخيراً، بما أنّني أخفقت حتى الآن، اعتقدت بأنّي يجب أنّ أتّخذ إجراءات أقوى ضدّه، وأن أهاجمه جسدياً. وعندما بدأت، لم أتوقّف عن المحاولة، بل رأيت كيف تتوقّف المسائل بيني وبينه. وهكذا دعوته كي يشرب معي، وقَبِلَ الدعوة بعد مدّة، وحينما أتى لأوّل مرّة أراد أنّ يذهب حالاً عندما انتهى من العشاء، ولم تكن لديّ الجرأة كي أحتجزه، وبقيت مصمّماً على تنفيذ مخطّطي للمرّة الثانية. إستمريّت في التحادث معه إلى ساعة متأخّرة من ساعات الليل، بعد أن شربنا. وعندما أراد أن يغادرني ويبتعد، تظاهرت بأنّ الوقت كان متأخّراً وأجبرته على البقاء، وهكذا استلقى هو على الأريكة بجواري، حيث اتّكأ أثناء العشاء، ولم يكن هناك أحد سوانا نحن الإثنين نائِمَين في الشّقّة. يمكن أن يقال كلّ هذا لأيّ شخص بدون خجل، لكنّني أستطيع أن أخبركم ماذا حدث بعد ذلك بصعوبة إذا ما كنت صاحياً؛ ومع ذلك فكما يقول المثل «in vino veritas» أي تقال الوقائع عند السّكر، سواء إذا وجدت أفواه الأطفال أم لم توجد أيضاً؛ ولهذا السبب يمكنني أن أتكلّم، ولا يجب أن أُبرّر في إخفاء عملٍ متألّقٍ لسقراط عندما أشرع في الثناء عليه. بالإضافة إلى ذلك فإنّي شعرت بلدغ الأفعى؛ وهو الذي عانى منها، كما يقول المثل، كونه على استعداد لأن يخبر رفاقه الذين قاسوا بما أنهم هم وحدهم سيفهمونه على الأرجح، ولن يكونوا متطرّفين في الحكم على أقواله وأعماله التي قد انتُزِعت من عذابه، لأنّني قد لُدِغت بأسوأ من اللّدغ بسنّ الأفعى

الخبيثة؛ وعرفت بروحي، أو بقلبي، أو بأيّة وسيلة أخرى يمكن وصفها، عرفت أنّ أسوأ الوخزات للفتى الحاذق هي الأكثر إيلاماً وعنفاً من أيّة لدغة بسنٍّ أفعى خبيثة ـ عرفت أنّ هذه الوخزة هي وخزة الفلسفة التي ستجعل إنساناً يقول أو يفعل أيّ شيء. وأنتم الذين أراكم حولي، فايدروس وأغاثون وأريكسيماخوس وبوسانياس وأريسطوديموس وأريسطوفان، إنّكم كلّكم، ولا أحتاج لأن أقول سقراط ذاته، والجماهير الأخرى، كانت له الخبرة الديونسيوسيّة المجنونة المولعة بالفلسفة. لذلك آستمعوا وآصفحوا عن أفعالي حينئذ وعن أقوالي الآن. لكن دعوا المرافقين والأشخاص الملحدين واللاأخلاقيين يقفلون آذانهم بإحكام.

عندما أطفأ المصباح في الليلة عينها وذهب الخدم بعيداً، اعتقدت بأنّني يجب أن أكون واضحاً معه، وأن أقلّل من الغموض. وهكذا هززته وقلت له: « يا سقراط، هل أنت نائم »؟ أجابني: « لا » « هل تعرف بماذا أفكّر؟ » قال: « بماذا؟ » أجبته: « من بين كلّ المحبّين الذين لديّ فإنّك الشخص الوحيد الجدير بي، ويظهر أنّك متواضع جدّاً كي تتكلّم. وبعدُ أشعر بأنّي سأكون غبيّاً كي أرفض لك هذا المعروف أو أن أرفض أي معروف آخر، ولهذا السبب فإنّني أتيت إليك كي أضع عند قدميك كل ما أملك وكل ما يحوزه أصدقائي، على أمل أنّك ستساعدني في طرق الفضيلة، والتي أرغبها فوق كلّ شيء، وأعتقد بأنّك ستساعدني فيها أفضل من أيّ شخص آخر. وسيكون لديّ سببٌ أكثر كي أكون خجولاً بالتأكيد فيما سيقوله الرجال الحكماء إذا ما كنت سأرفض خدمةً أو رعايةً من شخص مثلك، ولن أهتمّ بما سيقوله العالم عنّي، إذ إن أكثره أغبياء، إن منحتها لك ». أجابني على هذه الكلمات بأسلوبه التهكّمي الذي هو صفة مميّزة له وقال: « يا ألسيبيادس، يا صديقي، إنّ لديك هدفاً رفيعاً إذا كان الذي تقوله صحيحاً، وإنْ وجدتَ

فيَّ قوّةً بحقٍّ هي التي يمكنك أن تصبح أفضل بواسطتها؛ إن كان لديك ذلك فيجب أن ترى فيَّ بإخلاص جمالاً نادراً أسمى، بشكل لا يُحمد، قياساً إلى الوسامَة التي أراها فيك، ولهذا السبب إذا قصدت أن تقاسمني وأن تبادلني جمالاً بجمال، فإنّك ستحوز الأفضليّة عليَّ بشكل عظيم. إنّك ستكسب الجمال الحقيقيّ مقابل جمال المظهر ـ وبذلك تكون مثل ديوميد الذي بادل الذهب بالنحاس. لكن انظر مرّة ثانية، يا صديقي الجميل، وشاهد إذا ما كنت مخدوعاً فيَّ. يبدأ العقل في النموّ حَرَجاً حينما يخبو نور العيون الشحميّة، وأنت لا يزال طريقك طويلاً للوصول إلى تلك المرحلة ». عندما سمعته يقول هذا، أجبته: « إنني بحت لك بأفكاري الخاصّة، وقلت لك ما أعنيه بالضبط، والآن فأنت حرٌّ في أن تأخذ بعين الاعتبار ما تراه أفضل لي ولك ». قال سقراط: « إنّ ذلك جيّد؛ سنتأمّل ونفعل ما يبدو أنّه الأفضل بخصوص هذه المسألة وبخصوص المسائل الثانية في وقت آخر ». بعد تبادل هذه الكلمات، تصوَّرت أن ملاحظاتي الساخرة جرحته، وهكذا بدون أن أنتظر سماع أي كلامٍ منه أكثر انتصبت واقفاً ورميت معطفي حوله وانسللت تحت عباءَته الرثّة، لأن الوقت كان شتاءً، وتمدَّدت هناك الليل كلّه ممتلكاً هذا الإنسان العجيب الذي هو فوق مستوى البشر، ممتلكاً إياه بين ذراعيّ بحق. وهذا ما لن تنكره، يا سقراط، مرّة ثانية، وبالرغم من كلّ هذا كان هو هكذا أرفع مقاماً وأسمى من التأثّر بغوايتي، وكان مزدرياً وساخراً ومستخفّاً بجمالي ـ ذلك الجمال الذي توهمت أنّ له بعض الجاذبية حقاً ـ اسمعوا، أوه يا قضاتي، فأنتم ستكونون قضاة لفضيلة سقراط المتعجرفة ـ لم يحدث شيء أكثر من ذلك، لكنّني عندما استيقظت في الصباح « دعوا كلّ الآلهة والإلاهات أن يكونوا شاهدين وشاهدات عليَّ »، ارتفعت عن الأريكة مثلما أرتفع عن تلك التي لأب أو لأخٍ أكبر مني سنّاً.

ماذا تفترضون أنه قد كان شعوري، بعد هذا الرفض، وعند التفكير بالإهانة التّي لحقت بي؟ ورغماً عن ذلك فلم أستطع سوى أن أتأمّل مليّاً في هذا الاعتدال وضبط النفس والرجولة الطبيعية في سقراط. لم أتصوّر قطُّ بأنّي قدرت على مقابلة إنسانٍ مثله في حكمته وصبره. ولهذا السبب، لم أتمكّن من أن أكون غاضباً منه، أو أن أتبرّأ من صحبته، بأكثر من أن أجد طريقة كي أكسبه، لأنّني عرفت جيّداً أنّه إذا لم يستطع الفولاذ أن ينال من أجاكس فإنّ الدراهم سيكون تأثيرها عليه أكثر قليلاً؛ لكنّه أفلت منّي عندما حاولت بالوسائل الوحيدة الّتي تصوّرت أنها يمكن أن تأسره ألا وهي الدراهم، هكذا كنت أنا في نهاية ذكائي؛ ولم يكن أحد مثلي قطّ أكثر استعباداً من قبل إنسان آخر منه وذلك على شكل استعباد ميثوس. حدث كل هذا قبل أن أذهب وإياه في الحملة العسكرية إلى يوتيدايا. هناك تناولنا الطعام معاً، وكانت لديَّ فرصة لملاحظة قوته غير العادية لتحمّله المشقّات. إنّ صبره كان رائعاً بكلّ بساطة، حينما قُطِعت عنا الإمدادات، وكنّا مجبرين على أن نسير بدون غذاء. في مناسبات كتلك التي تحدث غالباً في زمن الحرب، كان أرفع مقاماً وأسمى ليس منّي فقط بل من أي شخص آخر؛ لم يكن هناك شخص واحد يمكن أن يُقارن به. ومع ذلك لم يساوِهِ أحدٌ في الاحتفال بقوّة استمتاعه في الشراب؛ مع أنّه لم يشأ أن يشرب، لكنّه يستطيع أن يتغلب علينا جميعاً فيه إذا أُجبر على ذلك. إنّه كان إنساناً رائعاً في سرد القصص، لم يرَ أيّ مخلوق إنساني سقراط سكران، ولقد اختُبرت قوّتُه في ذلك منذ عهد بعيد، إذا لم أكن مخطئاً، لكن جَلَدَهُ في تحمّل البرد كان مدهشاً أيضاً. حَدَث أن كان هناك صقيعٌ هو الأكثر قسوة حيث كنّا، لأنّ الشتاء عظيم في تلك المنطقة بحقّ، وكلُّ شخص من الذين كانوا معنا إمّا بقي في البيت، أو تدثّر بالثياب الكثيرة إذا خرج منه وانتعل

الأحذية الجيدة، ولفَّ قدميه باللّبّاد وصوف الخراف. لكنّ سقراط كان يمشي في هذا الوسط الشديد البرودة بقدميه العاريتين على الجليد ويلبس الثياب العادية. إنّه مشى أفضل ممّا يمشي الجنود الأخرون الذين انتعلوا الأحذية، وكانوا ينظرون إليه نظراتٍ ملؤها البغض والعداء لأنّه بدا لهم أنّه يستخفّ بهم

لقد أخبرتكم قصّة واحدة عنه، والآن يجب أن أخبركم قصّة أخرى جديرة بالاستماع عن أفعال ومعاناة الإنسان الطويل الأناة. بينما كان يشارك في الحملة العسكرية، وكان ذات صباح يفكّر بشيءٍ ما لم يستطع أن يحلّه، لم يتخلَّ عن مواصلة ذلك، بل تابع التفكير من الصباح الباكر إلى فترة الظهيرة - هناك وقف ثابتاً يفكّر؛ واسترعى انتباه الحضور بعد ذلك بقليل، وانتشرت إشاعة بين الجمهور المتسائل عنه مفادها أنّ سقراط كان واقفاً ومفكّراً بشأن شيء ما منذ أن طلع النهار. وأخيراً، أحضر بعض الأيونيين حُصُرهم في المساء بعد العشاء، وذلك بسبب حبّهم للاستطلاع « عليَّ أن أوضح أنّ هذا الذي حديث لم يكن في فصل الشتاء بل كان في فصل الصيف »، أحضر هؤلاء الأيونيون حُصُرهم خارجاً وناموا عليها في الهواء الطلق كي يتمكّنوا من أن يراقبوا ويروا إذا ما كان سقراط سيقف حيث هو طوال الليل. وقفَ سقراط هناك حتّى الصباح التالي، وقدّم صلاة إلى الشمس مع عودة النور، ومضى في طريقه. إنّني سأخبركم أيضاً، إذا أردتم، أنّي مُلزَمُ بأن أقول ذلك، سأخبركم عن شجاعته في المعركة؛ إذ مَنْ سواه أنقذ حياتي؟ فإنّ هذا القتال الذي خضناه كان القتال الذي تلقيت عنه جائزة البسالة: لقد جُرِحت أثناءَه ولكنّ سقراط لم يتركني، بل إنّه أنقذني مع كل أسلحتي وكان من الواجب اللاّزب أن يتلقّى هو جائزة الشجاعة التي أراد القادة الحربيّون أن يمنحوها لي بسبب رتبتي في الجيش، وأخبرتهم هكذا « وهذا

الذي أقوله لن يطعن فيه سقراط أو ينكره » لكنّه هو كان أشدّ لهفة من القادة الحربيّين بأن آخذ الجائزة أنا وليس هو. هناك مناسبة ثانية كان سلوكه أثناءَها سلوكاً مدهشاً جداً - في فرار الجيش بعد معركة ديليوم، حيث خدم هو بين الجنود المجهزين بأسلحة ثقيلة - كانت لديّ فرصة أفضل كي أراه أكثر ممّا رأيته في معركة بوتيدايا، لأنّني كنت أمتطي حصاناً، ولهذا السبب كنت خارج دائرة الخطر بشكل لا يُقارَن. كانت الفرق العسكرية مشتّتة أثناء هروبها، وكان هو متقهقراً يصحبه لاخيس. حدث أن قابلتهما هناك وحثثتهما أن يتشجعا، وأن لا تهن عزيمتهما، ووعدتهما بأن أبقى معهما؛ وهناك يجب عليك أن تراه، يا أريسطوفان، كما تصفه(٣٠)، لقد فعل هناك كما يفعل في شوارع أثينا تماماً، ناقلاً خطاه بحذر مثل طائر البجع، وعيناه تترصّدان في كلّ اتّجاه، كأنّه يتوقّع شيئاً ما يقوم به الأعداء كما يتوقّعه من الأصدقاء وبهدوء، موضحاً نفسه لأيّ شخص وبطريقة عظيمة أنّه لا يقدر أن يفرَّ منه مهما حاول ذلك، وكذلك فإنّ كلّ من يهاجمه سيقابَلُ بمقاومة عنيدة على الأرجح؛ وتمكّن هو ورفيقه من الهرب بهذه الطريقة - إنّ هذا النوع هو نوع الإنسان الذي لم يستطع أحد أن يلامسه في الحرب قطّ، أمّا أولئك الذي يتعقبّهم أعداؤهم فهم الذين يولّون هاربين بتهوّر وطيش. إنّني لاحظت كم كان هو أعلى وأسمى من لاخيس بحضوره العقليّ. يمكن أن تقال أشياء أخرى كثيرة خارقة للعادة عن سقراط؛ ربّما كان بعضها متساوياً في إنسان آخر مثله، لكن برغم ذلك فإنّ عدم تشابهه الكليّ بأيّ مخلوق إنساني، وُجِد أم لم يوجد، هو شيء مذهلٌ بشكل كامل. يمكنكم أن تتصوّروا أن براسيداس والآخرين قد كانوا مثل أخيل، أو يمكنكم أن تظنوا أن ناستور وانتينور قد كان شبيهين ببريكلس، ويمكن قول الشيء عينه عن الرجال الشهيرين الآخرين؛ لكنّكم لن تكونوا بقادرين على أن تجدوا أبداً أيّ

شخص شبيه بهذا المخلوق العجيب، حتّى ولا بكلماته، مهما كان هذا الشخص قصيًّا، لا في الأجيال الحاضرة ولا في الأجيال الماضية - غير أولئك الذين اقترحتهم من قبلُ لسيلينوس والساطير؛ وهم لا يمكنهم ان يماثلوه فقط، بل يمكنهم ان يماثلوا كلماته أيضاً. وبرغم أنني نسيت أن أذكر هذا لكم قبلاً، من أن محادثاته تشبه تماثيل سيلينوس التي تفتح؛ وهي تماثيل مضحكة عندما تسمعها لأوّل مرّة. إنّها مغلفّة بكلمات وعبارات تشبه جلد الساطير المطلِق العِنان، لأنّ كلامه ككلام الساخرين والحدادين والأساكفة والحمّالين، وهو يردّد أبداً الأشياء عينها بالكلمات نفسها[٣١] إلى درجة أنّ أيّ شخص أحمق وقليل التجربة يمكنه أن يشعر بأنّه ميّال ليسخر منه. لكن مَن يرى التمثال النصفيّ مفتوحاً وينعم النظر في داخله، سيجد أنّ كلمات سقراط هي الكلمات الوحيدة التي تمتلك معنىً، وهي الأكثر إلهية أيضاً. إنّها الكلمات الزاخرة بصور الفضيلة الجميلة وبالإدراك والمعرفة الأرحب والأشمل، أو على الأصحّ أنّها تشمل كلّ شيء يجب أن يتذكّره إنسان إذا ما كان عليه أن يصبح إنساناً ذا جلال وشرف.

إنّ هذا الذي قلته، يا أصدقائي، هو ثنائي على سقراط. إنّني أضفت لومي له لمعاملته السيّئة التي عاملني بها. وهو لم يعاملني لوحدي هكذا، بل عامل كارميدس بن غلوكون، ويوثيديموس بن ديوكليس، وعديداً من الآخرين بالطريقة عينها - مبتدئاً كصديقٍ محبٍّ لهم، وانتهى مخاتلاً بجعلهم يوجّهون كلامهم له. لذلك أقول لك، يا أغاثون، « لا تُخدع به، تعلّم منّي واقبل التحذير، ولا تكن غبيّاً وتعلّم بالخبرة، كما يقول المثل ».

حينما انتهى ألسيبيادس من كلامه، سُرّ الجميع من صراحته لأنّه بدا أنّه لا يزال يحبّ سقراط. إنّك رزين وغير ثمل، يا ألسيبيادس قال سقراط، أو أنّك لم تكن لتذهب لهكذا بعدٍ أبداً بشأن إخفاء قصدك من ثناءات

الساطير، لأنّ كلّ هذه القصّة الطويلة التي رويتها هي إسهاب حاذق فقط تدخل نقطتها الرئيسية في النهاية وبالمناسبة؛ تريد أن تهيِّىء لنزاعٍ بيني وبين أغاثون، وما نيّتكك إلاّ أنّه يجب عليَّ أن أحبّك فقط وأن لا أحبّ أيّ شخصٍ آخر، وأنكّ أنت، وأنت فقط الذي ينبغي أن تُحبّ أغاثون. لكن المؤامرة لهذه المسرحيّة الساطيرية أو السيلينيكيّة قد كُشِفت، وأنت، يا أغاثون، يلزمك أن لا تسمح له بأن يسجّل نجاحاً في خطته، وأن يوقعنا في الخلاف.

أغاثون: أعتقد بأنّك محقّ. وهكذا فإنّني أستنتج من الطريقة التي وضع نفسه فيها بيني وبينك بقصد فصلنا وتفرقتنا؛ لكنّه لن يربح شيئاً بتلك الحركة، لأنّني سأذهب وأستلقي على الأريكة بجانبك.

سقراط: نعم، نعم، تعالَ إلى هنا مهما كلّف الأمر واستلقِ على الأريكة المقابلة لي.

ألسيبيادس: واحسرتاه! كيف يمضي هذا الإنسان في اضطهادي؛ إنّه مصمم على الحصول على الأفضل منّي في كل دورة. ألتمس منك، إسمح لأغاثون أن يستلقي بيننا على الأقلّ.

سقراط: لا بالتأكيد، بما أنّك أثنيت عليّ، ويلزمني أن أطري على جاري الجالس إلى يميني بالمقابل، لأنّه سيكون فوضوياً في مدحي مرّة ثانية عندما يلزمه أن يكون ممدوحاً بي، ويجب عليَّ أن أستعطفك لتقبل بهذا وأن لا تكون غيوراً. فلديَّ رغبة كبيرة لأن أمدح الشباب.

أغاثون: هوراه! إنّني لا أستطيع البقاء هنا على الأرجح،يا ألسيبيادس؛ ينبغي أن أتحرّك في الحال، كي يمكنني أن أكسب ثناء سقراط.

وقف أغاثون كي يمكنه أن يأخذ مكانه على الأريكة بجانب سقراط، حينما دخلت عصبة كبيرة من القاصفين، وأفسدوا نظام الوليمة. وبما أنّ شخصاً ما من الحاضرين ذهب إلى المخرج وترك الباب مفتوحاً لذلك تسنّى لهم الدخول، وجعلوا أنفسهم وكأنّهم في بيتهم. وتلا دخولهم ارتباكٌ كبير،

وأُجبر كلٌّ شخص على أن يشرب مقادير كبيرة من النبيذ. قال أريستوديموس، إنَّ ألسيبيادس، فايدروس، والآخرين خرجوا، أمّا هو فقد استسلم للنوم. وبما أنّ الليالي كانت طويلة فقد أخذ قسطاً من الراحة لا بأس به، ثمّ أيقظه قرب طلوع الفجر صياح الديوك. وعندما استيقظ، كان الآخرون، إمّا نائمين، أو أنهم تركوا المكان؛ بقي سقراط هناك فقط، أما أريسطوفان، وأغاثون، اللذين شربا من طاسٍ كبير أداراه على الحاضرين، فكان سقراط يحادثهما. كان أريستوديموس نصف مستيقظٍ فقط، ولم يسمع بداية المحادثة؛ أمّا الشيء الرئيسي الذي تذكّره فكان إجبار سقراط الاثنين الآخرين كي يعترفا أنّ الصفة المميّزة للملهاة هي الشيء عينه التي للمأساة، وأنّ الفنّان الحقيقي في المأساة هو فنان في الملهاة أيضاً. كانا مكرهين على الإعتراف بذلك، كونهما يتملّكهما النعاس. وقبل كلّ شيء فإنّ أريسطوفان غلبه النعاس، وتبعه أغاثون بعدئذ وكان النهار طالعاً في ذلك الحين. بعد أن رآهما سقراط مستغرقين في النوم، تركهما وانصرف؛ وتبعه أريستوديموس، كما كان أسلوبه في ذلك. استحمّ سقراط في حمّام قاعة المناقشات العامة، وأمضى اليوم كالمعتاد، وفي المساء خلا إلى نفسه كي يرتاح في بيته الخاص.

محاورة هيبياس الكبرى

ماهية الجمال

أفكار المحاورة الرئيسية

يشرح هيبياس السوفسطائي، الذي يرحب به سقراط، يشرح لسقراط سبب غيابه الطويل عن أثينا، ذلك أن بلاده إليس انتدبته كسفير لها في البلدان الأجنبية كي يحسم القضايا ويوطّد الأمور المعلقة بينهما. يسأله سقراط قائلاً: يا هيبياس، ما هو الشيء الذي يجب أن يفعله الإنسان كي يكون إنساناً كاملاً، وأنت الرجل الكفؤ والقادر أن تجيب على سؤال دقيق كهذا السؤال، وكذلك ما هو السبب الذي من أجله لم يأخذ رجالنا الكبار البارزين أيّ دورٍ في السياسات؟ يجيبه هيبياس على كلا السؤالين قائلاً: إنّ سبب ذلك، يا سقراط، هو عجزهم وقلّة مؤهّلاتهم وافتقارهم في نقل حكمتهم إلى منطقتي الحياة الخاصّة والعامّة منها، وذلك بواسطة فنّ السوفسطائيّ الذي هو فنّ الفصالة والبلاغة الذي يغدق على فاعله المال الوفير. وهذا هو ما حقّقته أنا بالفعل في صقلية واسبرطة ولاقيدايمونيا وغيرها من البلدان. لكنّني لم أستطع في لاقيدايمونيا أن أدعهم يستمعون إلى تاليمي كما يجب، غير أنّي أقدر أن أقول بأنّهم يبتهجون لعمل الأنساب التي تخصّ الأبطال والرجال، ويفرحون لسماع قصص تأسيس المدن في الأزمنة الغابرة، ويُسرّون لكلّ الأطروحات المختصّة بالآثار القديمة والتراث الأدبي الموروث. بيّنت لهم كذلك كيف يستطيع الشابّ الفتيّ أن يؤدّي الممارسات الشريفة والجميلة والتي يجب أن يكرّس نفسه لها.

قال سقراط: ذكّرتني، يا هيبياس، باجتماع حدث أن عقدته مع صديق قديم،

وأدنت حينها بعض الأشياء في تأليفاتٍ محدَّدة لأنّها قبيحة، وأثنيت على الأخرى لأنها جميلة. أربكني شخصٌ ما بعدئذ عندما سألني: « كيف تعرف، يا سقراط، أن بعض الأشياء تكون جميلة وبعضها قبيحة، أخبرني ما هو الجمال؟ ». إحترت في إعطائه جواباً على هذا السؤال لعدم كفاءتي، وهكذا تركت المجموعة، وكنت غاضباً من نفسي لائماً لها، وقطعت على نفسي وعداً بأنّي عندما أتقابل معكم أيّها الرجال الحكماء، فإنّني سأستمع لكم وأتعلّم منكم. وهذه هي اللحظة المناسبة التي سأسألك فيها أن تعلمني بشكل مناسب، ما هو الجمال بذاته، وأرجوك أن تجيبني على أسئلتي بالدقّة القصوى الموجودة لديك، وما هذا الذي ستشرحه إلاّ فضْلةً عن علمك الضخم الفسيح.

فضلةً حقاً، يا سقراط، وليست بذات قيمة، أجابه هيبياس.

قال سقراط: أجبني على سؤالي إذن، وسأقوم بدور الناقد ولسوف أحصل على فهم أرسخ وأوطد للذي أتعلمه منك بهذه الطريقة. والآن قل لي، ما هو الجمال؟

أجابه هيبياس: أقول لك، يا سقراط، بأن العذراء الجميلة هي الجمال، وأن الذهب هو الجمال، والمال هو أن يكون الإنسان غنياً معافىً يكرمه اليونانيون، حتّى يصل إلى سنّ الشيخوخة، وأن يدفن آباءَه بنبل، وأن يُحمل هو نفسه إلى القبر تحفُّ به المراسم المهيبة التي يقيمها له أولاده.

لكنّني طلبت منك، يا هيبياس، أن تخبرني ما هو الجمال بذاته، ذلك الذي يعطي الصفة المميّزة لكون كلّ شيء جميلاً، والذي يضاف إلى هذا الجمال، ولم أسألك ما هو الجميل؟

أجيبك، يا سقراط، أنّ الجمال هو المناسب، أعني ذلك الذي يجعل الأشياء تظهر جميلة.

لكن بعد أن ثبت بالبرهان الجليّ، أنّ كلّ التعريفات التي أعطيتها للجمال، يا هيبياس، قد نُقضت وسقطت منطقياً، فماذا يبقى؟ أقول لك، يا صديقي، يجب

أن لا نتوقّف عن المحاولة. لا يزال عندي نوعٌ من الأمل في أنَّ طبيعة الجمال سوف تكشف نفسها.

أؤكّد لك، يا سقراط، إذن، أنّ النافع الذي يمتلك القوة كي ينجز هدفه المحدَّد هو الجمال، وهذه القوة هي الأكثر جمالاً في الشؤون السياسيَّة بشكل عامّ، وفي داخل مدينة الإنسان الخاصة، وفي المحاكم القانونيَّة، والافتقار لهذه القوّة هو الأكثر قبحاً وخزياً.

لكن بعد أن أخفقت كلُّ التعريفات التي بحثناها لتعريف الجمال، تعتقد، يا هيبياس، أنّ الجمال هو السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسّمع؟ نعم، نعم، إنّه لكذلك، يا سقراط.

وهكذا، فإنّنا فشلنا بعد البحث الدقيق والمنطقيّ والمستفيض، يا هيبياس، ولم نحصل على الخير الذي توخيناه من حوارنا، وهو تعريف الجمال، لكنّني أُعجب إعجاباً كبيراً بالمثل الذي يقول « كلّ جميلٍ صعبٌ ».

محاورة هيبياس الكبرى

ماهية الجمال

أشخاص المحاورة

هيبياس سقراط

سقراط: إنّه هيبياس الجميل والعاقل! لقد مضى طويل وقت قبل أن تأتي لتلقي رحالك هنا في أثينا!

هيبياس: لم يكن لديّ متّسع من الوقت كي آتي إلى هنا، يا سقراط. إن إليس تنظر إليّ وكأنّني أفضل القضاة والمقرِّرين لأيّ شيء يتعلق بالحكومات، وهكذا فإنّ لي الخيار الأوّل لأكون سفيراً لها من بين مواطنيها على الدوام، وذلك عندما يكون لديها أعمال لتوطّدها ومسائل لتحسمها مع الدول الأخرى. إنّني ذهبتُ بمهمات كهذه إلى دول مختلفة، لكن أكثر ذهابي كان إلى لاقيدايومونيا، ومن أجل المواضيع الأكثر أهميّةً وتعداداً. ذلك هو الجواب على سؤالك لماذا لا أكون إلا نادراً في هذا الجزء من العالم.

سقراط: ومع ذلك، يا هيبياس، ما هو الشيء الذي ينبغي أن يفعله الإنسان ليكون إنساناً كاملاً، بالإضافة إلى كونه إنساناً حكيماً أيضاً!؟ وبما أنّك شخص خاص، فإنّ مواهبك قد أغدقت عليك مقداراً عظيماً من المال دفعه الشباب، وبالمقابل فأنت تمنحهم منافع أعظم من ذلك؛ تستطيع أن تقوم بأعمال جيّدة لبلادك في الشؤون العامّة، مرّة ثانية، وهذا هو الطريق والأسلوب لتتفادى الاحتقار وتفوز بالتقدير الشعبيّ. وبرغم ذلك فإنّني أتعجّب لأيّ سبب ممكن

جعلت الشخصيّات البارزة للزمن الماضي الذين اشتهروا بحكمتهم - كبيتاكوس وبياس ومدرسة طاليس من ميليتوس، وكذلك الشخصيات الأخرى الأقرب من زمننا الذي نحن فيه، نزولاً إلى أناكساغوراس - أقول، لماذا كلّ هؤلاء أو أكثرهم اعتادوا أن لا يأخذوا دوراً نشيطاً في السياسات بوضوح؟

هيبياس: أيّ سبب تفترض لهذه ما عدا العجز وقلّة المؤهّلات والافتقار للقوّة كي ينقلوا حكمتهم إلى منطقتي الحياة كليهما، العامّة منها والخاصة على حدٍّ سواء.

سقراط: إذن يجب أن نكون محقّين في القول، وهو كما أنّ الفنون الأخرى تقدّمت إلى درجة أصبح معها عمال الزمن الماضي سيّئين بالنّسبة للمعاصرين، هكذا فإنّ فنّك الذي هو فن السوفسطائيّ، تعزّز حتّى لم يعد باستطاعة الفلاسفة الأقدمين الوقوف بالمقارنة معك ومع رفاقك؟

هيبياس: حقيقيّ بالكامل.

سقراط: وهكذا إنْ عاد بياس إلى الحياة مرّةً ثانية لمنفعتنا، فإنّه سيكون موضع سخريّة الناس إذا قُورن بمستواك، تماماً بقدر ما سيبدو دايدالوس للنحّاتين غبيّاً إذا ما وُلد الآن وأنتج ذلك النوع من الأعمال التّي أعطته شهرته الواسعة.

هيبياس: بالضّبط، يا سقراط. على كلّ حال، فإنني أثني أنا نفسي على أسلافنا من الأجيال السابقة بشكل أعتياديّ أكثر مما اثني على الذين نعاصرهم لأنّني بينما أحترس من حسد الأحياء، فإنّني أخشى من حَنَقِ الأموات.

سقراط: إنّ ما قلته جيّد جداً، يا هيبياس، إنّه جيّد جدّاً في الأسلوب وفي الوجدان كليهما؛ وإنّني لقادر على أن أدعم تقريرك بشهادتي الخاصة وهي أنّ فنك قد حقّق تقدّماً نحو ضمّ العمل العامّ بالملاحقات الخاصة. إنّ جورجياس البارز، سوفسطائيّ مدينة ليونتيني، أتى إلى هنا في بعثة رسميّة، واختيرَ لأنّه

كان أقدر رجل دولةٍ في مدينته، وتكلّم أمام الجمعية العمومية بأعظم فصاحة وبلاغة، وبإجماع عامّ وبكفاءة خاصّة به، وذلك بإعطاء الشروح والأدلّة للشباب والاجتماع معهم. إنه كسب وأخذ معه مقداراً كبيراً من مال الأثينيين، أو مرّة ثانية، هناك صديقنا المميّز بروديكوس. لقد كان هو في أثينا غالباً لإنهاء أعمالٍ عامّة قادماً من سيوس؛ وآخر مرّة وصل إليها في بعثة كهذه منذ فترة قصيرة. إنّه حاز إعجاباً كثيراً لبلاغته وفصاحته عندما تحدّث أمام مجلس الشورى، وكشخصيّة خاصة أيضاً فإنّه جمع مقداراً مذهلاً من المال بإعطائه شروحاً وأدلّة للشباب، والسماح لهم برفقته. لا أحد من رجال ذلك الزمن الماضي العظام رأى مناسباً أن يفرض مالاً لقاء حكمته، أو أن يعطي شروحاً وأدلّة عليها لكلّ الحاضرين والمستمعين؛ إنّهم كانوا بسطاء جدّاً كي يدركوا الأهميّة الهائلة للمال، وكسب كلّ من الرجلين الاثنين اللذين ذكرتهما من حكمته أكثر ممّا كسب أيّ صانع ماهر آخر من فنّه، أيّاً كان؛ وهكذا فعل بروتاغوراس قبلهما.

هيبياس: يا سقراط، أنت لا تعرف أيّ شيء عن المفاتن الحقيقية لهذا العمل. إذا أخبرتك كم ربحت أنا، فإنّك ستُصاب بالذهول. لآخذ حالة واحدة فقط: ذهبت مرّة إلى صقلية وكان بروتاغوراس يعيش هناك، وقد حاز صيتاً عظيماً، وكان أكبر مني سنّاً بكثير؛ وبرغم ذلك فإنّني جمعت أكثر من ١٥٠ ميناس. وعندما عدت إلى بلدي حاملاً المال أعطيته لأبي، ولقد صغّرته ومواطنيه وبدّلتهم إلى حالة من الذهول المدهش. أشعر بأنّي حصلت على مالٍ أكثر من أيٍّ من السوفسطائيَّيْن اللذين تحبّ أن تذكرهما بكلّ تأكيد.

سقراط: يا له من شيء مشرّف، ويا لها من شهادة فعّالة عن حكمتك الخاصّة وحكمة معاصرينا، وسموّهم العظيم على رجال الأزمنة الماضية! وطبقاً

لتعليلك وتقريرك، فإنّ المفكّرين الغابرين كانوا غارقين في ظلمات الجهل. قيل إنّ حظ أناكساغوراس وقدره قد كان عكس ما هو لك بالضبط، لأنّه عندما ورث ثروة كبيرة، أهملها وخسرها كلّها. غبيّةً كانت حكمته! وحُكيت القصّة عينُها عن الرجال البارزين العظماء الآخرين للأجيال السابقة. أعترف بأنّ نجاحك هو برهان جيّد عن حكمة الجيل الحاضر عندما يُقارن بما سبقه من أجيال، وإنّها لعاطفة شعبية وهي أنّ الإنسان الحكيم يجب أن يكون حكيماً لنفسه فوق الجميع؛ والمقياس لهكذا حكمة في النهاية هو القدرة على تحصيل أكبر مقدارٍ من المال. حسناً، لنقف عند هذا الحد. وبعدُ قل لي، في أيّة مدينة من بين كلّ المدن التي زرتها جمّعت المال الأكثر؟ أفترض أنّك حصلت منه على الكمية الأكثر في لاقيدايمونيا التي زرتها أكثر من غيرها غالباً؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: حقّاً؟ هل حصلت هناك على المال الأقلّ؟

هيبياس: إنّني لم أحصل على المال هناك قطّ على الإطلاق.

سقراط. أيّ شيء غريب حقاً! إذن أليست حكمتك مناسِبة لأن يتقدّم طلابها وزملاؤها في الفضيلة؟

هيبياس: إنّها هكذا إلى حد بعيد.

سقراط: إذن كانت لديك المقدرة كي تحسّن أبناء الدينيسياتز، وليس أولاد الاسبرطيين؟

هيبياس: لا، إنّ هذا خطأ تماماً.

سقراط: حسناً إذن، أصحيح أنّ السيسيليان يرغبون في أن يصبحوا رجالاً أفضل، بينما لا يتمنى اللاقيدايمونيون ذلك؟

هيبياس: بدون شكّ، يا سقراط، إنّ اللاقيدايمونيين يتوقون إليها أيضاً.

سقراط: أكان سببُ ابتعادهم عن رفقتك حاجتَهم للمالِ إذن؟

هيبياس: ليس ذلك مطلقاً، إنّهم يمتلكون المال بوفرة.

سقراط: إذا تاقوا لرفقتك إذن، وكان لديهم مال، وكنت أنت قادراً على أن تمنحهم الفوائد الأعظم، فما هو السبب الذي من أجله لم يرسلوك محمَّلاً بأوراقٍ نقديَّة؟ خطرت لي فكرة، يمكن أن يكون اللاقيدايموتيّون يعلّمون أطفالهم أفضل ممّا ستفعل أنت؟ هل هذه الخطة هي خطّتنا العامّة، وهل توافق عليها أنت؟

هيبياس: ليس في الأقل.

سقراط: إذن لم يكن باستطاعتك إقناع شباب اسبرطة أنَّهم في عشرتهم لك سيحرزون تقدماً باتّجاه الفضيلة أكثر من صحبتهم لشعبهم الخاصّ؟ أو، بدل ذلك، ألم تستطع أن تقنع آباءَهم بأنّهم لو كانوا يريدون الاعتناء بأبنائهم لسلّموك. إياهم، بدلاً من أن يقوهم في رعايتهم الخاصّة؟ لا أقدر أن أتصوّر بأنّهم ضنُّوا على أطفالهم بالحصول على أعلى فضيلة ممكنة؟

هيبياس: لا، لا أفترض أنّهم ضنُّوا عليهم بذلك.

سقراط: لكن لاقيدايمونيا تمتلك قوانين جيدة.

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وفي الدول التي لديها قوانين جيدة، تبقى الفضيلة في أعلى قمّة الشرف والتكريم؟

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: وتعرف أفضل من أيِّ شخص آخر كيف ستنقلها إلى الآخرين؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: حسناً والآن، أليست ثيسالي الجزء اليوناني الذي فيه أمهر إنسان بتعليم فنّ الفروسيّة، وسيكون هذا الإنسان الإنسانَ المبجّل الأكثر سموّاً وسيكسب

المال الأكثر. أولاً ينطبق الشيء عينه على أيّة بلاد أجنبيّة حيث يُلاحق ذلك الفنّ بحماس؟

هيبياس: أفترض ذلك.

سقراط: إذن أليست لاقيديمونيا، أو أيّة دولة يونانية أخرى عندها قوانين جيدة، أليست المكان المناسب لوجود الإنسان الأكثر قيمة والذي يستطيع أن ينقل المعرفة لترقية الفضيلة، وستكون الدولة المبجّلة الأكثر علوّا، وإذا ما اختار هو سيكسب المال الأكثر؟ ألا تعتقد أنّ صقلية واينيكوس هما أفضل مكانين؟ هل ستصدّق هذا، يا هيبياس؟ إن قلت ذلك، يجب علينا أن نصدّقَ ما تقول.

هيبياس: إن العُرف السَلَفيّ يمنع اللاقيدايمونيين من أن يغيّروا قوانينهم، أو أن يلقّنوا أبناءَهم تعليماً مختلفاً عن المألوف.

سقراط: ماذا! هل يحتاج العرف السَلَفيّ للاقيدايمونيين أن يرتكبوا الخطأ بدل أن يفعلوا الفعل الصحيح؟

هيبياس: عليَّ أن أقول لا، يا سقراط.

سقراط: ألن يفعلوا الصواب بإعطاء رجالهم الشباب أفضل تعليم يكمن في قوّتهم؟

هيبياس: بالتأكيد، لكنّه شيء غير شرعيٍّ لهم أن يمنحوهم نوعاً غريباً من التعليم؛ يمكنك أن تكون متأكّداً أنّه إذا ما تمكنّ أيّ شخص من كسب المال هناك، فما كَسْبُهُ هذا إلاّ بالتعليم. إنّني كنت سأكسب المال هناك أكثر من كسبه في أيّ مكان آخر، لأنّ الناس كانوا سيستمعون إليّ باستمتاع ويقابلونني بالتصفيق. لكن كما قلت، إنّ القانون هناك لا يسمح بذلك.

سقراط: هل ستقول بأنّ القانون يكون ضرراً للدولة، أو منفعة؟

هيبياس: إنّه مسنون، وأنا أقبل به إذا سُنَّ بقصد المنفعة، لكنّه يقول بالضرر القاطع إذا سُنَّ بشكل سيِّىء بعض المرّات.

سقراط: لكن المشرّعين يسنّون القوانين بالتأكيد على فرضيّته أنّ سنَّها مبدأٌ صالحٌ للدولة؛ وأنّ ذلك العمل مستحيلٌ بدون دولة صالحة ومنظّمة تنظيماً جيداً؟

هيبياس: صدقاً.

سقراط: وإذ ذاك، سيقصِّر المشرّعون عن إدراك الخير، ولهذا السبب سيفوتهم القانون وتهجرهم الشرعيّة، فماذا تقول؟

هيبياس: متكلِّماً بدقة، يا سقراط، إنّها هكذا؛ لكنّ الجنس البشريّ ليس معتاداً ليضعها بتلك الطريقة.

سقراط: الرجال الذين يعرفون، أو أولئك الذين لا يعرفون؟

هيبياس: السواد الأعظم من الناس.

سقراط: وهل هذا السواد الأعظم مؤلّف من الرجال الذين يعرفون الحقيقة؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: لكنّني أفترض على كلّ حال أنّ أولئك الذين يعرفون، يؤكّدون أنّ الشيء الأكثر نفعاً في الحقيقة هو الأكثر قانونيّة لكلّ الرجال من الشيء الأقل نفعاً. ألا توافق على هذا؟

هيبياس: نعم، إنّني أوافق. إنّها لكذلك في الحقيقة.

سقراط: إذن فالحقيقية المحضة تكون كما يؤكّدها أولئك الذين يعرفون؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: أنت تثبت أنها أكثر فائدة للاّقيدايمونيين كي يتثقّفوا بتعليمك، وهو تعليم غريب، بدلاً من شكل وصيغة تعليمهم الوطنيّ؟

هيبياس: نعم، وإنّني لمحقّ.

سقراط: والذي يكون أكثر نفعاً هو أكثر قانونيّة ـ تؤكّد هذا أيضاً، يا هيبياس؟

هيبياس: إنّني قلت ذلك.

سقراط: إذن، وبناء على محاورتك فإنّه أكثر قانونيّة أن يثقف هيبياس الأبناء

اللاقيدايمونيين، وأقلّ قانونية لهم أن يثقّفهم آباؤُهم، هذا إذا كانوا سيحصلون على نفع منك أكثر في الحقيقة؟

هيبياس: إنّهم سيحصلون على نفع منّي بكلّ تأكيد.

سقراط: إذن فإنّ اللاقدايمونيين يخرقون القوانين بعدم ائتمانك على أبنائهم والدفع بسخاء مقابل ذلك؟

هيبياس: إنّني أوافق؛ بما أنّك تظهر مجادلاً لقضيّتي، ولا أرى سبباً من أجله سأعارض ما تقول.

سقراط: إذن، يا صديقي، يبرهن اللاقيدايمونيون بأنّهم خارقون للقانون، ومجافون له في المسائل الأكثر حيويّة، وهُمُ الشعب المشهور جدّاً بأنّه الأكثر تمسّكاً بالقانون. بآسم السّماء، يا هيبياس، بأيِّ نوع من المواضيع استمعوا إليك بسرورٍ واستسحانٍ وتهليل كهذا؟ يجب أن يكون واحداً ذلك الموضوع الذي تكون فيه مجليّاً بوضوح، كموضوع النجوم والظواهر الفلكيّة؟

هيبياس: ليس في الأقلّ، إنّهم لا يتحمّلون ذلك.

سقراط: إذن فهم يحبّون أن يسمعوك تتكلّم عن علم الهندسة؟

هيبياس: ليس مطلقاً؛ إنّ العديد منهم لا يعرفون كيف يحسبون، إذا جاز التعبير.

سقراط: إذن فهم يجب أن يكونوا أبعد من جمهورٍ مستمعٍ يقدِّر الشيء حقّ قدره عندما تكلّمهم عن الحساب؟

هيبياس: بعيدون جدّاً حقاً.

سقراط: حسناً إذن، ماذا عن المسائل التي تعرفها أنت أكثر ممّا يعرفها كلّ الرجال وهي كيف تحلّل - خاصيّات الحروف ومقاطع الكلمات والأوزان والإيقاعات؟

هيبياس: يا سيدي العزيز! إيقاعات وحروف حقاً!

سقراط: ما هي المواضيع التي يستمعون إليك فيها بسرورٍ وتصفيق وإستحسان إذن؟ صلّ، نوّرني؛ إنّني لا أستطيع أن أرى.

هيبياس: إنّهم يتبهجون بعلم أنساب الأبطال والرجال عند سماعها، وبقصص تأسيس المدن في الأزمنة القديمة. ولنضع ذلك بشكل مختصر، هم يسرُّون لكلّ الأشكال المختصّة بالآثار القديمة والتراث الأدبيّ الموروث؛ وهكذا فإنّني قد أجبر، بسببهم على اكتساب فهم كامل وضلاعة بكل ذلك الفرع من فروع التعليم.

سقراط: بارِكْ روحي، إنّك قد كنت محظوظاً في أنّ اللاقيدايمونيين لا يريدون أن يسمعوا الرواية القائمة لحكّامنا الأوّلين المتعاقبين، ابتداءً بصولون فنزولاً؛ لأنّك كنت ستواجه بعض الصعوبة كي تتعلّمها.

هيبياس: لماذا؟ إنّني أستطيع ترديد خمسين إسماً بعد سماعها لمرّة واحدة.

سقراط: إنّني متأسّف. لقد نسيت الشيء الذي يخصّ فنّك لتقوية الذاكرة(٣٢). والآن فإنّني أفهم كيف يتمتّع اللاقيدايمونيون بمعرفتك المتنوّعة بشكل طبيعيّ، ويعاملونك كما يعامل الأطفال النساء المسنّات، كي تخبرهم قصصاً لطيفة.

هيبياس: نعم، حقاً؛ وأكثر من ذلك، يا سقراط، فإنّني كسبت أخيراً سمعة كبيرة هناك بتبيين الممارسات الجميلة والشريفة بالتفصيل، والتي يجب أن يكرّس الإنسان الفنّي نفسه لها. إنّني ألّفت مقالة عن هذا الموضوع، وهو عمل جميل مميّز بالأسلوب الفاتن هذا بين امتلاكه جدارات أخرى. أمّا ترتيبه وتصديره فهو مثل ذلك: بعد سقوط طروادة، سأل نيوبتوليموس نيستور: ما هي الممارسات الشريفة والجميلة التي يجب أن يكرّس الإنسان نفسه لها خلال شبابه كي يكسب الامتياز الأسمى؟ وحين جاء دور نيستور كي يتكلّم اقترح له أرقاماً كبيرة من قواعد الحياة الممتازة. ألقيتُ هذه المحاضرة في اسبارطة، وبناء على طلب من يوديكوس بن ابيمنتوس، فإنّي سألقيها هنا، ومحاضرات أخرى جديرة بأن تُسمع، سألقيها في غرفة مدرسة فيادوستراتوس، يوم بعد غد. من فضلك أكد لي أن تأتي بنفسك لسماعها، وأن تحضر معك ناقدين آخرين جيدين لهكذا أطروحات.

سقراط: بالتأكيد، يا هيبياس، الكلّ سيكونون سعداء بهكذا لقاء. لكن أجبني الآن على سؤال غير هامّ يخصّ هذا الموضوع؛ إنّك ذكرتني به في اللحظة المناسبة، منذ زمن قريب جداً. يا صديقي النبيل، عندما أَدَنتُ بعض الأشياء في تأليفات محدَّدة لأنّها قبيحة، وأثنيت على الأخرى لأنّها جميلة، أربكني شخص ما باستجوابي بأسلوب هو الأعنف في هجومه، وبهذا الانطباع إلى حدّ ما قال: « أنت، يا سقراط، صلِّ، كيف تعرف أيّ الأشياء تكون جميلة وأيُّها تكون قبيحة؟ تعال الآن، أخبرني ما هو الجمال؟ إنّني تحيَّرت في عدم كفاءتي، ولم أستطع أن أجد أيّ جواب مناسب لأعطيه. وهكذا، تركت المجموعة، وكنت ممتلئاً غضباً ولوماً لنفسي، وقطعت على نفسي وعداً بأني عندما أقابل أحدكم أيّها الرجال الحكماء للمرة الأولى، فإنّني سأستمع وأتعلمّ. وعندما أُصبح سيّداً لدرسي بشكل كامل، سأعود إلى سائلي وألتحم معه في معركة. وهكذا فأنت ترى أنّك أتيت في لحظة مناسبة جميلة، وأنا أسألك كي تعلمني بشكل لائق ما هو الجمال بنفسه، وأرغب منك أن تجيبني على أسئلتي بالدقّة القصوى التي تستطيع أن تنالها. إنّني لا أريد أن أكون مهيَّأً لأبدو غبيّاً لمستنطقي آخر، مرّةً ثانية. إنّك تعرف ما أعني بشكل تامّ طبعاً، وما هذا الذي ستقدّمه إلاّ فضْلةً من علمك الضخم الفسيح.

هيبياس: فضْلةٌ حقاً، يا سقراط؛ وليست بذات قيمة، يمكنني أن أضيف إلى ذلك.

سقراط: إذن فإنّني سأناله بدون شكّ، ولن يربكني أيّ شخص مرّة ثانية.

هيبياس: لا أحد سيستطيع ذلك على الإطلاق، إن لم أكن أخرقَ وتعوزني البراعة في علمي.

سقراط: مرحى، يا هيبياس، كم هو سنيٌّ ورائع، إنّ هَزَمْنا الخصم! هل سيكون إزعاجاً لك إذا مثّلت دور بديله الجاهز وأوثقت إجاباتك باعتراضاتي، هكذا كي يمكنك أن تضعني في ثنايا تمرين نشيط ما؟ إنّ لديَّ كميّةً من الخبرة لا

بأس بها عن اعتراضاته. إذا كان هذا لا يسبب لك فرقاً إذن، فإنّني سأحبّ أن ألعب دور الناقد؛ وسوف أحصل بهذه الطريقة على فهم أرسخ وأوطَد للّذي أتعلّمه.

هيبياس: بالتأكيد، ما هي انتقاداتك؟ وكما قلت لك لتوّي، يمكنني أن أعلّمك لتستطيع الإجابة على أسئلة أكثر صعوبة بكثير، بقوة حجة كهذه وقدرةٍ على الإقناع لن يكون معها أيّ مخلوق إنساني قادراً على أن يفحمك.

سقراط: ما أعظم ذلك! حسناً الآن، دعني أنتحل هذا الدور بناءً على دعوتك بأفضل ما لديَّ من مقدرة، وأحاول أن أستجوبك، إذا كنت سألقي خطاباً على من تشير إليه، والخطاب بشأن الممارسات الجميلة، فإنّه سيستمع لك إلى النهاية؛ وعند توقّفك، فإنّ السؤال الأوّل الذي سيطرحه بالتحديد سيكون سؤالاً بخصوص الجمال. إنّه سيقول: « أيها الغريب القادم من مدينة إليس أليس العادل عادلاً بالعدل »؟ كيف ستجيبه، يا هيبياس، كما لو سألك هذا السؤال؟

هيبياس: سأجيب أنّ العادل سيكون عادلاً بالعدل.

سقراط: إذن فإنّ هذا الشيء، المسمّى عدلاً، هو شيء ما بكلّ تأكيد.

هيبياس: بدون ريب.

سقراط: « مرّة ثانية، إنّ العقلاء هم عقلاء بالحكمة، وكل الأشياء هي خيِّرة بالخير؟ ».

هيبياس: بدون شك.

سقراط: « ويكون ذلك، وبالأشياء الموجودة حقاً. ومن الصعب أن يستطيع شخص القول بأنّ ذلك يكون بالأشياء التي ليس لها وجود حقيقيّ؟ ».

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: « إذن أليست الأشياء الجميلة جميلة بالجمال؟ ».

هيبياس: نعم، إنّها تكون كذلك بالجمال.

سقراط. « الجمال الذي يمتلك وجوداً حقيقيّاً؟ ».

هيبياس: نعم، أيّ شيء آخر تعتقد أنّه غيرٌ من ذلك؟

سقراط: « أخبرني إذن، أيّها الغريب »، سيقول هو، « ما هو هذا الشيء، الجمال؟ ».

هيبياس: يريد هو أن يكتشف ما الذي هو جميل تماماً بطرحه هذا السؤال؟

سقراط: إنّني لا أتصوّر ذلك، يا هيبياس، يريد أن يعرف الجمال وليس الجميل.

هيبياس: ما الفرق بينهما؟

سقراط: هل تعتقد بأنّه لا فرق بينهما؟

هيبياس: لا فرق.

سقراط: إنّك تعرف الأفضل بوضوح، يبقى، يا سيّدي العزيز، أنظر إلى السؤال مرّة ثانية؛ لا يسألك هو ما الجميل، بل ما هو الجمال؟

هيبياس: إنّني أفهم، يا سيّدي الصالح، وسأخبرك حقاً ما هو الجمال، متحدياً أيّ شخص أن ينقضني، يا سقراط. إذا وجب عليَّ أن أتكلّم الحقيقة، فإنني أؤكّد لك أنّ العذراء الجميلة هي جمال.

سقراط: إنّه لجواب جميل، يا هيبياس، بناء على كلمتي - جواب معقول جداً. إذن انْ أعطيته أنا ذلك الجواب أكون قد أجبته على السؤال، وأجبت عليه بصحّة، وأستطيع أن أتحدَّى أيّ شخص في أن ينقضني.

هيبياس: كيف يمكن نقضك عندما يظن أيّ شخص بالشيء عينه وسيشهد كلّ من يسمعك بأنّك محقّ فيما تقول؟

سقراط: هكذا تماماً، وبعدُ، يا هيبياس، دعني ألخّص لنفسي ما تقول. سيسألني ذلك الإنسان سؤالاً مثل هذا: « تعالَ، يا سقراط، أعطنيَ جواباً. لنعُد إلى أمثلتك عن الحمال، قل لي ماذا يجب أن يكون الجمال بنفسه. كن منظّماً

كي تشرح لماذا نستعمل الكلمة له ». وتريدني أنت أن أجيب أنّه إذا كانت العذراء الجميلة جمالاً، فإنّنا وجدنا لماذا كلُّ من يكون جميلاً يكون مؤهّلاً لذلك الإسم؟

هيبياس: هل ستتصوّر أنّه سيحاول أن ينقضك حينئذ ببرهنة أنّك لم تذكر شيئاً جميلاً، أو إذا حاول ذلك فإنّه لن يبدو غبيّاً؟

سقراط: إنّني متأكّد، يا صديقي الغالي، من أنّه سيحاول أن ينقضني؛ سيبيّن الحدث إذا ما كانت المحاولة ستجعله يبدو غبيّاً. لكن اسمح لي أن أخبرك ما سيقوله لي.

هيبياس: واصل، إذن.

سقراط: سيقول، « كم أنت فاتن، يا سقراط! أليست الفرس الجميلة جمالاً؟ إن الإله ذاته أثنى على الجياد في وحيه » كيف سنجيب، يا هيبياس؟ ألا يجب أن نقول إنّ الفرس أيضاً، أو على الأقل الفرس الجميلة، تكون جمالاً؟ إنّه لمن التهوّر بمكان أن نفكّر أنّ الجمال يكون جميلاً.

هيبياس: حقيقيّ تماماً؛ يمكنني أن أضيف أنّ الإله أيضاً، تكلّم بصحّة تماماً؛ وهي أنّ الجياد التي نربّيها في بلادنا هي جميلة جدّاً.

سقراط: سيقول هو الآن، « جيّد جداً، لكن ماذا عن القيثارة الجميلة؟ أليست تلك جمالاً »؟ هل سنوافق نحن على هذا، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم.

سقراط: حاكمين على ما سيقوله من شخصيته، فإنّني أشعر، بالتأكيد تقريباً، من أنّه سيواصل أسئلته بعدئذ ويقول: « ماذا عن القِدْرِ الجميلة، يا سيدي العزيز؟ أليست تلك جمالاً »؟

هيبياس: من هو هذا الشخص؟ ما هذا الشخص الفظّ، الّذي يجرؤ على أن يُدخل أمثلةً مبتذلة كهذه في البحث المهمّ؟

سقراط: إنّه شخص من ذلك النوع، يا هيبياس، الذي ليس مهذّباً. شخص عاديّ لا يهتم بشيء سوى الحقيقة، يبقى أن يُجابَ على أسئلته، وأعطيته أنا أجابتي الخاصّة بادىء ذي بدء؛ إذا كانت القِدْر من عمل الخزّاف الماهر، ناعمة الملمس ومستديرةً ومحمَّاةً جيداً على النار بشكل مناسب، مثل بعض القدور الجميلة التي قد رأيتها، ذات المسكتين الاثنتين التّي تتّسع لستّ CHOES،(٣٣) إذا عاد ليسأل سؤالاً بخصوص القدر مثل ذلك، يجب علينا أن نعترف بأنّه يكون جميلاً. أنقدر على أن نؤكّد أنّ ما هو شيء جميل ليس جمالاً؟

هيبياس: لا، إننا لا نستطيع.

سقراطً: سيقول هو: « حتّى أنَّ الإناء الجميل يكون جمالاً؟ » أجب من فضلك.

هيبياس: نعم، إنّني أفترض ذلك. حتّى أنّ هذا الوعاء يكون جميلاً عندما يُصنع بجمال، لكنّه لا يستحقّ أن يُعتبر جميلاً مقارنةً مع الحصان أو العذراء بشكل نوعيّ، أو بكلّ الأشياء الأخرى ذات الجمال.

سقراط: حسناً جدّاً. إنّني أفهم، يا هيبياس، أنّه حينما يطرح هذه الأسئلة عليّ أن أجيبه، « يا سيّد، إنّك لا تدرك الحقيقة الهيراقليطية القائلة بأنّ القرود الأكثر جمالاً هي قبيحة بالمقارنة مع السلالة البشرية؛ وأن القدور الأكثر جمالاً هي دميمة عند جمعها مع العذارى ـ هكذا يقول هيبياس الحكيم ». هذا صحيح؟

هيبياس: إنّه الجواب الحقيقيّ تماماً.

سقراط: وبعدُ سجّل كلماتي. إنّني متأكّد بأنّه سيقول بعدئذ، « نعم، يا سقراط، لكن إذا جُمعَت العذارى مع الآلهة، ألن تكون النتيجة الشيء عينه كما لو ضُمّت القدور مع العذارى؟ ألن تبدو العذارى الأكثر جمالاً قبيحة بهذه المقارنة؟ ألا يستخدم هيراقليطس، الذي تقدَّم، هذه الكلمات بالتحديد، « سيظهر أعقل الرجال ليس سوى قرد في الحكمة والجمال وفي كلّ شيء

آخر، عندما يُقارَن بالله »؟ هل سنعترف يا هيبياس بأنّ العذراء الأجمل تكون قبيحة بالمقارنة مع سلالةَ الآلهة؟

هيبياس: لا يستطيع أحد أن يكذِّب ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذا أدخلنا هذا الاعتراف إذن، فإنّه سيضحك ويقول، « يا سقراط، هل تتذكّر ما سألتك؟ » وسأجيبه « نعم، إنّني سُئلت ما هو الجمال بذاته ». وسيواصلُ هو السؤال، « إذن عَندما تُسأل عن الجمال، فهل تعطي جواباً على هذا الذي تعترف أنت بأنّه لا يكون جميلاً أكثر ممّا يكون قبيحاً؟ » إنّي سأقول له « على ما يبدو » لكن بماذا تنصحني كي أجيب؟

هيبياس: كما أجبت، طبعاً إنّه سيكون محقّاً في القول بأنّ السلالة الإنسانيّة ليست جميلة بالمقارنة مع الآلهة.

سقراط: سيواصل هو القول، « إذا سألتك في البداية ما هو الجميل والقبيح كلاهما، وأجبتني أنت كما أجبتني الآن، أمَا كانت إجابتك صحيحة؟ لكن أما زلت تعتقد أنّ الجمال المطلق الذي بواسطته تكون كلّ الأشياء الأخرى منتظِمة ومنظَّمةً بالجمال، وتظهر جميلة عندما يضاف إليها شكل هذا الجمال الكليّ ونموذجه ـ ألا تزال تعتقد أنّ ذلك الجمال هو جمال العذراء، أو الحصان، أو القيثارة؟

هيبياس: لكن يبقى، يا سقراط، إذا كان هذا ما يريده هو، فإنّه الشيء الأسهل في العالم لتخبره ما هو الجمال الذي ينظّم كلّ الأشياء الأخرى في الجمال ويجعلها تظهر جميلة عند إضافته إليها. يجب أن يكون هذا الشخص غبيّاً تماماً، غير عارفٍ أيَّ شيء عن أشياء الجمال. إذا أجبته أنَّ هذا الذي يسأل عنه، أي الجمال، ليس شيئاً مغايراً للذهب، فإنّه سيكون محتاراً، ولن يحاول أن ينقضك لأنّي أفترض أنّنا كلنا نعرف بأنّ أيّ شيء يضاف الذهب إليه، سيظهر جميلاً، حتّى ولو أنّه بدا من قبلُ بشعاً.

هيبياس: ماذا تعني؟ يتعيَّن عليه أن يقبل بالعرض الدقيق الذي نقدّمه، تحت طائلة عقوبة السخرية.

سقراط: حسناً، يا صديقي، إنّ جوابك هذا لن يرفض أن يقبله فقط، بل إنّه سيهزأ بي أيضاً بشكل رديء قائلاً: « أيّها الأحمق! هل تظنّ أن فايدياس فنان سيِّىء »؟ افترض بأنّني سأجيب، « ليس في الأقل ».

هيبياس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: نعم، أعتقد هكذا. لكنّني عندما أوافق على أن يكون فايدياس فنّاناً كفؤاً، سيقول هو، « إذن هل تتوهّم أن فايدياس كان جاهلاً لهذا الجمال الذي تتكلّم عنه؟ » فإنّي سأجيب: « ما هي النقطة الرئيسيّة؟ » وسيواصل القول، « النقطة الرئيسية هي أنّه لم يهب لأثيناه عينين من ذهب، أو يستعمل ذهباً لبقيّة وجهها، أو ليديها، أو لقدميها، كما سيتعيَّن عليه أن يعمل إذا كان من الممكن أن يعطي لها الجمال الأسمى باستعمال الذّهب. كيف سنجيبه عندئذ، يا هيبياس؟

هيبياس: إنّ الجواب سهل تماماً. سنجيبه أنّ فايدياس كان محقّاً من حيث الفنّ؛ وأنا أفترض أنّ العاج هو جميل أيضاً.

سقراط: سيقول: « لماذا إذن لم يصنع فايدياس مقلة العينين من العاج أيضاً، بل صنعها من الحجر، مكتشفاً أن الحجر يشبه العاج قدر الإمكان، أو هل يكون الحجر، الذي هو نفسه جميل، هل يكون جمالاً؟ هل سنقول له إنّه كذلك؟

هيبياس: نعم، إنّه يكون جميلاً عندما يكون مناسباً، على الأقلّ.

سقراط: « لكنّه يكون قبيحاً عندما لا يكون مناسباً؟ » هل سأوافق على كلامه؟

هيبياس: نعم عندما لا يكون ملائماً.

سقراط: سيواصل القول، « حسناً إذن، أوه يا رجل الحكمة، ألا يجعل العاج والذهب الشيء جميلاً عندما يكونان مناسبين، وقبيحاً حينما لا يكونان كذلك؟ » هل سننكر ما يقوله أو نعترف بأنّه محقّ فيه؟

هيبياس: إنّنا سوف نعترف على كلّ حال أنّ ما يكون ملائماً لشيء خاصّ مهما يكنْ، سيجعل ذلك الشيء جميلاً.

سقراط: سيستأنف كلامه قائلاً، « إذن عندما يغلي الإنسان القِدْر الذي تكلمّنا عنه، ويكون القدر الجميل هذا ممتلئاً بالحِساء، فما الأكثر ملاءَمة له: مِغْرَفةٌ من الذهب أو مِغْرَفةٌ من خشب التين؟ ».

هيبياس: يا له من مخلوق! حقّاً، يا سقراط، أخبرني من فضلك من هو.

سقراط: لن تعرفه إذا ما أخبرتك عن اسمه.

هيبياس: إنّني أعرف عنه بما فيه الكفاية في هذه اللحظة كي أنعته بالبَلَه.

سقراط: إنّه شخص مزعج هائل، يا هيبياس، يبقى، كيف سنجيبه على سؤاله؟ أيٌّ من المِغرفتين الاثنتين يتعيَّن علينا أن نختار على أنها ملائمة للحساء والقدر؟ إنّها المِغْرَفة ذات الخشب التيني بوضوح؟ لأنّها تعطي الحِسَاء رائحة أفضل، كما أفترض؛ وأكثر من ذلك، يا صديقي، فإنّها لن تكسر قدرنا وتدلق الحِساء وتخمد النار وتحرم ضيوفنا من صحن الحساء الممتاز عند الغداء، في حين أنّ المِغْرَفة الذهبيّة ستقوم بكلّ هذا. ولهذا السبب، إذا لم يكن لديك اعتراض، فإنّني أعتقد بأنه يلزمنا أن نقول إنَّ المِغْرَفة الخشبيّة هي أكثر ملاءَمة من المِغْرَفة الذهبيّة.

هيبياس: نعم، إنّها أكثر ملاءَمة؛ لكنّني لن أستمّر في التكلّم مع هذا الشخص إذا ما واصل طرح أسئلة كهذه.

سقراط: حقيقيّ تماماً، يا صديقي، إنّها لن تكون مناسِبَةً لك كي تتلوّث بلغة كهذه، أنت ترتدي أحسن ما عندك من ثياب، وتحتذي حذاء جميلاً، وتشتهر بحكمتك في كلّ مكان من العالم اليوناني. لكنّي لا أهتم أنا إذا آختلطت بذلك الفتى رغم ما يصدر عنه؛ وهكذا خُصَّني بتعليمك وتثقيفك، وأجب على الأسئلة من أجلي. سيقول هو، « إذا كانت المِغْرَفة الخشبية أكثر

ملاءَمة من المِغْرَفة الذهبيّة حقاً، ألن تكون أكثر جمالاً أيضاً، بما أنّك اعترفت، يا سقراط، أنّ المناسب يكون أكثر جمالاً من غير المناسب؟ ». هل نستطيع أن نتفادى الاعتراف أنّ المِغْرفة الخشبيَّة هي أكثر جمالاً من المغرفة الذهبيَّة؟

هيبياس: هل تريدني أن أعطيك تعريفاً للجمال تستطيع أن تنقذ نفسك بواسطته من محادثة مطوَّلة معه؟

سقراط: بالتأكيد، لكن من فضلك أخبرني بادىء ذي بدء عن المِغرفتين الإثنتين اللتين ذكرتهما لتوِّي، أيّهما الأنسب وأيّهما الأكثر جمالاً؟

هيبياس: حسناً، إذا أجبت، أجبه أنّها المصنوعة من خشب التين.

سقراط: قل الآن ما اقترحت قوله منذ لحظة مضت؛ لأنّ تَتبُّعي لجوابك، وإذا قبلت بوجهة نظرك أنّ الجمال هو الذهب، فإنّني سأواجه الحقيقة على ما يبدو وهي أنّ الذهب ليس جميلاً أكثر من خشب التين. والآن، ما هو الجمال طبقاً لك، مرّةً ثانية؟

هيبياس: ستحوز جوابك، يا سقراط، وأعتقد بأنّك تبحث عن جواب ينسب إلى الجمال طبيعةً كهذه التي لن تبدو أبداً ذميمة لأي شخص وفي أيّ مكان؟

سقراط: بالضبط؛ إنّك أدركت معناي بشكل رائع.

هيبياس: والآن إصغِ إليَّ من فضلك؛ إذا ما استطاع أيّ شخص أن يجد أيّة غلطة فيما أقول، فإنّني آذَنُ لك أن تدعوني معتوهاً.

سقراط: إنّني قَلِق.

هيبياس: إنّني أؤكد إذّن على الدوام، في كل مكان، ولكلّ إنسان، أنّ الأكثر جمالاً هو أن يكون الإنسان غنيّاً، معافىً، يكرّمه اليونانيون، إلى أن يصل إلى سنّ الشيخوخة، ويدفن آباءه بنبل، وعلى أن يُحمل هو نفسه إلى القبر بمراسم مهيبة يقيمها له أولاده.

سقراط: مرحى، مرحى، يا هيبياس؛ إنّ هذه الكلمات هي كلمات مدهشة، جليلة، جديرة بك، ولك كل إعجابي وإقراري بالجميل. إنّني أشكرك لتلطّفك في إبراز كل مقدرتك لمساعدتي. لكن لا تزال سهامنا التي نطلقها تخطىء رَجُلنا، وأحذّرك بأنّه سيسخر منّا الآن أكثر من أيّ وقت مضى.

هيبياس: إنّه نوع فقير من السخرية، يا سقراط، لأنّه بسخريّته منا، وهو لا يستطيع أن يجد اعتراضاً على وجهة نظرنا، فليس بمستهزىءٍ إلاّ من نفسه، وسيسخر من الجماعة الموجودة.

سقراط: ربّما ذلك، ربّما! على كلّ حال، فأنت تقترح انه عندما يتلقّى الجواب، فإنه لن يخسر مني فقط، بل عليّ أن أتوقّع منه شرّاً أو مصيبة أدهى.

هيبياس: ماذا تعني؟

سقراط: إذا ما صدف أنه يحمل عصاً معه، فإنّه سيحاول ضربي بها بقوّة، إلاّ إذا نجوت منه بالهرب بعيداً.

هيبياس: ماذا؟ هل هذا الشخص مولاك أو سيدك بطريقة أو بأخرى؟ إنه سيُعتقل ويُعاقب لسلوكه هذا وتصرّفه بكلّ تأكيد؟ أو أن مدينة أثينا ليس لديها نظام للعدل كي تسمح لمواطنيها بأن يرتكبوا اعتداءات جائرة بعضهم ضدّ بعض؟

سقراط: إنّ مدينة أثينا تمنعها بشكل مطلق.

هيبياس: إذن فإنّه سيُعاقب على اعتداءاته الظالمة؟

سقراط: إنّني لا أظنّ ذلك، يا هيبياس. لا، لا أظنّ بشكل مؤكّد، إذا كان ذلك هو الجواب الذي أعطيته له؛ أعتقد بأنّ اعتداءَه سيكون اعتداءً مبرَّراً.

هيبياس: بما أن هذا الرأي هو رأيك الخاص، حسناً، فإنّني أعتقد هكذا أيضاً.

سقراط: لكن هل سأستمرّ في إيضاح أنّ ذلك الجواب سيبرِّر الهجوم عليَّ، في رأيي الخاص؟ أو أنّك أنت ستعتدي عليَّ أيضاً بدون محاكمة، وترفض سماعي؟

هيبياس: لا؛ إنّ رفضاً كهذا سيكون رفضاً خاطئاً إلى حدٍّ فظيع. لكن ماذا عندك لتقول؟

سقراط: إنّني سأستمرّ على المخطّط عينه مثلما كنت للحظة مضت، متظاهراً بأنّني هذا الشخص لكنّي لن أستعمل معك الكلمات ذات النوع الهجومي، الكلمات المغايرة لكل ما هو طبيعيّ أو نموذجيّ، من نوع الكلمات التي سيستخدمها معي. سيقول هو، وإنّني لمتأكّد من ذلك، سيقول « هل تتصوّر يا سقراط، بأنّك تستحقّ الجَلْدَ بعد أن غنَّيت بهذا الشكل القبيح وبدون تناغم، قصيدةً مليئة بالعواطف الجيّاشة وبحماسة، قصيدة طويلة وغير متّصلة بالموضوع وذلك جواباً على السؤال الذي سُئِلتَه؟ ». سأقول له، « ماذا تعني؟ » وسيجيبني، « ماذا أعني؟ ألست بقادرٍ على أن تتذكر بأنّي سألتك بخصوص الجمال ذاته، بشأن ذلك الذي يعطي الصفة المميِّزة لكون كل شيء جميلاً، والذي يضاف إليه هذا الجمال: إلى الحجر والخشب، والإنسان، والله، ولكلّ عملٍ، وكلّ فرعٍ من فروع العلم؟ إنّني أسأل، يا سيّدي، ما هو الجمال بذاته. وبرغم كل صراخي فإنّني لا أستطيع جعلك تسمعني؛ يمكن أن تكون حجراً جالساً بجانبي، حجَر رحىً حقيقياً بدون أذنين ولا دماغ ». ألن تكون ساخطاً، يا هيبياس، إذا ما كنت لأجيبه برعب: « لكن هذا هو ما أعلنه هيبياس، برغم أنّني ألححت عليه في السؤال، مثلما تفعل أنت تماماً، أنّ الجمال هو لذلك الذي يكون جميلاً أبداً ولكلّ شخص ». بصراحة، ألن تُسخِطك هذه الإجابة؟

هيبياس: إنّني متأكّد تماماً، يا سقراط، من أنّ ما عيّنته هو جميلٌ، وسيبدو هكذا جميلاً للكلّ.

سقراط: سيجيب « وهل سيكون هكذا في المستقبل؟ لأنّ الجمال، وأنا أسلِّم بذلك، يكون جميلاً على الدوام »؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وكان هو جميلاً في الماضي، أيضاً؟

هيبياس: إنّه كان جميلاً في الماضي.

سقراط: سيستمرّ في القول بعدئذ « هكذا أكّد هذا الغريب من مدينة إليس، أنّه قد كان جميلاً لأخيل أن يُدفن بعد آبائه، وكذلك كان لجدّه آيكوس بشكل مماثل، ولأطفال الآلهة الآخرين، وللآلهة ذاتهم؟ ».

هيبياس: ما هذا؟ قل له أن يذهب إلى ـ المجد! إنّ أسئلته هذه هي أسئلة غير موقّرة، يا سقراط.

سقراط: إنّها ليست بالتأكيد أسئلة غير متّسمة بالاحترام بالضبط، وذلك كي تقول إنّ هذه الأشياء هي هكذا، عندما سأل شخص آخر ما هذا السؤال؟

هيبياس: حسناً، لا على الأرجح.

سقراط: سيقول هو بعدئذ وبشكل محتمل: « إنّك أنت الذي تؤكّد أنّ الجميل يكون جميلاً على الدوام ولكلّ شخص كي يدفن آباءَه وأنّ يدفنه أبناؤه. ألا يشمل « كلّ شخص » هرقل وكلّ الأشخاص الآخرين الذين ذُكروا منذ لحظة مضت؟ ».

هيبياس: لم أعنِ شمولَ الآلهة.

سقراط: « ولا الأبطال أيضاً، على ما يبدو ».

هيبياس: ليس إذا كانوا أطفال آلهة.

سقراط: « لكن إن لم يكونوا؟ ».

هيبياس: بالتأكيد، ذلك ما أعنيه.

سقراط: « يظهر الآن من محاورتك إذن أنّ القَدَر الذي كان رهيباً وعاقّاً ومخزياً لتانتالوس وداردانوس وزيثوس هو جميلٌ لبيلوبس والأبطال الآخرين ذوي الأنساب المتشابهة؟ ».

هيبياس: أتصوّر ذلك.

سقراط: سيواصل القول: « تتصوّر أنت إذن، بشكل معاكس لما قلته لتوّك الآن تماماً، وهو أن يدفن الشخص آباءه، وأن يدفنه أطفاله، يكون خزياً بعض المرات ولبعض الأشخاص؛ ويبدو مستحيلاً أكثر من أيّ وقت مضى، من أنّه سيصبح أو يكون هذا شيئاً جميلاً لأيّ شخص. وهكذا فإنّ هذا التعريف يلاقي المصير عينه كتلك التعريفات التي بحثناها سابقاً: العذراء والإناء، حتى أنّ هذا التعريف يُعتبر إخفاقاً لسخفه وغرابته لأنّه يقدّم لنا ما هو جميل لبعض الرجال، وليس لبعضهم الآخر. ولا تقدر، يا سقراط، على أن تجيبني هذا اليوم بالذات على السؤال الذي سألتك إيّاه: الجمال، ما هو؟ » إنّه سيرميني بهذه التوابيخ وبغيرها ببعض العدل، إذا أعطيته هذا الجواب. إنه تحدث معي بالجزء الأكبر من كلامه وفقاً لهذه الطريقة؛ لكنّه سألني بعض المرات، وكأنه يعرض عليّ ذلك، بسبب شفقته عليّ لضعف خبرتي ولقلة علمي، سألني إذا ما كنت أعتقد أنّ الجمال يكون كذا وكذا؛ أو أنه يمكن أن يكون على موضوع ما آخر - مهما يمكن أن يعتقد بشأنه، وما نبحثه الآن.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط.؟

سقراط: إنّني سأوضح لك، « يا نبيلي سقراط »، يقول هو، « لا تُعطِ أجوبة من ذلك النوع، وفي تلك الطريقة - إنّها أجوبة ساذجة وسخيفة، سهلٌ تمزيقها إلى قطع خرقاء؛ لكن تأمّل هذا الاقتراح. رأينا في واحد من إجاباتنا السابقة منذ وقت قليل، وعبّرنا عن الفكرة و هي أن الجميل أو غير الجميل يكون وفقاً لما يُركّز في وضع مناسب؛ وكذلك مع كلّ شيء آخر يمكن أن تضاف إليه هذه الكفاءَة بشكل مماثل. وبعدُ إعتبر هذه الملاءَمة وتأمّل مليّاً الطبيعة العامة للتناسب، وانظر إذا أمكن أن لا يكون هذا التناسب هو

الجمال ». إنّني لمعتادٌ الموافقة على هكذا أحداسٍ بشكل ثابت، لأنّي لا أستطيع أن أفتكر بأيّ شيء آخر لأقوله؛ لكن، هل تعتقد أنّ المناسب يكون جميلاً؟

هيبياس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: دعنا نتأمّل ملياً، ونتأكّد بأن ليسِ هناك خدعة.

هيبياس: يجب أن نفعل ذلك.

سقراط: تعالَ إذن. هل نعرّف المناسب بأنّه ذلك الذي يسبّب بوجوده الأشياء التي ستصبح حاضرة فيه كي تظهر جميلة؛ أو أنّه يسبّبها لتكون جميلة، أو أنه لا يدع حدوث كلا الشيئين؟

هيبياس: إنّه برأيي الخاص، هوِ ذلك الذي يسبّب ظهور جمال الأشياء. كمثال، يمكن لإنسان أن يكون شكلاً يستحقّ السخرية، لكنّه عندما يتدثّر بالثياب أو ينتعل الأحذية التي تناسبه جيّداً، فإنه يبدو إنساناً أجمل.

سقراط: لكن حينئذ إذا جعل المناسب الأشياء أكثر جمالاً ممّا هي بحقّ، فإنّ هذا المناسب يكون نوعاً من أنواع الاحتيال فيما يتعلّق بالجمال، ولن يكون ذلك الذي نبحث عنه، فهل يكون؟ أتصوّر بأنّنا كنا باحثين عن ذلك الذي تكون كلّ الأشياء الجميلة جميلة بواسطته، مشبهاً لذلك الذي تكون كلّ الأشياء الكبيرة كبيرة بواسطته، أعني، الإفراط الذي بسببه تكون كلّ الأشياء الكبيرة كبيرة. ويجب أن تكون كبيرة بالتأكيد إذا أسرفتْ وتجاوزتْ، حتّى إنْ لم تبدُ هكذا. نسأل نحن عن الجمال بشكل مماثل، الذي تكون كلّ الأشياء الجميلة جميلة بسببه سواء إذا بدت هكذا أو لم تبدُ ـ ماذا يمكن أن يكون هذا؟ لا يمكن أن يكون ذلك المناسب، لأنّه بناءً على وجهة نظرك الخاصّة، فإنّ هذا يجعل الأشياء تظهر أكثر جمالاً ممّا هي، ولا يتركها تبدو كما هي في الحقيقة. يجب علينا أن نتأمّل مليّاً ذلك الذي يجمّل الأشياء، كما قلت

لتوّي الآن، سوَاء إذا بدا هكذا أو لم يبدُ، ونحاول أن نعرّفه. إنّ هذا هو ما نبحث عنه، إذا ما كنّا نتطلّع إلى الجمال.

هيبياس: لكن، يا سقراط، إن المناسب يسبّب الأشياء لتكون ولتظهر جميلة في نفس الوقت، عندما يكون موجوداً.

سقراط: إذن فإنّه لمستحيلٌ للأشياء التي تكون جميلة أن لا تبدو جميلة في الحقيقة، إذ وفقاً للفرضية المقترحة فإنّ الذي يجعلها تظهر جميلة يكون موجوداً فيها.

هيبياس: إنّه لمستحيل.

سقراط: إنّ الاستنتاج حينئذ، يا هيبياس، أنّ كلّ الاصطلاحات الموطّدة، وأنّ جميع الممارسات التي هي جميلة في الواقع تُعتبر وكأنها جميلة بكلّ الرجال، وتظهر لهم هكذا على الدوام. أو هل أنّنا نقدّر العكس بالضبط، وهو أنّ الجهل بها يكون جهلاً عامّاً وشائعاً، وأنّ هذه تكون الرئيسة لكلّ أهداف ومقاصد النزاع والقتال، بين الأفراد والدول على حدّ سواء؟

هيبياس: أعتقد أنّ الرأي الأخير هو الرأي الصحيح، حيث ينتشر الجهل.

سقراط: لن يكون هكذا، إذا أضيف لها مظهر الجمال؛ وسيضاف إليها مظهر الجمال هذا إذا كان المناسب جميلاً وسبّبها لأن تبدو، ولأن تكون جميلة أيضاً بالإضافة إلى ذلك. يتبع هذا إذا كان المناسب ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء في الحقيقة، حينئذ سيكون ذلك الجمال الذي نبحث عنه، لكن يبقى أنّه لن يكون ذلك الذي يسبّب جمالها؛ إذا كان ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء يكون المناسب، على الجانب الآخر. إنّ ذلك الذي نبحث عنه يجعل الأشياء جميلة، لكنّ السبب عينه لا يمكنه أبداً أن يجعل الأشياء تبدو، وتكون إمّا جميلة أو أيّ شيء آخر على السواء. إنّ لدينا هذين الخيارين. هل المناسب هو ذلك الذي يسبّب جمال الأشياء، أو أنّه ذلك الذي يسبّبها كي تكون هكذا؟

هيبياس: أعتقد أنّ الخيار الأوّل هو الخيار الصحيح.

سقراط: يا لطيف! إذن فإنّ فرصة اكتشاف ما هو الجميل في الحقيقة انسلّت من بين أصابعنا وتلاشت، بما أنّ المناسب ثبت أنّه يكون شيئاً ما غيراً من الجميل.

هيبياس: ما كان عليّ أن أتصوّره أبداً، يا سقراط، بناء على كلمتي!

سقراط: لكن يبقى، يا صديقي، ألاّ تجعلنا نتوقّف عن المحاولة مع ذلك؛ إذ لم يزل عندي نوع من الأمل وهو أن طبيعة الجمال سوف تكشف نفسها.

هيبياس: نعم حقاً، إنّها ليست صعبة كي تُكتشف. إنّني لمتأكّد من أنّي إذا اعتزلت إلى مكانٍ ما واختليت بنفسي لفترة قصيرة وتأمّلت ذلك مليّاً، فإنّني أستطيع حينها أن أعرّفها لك بدقّةٍ هي الأسمى.

سقراط: يا هيبياس، يا هيبياس، لا تتبجّح. تعرف أنت ما هي المتاعب التي سببتها لنا سابقاً، وأخشى من أنّه يمكنها أن تغضب منا وتولّي الأدبار بتصميم أكثر من أيّ وقت مضى. لكن أيّة سفاسف أتفوّه بها الآن؛ افترض، أنّك ستكتشفها بسهولة عندما تختلي مرّة لوحدك. يبقى، أنّي أستعطفك بجدّية أكثر، أن تكتشفها معي هنا؛ أو إذا سرَّك، دعنا نبحث عنها معاً كما كنا فاعلين حتى الآن. وإذا وجدناها، فحسنٌ وخيرٌ؛ وإنْ لم نجدها، فأتصوّر بأنّي سأستسلم لقدري، وسترحل أنت وتكتشفها بكلّ سهولة. طبعاً، إذا وجدناها الآن، فأنت لن تتضايق بالتساؤلات التي أوجّهها لك عن طبيعة اكتشافك الجديد. وهكذا أنظر إلى فهمك للجمال بنفسه من فضلك. أمّا انا فإنّني أعرّفه بمَثَل - صلِّ، اعطني انتباهك الكلّي وأوقفني إذا تكلّمت هراء - حسناً، دعنا نفترض أنّه ما يكن نافعاً يكن جميلاً. إنّ مبرّرات افتراضي هي كما يلي: نحن لا نقول إنّ العينين جميلتان عندما تبدوان غير قادرتين على البصر؛ بل نفعل ذلك حينما تمتلكان تلك القدرة وتكونان نافعتين للرّؤيا. هل هذا صحيح؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ونقول بشكل مماثل إنّ الجسد كلّه مصنوع بجمال، مرّاتٍ للركض، ومرّاتٍ للمصارعة؛ ونتكلّم بالطريقة عينها عن كلّ الحيوانات، ونستعمل الكلمة « جميل »، للحصان الجميل، أو للدّيك، أو لطائر السمّان، ولكلّ الأوعية، ولكلّ وسائل النقل على اليابسة وفي البحر معاً: البواخر التجارية، والمراكب الحربية، وكلّ آلات الموسيقى وأدوات الفنّ بشكل عامّ، وإن أحببت فللإجراءَات القوانين أيضاً، إنّنا نستعمل الكلمة « جميل » عملياً لكلّ هذه الاشياء بالأسلوب عينه. نأخذ كمعيارٍ للحكم في كلّ حالة، نأخذ البناء الطبيعيّ أو الصنعة أو شكل نموذج التشريع. ومهما يكن نافعاً فإنّنا نسميه نحن جميلاً، وجميلاً في ذلك الخصوص الذي يكون فيه نافعاً؛ وندعو القبيح ذلك الذي يكون عديم النفع في كلّ هذه النواحي. أليست وجهة النظر هذه هي وجهة نظرك أيضاً، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم، إنّها لكذلك.

سقراط: إذن نحن محقّون الآن في التأكيد على أنّ النافع هو الجميل بشكلٍ رفيع الشأن.

هيبياس: إنّنا لمحقّون.

سقراط: وإنّ الذي لديه القوة كي ينجز هدفه المحدَّد يكون نافعاً للغرض الذي يمتلك القوّة كي ينجزه، وأنّ الذي يكون بدون تلك القوة هو غير نافع؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ القوّة شيء جميل، والافتقار لها بشاعة؟

هيبياس: هذا كثيرٌ جدّاً. إنّ لدينا برهاناً لتلك الحقيقة من الحياة العامّة، وهذا مصدر واحد من بين العديد من المصادر الأخرى، لأنّ القوة هي الشيء الأكثر جمالاً من بين كلّ الأشياء، خاصّة في الشؤون السياسية بشكل عامّ، وفي

داخل مدينة الإنسان الخاصّة، والافتقار لهذه القوة هو الأكثر قبحاً وخزياً.

سقراط: جيّد! ألا يتبع بعدئذ ـ عاقبة خطيرة ـ وهي أنّ الحكمة هي الأكثر جمالاً، والجهل هو الأكثر خزياً وعاراً من كل الأشياء؟

هيبياس: ماذا تعتقد، يا سقراط؟

سقراط: دقيقة هدوء، يا صديقي العزيز؛ إنّ لديَّ شكوكاً بشأن الخطّ الذي تبنّيناه الآن.

هيبياس: لماذا هذه الشكوك مرّة ثانية؟ إنّ محاورتك تقدّمت هذه المرّة بشكل ممتاز؟

سقراط: كنت أرغب لو أنّها كذلك؛ لكن دعنا نتأمّل معاً هذه النقطة الرئيسة. هل يستطيع إنسان أن يقوم بعمل شيء ما لا يمتلك المعرفة ولا أدنى قدرٍ من القوّة كي يفعله؟

هيبياس: لا بالطبع؛ كيف يستطيع أن يفعل ما لم يمتلك له القوة كي يقوم به؟

سقراط: إذن فإنّ أولئك الذين يجدون طريقة ويعملون الشرّ لا إراديًّا بسبب خطأ ما ـ بالتأكيد إنّهم لن يفعلوا أشياء كهذه لو لم تكن لديهم القوّة كي يقوموا بها؟

هيبياس: لا بوضوح.

سقراط: وأولئك الذين يمتلكون القوّة كي يفعلوا شيئاً يفعلونه بواسطة القوّة، وليس لكونهم عاجزين بالطبع؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ أولئك الذين يفعلون ما يفعلون، كلّهم لديهم القوة كي يفعلوه.

هيبياس: نعم.

سقراط: ويُفعل الشر بوفرة أكثر بكثير ممّا يُفعل الخير من قِبَلِ كلّ الرجال بدءاً من سنّ الطفولة وصعوداً، الرجال الذين يخطئون لا إرادياً.

هيبياس: إنّها لكذلك.

سقراط: حسناً إذن، هل نقول بأنّ هذه قوّة، وأنّ هذه أشياء نافعة ـ أعني أيّة أشياء نافعة لعمل بعض الشرّ ـ هل نقول بأنّ هذه الأشياء هي جميلة، أو أنّها بعيدة جدّاً من كونها كذلك؟

هيبياس: إنّها بعيدة جدّاً من كونها كذلك، في رأيي.

سقراط: يبدو إذن أنّ القويّ والنافع ليسا الجمال الذي نريد.

هيبياس: إنّهما يكونان، يا سقراط، إذا كانا قويّين للخير، ونافعين لمقاصد كهذه.

سقراط: تبقى نظريّةُ أنّ ذلك الذي يكون قويّاً ونافعاً يكون جميلاً بدون مواصفات، وهذه النظرية تلاشت وآضمحلّت. هل تتصوّر، على كل حال، أنّ الذي كنا نفكّر في قوله هو أنَّ الجمال هو ذلك النافع والقوي بغرضٍ خيِّرٍ ما؟

هيبياس: أعتقد ذلك.

سقراط: لكن هذا يكون مساوياً ل« المفيد » أليس كذلك؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وهكذا وصلنا إلى استنتاج أنّ الأجسام الجميلة، وأنّ قوانين الحياة الجميلة، وأنّ كلّ الأشياء الجميلة التي ذكرناها لتوّنا الآن، هي جميلة لأنّها مفيدة؟

هيبياس: بجلاء.

سقراط: يبدو إذن كما لو أنّ الجمال هو المفيد، يا هيبياس؟

هيبياس: بدون شكّ.

سقراط: وبعدُ فإنّ المفيد هو ذلك الذي ينتج خيراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وأنّ الذي ينتج يكون مطابقاً للسبب؟

هيبياس: إنّه كذلك.

سقراط: إذن فإنّ المفيد هو سبب الخير؟

هيبياس: إنّه لكذلك.

سقراط: لكن، يا هيبياس، فإنّ السبب وذلك الذي يكون هو السبب هما شيئان مختلفان بكلّ تأكيد لأنّ السبب يمكن أن يكون بالكاد السبب للسبب. أنظر لِمَا أقول بهذه الطريقة. عُرِّف السبب بأنّه للشيءُ الذي ينتج، أليس هذا تعريفه؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وإنّ الذي ينتجِ بنتج الذي يكون آتياً إلى الوجود فقط؛ إنّه لا ينتج ذلك الذي ينتج؟

هيبياس: إنّه هكذا.

سقراط: وإنّ الذي يأتي إلى الوجود؛ وذلك الذي ينتجه، هما شيئان اثنان مختلفان؟

هيبياس: نعم:

سقراط: إذن فإنّ السبب لا يكون السبب للسبب، بل لذلك الذي يكون آتياً إلى الوجود بواسطته.

هيبياس: بدون ريب.

سقراط: إذا كان الجمال سبب الخير إذن، فسيُحضر الخير إلى الوجود بالجمال حينئذ؛ وسيبدو أنّنا نكرّس أنفسنا لملاحقة الحكمة وكلّ الأشياء الجميلة الأخرى بسبب أنّ إنتاجها وذريَّتها، الخير، يكون جديراً بالتفاني والإخلاص؛ ويبدو من استكشافاتنا وكأنّ الجمال هو نوع من الأب للخير على سبيل المجاز.

هيبياس: بالتأكيد، أنت تتكلّم جيداً، يا سقراط.

سقراط: ألست أقول هذا جيّداً أيضاً، وهو أنّ الأب ليس ابنه، ولا الابن أباه؟

هيبياس: حسناً تماماً.

سقراط: وأنّ السبب ليس ذلك الذي يحضر إلى الوجود، ولا العكس بالعكس؟

هيبياس: صدقاً.

سقراط: إذن فالأكثر تأكيداً، يا سيّدي الصالح، أنّ الجمال لا يكون خيراً ولا الخير جمالاً. هل تعتقد بأنّ ذلك يكون ممكناً بعد بحثنا؟

هيبياس: لا، إنّني لا أفعل ذلك بكلّ التأكيد الأكثر.

سقراط: إذن هل يسرُّنا ذلك، وهل نَحن مستعدّون لنقول إنّ الجميل ليس خيراً، ولا جميلاً؟

هيبياس: لا بالتأكيد الأكثر؛ إنّه لا يسرّني على الإطلاق.

سقراط: إنّني أوافق بالتأكيد الأكثر يا هيبياس؛ وتسرّني بالشكل الأقلّ أيٌّ من النظريات الأخرى التي بحثناها.

هيبياس: محتمل جداً.

سقراط: إذن يبدو وكأنّ وجهة النظر التي اعتقدنا، منذ فترة خلت، أنّها النتيجة الأفضل لمباحثاتنا، أنّها وجهة النظر الّتي تقول إنّ المفيد، والنافع، والقوّة كي تنتج شيئاً ما خيّراً يكون جميلاً، هي وجهة نظر خاطئة؛ لكنّها تكون، إذا أمكن، عرضة للسخرية أكثر من تلك التعريفات الأوّليّة التي كانت العذراء هي الجميلة طبقاً لها، وهكذا فإنّها كانت تابعاً للأشياء الأخرى.

هيبياس: على ما يبدو.

سقراط: أمّا فيما يتعلّق بي، يا هيبياس، فإنّني لا أعرف أين أدور، وإنّي في ضياعٍ كامل، هل عندك أي شيء لتقوله؟

هيبياس: ليس في هذه اللّحظة؛ لكن كما قلت منذ فترة قصيرة مضت، أشعر بأنّي متأكّد، ولسوف أكتشف طريقة بعد بعض التأمّل المليّ.

سقراط: لكنّني لا أشعر بأنّي أستطيع أن أتأخّر كي تصدر تأمّلك. إنّني مشتاق لهذه المعرفة لهذا السبب؛ وأتخيّل بأنّي عثرت على شيءٍ ما حقّاً بطريق

الصدفة. تعال الآن: إذا كنا سنقول بأنّ ذلك الذي نستمتع به ـ لا أعني بأني أشمل كلّ الملذّات، بل تلك التي نستمتع بها من خلال حاسّتي السمع والبصر ـ إذا كنّا سنقول بأنّ هذا يكون جميلاً، كيف سنكون محظوظين في كفاحنا؟ إنّ المخلوقات الإنسانية الجميلة، وكلّ الأعمال التزيينيّة، والصور، وفنّ اللُّدُن، إنّ هذه الأعمال كلها تبهجنا عندما نراها إذا كانت جميلة بالتأكيد. وأقول، إنّ لدى الأصوات الجميلة، والموسيقى ككلّ، والمحادثات، والقصص الخياليّة، إنّ لدى هذه كلّها التأثير عينه علينا. وهكذا إذا ما كنّا سنجيب هذا الشخص الصاخب فإنّنا سنقول له: « يا سيّدي الجدير بالاحترام، إنّ الجمال هو الشيء المفرح الذي يأتي بواسطة حاسّتي السمع والبصر »، ألا تتصوّر بأنّنا سنوقف صَخَبه؟

هيبياس: أتصوّر، يا سقراط، بأنّه صار لدينا تعريف جيد للجمال أخيراً.

سقراط: حسناً هل ستقول عندئذ بأنّ هذه الممارسات التي هي جميلة، وهذه القوانين، هل ستقول إنّها جميلة لأنها تعطي اللّذّة بواسطة حاستي البصر والسمع، أو أنّها تكون في فئة أخرى؟

هيبياس: لربّما أمكن هذه الحالات أن تفلت من رَجُلنا.

سقراط: لا، يا هيبياس، إنّها لن تفلت من الإنسان بالتأكيد. والذي سأكون خجولاً جدّاً لو يُمسَك به متكلّماً بسفاسف ذرائعيّة.

هيبياس: من تعني؟

سقراط: أعني إبن سوفرنيسكوس(٣٤)، الذي لن يسمح لي بعد اليوم بأن أجازف بهذه التأكيدات في حين أنّها ليست تأكيدات مستكشَفة بأكثر من أن أؤكّد ما لا أعرف كما لو أنّني عرفتها.

هيبياس: حسناً، والآن بما أنّك طرحت النقطة للمناقشة، يجب عليَّ أن أقول بأنّني أعتقد أنّ هذا السؤال بشأن القوانين يكون سؤالاً على أساس مختلف.

سقراط: بلطفٍ، يا هيبياس؛ يمكننا أن نتصوّر تماماً جدّاً بأنّنا نرى طريقنا بوضوح، حينما وقعنا في الصعوبة عينها بشأن الجمال كتلك التي أُمسِكنا بها للحظةٍ مضت.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إن هذا هو الذي يخطر على بالي، يمكن أن يكون هناك شيء ما فيه. إنّ مسائل القانون والممارسة هذه لربّما يمكن إثباتها، بعد كلّ شيء. أنّها تكون ضمن نطاق المدارك الحسيّة للسمع والبصر؛ على كلّ حال، دعنا نتمسّك بهذا العرض بثبات، وهو أنّ السارّ الذي يأتي بواسطة هاتين الحاسّتين يكون الجميل، تاركين السؤال بشأن القوانين جانباً بالإجمال. لكن إذا سأَلَنا شخصٌ كالذي أشرت إليه سابقاً، أو سألنا أيّ شخص آخر: « لماذا، يا هيبياس وسقراط، لماذا اخترتما من داخل النوع للسّارّ ذلك الذي يكون مُرضياً في الطريقة التي تؤكد أنّها هي الجميل، في حين أنكما تنكران الدّلالة للجميل لذلك الذي يكون سارّاً وفقاً للحواسّ الأخرى، يعني، الحواسّ، التي لها علاقة بالغذاء، والشراب، والجماع، وكل الأشياء الأخرى كهذه؟ أو هل أنتما تنكران أنّ هذه الأشياء هي سارّة، وتدّعيان بأنّه لا يوجد مسرّة في أشياء كهذه مهما كانت، أو في أيّ شيء آخر ما عدا البصر والسمع؟ » فماذا سنقول؟

هيبياس: سنجيب بوضوح أنّ هذه الأشياء الأخرى تقدّم مسرّات كبيرة جدّاً أيضاً.

سقراط: سيقول هو: « لماذا إذن، أنتما تقصيان هذه الدلالة وترفضان أن تسمحا لها بالجمال عندما تكون هي مسرّات ليس بأقلّ شأناً من المسرّات الأخرى »؟ سنجيب على ذلك: « لأنّ كلّ شخص سيسخر منا إنْ قلنا إنّه ليس شيئاً سارّاً أن تأكل، بل هو شيء جميل؛ وفيما يتعلّق بالجماع، فإنّ كلّ واحد سيجادل ضدّنا بأنّه الشيء الأكثر مسرّة، في حين أنّنا نعترف بأنّه يجب

الاستمتاع به فقط حيث لا يوجد أحدٌ كي يرى ذلك، لأنّه منظر معيبٌ ومثير للإشمئزاز ». عندما نقول هذا، يا هيبياس، فإنّه سيردّ على ما قلناه بشكل محتمل ويقول: « إنّني أفهمكما أيضاً بأنّكما كنتما وما زلتما خجلين في قولكما بأنّ هذه الملذّات هي جميلة، لأنّ هذه الفكرة ليست هي الفكرة العامّة. لكنّ سؤالي كان، ما هو الجميل، وليس ما يظنّه العدد الكبير من الرجال أنّه يكون ». أتصوّر بأنّنا سنقرّر فرضيّتنا الأصليّة مرّة ثانية. « في رأينا أنّ جزء اللذّة الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع هو جميل » ومع ذلك، هل تستطيع أن تقترح أيّة طريقة أخرى للتعامل مع السؤال، أو أن تضيف أيّ شيء على ذلك الجواب؟

هيبياس: بما أنّ المحاورة تتوقّف الآن، فإنّه لواجب علينا أن نعطي ذلك الجواب، وذلك الجواب فقط.

سقراط: « رائع »، سيجيب هو، « إذا كان السارّ، ذلك الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع جميلاً، ألا يكون جليّاً أنّ أيّ شيء مُرضٍ خارج تلك الفئة لا يمكنه أن يكون جميلاً »؟ فهل سنتّفق على هذا؟

هيبياس: نعم.

سقراط: سيواصل القول: « إذن أيكون ذلك الذي يكون سارّاً بواسطة حاسّة البصر، وبواسطة حاسّة السمع، أو أيكون ذلك الذي يكون سارّاً بواسطة حاسّة السمع، يكون سارّاً بواسطة حاسّة السمع وبواسطة حاسّة البصر »؟ سنجيبه: « لا، على الإطلاق؛ إنّ السارّ الذي يأتي بواسطة كلا الحاستين لن يكون سارّاً بواسطتهما أو من خلالهما معاً بكلّ تأكيد - يبدو أنّ ذلك هو معناك. إنّ عرضنا للقضيّة كان ذلك، إمّا واحدٌ من هذين الشيئين السارّين سيكون جميلاً بنفسه تماماً، أو سيكون كلاهما معاً أيضاً ». هل سيكون هذا جوابنا؟

هيبياس: بكلّ تأكيد.

سقراط: « حسناً، إذن »، سيقول هو، « هل يختلف أيّ شيء سارٌ مهما كان، عن أيِّ شيء سارٌ آخر فيما يتعلق بمسرّته؟ ليس السؤال ما إذا كان أيّ سرور خاصّ أكبر أو أصغر، أو أنّه يوجد في درجة أعلى أو أسفل، بل ما إذا أمكن أن يكون هناك فرق بين الملذّات في هذا المنحى الخاص، وما إذا أمكن أن يكون أحدهما لذّة، والآخر ليس كذلك؟ » لا نعتقد نحن هكذا، هل نفعل ذلك؟

هيبياس: لا.

سقراط: سيواصل القول: « يتبع أنّك اخترت هاتين اللذّتين من بين اللذّات الأخرى لسببٍ آخر ما مغايرٍ لكونهما لذّتين. بما أن هناك بعض الاختلاف بينهما وبين الملذّات الأخرى، فأنت رأيت فيهما كليهما نوعيّة ما قادرة على تزويد مقياسٍ تحكم عليهما بواسطته أنّهما جميلتان لأنّ اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر، أسلّم بها، أنّها ليست جميلة فقط بسبب أنها تأتي بواسطة اللّذّة الأخرى، الّلذّة التي تأتي بواسطة حاسة السمع، لن تكون لذّة جميلة أبداً. إنّها لن تكون اللّذة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر بشكل مؤكّد ». هل سنجيب أنّ استنتاجه هو استنتاج صحيح؟

هيبياس: نعم.

سقراط: مرّة ثانية، « أليست اللذّة، التي تأتي بواسطة حاسّة السمع لذّة جميلة، لأنّها تكون بواسطة حاسّة السمع؛ إذْ مرّة أخرى، إن اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر لن تكون لذّة جميلة أبداً في تلك الحالة لأنها لا تكون لذّة بواسطة حاسّة السمع بشكل ثابت ». هل ستوافق على أنّه يحاور بشكل صحيح؟

هيبياس: إنّه يفعل.

سقراط: « لكنّ اللذتين تكونان كلاهما جميلتين، وأنت تثبت ذلك؟ » أليس كذلك؟

هيبياس: بلى.

سقراط: « إذن فإنّ اللّذتين يمتلكان شيئاً ما متطابقاً يجعلهما لذّتين جميلتين، إنّهما يمتلكان نوعيّة عامة تختصّ بهما كليهما بشكل مشترك وبكلّ منهما على انفراد، وإلاّ فإنّهما لا يستطيعان كلاهمَا أن يكونا جميلين كزوجين، ولا يستطيع كلٌّ منهما فعل ذلك بشكل منفصل أيضاً، إنّني أسلّم بهذا الواقع»؟ أجبني وكأنّك كنت تجيبه.

هيبياس: أجيب بأنّ ما تقوله هو رأيي أيضاً.

سقراط: إذاً كانت هاتان اللذّتان كلتاهما مشروطتين كزوجين في الطريقة عينها. لكن ولا واحدة منها تكون مشروطة هكذا على انفراد، فهما لا تقدران على أن تكونا جميلتين بسبب هذه الحالة الخاصة؟

هيبياس: وكيف يمكن أن يكون هذا ممكناً، يا سقراط، وهو أنّه عندما لم تكن ولا واحدة منهما قد كانت مشروطة على انفراد في طريقة ما - أيّة طريقة تحبّ أن تصوّر بشأنها - علاوة على ذلك فإنّهما كليهما كزوجين يجب أن تكونا مشروطتين بالطريقة التي لم تكن ولا واحدة منهما قد كانت مشروطة على انفراد.

سقراط: هل تعتقد أنّ هذا شيء مستحيل؟

هيبياس: إنّني أفعل. ليس لكوني غير مُلِمّ بطبيعة الموضوع أو بالمصطلحات الفنية لبحثنا الحاضر.

سقراط: جميل جدّاً، يا هيبياس. لكنّي لا أزال أتخيّل أني لربّما لا أزال أرى بالمصادفة مثالاً لِمَا تقول بأنّه يكون شيئاً مستحيلاً، ولو أنّه يمكنني أن لا أرى أيّ شيء حقاً.

هيبياس: إنّها ليست حالة « مصادفة »؛ إنك ترى، خطأً، هدفاً تمّ وصفُهُ جيداً.
سقراط: حقاً، إنّ أمثلة عديدة كهذه نشأت في عين عقلي. غير أنّي، رغم أنني لم أكسب درهماً بسببها، لم أثق بها بسبب أني أراها، في حين أنّها لا تظهر لك وأنت الذي كسبت في تلك الطريقة أكثر ممّا كسبه أي شخص آخر حيّ. ويا صديقي، إنّي لمتأمّل مليّاً ما إذا كنت لاعباً معي وتنوي مخادعتي عن قصد وتصميم. هكذا أراها بوضوح وفي أعدادٍ كتلك.
هيبياس: لا أحد سيعرف أفضل منك إذا ما كنت لاعباً معك أو لاَ، عندما ابتدأت بوصف رؤاك هذه؛ إنّ وصفك لها سيكون سفاسف صِرفة. إنّك لن تجدنا كلينا مشروطين معاً أبداً في طريقة الذي لم يكن قد إشتُرِط فيهَا بشكل منفصل.
سقراط: ما هذا، يا هيبياس؟ ربّما تتكلّم شيئاً معقولاً وأنا لا أدرك ما تعنيه. لكن من فضلك دعني أشرح ما أعنيه بوضوح أكثر. يبدو لي أن هناك صفاتٍ مميّزة لا يمكنها أن تخصّ، ولا تخصّ الآن، كلاًّ منّا على انفراد، بل يمكن أن تخصّنا كلينا معاً؛ وبشكل معكوس، هناك صفات مميّزة هي التي نحن مؤهلان لها، لكن لا أحد منّا مؤهلّ لها بشكل انفرادي.
هيبياس: هناك سخافات هنا حقّاً، يا سقراط، وهي أكثر هولاً من تلك السخافات لجوابك الذي أعطيته منذ فترة قصيرة مضت. تأمّل فقط؛ إذا كنا كلانا رجلين عادلين، ألا يكون كلّ واحد منّا عادلاً بمفرده؟ إذا كان كلٌّ واحد منا ظالماً، ألا نكون كلانا هكذا؟ إذا كنا كلانا جيّدين، ألا يكون كلّ منا جيّداً أيضاً؟ أو إذا كنا كلينا تَعِبَين، أو مجروحَيْن، أو مضروبَيْن، أو مشروطَيْن بأية طريقة أخرى، ألا يجب أن نكون كلانا مشروطين كزوجين في تلك الطريقة حينئذٍ؟ وبشكل مماثل إذا كُنا كلانا مصنوعَيْن مَن الذهب، أو الفضّة، أو العاج، أو إذا فضّلتَ، كنا حكماء أو نبلاء، أو ممجّدين، أو، كنّا

رجالاً مسنّين أو فتياناً، أو كانت لنا أية ميزة إنسانية أخرى تحب أن تذكرها، ألا يجب أن يتبع بشكل محتوم أنّ كلاً منا يكون ذلك الشيء عينه؟

سقراط: الأكثر تأكيداً.

هيبياس: ألا ترى أنت، يا سقراط، أنّ الحقيقة هي أنّك، أنت نفسك، لا تعتبر الأشياء وكأنها كاملة، وكذلك لا يفعل أولئك الذين تتحدّث معهم بشكل اعتيادي. أنت تختبر الجمال وتختبر كلّ فكرة عامة، بتناولها بشكل منفصل وبتحليلها تحليلاً عقلياً، وتكون النتيجة أنّك تخفق في أن تعي أهميّة واستمراريّة المواد التي تتألّف الحقيقة منها. وبعدُ فإنّ هذا الإخفاق قد مضى هكذا بعيداً كي تتصّور بأنّه يوجد شيء ما، توجد صفة مميزة أو طبيعة جوهرية، تختصّ باثنتين منهما معاً لكن ليس بكلّ منهما على انفراد، أو بشكل عكسيّ تختصّ بكلّ منهما على انفراد لكن ليس بالاثنتين معاً. إنّ هذه الحالة هي الحالة العقلية التي انخفضت لها أنت وأصدقاؤك - كم هي جامحة، وسطحيّة، وغبيّة، وغير مفهومة هذه الحالة!

سقراط: هكذا يكون أكثرنا نحن الفانين، يا هيبياس. إنّ الإنسان يفعل ما يقدر عليه، وليس ما يرغبه ويتمنّاه، وفقاً للمثل المُستشهد به غالباً. على كل حال، إنّ نصحك وتحذيرك يقدّمان لنا مساعدة كبيرة. ولتوّي الآن، وقبل لومك وتذكيرك بغباوتنا في هذه المسائل، فإنّ لديَّ بعض الأفكار الأبعد بشأنها التي لربما يمكنني أن أوضحها لك - أو هل سأمتنع عن ذلك؟

هيبياس: إنّني أعرف ما أنت ذاهب لتقوله، يا سقراط؛ أعرف عقلية كلّ مدرسة علماء الجدل، لكن قل ما عندك، إذا فضّلت ذلك.

سقراط: حسناً، إنّي أؤثر فعل ذلك. قبل أن قلت ما قلته، يا صديقي المبجّل، كنّا غير مثقّفين كي نتمسّك بالرأي وهو أنّ كلاً منا نحن الإثنين، أنت وأنا، نكون واحداً، لكن إنْ أُخِذنا معاً، لا نستطيع أن نكون ذلك الذي يكونه

كلٌّ منا على انفراد لأنّنا نحن اثنان وليس واحداً. هكذا كانت حماقتنا. وبعدُ، فإنّنا تعلّمنا منك، على كلّ حال، تعلَّمنا أنّنا إذا كنا اثنين معاً، يجب أن يكون كلٌّ منا اثنين على انفرادٍ أيضاً، وإذا كان كلٌّ منا واحداً، فهكذا ينبغي أن نكون كلانا؛ إذ بناء على النظرية المستمرّة للحقيقة طبقاً لهيبياس لا يمكنها أن تكون من نوع آخر. فمهما يكن الموجودان الإثنان معاً، فإنّ كلاً منهما يكون على انفراد، ومهما يكن كلٌّ منهما، يكون كلاهما. إنّي أجلس هنا، مثبَّتاً بك في هذا الاعتقاد. لكن ذكِّرني، يا هيبياس، هل أنت وأنا كلانا واحد، أو هل أنك أنت اثنان، وأنا اثنان؟

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: إنّني أعني ما أقوله بالضبط؛ إنّك أرعبتني بحديثك السهل، لأنّك تغضب مني كلّما اعتقدت بأنّك أنجزت غاية وجيهة. ومع ذلك، دعني أسألك هذا السؤال: أليس كلٌّ منّا نحن الاثنين واحداً، ممتلكاً الخاصيّة لكوننا واحداً؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن إذا كان كلٌّ منا واحداً، يكون كلٌّ منا رقماً مفرداً؛ وأنت تتمسّك بأنّ كلاً منا هو رقم مفرد، أليس كذلك؟

هيبياس: إنّني أفعل.

سقراط: أنكون كلانا معاً رقماً مفرداً، كوننا اثنين؟

هيبياس: مستحيل.

سقراط: سيكون كلانا معاً رقماً مزدوجاً.

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: بما أنّنا كلينا معاً نكون رقماً مزدوجاً عندئذ، هل يتبع أنّ كلاً منا يكون رقماً مزدوجاً، كلاً على انفراد؟

هيبياس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّه ليس شيئاً محتوماً بشكل مطلق إذن، كما قلت لتوّك الآن، وهو أنّ كل فرد يجب أن يكون ما نكونه كلانا معاً، وأننا كلينا يجب أن نكون ما يكونه كلٌّ منا؟

هيبياس: ليس في حالاتٍ كهذه، لكنّه ليس شيئاً محتوماً في نوع الحالة التي ذكرتها سابقاً.

سقراط: إنّ ذلك يفي بالغرض، يا هيبياس؛ حتّى تلك الإجابة يجب قبولها، ما دام قد تمّ الاعتراف بأنّها تكون هكذا بعض المرّات، ولا تكون في المرات الأخرى. إنْ استعدت نقطة البداية لمحادثتنا، فستتذكر بأنّي حاورت بأنّ الملذّات التي تأتي بواسطة حاسّة البصر والسمع هي ملذّات جميلة ليس لأن كلاً منها كان هكذا مشروطاً كي يكون جميلاً، لكن ليس كلاهما معاً، ولا بسبب أنهما كلتيهما كانتا مشروطتين معاً بشكل مماثل، لكن ليس كلاً منهما على انفراد؛ إنّهما كانتا جميلتين بفضل شيء ما يحدّدهما كليهما معاً وكلاً منهما على انفراد أيضاً. وظننت وفقاً لذلك أنّهما إذا كانتا كلتاهما معاً جميلتين، فيجب أن تكونا جميلتين بسبب صفة جوهريّة تختصّ بهما كلتيهما وليس لصفة تكون ناقصة في واحدتهما أو في الأخرى. وإنّي لا أزال أعتقد ذلك. لكن إبدأ كما بدأت من البداية. إذا كانت اللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة البصر واللذّة التي تأتي بواسطة حاسّة السمع، إذا كانتا كلاهما جميلتان معاً وكذلك كانت كلٌّ منها على انفراد، ألا يخصّ ذلك الذي يجعلهما كلتيهما جميلتين معاً وكلاً منهما على انفراد؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن هل تستطيعان أن تكونا جميلتين بسبب أن كلاً منهما وأنّ كليهما معاً تكونان ملذات؟ أليس كلّ الملذّات الأخرى جميلة بناءً على هذا التفسير بهذا المقدار تماماً، لأنّك إذا ما كنت تتذكر، اعترفت بأنها ملذّات مثل تلك التي ذكرناها تماماً؟

هيبياس: بالتأكيد، نعم إنّني أتذكّر.

سقراط: إنّ هذه الملذّات الخاصّة كانت معيّنة، على كلّ حال، كي تكون جميلة لأنّها أتت بواسطة حاسّتي السمع والبصر.

هيبياس: نعم، كان ذلك هو البسط لموضوع القضية.

سقراط: والآن تأمّل مليّاً إذا ما كنت محقاً في هذه النقطة الرئيسيَّة. طبقاً لتذكّري، قيل انّ الجزء من مقولة السَّارّ كان جميلاً ـ ليس كلُّ سارٌ « سارًّا » بل ذلك الذي يأتي بواسطة حاستي البصر والسمع أو من خلالهما.

هيبياس: إنّ ذلك لصحيح.

سقراط: وهذه النوعيّة تخصّهما كليهما معاً لكن ليس لكلّ منهما على انفراد، أليس كذلك؟ وكما قلنا في السابق، فإنّ كلاً منهما لا يأتي من خلال، أو بواسطة الحاستين كلتيهما على انفراد؛ إنّهما كليهما معاً يأتيان بواسطتهما كليهما لكن ليس كلٌّ منهما على انفراد. أيكون ذلك هكذا؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ كلاً منهما لا يكون جميلاً على انفراد بذلك الذي لا يخصّ كلاً منهما « لأنّ ذلك الذي يكون لكليهما لا يخصّ كلاً منهما »؛ ويتبع ذلك وهو أنّه بينما يمكننا أن نقول من فرضيّاتنا المتّفق عليها إنّ كليهما معاً يكونان جميلين بحق، أفلا يمكننا أن نقولها عن كلّ واحد منهما على انفراد. أليس هذا هو الاستنتاج الضروريّ؟

هيبياس: يظهر هكذا.

سقراط: هل ستقول إنّهما كليهما معاً يكونان جميلين، لكن ليس كلاً منهما؟

هيبياس: إنّني لا أرى اعتراضاً.

سقراط: إنّني أرى اعتراضاً، يا صديقي. لقد كان لدينا أمثلة بكلّ تأكيد عن الخاصيّات الفرديّة في هكذا طريقة، وهي أنها إذا اختصّت بالاثنتين معاً فإنّها

تختصّ بكلٍّ منها على انفرادٍ أيضاً، وإذا اختصّت بكلٍّ منها، فإنّها تختصّ بهما كليهما حينئذ - إنّها كلّ الخاصيّات التي فصّلتها أنت.

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن على الجانب الآخر فإنّ تلك الخاصيّات التي حدَّدتها أنا لم تؤدِّ ذلك الغرض؛ وكان المفهوم بين تلك الخاصيّات « كلٌّ » والمفهوم « كلاهما ». أليس ذلك صحيحاً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لأيَّة فئة، يا هيبياس، تعتقد أنت أنّ الجميل يخصّ؟ هل يخصّ تلك الفئة التي ذكرت؟ أن أكون أنا قويّاً وأن تكون أنت هكذا أيضاً؟ وإن كنّا هكذا، فإنّ كلاً منا يكون قوياً، وإذا كنت أنا عادلاً وأنت عادل أيضاً، فإنّ كلاً منا يكون عادلاً، وإن كنّا كلانا، فيكون كلّ منا على انفراد. وفي الطريقة عينها، إن كنت أنا جميلاً وكنت أنت أيضاً، فهل نكون كلانا جميلين. وإذا كنّا كلانا، فإنّ كلاً منا على انفراد يكون كذلك؟ أوَ هل يمكن أن يطبَّق المبدأ عينه عملياً كما هو في علم الحساب؟ كمثال عندما يمكن أن يكون المركبان الاثنان للأعداد المزدوجة مفرداً كلاً بمفرده، لكنه يمكن أن يكون مزدوَجاً أيضاً؛ ومرّة ثانية، عندما تؤخذ الكميّات التي تكون صمّاء كلاً بمفردها يمكن أن تكون إمّا مُنْطَقَةً أو صمّاء إن أُخِذَت معاً. وهناك أمثلة أخرى لا تحصى كهذه، كما قلت لك بأنّها تحدث في فكري حقّاً. ففي أيّة فئة تضع أنت الجمال؟ هل تتبنّى وجهة النظر عينها عنها كما أفعل أنا؟ تبدو لي أنها سخرية فاضحة كي تتمسّك بأنّه حينما نكون كلانا جميلين معاً، فلا يكون كلٌّ منا هكذا على انفراد، أو أنَّ كلاً منا يكون جميلاً على انفراد لكن لا نكون كلانا معاً، أو أيّ شيء آخر من هذا النوع. هل تصطفي خياري، أو الخيار الآخر؟

هيبياس: أصطفي خيارك.

سقراط: حقيقيّ تماماً، إذا رغبنا في أن نبقى على تساؤل أبعد؛ إذ لو كانت هذه الفئة تتضمّن الجمال، فلا يمكن التأكيد بعد اليوم وهو أنَّ السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع يكون جميلاً؛ إنّ الوصف « الذي يأتي بواسطة حاسّتي السمع والبصر » يجعل كليهما معاً جميلاً لكن ليس كلاً منهما على انفراد ـ والذي كان شيئاً مستحيلاً، كما أعتقدت أنا، وكما أعتقدت أنت أيضاً.

هيبياس: نعم، إنّنا تصوّرنا الشيء عينه.

سقراط: إذن إنّه لمستحيل أن يكون السارّ الذي يأتي بواسطة حاسّتي البصر والسمع جميلاً، بما أنّه عندما ساويناه بالجمال لم يبرز عن ذلك إلاّ نتيجة مستحيلة.

هيبياس: هكذا تماماً.

سقراط: سيقول سائلي: « والآن إبدأ مرّة ثانية من البداية بما أنّك أخطأت العلامة هذه المرّة. ما هو طبقاً لك هذا « الجميل » الذي يختصّ بكلتا هاتين اللذّتين، وللسبب الذي من أجله رفعت قدرهما فوق كلّ الأشياء الأخرى ودعوتهما جميلتين؟ تصوّر يا هيبياس، بأنّنا ملزمون بالإجابة أن هذه هي الملذات الأكثر التي لا تؤذي وهي الأفضل من كلّ الملذات. إنّهما هكذا كليهما مأخوذتين معاً وكلٌّ منهما بمفردها. هل تستطيع أن تقترح أيّ سببٍ آخر تكون هي لأجله أسمى من الملذّات الأخرى؟

هيبياس: لا شيء مطلقاً؛ إنّها هي الملذّات الأفضل بحقّ.

سقراط: سيقول: « إنّ هذا التعريف إذن هو تعريفك للجمال؛ إنّك تعرّفه باللذّة النافعة ». سأجيبه أنا: « على ما يبدو، وما هو تعريفك أنت؟ ».

هيبياس: وهذا هو تعريفي أيضاً.

سقراط: سيواصل القول: « حسناً إذن، أليس النافع ذلك الذي ينتج الخير. وذلك

الذي ينتج وذلك الذي يكون منتجاً أظهرا منذ فترة قصيرة مضت على أنّهما مختلفان، وهكذا فإنّ محادثتك انتهت في المحادثة السابقة، أليس كذلك؟ إنّ الخيّر لا يمكنه أن يكون جميلاً، ولا الجميل خيّراً، إن لم يكن الاثنان متطابقين أحدهما مع الآخر ». سنجيبه:« أن لا شيء يكون أكثر تأكيداً، هذا إذا كنّا أمناء وصادقين فيما نقول؛ لا يمكن إيجاد أيّ تبرير للاعتراض على الحقيقة ».

هيبياس: لكن يجب أن أسألك، يا سقراط، ماذا تفترض أن يكون جوهر هذا كلّه؟ إنّه يكون كما قلت منذ فترة قصيرة مضت، كَشْط وسحْب المحاورة، تلك المحاورةُ التي قُطّعت إرَباً؛ وما يكون الأكثر جمالاً ونفاسة كلاهما هي المقدرة كي تنتج حديثاً بليغاً وجميلاً لمحكمة عدل أو لاجتماع مجلس شورى، ولكي تغادر المكان بأعظم الجوائز، وهي إنقاذك وإنقاذ أصدقائك وما تملك. هذه إذن هي الأشياء التي يجب على كل إنسانٍ أن يتمسّك بها بقوة، وأن يتخلّى عن كلّ هذه المحاورات التافهة التي تخصّك ، إلاّ إذا رغب في أن يَعُدَّ نفسه غبيّاً لأن يشغلها بها، كما كنا فاعلين الآن، أي يشغلها بسفاسف عديمة النفع أو القيمة.

سقراط: إنّك، يا عزيزي هيبياس، محظوظٌ وسعيد لأنّك تعرف أيّ طريق يجب أن يسلكه الإنسان في الحياة، وأكثر من ذلك فإنّك واثق بالنجاح ـ هكذا تخبرني. إنّني، على كلّ حال، معرَّض لِمَا يبدو أن يكون خطأً سيّئاً وفوق الطبيعة. إنّي أتعجّب بشأن الحيرة اللامتناهية، وعندما أعرب عن حيرتي أمامكم أيّها الرجال الحكماء، فإنّكم تستديرون عليّ وتهاجمونني بعنف على نحوٍ متكرر، وتعاملونني معاملة سيّئة حالما أوضح المأزق الذي أتخبّط فيه. إنّكم تقولون جميعكم، يا هيبياس، كم هي غبيّة وتافهة وعديمة القيمة تلك المسائل التي أشغل نفسي بها! لكن عندما أكون مقتنعاً بكم بدوري وأردِّد

ما تقولونه لي بالضبط، وهو أن قمّة الامتياز هي المقدرة على إنتاج حديث بليغ وجميل وأن تنتصروا يوميّاً في محاكم القانون وفي الجمعيّات الأخرى، فإنّكم تسمُّونني بكلّ نوع من أنواع الأسماء وببعض الحاضرين، بما في ذلك الإنسان الذي يستنطقني بصورة خاصّة. إنّه شخص قريب مني جداً بالنَّسب ويشاركني السكن عينه، وعندما أذهب إلى البيت ويسمعني أتفوّه بهذه الآراء يسألني إذا ما كان عليَّ أن أستحي من وقاحتي في التحدّث بشأن طريقة الحياة الجميلة، ويستمرّ سائلاً: « وبرغم ذلك، كيف تستطيع أن تعرف أنَّ هذه الأحاديث هي أحاديث جميلة أو أنها عكس ذلك ». وينطبق الشيء عينه على أيِّ عمل مهما كان « عندما لا تمتلك معرفة عن الجمال؟ وطالما بقيت على ما أنت عليه، ألا تعتقد أن موتك سيكون أفضل؟ ». إنّها قسمتي ونصيبي، ألا ترى، أنكم تشتمونني وتلعنونني أيها الأسياد بشكل مماثل، وذلك ما يفعله بي هو أيضاً. أفترض، على كلّ حال، أنّه يجب الصبر على كلّ هذا؛ يمكنني أن أحصل على خيرٍ ما منه إذا تحمّلت ما يصدر عنه ـ أشياء غريبة حدثت، ولا أظنّ حقّاً، يا هيبياس، بأنّني حصلت على خيرٍ ما من محادثتي معكما أنتما الاثنين. أعتقد الآن بأنّني أعجب إعجاباً عظيماً بالمثل القائل، « ما هو جميل صعب ».

محاورة هيبياس الصغرى

الفضيلة والمعرفة

افكار المحاروة الرئيسيَّة

إنّ هيبياس السوفسطائي لديه الفطرة السليمة مثل زميله بروتاغوراس، فهو عندما يحاور مستشهِداً بمقاطع من الإلياذة لهوميروس كي يدعم وجهة نظره، والتي ذكر فيها الشاعر أن آخيل هو أشجع اليونانيين، وأوديسيوس هو أعقلهم، فإنّما يفعل ذلك لثقته بأنّه يعرف ما عناه هوميروس في ملحمته هذه. لكن يهزمه علمُ منطق سقراط الجدليّ الذي لا يُغلب، والذي يتظاهر بتبيان أنَّ آخيل ليس صادقاً فيما يقول، وأن لا تناقض ذاتيّاً مشابهاً عند أوديسيوس. يردّ هيبياس على ذلك بقوله، بأنّ آخيل يتكلّم زيفاً عن غير عمد، في حين أن أوديسيوس يفعل عكس ذلك. لكن هل الأفضل أن ترتكب الخطأ عن قصد أو عن غير قصد، يا سقراط؟ يجيب سقراط معتمداً على القياس التمثيليّ للفنون، يجيب بالتأكيد على الخيار الأوّل، أي أنّ فعلك الخطأ عن قصد هو الشيء الأفضل، بينما يتمسّك هيبياس بالخيار الثاني...

كلّ هذا يُفهم في نفسيّة أفلاطون، الذي هو بعيد جدّاً عن جعل سقراط يحاور إلى جانب الحقيقة دائماً. إنّ زيادة التفسير والشرح الموجودين عند هوميروس، اللذين جاءا بطريقة هجائية، هما أيضاً في نفسيّة أفلاطون. إنَّ ردَّ الشعر إلى علم الجدل يكون أكثر سخافة من إرجاع علم الكلام إلى علم المنطق، وهذا ينطوي على مغالطة كبيرة بشكلٍ متساوٍ. لقد وُجد متعقّلون في الأزمنة الغابرة كما في العصور الحديثة، لم يستطيعوا أن يعترفوا قطّ بصحّة طبعة الكتاب الطبيعيّ لشعر هوميروس، أو لأيِّ كتاب آخر قرؤوه.

تُذكرّنا محاورة سقراط هنا بالتأويل الذي أعطاه عن سايمونايدس في محاورة بروتاغوراس، حيث يميّز اللاترابط المنطقي الواضح والتناقضات في كلام وأعمال آخيل، وكذلك العبارة الموهمة للصحّة والأشياء النهائية وهي: « أنّ الذي يكون حقيقيّاً يكون أيضاً باطلاً ». وتذكّرنا هذه المحاورة كذلك بالأشياء العقليّة المشابهة في الكتاب الأوّل من جمهورية أفلاطون. إنّ تلك التناقضات التي يكتشفها سقراط في كلمات آخيل هي تناقضات كبيرة، ولربّما كانت مثل تلك التناقضات التي اكتشفها بعض الانفصاليّين المحدثين في القصائد الهوميريّة.

وأخيراً بما أنّ سقراط قد أوقع هيبياس السوفسطائي في أشراك الاختياريّ واللااختياري، فإنّه يُجبَر هو نفسه على أن يعترف بأنّه يهيم في المتاهة عينها؛ إنّه يخلق عن نفسه ذلك التفكير الذي سيجده عنه الآخرين. ولا يتعجّب من وقوعه في الحرج هذا، لكنّه ينشده في ما يكون عليه هيبياس من حيرة، ويصبح سقراط مدركاً خطورة الوضع، عندما لا يستطيع إنسان مثله أن يذهب إلى الحكماء ويتعلّم منهم بعد اليوم.

محاورة هيبياس الصغرى

الفضيلة والمعرفة

اشخاص المحاورة

يوديكوس سقراط

هيبياس

يوديكوس: لماذا أنت صامت، يا سقراط، بعد العرض الرائع الذي قدَّمه هيبياس؟ لِمَ لا تنقض كلماته إذا بدا لك أنّه قد كان مخطئاً في أيّة نقطة رئيسيّة منها، أو الانضمام إلينا في مدحه والإطراء عليه؟ هناك السبب الأكثر وجاهة الذي يجب أن تتكلّم من أجله، لأنّنا الآن بمفردنا، أمّا الحاضرون فقد قيّدهم أولئك الذين يمكن أن يطالبوا بحقّ كي يأخذوا دوراً في مباحثة فلسفيّة.

سقراط: إنّني سأحبّ كثيراً، يا يوديكوس، أن أسأل هيبياس عن معنى ما قاله لتوّه بشأن هوميروس. سمعت أباك، أبيمانتوس، يعلن أن إلياذة هوميروس هي قصيدة أجمل من الأوديسة في الدرجة عينها التي كان بها آخيل رجلاً أفضل من أوديسيوس؛ سيقول أن أوديسيوس هو الشخصية الرئيسة في واحدة منها وأنّ آخيل هو الشخصيّة الأخرى. وبعدُ، فإنّني أحبّ أن أعرف، إذا لم يكن عند هيبياس أيّ اعتراض على إخباري، ماذا يتصوّر هو بخصوص هذين البطلين، وأيٌّ منهما يؤكّد هو أنّه الأفضل. لقد أخبرنا من قبل في سياق عرضه للأشياء العديدة عن أنواعٍ مختلفة بشأن هوميروس والشعراء الكثر الآخرين.

يوديكوس: إنّني متأكّد من أنّ هيبياس سيكون سعيداً لإجابتك على أيّ شيء تحبّ أن تسأله بشأنه. أخبرني، يا هيبياس، إذا سألك سقراط سؤالاً، فهل ستجيبه عليه؟

هيبياس: حقّاً، يا يوديكوس، سأكون متناقضاً مع نفسي بغرابة إنْ رفضت إجابة سقراط على أسئلته، في حين أنّني أعلن بشكل متواصل في كلّ مهرجانٍ أولومبي، عند ذهابي من بيتي في مدينة إليس إلى معبد أولومبيا، حيث كان كلُّ الهيلينيين مجتمعين، وهناك أعلن عن عزمي على إنجاز أيٍّ من العروض التي هيأتها، وأن أجيب على أيّة أسئلة يطرحها أيّ شخص.

سقراط: حقاً، يا هيبياس، تلزمك التهنئة، إذا كان لديك في كلّ مهرجان أولومبي رأي مشجع عن حكمتك الخاصّة عندما تصعد إلى المعبد. إنّي أشكّ إذا ما كان أيّ بطل قويّ العضلات جسوراً وواثقاً من نفسه في تقديم جسده للقتال والصراع في أوليمبيا، كما تكون أنت في عرض فكرك.

هيبياس: وإنّ لهذا سبباً وجيهاً، يا سقراط؛ لأنّي منذ اليوم الذي تسجّلت في قوائم الأولومبياد بادىء ذي بدء، لم أجد إنساناً أسمى منّي في أيّ شيء على الإطلاق.(٣٥)

سقراط: يا لها من مفخرة، يا هيبياس، هل ستكون شهرة حكمتك بحسب مدينة إليس وبحسب والديك! لكن لنعد إلى صلب الموضوع: ماذا قلت عن أوديسيوس وآخيل؟ أيهما أفضل؟ وفي أيّ خاصيّة يتفوّق واحدهما على الآخر؟ لأنّك عندما قدمت عرضك وكان هناك مجموعة من الحاضرين في الغرفة، لم أستطع أن أتبعك برغم ذلك، ولم أرغب في أن أسألك ما عنيت، لأنّ جمهوراً غفيراً من الناس كان حاضراً، وكنت أخشى من أنّ السؤال يمكن أن يعوق عرضك للموضوع. لكن الآن لا يوجد العديد منا على النحو المشار إليه، ويأمرني صديقي يوديكوس بطرح الأسئلة. أتمنّى أن تخبرني ماذا

قلت بشأن هذين البطلين الاثنين، كي أتمكّن أن أفهم بجلاء؟ وكيف ميّزتهما؟

هيبياس: سأكون في غاية السرور، يا سقراط، في توضيح وجهة نظري هنا أكثر ممّا أستطيعه في المكان العامّ بخصوص هذين البطلين، وبشأن الأبطال الآخرين أيضاً. لذلك أقول إنّ هوميروس قصد أن يكون آخيل هو أشجع الرجال الذين ذهبوا إلى طروادة، ونيستور هو الأعقل، وأوديسيوس هو الأمكر.

سقراط: أوه يا هيبياس النادر، هل ستكون هكذا جيّداً كي لا تضحك، إن وجدت صعوبة في متابعة ما تقول، وأنْ تردّد ذلك مرّات عديدة؟ أجبني من فضلك بعطف ولطف.

هيبياس: سأكون خجلاً من نفسي بشكل كبير، يا سقراط، إن لم أستطع، وأنا أعلّم هذه المواضيع للآخرين وأتقاضى مالاً على ذلك، سأكون خجلاً إن لم أستطع إجابتك بأسلوب مهذّب ومقبول، عندما تسألني.

سقراط: شكراً لك. الحقيقة هي أنّني أبدو مستوعباً ما عنيته عندما قلت إنّ الشاعر قصد أن يكون آخيل أشجع الرجال، وعنى هو أيضاً أن يكون نيستور الأعقل؛ لكنّك عندما قلت بأنّه عنى أن يكون أوديسيوس الأمكر، يجب عليّ أن أعترف بأنّي لم أستطع فهم ما قلت. هل ستخبرني ما تعنيه، وحينئذ لسوف أفهمك بشكل أفضل. ألم يجعل هوميروس آخيل مراوغاً؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط، إنّه الأكثر أمانة واستقامة من الجنس البشريّ كلّه، وحينما يقدّمهم هوميروس متكلّمين بعضهم مع بعض في المقطع المسمّى بالصلوات(٣٦)، يُفترض آخيل بالشاعر أنّه يقول لأوديسيوس:

« يا آبن لايرتز «LAERTES»(٣٧) النابت من السماء، يا أوديسيوس الحاذق، إنّني سأقول الكلمة التي قصدت أن أُنفّذها عملياً بكلّ وضوح، والتي أعتقد أنّها ستكون كلمة منجزة، لأنّني أكره مثلما أكره بوابات الموت الذي

يخبِّىء فكرة في صدره وينطق بأخرى. لكنّني سأقول عن ذلك الذي سيكون متمماً ».

وبعدُ، فإنه يعين أخلاق، هذين الرجلين في هذه المقاطع بكل جلاء؛ إنه يبيِّن آخيل بأنه صادق وبسيط، وأن أوديسيوس ماكر ومزيّف لأنه يفترض آخيل بأنه يخاطب أوديسيوس في هذه الأسطر.

سقراط: والآن، يا هيبياس، أعتقد بأنّي أفهم معناك عندما تقول إنّ أوديسيوس ماكر. يظهر أنّك تعني أنّه كاذب؟

هيبياس. هكذا بالضبط، يا سقراط؛ إنّه خُلُقُ أوديسيوس، كما يصوِّره هوميروس في مقاطع عدَّة من الإلياذة والأُوديسة كلتيهما.

سقراط: ويجب أن نفترض أن هوميروس عنى أن الإنسان الحقيقيّ ليس الشيء نفسه كالرجل الكاذب.

هيبياس: طبعاً، يا سقراط.

سقراط: وهل هذا الرأي رأيك الخاصّ، يا هيبياس؟

هيبياس: بدون ريب، إنّه سيكون شيئاً شاذّاً إن لم يكن هكذا.

سقراط: حسناً إذن، بما أنّه لا يمكن أن نسأل هوميروس ما عناه بهذه المقاطع الشعريّة، دعنا نتركه وشأنه؛ لكن بما أنّك تبدي استعداداً لتؤيّد قضيته، وأنّ رأيك يتّفق وما تعلنه أنه رأيه، فهل ستجيب بالنيابة عن نفسك وعنه؟

هيبياس: سأفعل ذلك، إسأل أيّ شيء تحبّ باختصار.

سقراط: هل تصنف أنت الكاذب أو المزيف بالمريض مثل الأشخاص الذين لا يمتلكون القوّة كي يفعلوا الأشياء، أو أنّك تصنّفه بين أولئك الذين لديهم القوة كي يقوموا بفعل الأشياء؟

هيبياس: عليّ أن أقول إنّهم يمتلكون القوة كي يفعلوا أشياء عديدة، ولكي يخدعوا الجنس البشريّ على وجه التخصيص.

سقراط: إذن، طبقاً لك، كلاهما يكونان قويّين وماكرين أليسا كذلك؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل يكونان ماكرين، ويخدعان بسبب بساطتهما وغباوتهما، أو بسبب حذقهما وبسبب نوعٍ محدَّدٍ لذكائهما؟

هيبياس: بسبب ذكائهما وحذقهما، بالتأكيد الأكثر.

سقراط: افترض بأنهما أذكياء إذن؟

هيبياس: إنّهما لكذلك ـ جداً.

سقراط: وإذا كانا ذكيين، فهل هما يعرفان ما يفعلان أم لا؟

هيبياس: طبعاً، إنّهما يعرفان ما يفعلان جيّداً جداً. هذا ما يجعلهما مولَعين بأذى الآخرين.

سقراط: وممتلكين هذه المعرفة، هل هما جاهلان، أو هل هما عاقلان؟

هيبياس: عاقلان بكلّ تأكيد، على الأقلّ، بقدر ما يستطيعان أن يخدعا.

سقراط: قف، ودعنا نتذكّر ما أنت قائل؛ ألا تقول بأن الكَذَبَة يكونون أقوياء وأذكياء وعارفين وعقلاء في تلك الأشياء التي يكونون كاذبين بشأنها؟

هيبياس: لتكن متأكداً.

سقراط: ويختلف الصادق من الكاذب ـ إنّ الصادق والكاذب يناقض أحدهما الآخر تماماً.

هيبياس: تلك هي وجهة نظري.

سقراط: إذن، طبقاً لوجهة نظرك سيبدو أنّ الكَذَبَة يجب تصنيفهم في طبقة الأقوياء والحكماء؟

هيبياس: بكل تأكيد.

سقراط: وعندما تقول أنت بأنّ الكَذَبَة أقوياء وحكماء في الأشياء التي هم كاذبون بشأنها، هل تعني أنّهم يمتلكون الحكمة والقوة كي يتكلّموا باطلاً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ الإنسان الذي ليست لديه القوّة كي يتكلّم باطلاً ويكون جاهلاً، لا يمكن أن يكون كاذباً؟

هيبياس: إنّك لمحقّ.

سقراط: وكل إنسان يمتلك قوّة يقوم بذلك الذي يرغبه في الوقت الذي يتمنّاه. إنّني لا أتكلم عن أيّة حالة خاصة يكون فيها الإنسان مريضاً ويمنعه المرض من الكلام، أو عن أيّ شيء آخر من ذلك النوع، لكنّي أتكلّم بشكل عام، كما يمكنني أن أقول بأنّك قادر على أن تكتب اسمي عندما تحبّ. ألن تسمي الذي يستطيع القيام بذلك إنساناً قادراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وقل لي، يا هيبياس، ألست أنت حاسباً وعالماً حاذقاً في علم الحساب؟

هيبياس: نعم، يا سقراط، إنّني هكذا بكلّ تأكيد.

سقراط: وإذا ما كان شخص ما ليسألك ما هو مجموع الرقم ثلاثة مضروباً بالرقم سبعمائة، فإنّك ستخبره الإجابة الصحيحة في لحظة، إذا سرَّك ذلك؟

هيبياس: إنّني سأفعل بدون ريب.

سقراط: أليس ذلك لأنّك أعقل الرجال وأقدرهم في هذه المسائل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وكونك أعقل الرجال وأقدرهم في مسائل الحساب هذه، ألست أنت الأفضل كذلك؟

هيبياس: لتكن متأكداً، يا سقراط، أنّني الأفضل

سقراط: إذا كان طلب الحقيقة واجباً بخصوص هذه المسائل، فإنّك ستكون الأكثر قدرة على الإخبار عنها، أليس كذلك؟

هيبياس: سأدَّعي ذلك.

سقراط: وهل تستطيع أن تتكلّم تزييفاتٍ بشأنها جيّداً بالشكل عينه؟ يجب عليَّ أن أستعطفك، يا هيبياس، كي تجيبني بالصراحة والشهامة نفسهما اللتين وُصِفت بهما حتى الآن. إذا ما كان شخص ما سيسألك ما هو مجموع العدد ثلاثة مضروباً بالعدد سبعمائة، ألن تكون المخبر الأفضل والأكثر إستقامة أو متساوقاً للأكاذيب بشأن هذه المسائل عينها، إذا أردت أن تخبر أكاذيب، وكذلك أن لا تعطي الجواب الحقيقيّ قطّ؟ هل سيكون الرجل الجاهل أقدر كي يقول الأكاذيب في مسائل الحساب أكثر ممّا ستكون عليه أنت، إذا اخترت ذلك؟ ألن يتلعثم ويخطىء عند الحقيقة بجهله تكراراً برغم أنّه أراد أن يخبر كذبة، في حين أنّك أنت الإنسان العاقل، إذا أردت أنّ تقول كذبة فإنّك ستكذب دائماً وبشكل متّسقٍ؟

هيبياس: نعم؛ إنّك لمحقّ تماماً.

سقراط: هل يخبر الرجل المزيّف أكاذيب بشأن الأشياء الأخرى، لكنّه لا يخبرها بخصوص العدد، أو حينما يكون مهيّأً لعمليةٍ حسابية؟

هيبياس: لتكن متأكداً؛ إنّه سيخبر العديد من الأكاذيب بشأن العدد كما يخبرها بخصوص الأشياء الأخرى.

سقراط: إذن هل يمكننا أن نفترض أبعد من ذلك، يا هيبياس، أنّ هناك رجالاً كاذبين بشأن الحساب والعدد؟

هيبياس: نعم.

سقراط: مَن يمكن أن يكونوا هم؟ لأنّك اعترفت من قبلُ بأنّ من يكون كاذباً يجب أن يمتلك القدرة كي يكون كاذباً؛ قلت أنت، كما ستتذكّر، بأنّ من يكون غير قادرٍ على أن يكون كاذباً لا يمكنه أبداً أن يصبح كاذباً؟

هيبياس: نعم، أتذكّر أنه قيل هكذا.

سقراط: أولم تبيّن أنت نفسك أنّك الأقدر على الكلام بتضليل وزيف بشأن الحساب؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ الشخص نفسه يكون قادراً على أن يتكلّم بالحقّ وبالكذب كليهما بشأن الحساب؟ وذلك الشخص هو مَن يكون كفؤاً في الحساب ـ عالم الحساب؟

هيبياس: نعم.

سقراط: من الذي يُكتشف إذن، يا هيبياس، ليكون كاذباً في علم الحساب؟ أليس هو الرجل الكفؤ في ذلك؟ لأنّ الإنسان الصالح هو الإنسان القادر، وهو الإنسان الحقيقيّ؟

هيبياس: بوضوح.

سقراط: ألا ترى حينئذ، أنّ الرجل نفسه يكون كاذباً وصادقاً أيضاً بشأن هذه المسائل؟ والإنسان الصادق لا يكون أفضل من الرجل الكاذب بمثقال ذرّة لأنّ الشيء نفسه يكون معه حقّاً وليس الضدّ بالتحديد، كما كنت متصوّراً لتوّك الآن؟

هيبياس: يبدو، أنّه ليس هكذا في ذلك المثل.

سقراط: هل سنتفحّص أمثلة أخرى؟

هيبياس: بالتأكيد، إن كنت ميّالاً لذلك.

سقراط: ألستَ أنت بارعاً في علم الهندسة أيضاً؟

هيبياس: إنّني لكذلك.

سقراط: حسناً، أوَلا يثبت الشيء عينه في ذلك العلم أيضاً؟ ألا يكون الشخص نفسه الأفضل قدرة على أن يتكلّم بالكذب أو أن يتكلّم بالصدق بشأن الرسوم التخطيطيّة؛ ويكون هو ـ عالم الهندسة؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إنّه هو وليس شخصاً آخر كفؤ فيها؟

هيبياس: نعم، إنّه يكون هو لا شخصاً آخر.

سقراط: إذن فإنّ عالم الهندسة الكفؤ والعاقل يمتلك هذه القوّة المضاعفة بالدرجة الأعلى؛ وإذا ما وُجد رجل هو كاذب بشأن الرسوم البيانيّة، فسيكون هو الرجل الكفؤ لأنّه هو القادر على أن يكون كاذباً؛ في حين أنّ الرجل السيِّء يكون غير قادرٍ على ذلك، ولا يستطيع أن يصبح كاذباً لهذا السبب، وهذا ما تمّ الاعتراف به.

هيبياس: صدقاً.

سقراط: مرّة ثانية ـ دعنا نختبر حالة ثالثة، إنّها حالة عالِم النجوم، وتدَّعي أنت مرّة ثانية، يا هيبياس، أنّك لا تزال الأمهر فيها ممّا تقدَّم طرحه من مواضيع ـ ألا تقول ذلك؟

هيبياس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: أوَ لاَ يثبت الشيء عينه عن علم النجوم؟

هيبياس: من المحتمل.

سقراط: وفي علم النجوم أيضاً، إذا كان أيّ رجلٍ قادراً على أن يتكلّم كَذباً فإنّه سيكون عالم النجوم الكفؤ ـ وليس الإنسان الذي يكون غير قَادرٍ على أن يتكلم بالكذب، لأنّه لا يمتلك المعرفة.

هيبياس: لا بوضوح.

سقراط: إذن ففي علم النجوم أيضاً، سيكون الرجل نفسه صادقاً وكاذباً؟

هيبياس: يبدو أنّ ذلك صحيح.

سقراط: وبعدُ، يا هيبياس، تأمّل السؤال مليّاً بشكل واسع بشأن كلّ العلوم، وانظر إذا ما كان المبدأ عينه يثبت على الدوام. أعرف بأنّك أعقل الرجال في الفنون الأكثر وجوداً، كما سمعتك تتباهى في الساحة العامة على طاولات مبدّليّ الدراهم، عندما كنت تعرض كنوز حكمتك العظيمة والتي تحسدُ

عليها؛ وكما قلتُ مرّة واحدة، حينما ذهبت إلى الألعاب الأولومبيّة، إنَّ كلّ ما امتلكته بنفسك كان من صنعك الخاصّ. ابتدأت بخاتمك، الذي صنعته أنت، وقلت بأنّك تستطيع أن تحفر على الخواتم. وكان لديك خَتْم آخر من صنعك الخاصّ أيضاً، ومكشطة للجلد وقارورة زيت صنعتهما بنفسك؛ قلت إنّك صنعت أيضاً الأحذية التي كنت تنتعلها، والعباءَة المحاكة والجلباب القصير اللذين كنت تلبسهما؛ لكنّ الذي بدا لكلّ شخص أنّه الشيء الأكثر غرابة والبرهان على الفنّ المفرد الفريد، كانت المِنطَقَة لجلبابك، والتي قلتَ أنّها كانت جميلة والأكثر كلفة مثل النسيج الفارسي، وهي من صنعك أيضاً؛ بالإضافة إلى ذلك، فإنّك أخبرتنا بأنك أحضرت معك قصائدك الحماسيّة، والمأساويّة، والغنائيّة، مثلما جلبت كتاباتك النثريّة المتعدّدة الأنواع؛ وقلت إنّ براعتك كانت متفوّقة في الفنون التي ذكرتها لتوّي، وكذلك في القواعد والمبادىء الحقيقيّة للإيقاع والتناسق وضبط الإملاء. وإذا تذكّرت صحيحاً، فإنّه كان هناك العديد من الإنجازات العظيمة الأخرى التي تفوّقت بها. إنّني نسيت أن أذكر نظامك في فنّ تقوية الذاكرة، والذي تعتبره كمجدٍ خاصٍّ بك، وأجرؤ على القول بأنّي نسيت العديد من الأشياء الأخرى. لكنّي كما كنت قائلاً أُنظر لفنونك الخاصة فقط ـ وهناك الوفرة منها ـ وانظر إلى تلك الفنون الأخرى؛ وأخبرني، وليكن لديك اعتبار للاعترافات التي قدّمناها سويّة، أخبرني إذا ما اكتشفت أيّ فرع من فروع الفنّ أو أيّ نوعٍ من أنواع الحكمة المنفَّذ ببراعة، أو أيّ اسمٍ تستعمله يكون فيه الإنسان الصادق والإنسان الكاذب مختلفين ولا يكونان الشيء عينه. أخبرني، إن استطعت، عن أيٍّ منهما. لكنّك لا تقدر على ذلك.

هيبياس: ليس قبل التفكير مليّاً، يا سقراط.

سقراط: لا ولن يساعدك التفكير مليّاً، يا هيبياس، كما أعتقد؛ لكن إذا كنت محقّاً، تذكّر ما ستكون العاقبة.

هيبياس: إنّني لا أعرف ما تعنيه، يا سقراط.

سقراط: ربّما لأنّك لا تستعمل نظام فنّ تقوية الذاكرة الخاصّ بك - بوضوح إنّك تعتقد بأنّ هذه فرصة مناسبة له؛ لكنّني سوف أذكّرك. ألم تقل بأنّ آخيل كان إنساناً صادقاً، وأنّ أوديسيوس كان رجلاً كاذباً وماكراً؟

هيبياس: إنّي فعلت.

سقراط: وبعدُ هل تتصوّر أنّ الشخص نفسه قد أصبح كاذباً وصادقاً أيضاً؟ إذا كان أوديسيوس كاذباً فإنّه كان صادقاً أيضاً، وإن كان آخيل صادقاً فإنّه كان كاذباً أيضاً، وهكذا فإنّ الرجلين الاثنين ليسا مختلفين أو متناقضين، بل متشابهان.

هيبياس: أوه يا سقراط، إنّك تحيك شباك المحاورة على الدوام، وتختار أكثر النقاط الرئيسيّة صعوبة، وتركز على التفاصيل بدلاً من التشبّث بالمسألة قيد البحث ككلّ. تعال الآن، سأشرح لك، إذا سمحت لي، وسأوضح لك بالعديد من البراهين المقنعة، أنّ هوميروس قد جعل من آخيل إنساناً أفضل من أوديسيوس، وجعله إنساناً صادقاً أيضاً، وأنّه خلق من الرجال الآخرين رجالاً ماكرين، اجترحوا العديد من الأكاذيب، وهم أدنى مستوىً من آخيل. وإذا سرّك بعدئذ، فإنّك ستؤلّف خطاباً على الجانب الآخر، كي تبرهن أنّ أوديسيوس هو إنسان أفضل؛ ويمكن لهذا أن يُقارن بالذي يخصّني، وستعرف الجماعة الحاضرة معنا حينئذ أيّاً منا هو المتكلّم الأفضل.

سقراط: أوه يا هيبياس، إنّني لا أشكّ بأنّك أعقل مني. لكن لديَّ طريقة في المحاورة. عندما يقول شخص آخر أيّ شيء، فإنّني أعطيه انتباهاً أقرب، خاصّة إذا بدا المتكلّم أنّه إنسان حكيم. وبما أنّ لديَّ رغبة ملحّة كي أفهم، فإنّي أسأله، وأختبر وأحلّل وأضع ما يقوله معاً، ليتسنّى لي الفهم. إنّني لا أستنطقه، أو أشغل وأزعج نفسي بكلماته. ويمكنك أن تعرف بواسطة هذا

مَن هم الذين أعتبرهم رجالاً حكماء، لأنك سوف ترى أنّي عندما أتحدث مع إنسان حكيم، فإنّني يقظٌ جدّاً لِما يقوله. أطرحِ عليه أسئلة، كي يمكنني أن أتعلّم منه وأتحسّن به. ولا أستطيع إلاّ أنْ أشير في حين كنت تتكلّم أنت، أنّك عندما تلوت المقاطع الشعرية، كما حاورت، تلك المقاطع التي يهاجم آخيل فيها أوديسيوس وكأنّه مخادع، فإنّك يجب أن تكون مخطئاً بشكل غريب، لأنّ أوديسيوس الرجل المخادع، لم يُكتشف أنّه أخبر كذبة قط؛ لكنّ آخيل وُجِد أنّه ماكرٌ بناءً على تبيينك، وأنّه يتكلّم بِبُطل وزيفٍ على كلِّ حال؛ ذلك لأنّه تفوّه باديء ذي بدء بهذه الكلمات، التي ردّدتها لتوّك الآن.

« إنّني لأكرهه مثلما أكره بوابات الموت الذي يخفي في قلبه فكرة ما وينطق بأخرى ».

ويقول هو حينئذ، بعد بقليل، بأنّه لن يتحرّك بأيّ إقناع من أوديسيوس وأغاميمنون، ولن يبقى في طروادة؛ بل يقول:

« غداً، حينما أقدّم تضحيات إلى زيوس وإلى كلّ الآلهة، بما أنّني حمّلتُ بواخري جيداً، سأسحبها إلى أسفل، إلى الأعماق؛ وبعدئذ أنت سترى، إذا كان لديك عقل، وإن كانت أشياء كهذه مّما تهتمّ به، فإنّ بواخري ستبحر في الصباح الباكر فوق مضيق الدردنيل الكثير السمك، ورجالي يكدُّون مستعملين المجذاف بشوق، وفي اليوم الثالث سوف أصل إلى فثيا المخصبة ».

وقبل ذلك، عندما كان يشتم أغاميمنون، قال:

« والآن إلى فثيا سأذهب، بما أنّ العودة إلى البيت في البواخر المنقاريّة الشكل هي أفضل بشكل بعيد، لا ولست ميّالاً للبقاء هنا في الخزي، وجمع الثروة والغنى لك ».

لكن مع أنّه في تلك المناسبة، وفي حضور الجيش كلّه، تكلّم بهذه الطريقة،

وتكلّم في المناسبة الأخرى لرفاقه، ويبدو أنّه لم يكن لديه أيّ تجهيزٍ أو محاولة كي يبحر بالبواخر إلى أسفل، وكأنّ لديه القصد الأقل للإبحار إلى بلده؛ هكذا كان غير معتبر الحقيقة بنبل. والآن، يا هيبياس، فإنّني طرحت عليك السؤال في الأصل لأنّي شككتُ فيما يتعلّق بالبطلين الاثنين أيّهما كان يقصدُ الشاعر أنّه الشاعر الأفضل، ولأنّي تصوّرت أنهما كليهما كان متفوقين، وأنّه سيكون من الصعب تقرير أيّهما كان الأفضل، ليس فيما يخصّ الحقيقة والباطل، بل فيما يخصّ الفضيلة بشكل عامّ، لأنّهما، حتى في مسألة قول الحقيقة هذه، كثيراً، هما على قدم المساواة.

هيبياس: أنت مخطىء هناك، يا سقراط؛ إذ بقدر ما يتكلّم آخيل بزيف، فإنّ هذا التكلّم بزيف يكون غير متعمَّد. إنّه مجبر، رُغم إرادته، على البقاء وإنقاذ الجيش من محنته. لكن عندما يتكلّم أوديسيوس بالكذب، فإنّه يكون كذّاباً باختياره وعن عمد.

سقراط: إنّك تقلّده، يا عزيزي هيبياس، وأنت تخدعني.

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط؛ ما الذي جعلك تقول ذلك؟ وماذا تعني؟

سقراط: لأنّك تقول بأنّ آخيل لا يتكلّم كذباً عن قصد، في حين أنّه ليس متبجّحاً حسب وصف هوميروس له فقط، بل إنّه كان بارعاً وماكراً، وأظهر أنه كذلك واثقٌ من الحصول على الأفضل من أوديسيوس بالكذب غير المكتَشف وبالمزاعم الباطلة، وذلك كي يجرؤ على أن يناقض نفسه أمام أوديسيوس الذي لم يكتشفه. على كلّ حال فهو لا ينظر على أنه قال أيّ شيء سيدلُّ ضمناً على أنه أدرك زيفه.

هيبياس: ماذا تعني، يا سقراط؟

سقراط: ألم تلاحظ أنّه بعد أن أخبر أوديسيوس بأنّه سيبحر بعيداً مع طلوع الفجر الباكر، روى لأجاكس قصّةً مغايرة لهذا تماماً؟

هيبياس: أين ذلك؟

سقراط: حيث يقول:

« إنّني لن أعطي أيّ اهتمامٍ للحرب الدمويّة إلى أن يأتي برايم[٣٨] المولع بالحرب، يا هيكتور اللّامع، إلى أن يأتي إلى الخيَم والبواخر التي تخصّ الميرموديين، ذابحاً اللّاغورسيين، حارقاً البواخر بالنار؟ وبقرب خيمتي والباخرة السوداء، اشتبهت بأنّ هيكتور، بالرّغم من أنّه مشتاق للمعركة، لن يبقى مكتوف الأيدي برغم ذلك ».

وبعدُ، هل تتصوّر حقّاً، يا هيبياس، أنّ ابن ثيتيس[٣٩] الذي كان تلميذ تشايرون الصّوفي العالِم، هل تتصوّر أنه كان لديه ذاكرة سيّئة، إذ إنّه بعد أن هاجم الكذَبة بعنف وبالعبارات الأكثر تهجّماً وللحظة سبقت فقط، يقول لأوديسيوس بأنّه سيبحر بعيداً، ويقول إنّ على أجاكس أن يبقى؟ ألا تعتقد أنت بالأحرى أنّه كان يعدُّ مصيدة لأوديسيوس الذي اعتبره وكأنّه مغفَّل قديم، متوقّعاً أن يُهزم بفنون أوديسيوس الخاصة المخادعة وبزيفه؟

هيبياس: لا، إنّني لا أتّفق معك، يا سقراط؛ لكنّني أعتقد أنّ آخيل أُغريَ أو استُحِثَّ ليقول شيئاً واحداً لأجاكس، إذ إنّه قال شيئاً آخر لأوديسيوس، بحسب رقّة قلبه؛ في حين أنّ أوديسيوس، سواء إذا تكلّم بالباطل أو بالصدق، فإنّه يتكلّم بقصدٍ شرّيرٍ على الدوام.

سقراط: إذن سيظهر أوديسيوس أنّه أفضل من آخيل بعد كلِّ هذا؟

هيبياس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: لماذا، ألم يُبيِّن الكذَبةُ الاختياريّون كي تُوهِّم أنت الآن أنّهم أفضل من الكذبة اللاإختياريين؟

هيبياس: يا سقراط، كيف يستطيع أولئك، الذين هم ظالمون عمداً، والذين يفعلون الأذى المتعمَّد اختيارياً، كيف يستطيعون أن يكونوا أفضل من أولئك الذين

يخطئون ويفعلون الأذى لا إرادياً؟ هناك عذر كبير بالتأكيد، أو مبرّرٌ كي يُخلق رجلٌ يخبر بالكذب أو الباطل أو يلحق الأذى أو أيّ نوع من الضرر بالآخرين، من الجهل. وتكون القوانين أكثر صرامة بوضوح وببعد كبير على أولئك الذين يكذبون أو يفعلون الشرّ عمداً، أكثر منها على أولئك الذين يقومون بالشرّ لا إرادياً.

سقراط: أنت ترى، يا هيبياس، كما أخبرتك من قبلُ؛ كيف أنّني ملحاح في طرح الأسئلة على الرجال الحكماء. وأعتقد أنّ هذه هي النقطة الرئيسيّة الجيّدة الخاصّة بي فقط، من بين نقاط أخرى سيّئة؛ إذ حيث تكون الأشياء مختصّة بشيء، فإنّي أرتبك وأتخبّط(٤٠). إنّ عجزي يبرهن لي بالحقيقة، إذ إنّي عندما أقابل واحداً منكم أنتم المشهورين بالحكمة، والذي يشهد لحكمته الهيلينيون كلهم، أُرى أنّني لا أعرف شيئاً. ولو تكلّمت بشكلٍ عامّ، فقد كان لديَّ الرأي عينه بالكاد، بشأن أيّ شيء تمتلكه، وأيّ برهان عن جهلي يمكن أن يكون أعظم من أنّي أختلف عن الرجال الحكماء. لكنّني أمتلك ميزةً واحدة مفردة خيِّرة، هي إنقاذي وخلاصي؛ وهي أنّي لا أستحي أن أتعلَّم، وأن أسأل وأستقصي، وأقِرُّ بالجميل جدّاً لأولئك الذين يجيبونني، ولن أتوانى قطّ أن أهبهم شكري وامتناني. وعندما أتعلّم شيئاً فلن أنكر أبداً أو أتنكّر لالتزاماتي وتعهّداتي، أو أتظاهر أنّ الدرس الّذي تلقَّيته كان من اكتشافي الخاصّ؛ لكنّني أمتدح وأثني على حكمةِ مَن علَّمني وأُعلن وأُنادي صراحة بما تعلّمت منه. وبعدُ فإنّني لا أستطيع أن أوافق على ما تقوله، بل أختلف مع ذلك بشكل قويّ. حسناً، أعرف بأنّ هذه الغلطة هي غلطتي. إنّني هكذا كما أنا، وأرغب بعدم المطالبة بأيّ شيء أكثر. إنّ رأيي، يا هيبياس، معاكسٌ جدّاً لِمَا تقول لأنّني أؤكّد أنّ أولئك الذين يؤذون أو يظلمون الجنس البشريّ، ويتكلّمون كذباً ويخدعون، ويخطئون عمداً، هم

أفضل ببعيد من أولئك الذين يفعلون الخطأ لا إرادياً. إنّني من الرأي المضادّ، بعض المرّات، على كل حال لأنّني منحرفٌ في أفكاري عن الطريق الصحيح كليّة بشأن هذه المسألة. إنّها حالة تسبّبت بالجهل بشكل جليّ. ويحدث أن أكون في أزمة لحدّ الآن تماماً بسبب الفوضى الخاصّة بي، والتي مفادها أنّ أولئك الذين يخطئون عمداً يبدون لي أفضل من أولئك الذين يخطئون لا إرادياً. إنّ حالتي الفكريّة الحاضرة ناشئةٌ من محاورتنا السابقة، والتي جعلتني أميل إلى الاعتقاد بأنّ أولئك الذين يفعلون الخطأ بشكل عامّ لا إرادياً هم أسوأ من أولئك الذين يقومون به عن قصد، ولذلك فإنّي آمل أنّك ستكون جيّداً معي، وأن لا ترفض أن تداويني ممّا أنا فيه لأنّك ستقدّم لي منفعة أكبر بكثير إذا شفيتَ روحي من الجهل، ممّا لو قمت بشفاء جسدي من المرض. يجب أن أخبرك مسبقاً، على كلّ حال، أنّك إذا ألّفت خطبة طويلة لي فلن تشفيني بذلك، لأنّي لن أكون قادراً على أن أتبعك؛ لكن إنْ أجبتني، كما فعلت لتوّك الآن، فإنّك ستؤدّي لي مقداراً عظيماً من الخير، وأنا لا أعتقد بأنّك ستكون الرّجل السيّء. إنّ لديَّ مطلباً عليك أيضاً، أوه يا آبنَ أيمانتوس، لأنّك حثثتني على أن أحادث هيبياس؛ والآن إذا لم يجبني هيبياس، فيجب عليك أن تستعطفه بالنيابة عنّي.

يوديكوس: لكنّني لا أعتقد، يا سقراط، بأنّ هيبياس سيحتاج لأيّ توسّل منّي؛ لأنّه قال من قبلُ بأنّه لن يهرب من أيّ رجل يسأله. ـ ألم تقل هكذا، يا هيبياس؟

هيبياس: نعم، إنّي فعلت؛ لكن، يا يوديكوس، فإنّ سقراط مزعج في المحاورة، وإذا ما أمكنني أن أقول كذلك فهو مولع بالعَبَث واللعب[٤١].

سقراط: يا هيبياس الممتاز، إنّي لست كذلك عن قصد « إنْ كنت، فستظهرني كي أكون إنساناً عاقلاً وسيّداً في الخداع، كما ستوافق على ذلك »، لكنّي أفعل هذا عن غير قصد، ولهذا السبب يجب أن تعفو وتصفح عنّي؛ لأنّ

من يكون مولَعاً بالعبث واللّعب، كما تقول، يستحقّ المغفرة له والصفح عنه.

يوديكوس: نعمْ، يا هيبياس، إفعَل كما يقول. ومن أجلنا، ولكي تتمكّن من أن لا تناقض مهنتك أيضاً، أجب على أيِّ سؤال يسألك إيّاه سقراط.

هيبياس: سأجيب، كما تطلب منّي؛ وآسألني أنت أيّ شيءٍ تحبّه.

سقراط: إنّني لراغب جداً، يا هيبياس، في اختبار وتفحّص هذا السؤال، فيما يتعلق بالذي يكون أفضل ـ أولئك الذين يخطئون عمداً أو عن غير قصد؟ أعتقد، بأنّ هذا السؤال يُستطاع اختباره بهذه الطريقة. أجبني من فضلك: ستعترف أنت، ألن تفعل ذلك، ستعترف بأنّه يوجد عدّاؤون كفوؤون؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ويوجَد عدّاؤون سيّئون؟

هيبياس: نعم.

سقراط: والذي يركض جيّداً يكون عدّاءً كفؤاً، ومن يعدو عدواً سيّئاً هو عدّاء سيء؟.

هيبياس: حقيقي تماماً.

سقراط: والذي يعدو ببطء يركض ركضاً سيّئاً، والذي يجري بسرعة يجري جرياً جيّداً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ السرعة في السباق وفي الجري جيدة، والبطء نوعيّة سيّئة فيهما؟

هيبياس: لتكن متأكداً.

سقراط: أيٌّ من الإثنين يكون عدّاءً أفضل؟ هل هو الذي يجري ببطء عمداً، أو هو الذي يجري ببطء لا إراديّاً؟

هيبياس: إنّه الذي يركض ببطء عمداً.

سقراط: أليس الركض ضرباً أو نوعاً من أنواع الفعل؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وإذا كان الركض نوعاً من أنواع الفعل، فهو ضرب من ضروب العمل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ من يعدو بسوء يقوم بعمل سيِّئ وضارٍّ بالسمعة في السباق؟

هيبياس: نعم؟ إنّه عمل سيِّئ بدون ريب.

سقراط: ويركض بسوء، مَن يركض ببطء؟

هيبياس: نعم.

سقراط: والعدَّاء الكفؤ يقوم بهذا العمل السيِّئ والضارّ بالسمعة عمداً، والعدَّاء السيِّئ يقوم به عن غير قصد؟

هيبياس: يجب أن يستنتج ذلك.

سقراط: إذن ففي السباق إنَّ من يقوم بأعمالٍ سيِّئة عن غير قصد، يكون أسوأ ممَّن يفعلها عمداً؟

هيبياس: نعم، في السّباق.

سقراط: حسناً؛ لكن في حلبة المصارعة - أيٌّ يكون المصارع الأفضل، مَنْ يسقط عمداً أو مَنْ يسقط عن غير عمد؟

هيبياس: هو الذي يسقط عمداً، بدون شك.

سقراط: وهل السقوط في مباراة المصارعة أكثر ضرراً وأسوأ بالسمعة من رمي الآخر أرضاً؟

هيبياس: السقوط.

سقراط: إذن فإنّ من يقوم بأعمال سيِّئة وضارَّة بالسّمعة في مبارزة مصارعة عمداً أيضاً، يكون أفضل من المصارع الذي يؤدِّيها لا إراديّاً؟

هيبياس: يبدو أنّ هذه هي الحقيقة.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن أيّة تمارين جسديَّة أخرى - أليس من يمتلك بنيةً

جسديَّةً أفضل قادراً على أن يؤدِّي الأعمال لذلك الذي يكون قوياً ولذلك الذي يكون ضعيفاً على حدّ سواء ـ لذلك الذي يكون جميلاً ولذلك الذي يكون قبيحاً؟ وهكذا فإنّه هو الذي يقوم بأعمال سيّئة بالجسد. فالذي يمتلك بنيةً جسديَّة أفضل يفعلها عمداً، والذي يمتلك البنية الجسديّة الأسوأ يؤدِّيها لا طوعيّاً.

هيبياس: نعم، يظهر أنّ ذلك حقيقي بشأن القوّة.

سقراط: وماذا تقول عن الرشاقة أو التناسق الجسديّ، يا هيبياس؟ أليس الذي إتخذ شكلاً بشكل أفضل، أليس قادراً على أن يتَّخذ أشكالاً وأوضاعاً سيّئة وقبيحة عن قصد، كما يكون الذي اتّخذ الشكل الأسوأ قادراً على أن يتّخذه لا إراديّاً؟

هيبياس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ البشاعة الإراديَّة تأتي من إمتياز الهيكل الجسديّ، والبشاعة اللاّطوعية تأتي من الخلل في هذا الهيكل؟

هيبياس: صدقاً.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن الصوّت اللاّموسيقيّ؛ هل ستفضِّل الصوت الذي يكون خارج التناغم الموسيقيّ عمداً أو الذي يكون خارجاً لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضِّل ذلك الذي يكون خارج هذا التناغم عمداً.

سقراط: إنّ الصوت اللاّطوعي هو أسوأ الإثنين.

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستفضِّل أن تختار الخيرات أو الشرور؟

هيبياس: الخيرات.

سقراط: وهل ستفضِّل أن تمتلك قدمين ضعيفتين طوعيّاً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضِّل القدمين الضعيفتين طوعيّاً.

سقراط: لكن أليس الضّعف خللاً أو تشوّهاً في القدمين؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستفضّل على الدوام أن تمتلك عينين يمكنك أن تطرفهما عمداً وأن ترى بهما بنقص، أو عينين ستطرفهما لا إراديّاً؟

هيبياس: إنّني سأفضّل العينين اللتين تطرفان عمداً.

سقراط: إذن فإنّك تعتبر أجزاء جسدك الخاص بك تلك التي تعمل بسوء عمداً، أفضل من تلك الأجزاء التي تفعل بسوءٍ لا إراديّاً؟

هيبياس: نعم، بالتأكيد. إنّها كذلك في حالات كهذه التي تذكرها.

سقراط: ألا يثبت الشيء عينه عن الأذنين، المنخرين، الفم، وعن كل هذه الجوارح ـ تلك التي تعمل سيّئاً لا إراديّاً لن يرغبها أحد، لكونها ناقصةً؛ أمّا تلك التي تعمل سيّئاً عمداً فسيرغبها الرّجال لكونها صالحة؟

هيبياس: أوافق.

سقراط: وماذا ستقول عن الأدوات ـ أيٌّ نوعٍ منها هو الأفضل كي تعمل به: تلك التي يعمل بها الإنسان سيّئاً عن قصد أو لا إراديّاً؟ كمثال، هل يكون أفضل لإنسانٍ أن يمتلك دفّة سيدير بها مقود السفينة بشكل سيّىء، عمداً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: الأفضل هو المقود الذي يدير به السفينة بشكل سيِّىء طوعياً.

سقراط: ألا يثبت الشيء عينه عن القوس وعن العود، عن الناي وعن كلّ الأشياء الأخرى؟

هيبياس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل ستفضّل أن تمتلك حصاناً له مزاج يمكنك أن تمتطيه بسوء عمداً أو لا إراديّاً؟

هيبياس: أفضّل أن يكون لديَّ حصان أستطيع امتطاءَه بسوء عمداً.

سقراط: إنّ ذلك الحصان سيكون حصاناً أفضل؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنك مع الحصان ذي المزاج الأفضل، ستُنتج أعمالاً رديئة عمداً؛ وستنتج مع الحصان ذي المزاج السيِّىء أعمالاً سيئة لا طوعيّاً؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: وسيكون ذلك صحيحاً عن الكلب، أو عن أيّ حيوان آخر؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وتأمّل الآن البراعة الإنسانيّة: هل الأفضل أن تملك عقل رامي السهام الذي يخطىء العلامة عن قصد، أو ذلك الذي يخطىء المرمى لا إراديّاً؟

هيبياس: عقل الذي يخطىء المرمى عمداً.

سقراط: إنّ هذا العقل سيكون العقل المفضّل لأغراض رمي السهام؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ العقل الذي يخطىء لا طوعيّاً يكون عقلاً أسوأ من العقل الذي يخطىء عمداً؟

هيبياس: نعم، بالتأكيد، إنّه لكذلك في استعمال القوس.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن فنّ الطبّ - أليس العقل الذي يسبب الأذى للجسم عمداً، هو العقل المتّصل بفنّ الشفاء؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن ففي فنّ الطبّ يكون العمل الإختياري الطوعيّ أفضل من العمل اللّاإختياريّ؟

هيبياس: نعم.

سقراط: حسناً، وفي العزف على العود والعزف على القيثارة، وفي كلّ الفنون والعلوم، أليس ذلك العقل هو العقل الأفضل الذي يفعل اختياريّاً ما يكون

سيّئاً ومضّراً بالسمعة، ويُفضي إلى الخطأ، أوَ لاَ يكون العقل الأسوأ ذلك العقل الذي يؤدّيها هكذا لا إرادياً؟

هيبياس: إنّ ذلك لواضح.

سقراط: وماذا ستقول أنت عن أخلاق العبيد؟ ألن تفضّل امتلاك أولئك الذين يفعلون الخطأ اختيارياً، ويقعون في الغلط، أليسوا هم أفضل في أغلاطهم من أولئك الذين يرتكبونها لا إرادياً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: وهل ستكون عقولنا أفضل إذا فعلت الخطأ وارتكبت الأغلاط اختيارياً، أو لاطوعيّاً؟

هيبياس: أوه يا سقراط، إنّه سيكون شيئاً فظيعاً إذا كان أولئك الذين يفعلون الخطأ اختياريّاً هم أُفضل من أولئك الذين يقومون بالخطأ لا إراديّاً!

سقراط: ويبدو أنّ هذا الاستنتاج برغم ذلك هو الاستنتاج الوحيد.

هيبياس: إنّني لا أظنّ هكذا.

سقراط: لكنّني أتصوّر، يا هيبياس، أنّك فعلت. من فضلك أجبني مرّة أخرى: أليس العدل قوّة أو علماً أو كليهما؟ ألاَ يجب أن يكون العدل واحداً من هذين الشيئين، مهما يحدث؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن إذا كان العدل قوّة الروح، إذن فإنّ الروح التي تمتلك القوة الأعظم تكون الروح الأكثر عدلاً أيضاً؛ لأنّ ذلك الذي لديه الفوة الأعظم، يا صديقي الصالح، قد برهنّا وأثبتنا أنّه هو الأفضل.

هيبياس: نعم، إنّه قد تمّ برهانه.

سقراط: وإذا كان العدل علماً، ستكون الروح الأعدل هي الروح الأعقل حينئذ، وستكون الروح الأكثر جهلاً الروح الأكثر ظلماً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: لكن إذا كان العدل قوّة وعلماً أيضاً ـ ألن تكون عندئذ الروح التي تمتلك العلم والقوة كليهما هي الروح الأكثر عدلاً، والروح التي تكون أكثر جهلاً هي الروح الأكثر ظلماً؟ ألا يجب أن يكون هذا هكذا؟

هيبياس: على ما يبدو.

سقراط: أو لم يتمّ تبيين أنّ الروح التي تمتلك قوّة أعظم ولديها الحكمة تكون روحاً أفضل أيضاً، وهي الروح القادرة على أن تفعل الخير والشرّ كليهما في كلّ نوعٍ من أنواع العمل؟

هيبياس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ روحاً كهذه إذن، عندما تفعل شرّاً، تفعله اختيارياً بقوّة وفنّ ـ وهذان الشيئان مفردان أو مجتمعان هما عناصر العدل؟

هيبياس: يبدو أنّ هذا يكون حقيقياً.

سقراط: ولتفعل الظلم يعني أن تقوم بعمل الشرّ، وكي لا تفعل الظلم يعني أن تفعل خيراً؟

هيبياس: نعم.

سقراط: ولهذا السبب فإنّ الروح الأفضل والأقدر عندما تفعل الخطأ ستقوم به اختيارياً، وأمّا الروح الشريرة فتفعله لا إراديّاً؟

هيبياس: على ما يبدو.

سقراط: والإنسان الخيّر هو الذي يمتلك الروح الخيّرة، والرجل الشرّير هو الذي يمتلك الروح الشريرة؟

هيبياس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ خاصيّة الإنسان الخيّر أن يفعل اختيارياً، وخاصيّة الرجل الشرّير أن يقوم بها لا طوعيّاً، إذا كان الإنسان الصالح هو الإنسان الذي يمتلك الروح الخيّرة؟

هيبياس: هو الذي يمتلكها بدون ريب.

سقراط: إذن، يا هيبياس، إنّ الذي يفعل الخطأ اختيارياً ويقوم بالأشياء المخزية، إن وُجد هكذا إنسان، يجب أن يكون الإنسان الصالح؟

هيبياس: لا أستطيع أن أتّفق معك هناك.

سقراط: ولا أقدر على أن أتّفق مع نفسي، يا هيبياس؛ وبرغم ذلك يبدو أنّ هذا هو الاستنتاج الذي ينبغي أن نتبعهَ من محاورتنا، بقدر ما يمكننا أن نرى في الوقت الحاضر. وكما كنت قائلاً من قبلُ، فإنّني أنحرف عن السبيل الصحيح، وكوني مرتبكاً، أغيّر رأيي على الدوام. وبعدُ، إذا ما ضللت أنا أو ضلّ أيّ إنسان عاديٍّ آخر عن الطريق القويم وهِمْنا في ارتباكنا، فإنّ ذلك ليس شيئاً مفاجئاً. لكنّكم أنتم، أيّها الرجال الحكماء، إن كنتم هائمين على وجهكم أيضاً ولا نستطيع نحن حتى أن نأتي إليكم ونرتاح من تطوافنا وتيهنا، فستصبح القضيّة خطيرة لنا ولكم بشكل جدّي.

محاورة السيبيادس الأوّل

افكار المحاورة الرئيسية

بدأ سقراط المحاورة قائلاً: إنّ سبب صمتي، يا السيبيادس، وعدم تكلّمي معك منذ وقت طويل، هو أنني كنت معوّقاً بقوة أكثر من قوّة إنسانية، والتي سأوضح لك طبيعتها يوماً ما. لكنّي الآن سأتحدّث معك بكلّ حريّة، خاصّة عن تلك القوة الشخصيّة الأسمى التي تمتلك، وأنت الذي لا ينقصك شيء، فلك المواهب الطبيعيّة الاستثنائية الرائعة، ابتداءً بالجسد وانتهاءً بالروح، وأنت من أسرةٍ مرموقةٍ عالية النسب من جهة الأب والأمّ كليهما. وما حارسك والوصيّ عليك إلا بركليس، وهو الحاكم الذي يمتلك سلطة واسعة، ويستطيع أن يفعل ما يريد في هيلاس كلّها، وكذلك في العديد من الأمم القويّة الغريبة. ولقد سمعت عنك منذ مدَّة بأنّك ستقف أمام الجمعية العموميّة الأثينية، وستبرهن لهم على أنّك جدير بالتكريم أكثر من بركليس، أو من أيّ إنسان آخر وُجد على هذه الأرض، وستكون لك بعد ذلك القوّة الأعظم ليس بيننا فقط، بل ستتعدّى قوّتُك هذه بلادَنا لتصل إلى أمم البربر التي تشاركنا السكن في هذه القارّة، بل ستصل إلى العالم أجمع. لكن ما سأقوله لك هو أنّك لا تقدر على إنجاز خططك هذه بدون مساعدتي، لأنّ لي من القوة ما يجعلني أعتقد بذلك. ولهذا السبب منعني الله من أن أتكلّم معك. وسأبرهن لك بأنّ قوّتي العليا المتفوّقة هذه لا يستطيع على تحويلها لك أيّ وصيّ أو قريب سواي، كون الله هو الذي يساعدني.

إنّ السؤال الأوّل الذي سأطرحه عليك، هو إذا كنت تعرف المسألة التي أنت ذاهب لتنصح الأثينيين بشأنها؟ وإنْ كنت تعرف أيّ شيء سوى الذي تعلّمته من الآخرين أو الذي اكتشفته بنفسك؟ أو إذا كنت ستتعلّم أيّ شيء أبداً؟ نعم،

يا سقراط، إنّ ذلك ما أنا مزمع القيام به. لكن طبقاً لذاكرتي، يا السيبيادس، إنَّ ما تعرفه وما تعلّمته هو فنون الكتابة، فنّ العزف على العود، فنّ المصارعة، وهذا هو كل شيء. إذن، ماذا ستعلّم الأثينيين؟ وأنت تعرف أنّ الإنسان يكون كفؤاً للنصح بشأن أيّ شيء، ليس لأنّ لديه الثروة والقوّة وجمال الجسد، بل لأنّه يمتلك المعرفة. لكنّي سأنصحهم بشأنٍ يخصّهم وهم يهتمّون به، يا سقراط. أعني التداول بشؤون الحرب والسلام، وكيف ينبغي عليهم سلوكهما، وبأيّة طريقة. لكنّني أفترض، يا السيبيادس، أنّ ذلك الذي يكون صحيحاً هو الذي أُنجز طبقاً للفنّ المناسب بأفضل السُّبُل. أوّلا ينبغي عليك هنا أن تحقّق في طبيعة العادل والظالم والعدل والظلم، قبل التطرّق إلى شؤون الحرب والسلام؟ أوّلا يجب أن تعرف ذلك بادىء ذي بدء. إنّ هاتين المسألتين هما موضوع خلاف بين أبناء الجنس البشريّ منذ أن وجدوا، بل هي القضية الأكثر جدالاً. ولهذا السبب ينشأ صراع بينهم وتُشنُّ الحروب، وكيف يمكنك تعليم ذلك، يا سقراط، عندما لا تعرف أيّ شيء عنه؟ ولم تتألّم كي تتعلمه؟ أستطيع القول، يا صديقي، بأنّ ذلك ما هو إلا اختلال عقليّ محض.

إنّ الأثينيين وبقيّة الهيلينيين، يا السيبيادس، لا يتداولون بما هو الأكثر عدلاً وظلماً على الغالب، بل يأخذون بعين الاعتبار أنّ طريقة العمل ستكون الأكثر مناسبة، كما قلت. لكن ألا تعرف بأن هناك فرقاً بين العدل والمناسب، وتعترف أنت بأنّك لا تعرف ما هو العدل ولا المناسب كذلك. لكنّك تعترف أنّ العادلين هم الأخيار وهم المناسبون، وهم الذين يعملون بشرف؛ وأنّ الأعمال العادلة هي الأعمال المناسبة، وما ارتباكك بشأنها فيما مضى إلاّ لأنّك كنت جاهلاً بها. ولا يرتبك ولا يرتكب الأخطاء أولئك الذين يعرفون، ولا الأشخاص الذين لا يعرفون، بل أولئك الذين لا يعرفون ويتصورون أنّهم يعرفون فقط. وهذا الجهل هو من النوع المعيب والفاضح، وهو سبب الشقاء والأذى، وهو الأكثر شرّاً ومهانة، ويفعل السوء

ويؤدّي بالبشر إلى القضايا الأكثر خطراً. وهذه الحالة ليست حالتك فقط، يا السيبيادس، بل إنّها حالة أكثر رجال دولنا، ما عدا قلّة منهم.

والآن ما هي تصميماتك للمستقبل، يا السيبيادس الجميل؟ هل تريد أن تبقى كما أنت، أو أنّك ستقاسي بعض الآلام من أجل نفسك كي تعرف؟

سأفعل ذلك بمساعدتك، يا سقراط.

لا تقل بمساعدتي، بل يلزمك أن تسمع وتقتنع بالآية المحفورة في معبد دلفي « إعرف نفسك » وذلك برعاية الفنّ الذي يمكن لإنسانٍ أن يرعى به نفسه، ويجعلها أفضل، وهو معرفة من نحن؟ ودعنا الآن نكتشف الطبيعة الحقيقيّة للنفس، وذلك سيعطينا الفرصة لمعرفة ماذا نكون نحن. إنّ الإنسان لا يكون الشيء نفسه مثل جسمه الخاصّ به، بل هو المستخدم للجسد. ولا يمكن أن يكون المستخدم للجسد غيراً من الروح التي تحكمه وهو التابع لها. وأقدر على أن أقول لك بصدق إنّ الإنسان لا يكون غيراً من روح، والروح هي الإنسان، ونحن نتكلّم مع بعضنا، أي الروح تتكلّم مع الروح. ولهذا السبب، فإنّ منْ يأمر إنساناً كي يعرف نفسه، يريد منه أن يعرف روحه. وإذا كان على الروح أن تعرف نفسها، يا عزيزي السيبيادس، ينبغي أن ننظر إلى الروح، وبخاصّة في ذلك الجزء من الروح حيث تقطن فضيلتها. وما فضيلة الروح إلا الحكمة والمعرفة وهما الأكثر إلهيّة فيها، وهذا الجزء من الروح شبيه بالله. إنّ مَن ينظر في هذا وفي النوع كلّه للأشياء الإلهيَّة، وينظر إلى الله وإلى الحكمة، سيكون الأكثر احتمالاً لأن يعرف نفسه.

يمكننا القول إذن، بعد هذه المحاورة التي أجريناها، أنّه كما أن المرايا أصدق وأصفى وأسطع من المرآة الموجودة داخل العين، هكذا هو الله بطبيعته أطهر وأشعّ مرآة من الجزء الأكثر امتيازاً لأرواحنا الخاصّة. ولهذا السبب، فإنّنا في تطلّعنا إلى الله سنستعمل المرآة الأجمل والأنقى للروح الإنسانية وفضيلتها، وسنرى بالشكل الأفضل بواسطة وسائل كهذه ونتوصّل لنعرف أنفسنا. والإنسان الذي لا يعرف

نفسه سيكون جاهلاً بالأشياء التي تخصّه وتخصّ الآخرين، ولن يعرف شؤون الدولة، ولهذا لا يمكنه أن يكون رجل دولة، أو رجل إدارة، وستحلّ التعاسة بالذين يعمل لهم وبه وبالدولة كلّها. أمّا إذا سعدت المدن بالعدل والحكمة، فإنّها لا تريد أسواراً، ولا سفناً حربية، أو أحواضاً لها، أو أعداداً مسلّحة وأعتدة حربيّة، أو أحجاماً، بل تحتاج للفضيلة فقط، وهذا ما ينبغي عليك ويلزمك أن تمتلكه قبل أن تنصح الأثينيين وتتكلّم في جمعيتهم العموميّة. وسترضي الله بهذا وتعمل بخير وصدق وصلاح، وأنا سأضمن سعادتك، وإلاّ فلن تكون إنساناً حرّاً بل عبداً لنزواتك وشهواتك وجهلك. وتقدر على الهروب من حالتك الحاضرة هذه بمساعدة الله، يا السيبيادس، وستكون أنت سيّدي ومعلّمي عندئذ.

يحوم شك كبير حول صحة هذه المحاورة، اذ يعتقد البعض انها ليست من عمل أفلاطون استناداً إلى أن الشكل والتركيب والمحتوى يختلف عن المحاورات الاخرى. ويعتقد البعض الآخر انها من أعمال أفلاطون المتأخرة، بينما يقول آخرون انها من عمل سواه ولربما قام بوضعها مقلد ما هو بعد جيل من وفاة أفلاطون.

ويعارض كبير مترجمي محاورات أفلاطون المفكر البريطاني جويت هذا الشك حول صحة المحاورة ويؤكد انها من الأعمال التي وضعها الفيلسوف اليوناني في أواخر حياته.

محاورة السيبيادس الأول

اشخاص المحاورة

السيبيادس سقراط

سقراط: أجرؤ على القول بأنّه يمكنك أن تتعجّب أن تجد، أوه يا ابن كلينياس، وأنا محبوبك الأوّل، أنني لم أكلمك منذ سنين عديدة، في حين أنّ بقية الناس أرهقوك باهتمامهم وعنايتهم، وأكون أنا آخر مَن يتكلّم معك من محبّيك. إنّ سبب صمتي هو أنّ قوّة أكثر من قوّة إنسانية، أعاقتني عن الكلام وسأوضح لك طبيعتها يوماً ما. لكنّ هذه الأعاقة قد أُزيلت الآن، ولهذا السبب فإنّي حاضر هنا الآن بنفسي أمامك، وإنّ لديَّ آمالاً كبيرة بأنّها لن تحدث عرقلة مشابهة مرّة أخرى. في غضون ذلك، لاحظت أنّ كبرياءَك قد كان أكثر بكثير من كبرياء المعجبين بك؛ إنّهم كانوا عديدين ومقدامين، لكنّهم هربوا منك جميعهم، وأُخضِعوا بقوّة تلك الشخصية الأسمى التي لديك، ولم يبقَ منهم أحد. إنّني لجاهز كي أوضح لك سبب قلّة احترامك لهم. تعتقد أنت أنّك لست بحاجة لهم أو لأيّ رجلٍ آخر، إذ لا ينقصك شيء وأنت صاحب المواهب الطبيعيّة الرائعة الاستثناء، ابتداءً بالجسد، وانتهاء بالروح. ففي المقام الأوّل، أنت تقول بنفسك إنّك أطول المواطنين وأجملهم، ويمكن أن يرى هذا كلّ شخص له عينان سليمتان على أنّه شيء حقيقيّ. وفي المقام الثاني، إنّك أنبلهم كلهم، وأنت من أسرة مرموقة عالية النسب من جهة الأب والأمّ كليهما، وتحدَّرت من إحدى العائلات الأكثر امتيازاً في دولتك، والتي هي الأعظم في هيلاس كلّها. ولك العديد من

الأصدقاء والأنسباء من النوع الأفضل الذين يستطيعون مساعدتك عندما تكون بحاجة للمساعدة؛ وهناك قريب واحد لك ذو سلطة واسعة، هو أكثر قرباً من جميع الباقين، عنيت به بركليس بن اكسانثيبوس، الذي تركه لك أبوك حارساً ووصياً عليك وفعل كذلك على أخيك، وهو الذي يستطيع أن يفعل كما يحلو له ليس في هذه المدينة فقط، بل في هيلاس كلّها، وبين العديد من الأمم القويّة الغريبة. أكثر من ذلك، إنّك ثريّ؛ لكنّني سوف أضيف أنّك تقدِّر نفسك فوق ممتلكاتك اعتزازك بعد أن قهرت محبّيك، وهم اعترفوا بأنّك أبرع منهم كلّهم، وأنّك أنت أدركت هذه الأشياء ولاحظتها جميعاً. وبعدُ فإنّني أعرف بأنّك تتعجّب لماذا لا أحرِّر نفسي من محبوبي، وماذا آمل أن أربح بالبقاء بعدما هرب الآخرون.

السيبيادس: لربّما، يا سقراط، إنّك لست عالماً بأنّك في طليعة من أفكّر بهم تماماً؛ قصدت أن آتي إليك أوّلاً وأسألك السؤال المحدَّد عينه ـ ماذا تريد منّي؟ وما هو باعثك على إزعاجي، وإيجادك غرضاً لمجيئك دائماً وأينما أكون؟.[٤٢] إنّني أتعجّب حقّاً ماذا تعني، وأحبّ أن أعرف ذلك بشكل كبير.

سقراط: إذن إنْ رغبت أن تعرف، كما تقول، فإنّني أفترض بأنك ستكون مستعداً لأن تسمع. ويمكنني أن أعتبر نفسي أنني أتكلم إلى مستمعٍ سيثبت ولن يولّي الأدبار؟

السيبيادس: بالتأكيد، دعني أسمع.

سقراط: من الأفضل لك أن تكون حذراً، لأنّه يمكنني أن أكون غير مستعدٌ جداً لأن أنتهي كما قد بدأت حتى الآن على الأرجح.

السيبيادس: تقدَّم، يا رجلي الصالح، وإنّني سأستمع.

سقراط: إنّني سأتقدّم؛ وبرغم ذلك فإنه ليس من السهل على المحبوب أن يدنو من واحدٍ لا يكون ميّالاً كي يستسلم لأحبّائه[٤٣]. إنّي سأبذل جهداً، وأخبرك

ما عنيت: يا محبوبي السيبيادس، إنّ الذي كنت أحبّ أن أعترف به بصعوبة، وأنّني كنت سأموت منذ وقت طويل مضى، وكأنّي متملّق نفسي، وذلك إن رأيتك محبّاً لأشيائك الجيّدة، أو أعتقد بأنّك يجب أن تمضي الوقت في الاستمتاع بها. لكنّني سوف أكشف عن أفكارك الأخرى، التي تحتفظ بها لنفسك، وستعرف وفقاً لها بأنّ عينيّ كانت عليك على الدوام. إفترض أنّ إلهاً ما أتى إليك في هذه اللحظة وقال: يا السيبيادس، أيّهما تفضّل: أن تحيا على ما لديك الآن، أو أن تموت في لحظة لا تتاح لك فيها الفرصة كي تحقّق أيّ اكتساب أبعد من ذلك؟ أعتقد يقيناً بأنّك ستختار الموت. وسأخبرك بالأمل الذي تعيش به أنت في الوقت الحاضر: قبل عدّة أيّام خلت، اعتقدت أنت بأنّك ستقف أمام الجمعية العمومية الأثينيّة، وستبرهن لهم بأنّك إنسان جدير بالتكريم أكثر من بركليس، أو أكثر من أي إنسان آخر وُجد على هذه الأرض. وبعد برهنتك لِمَا تقول، فإنّك سوف تكون لديك القوّة والسلطة الأعظم في الدولة. وحينما تكتسب القوة الأعظم بيننا، فستذهب إلى الدولة الهيلينيّة الأخرى، وليس إلى الهيلينيين فقط، بل ستذهب إلى كلّ البربر الذين يقطنون القارّة عينها معنا. وإذا ما قال لك هذا الإله ذاته مرّة ثانية: هنا في أوروبا يكون مركز إمبراطوريتك، ويجب عليك أن لا تجتازها إلى قارّة آسيا أو أن تتدخّل في الشؤون الآسيوية، فإنّي لا أعتقد بأنّك ستختار الحياة وفق هذه الشروط. لكنّ العالم كلّه، كما يمكنني أن أقول، يجب أن يمتلىء بقوّتك وباسمك. أعتقد بأنّك تتصوّر أنّ الرجلين الوحيدين اللذين لهما قيمة في التاريخ كلّه هما سيروس وكسركس (أحشورَش). أعرف بأنّ آمالك هي أن تكون هكذا ـ إنّي لا أخمّن فقط ـ وأنت بالاحتمال المحدّد، تعرف بأنّني أتكلّم الحقيقة، ستجيبني قائلاً: حسناً، يا سقراط، لكن ما هي علاقة آمالي بالإيضاح الذي وعدت

به؟ ويكون هذا ما أنا ذاهب لأخبرك عنه، يا ابن كلينياس وداينوماش الحلو. الإيضاح هو، أنّ كلّ خططك لا يمكن إنجازها بدون مساعدتي. هكذا تكون القوّة العظيمة التي أعتقد بأنّي أمتلكها فوقك، وفوق ما يتعلّق بك؛ وأتصوّر بأنّ هذا هو السبب الذي من أجله منعني الله من أن أحادثك حتى الآن، وإنّني قد توقّعت إذناً منه لزمنٍ طويل لأنّه، كما تأمل أنت أن تبرهن قيمتك الخاصة المتفوّقة للدولة، هكذا فإنّني كلّي أملٌ بأنّه سوف تكون لديّ قوّة عليا عليك، وفي أن أكون قادراً على أن أبرهن قوّتي المتفوّقة هذه، وفي أن أريك أن لا الوصيّ، ولا النسيب، ولا أيّ شخص آخر سواي قادر على أن يمنحك القوّة التي ترغب، كون الله مساعدي. عندما كنت أفتى من الآن(٤٤) ولم تكن ممتلئاً بهذه المطامح العالية، كنت أنا أضيّع وقتي ولهذا السبب، وكما أتصوّر وأدرك، فإنّ الله أمرني أن لا أتحادث معك. لكنه الآن دعاني كي أتكلّم، وأنت الآن ميّالٌ لأن تستمع.

السيبيادس: لماذا، يا سقراط! والآن بما أنّك بدأت الكلام، فإنّك تبدو لي مخلوقاً أكثر غرابة منه عندما تبعتني هنا وهناك بصمت، مع أنّك بدوت غريباً جدّاً عند ذلك. وسواء أظننت بكلّ هذا أو لم تفعل، فتلك هي مسألة يظهر أنّك قد اتخذت قراراً بشأنها، ولهذا السبب لن يكون لإنكاري أيّ تأثير عليك. على كلٍ فقد جعلت أنت من أهدافي أهدافاً إلهيّة بشكل كامل. فلماذا تكون مساعدتك ضروريّة على إنجازها؟ هل تقدر أن تقول لي لماذا؟

سقراط: أتريد أن تعرف إذا ما كنت أستطيع أن أؤلّف خطاباً طويلاً، خطاباً من النوع الذي تعوّدت على سماعه؟ لكن هذه الطريقة ليست طريقتي. تصوّر، على كل حال، أنني قادر أن أبرهن لك حقيقة ما أقول، إذا ما كنت ستمنحني معروفاً صغيراً.

السيبيادس: نعم، إنْ كان المعروف الذي تعنيه ليس مزعجاً.

سقراط: هل ستكون متكدّراً في امتلاكك أسئلة كي تجيب عليها؟
السيبيادس: لا على الإطلاق.
سقراط: من فضلك أن تجيب إذن.
السيبيادس: اسألني.
سقراط: هل يمكنني أن أفترض بأنّك تمتلك المقاصد التي أعزوها إليك؟
السيبيادس: إنّني سأمنحك أيّ شيء تحبّه، على أمل أن أسمع ما لديك كي تقوله لي.
سقراط: أتعني إذن، كما كنت قائلاً، أن تقدم نفسك في فترة قصيرة متقمصاً شخصية الناصح للأثينيين؟ وافترض أنّك عندما تكون معتلياً المقْدِس، أجذبك أنا بالكُمّ وأقول، يا السيبيادس، أنت ارتقيت هذا المكان كي تنصح الأثينيين ـ هل تعرف المسألة التي أنت ذاهب كي تتداول بشأنها؟ كيف ستجيبني؟
السيبيادس: عليَّ أن أجيبك، بأنّي كنت ذاهباً لأنصحهم بشأن القضيّة التي أعرفها أكثر ممّا يعرفون.
سقراط: إذن فإنّك تكون ناصحاً كفؤاً بخصوص الأشياء التي تعرفها؟
السيبيادس: بالتأكيد.
سقراط: وهل تعرف أيّ شيء سوى ما تعلّمته من الآخرين، أو ما اكتشفته بنفسك؟
السيبيادس: إنّ هذا كلّ شيء، طبعاً.
سقراط: وهل ستتعلّم أبداً أو تكتشف أيّ شيء، إذا لم تكن مستعدّاً إمّا لأن تتعلّم من الآخرين أو لأن تُحقّق ذلك بنفسك؟
السيبيادس: لن أتعلّم بدون ذلك.
سقراط: وهل كنت مستعدّاً كي تتعلّم وتتحرّى ما تفترض أنّك عرفته؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن مضى زمنٌ على ظنك بأنّك لم تعرف ما تعرفه الآن؟

السيبيادس: بدون شك.

سقراط: أتصوّر بأنّي أعرف جيّداً وبشكلٍ مقبول المدى الذي وصلته في مكتسباتك ويجب أن تخبرني إنْ نسيت أيًّا منها. وطبقاً لذاكرتي، فقد تعلّمتَ فنون الكتابة، وفنّ العزف على العود، وفنّ المصارعة؛ أمّا الناي فلم تتعلّم العزف عليه أبداً. هذه هي مجموعة إنجازاتك، إلاّ إذا كنت قد اكتسبت شيئاً لم أعرف به، والذي أتصوّر أنه كان ممكناً بصعوبة، ما دمت لم تستطع الخروج من بيتك، لا بالنهار ولا باللّيل، بدون أن أراك.

السيبيادس: نعم، ذلك هو كلّ ما تعلّمته.

سقراط: وهل أنت ذاهب كي تقف في الجمعية الأثينيّة العامة وتنصح الأثينيين بشأت الكتابة؟

السيبيادس: لا، حقاً.

سقراط: أو بشأن لمس العود؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: والأثينيون ليسوا في عادة التداول بشأن المصارعة في الجمعية العمومية؟

السيبيادس: لا، بالكاد.

سقراط: إذن ما هو التشاور الذي تقترح أنت أن تنصحهم فيه؟ إنه ليس بشأن البناء بالتأكيد؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لأنّ البنّاء سيكون ناصحاً أفضل؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ولا حتّى عندما يبحثون في الألوهيّة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: سينصح العرّاف بشأن ذلك أفضل ممّا ستنصح به أنت مرّة ثانية؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: سواء إذا كان هو صغيراً أو كبيراً، كان منظره سيئاً أو وسيماً، نبيلاً أو سافلاً ـ لا فرق في ذلك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: وسواء إذا كان مستشارهم غنيّاً أو فقيراً، فتلك مسألة لن تخلق أيّ فرق للأثينيين عندما يتداولون بشأن صحّة المواطنين. إنّهم يحتاجون للطبيب؟

السيبيادس: طبعاً.

سقراط: إذن ما هو موضوع مباحثتك التي ستبرّر وقوفك أمام الأثينيين ونصحهم؟

السيبيادس: إنّها ستكون متعلقة بما يخصّهم ويهتمون به، يا سقراط.

سقراط: تعني بخصوص بناء السفن، كمثال، عندما يكون السؤال المطروح عن نوع السفن التي سيبنونها؟

السيبيادس: لا، لا ينبغي عليَّ أن أنصحهم بشأن ذلك.

سقراط: أفترض، بأنّك لا تفهم فنّ بناء السفن: ـ أيكون هذا هو السبب؟

السيبيادس: إنّه هو السبب.

سقراط: إذن ماذا تعني بقولك « بشأن الذي يخصّهم ويهتمّون به »؟

السيبيادس: أعني التداول بشأن الحرب، يا سقراط، أو بخصوص السلام، أو من أجل أي اهتمام آخر من اهتمامات الدولة.

سقراط: تعني، عندما يتداولون مع الذين يجب أن يصنعوا السلام، ومع الذين ينبغي عليهم أن يشنّوا الحرب، وبأيّة طريقة سيقومون بذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وفي أي وقتٍ يكونصنع السلم أو شنّ الحرب أفضل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ومقدار الوقت الأفضل لذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكن إفترض أنّ الأثينيين يتباحثون مع مَنْ، وكيف يعدُّون للمصارعة أو للملاكمة، هل ستكون أنت، أو سيّد الألعاب الرياضيّة مستشاراً أفضل لهم؟

السيبيادس: إنّه سيّد الألعاب الرياضية، بوضوح.

سقراط: وهل تستطيع أن تخبرني على أيّة أسس سيقرّر ما يقرّره سيّد الألعاب الرياضية، ومع من ينازل أو لا ينازل في الحلبات، ومتى وكيف؟ لنأخذ مثالاً على ذلك: ألن يقول أن عليهم أن ينازلوا المصارعين الأفضل؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وبالمقدار الذي يكون أفضل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: مرّة ثانية؛ يجب على المغنّي أن يصاحب أغنيته بالعزف بعض المرّات، بالعود وبالرقص؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: عندما يكون فِعْلُ ذلك شيئاً جيّداً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وبمقدار ما يكون حسناً؟

السيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: وبما أنّك تتكلّم عن الامتياز أو الفنّ الأفضل في المصارعة، وعن الامتياز في العزف بمصاحبة العود، سأرغب منك أن تخبرني ما هو هذا الأخير - إنّ الامتياز في المصارعة أسمّيه أنا الألعاب الرياضيّة، وأريد أن أعرف ماذا تدعو أنت الامتياز الآخر؟

السيبيادس: إنّني لا أفهمك.

سقراط: إذن حاول أن تفعل كما أفعل لأنّ جوابي كان مرتكزاً على الفكرة العامّة للتصحيح، وإنّي أفترض أن ذلك الذي يكون صحيحاً هو الذي أُنجز طبقاً للفنّ المناسب؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: أليس الفنّ الذي تكلّمتُ عنه هو فنّ الألعاب الرياضية؟

السيبيادس: نعم، بالتأكيد.

سقراط: وسمّيت الإمتياز في المصارعة ألعاباً رياضيّة؟

السيبيادس: إنّك فعلت.

سقراط: وكنتُ محقّاً؟

السيبيادس: أتصوّر ذلك.

سقراط: حسناً، وبعدُ، ـ إنّ البراعة في الحوار هي إنجاز يجب عليك أن تكتسبه. دعني أطلب إليك أن تخبرني أوّلاً، ما هو ذلك الفنّ الذي هو العزف والغناء، والخطو في الرقص المتناسب الأجزاء؟ قل لي، ما هو إسم الكلّ؟ أعتقد بأنّك يجب أن تكون قادراً على أن تخبرني؟

السيبيادس: إنّني لا أستطيع حقاً.

سقراط: إذن دعني أطرح المسألة بطريقة أخرى: ماذا تسمّي الآلهات اللواتي هن حاميات الفنّ؟

السيبيادس: أتعني آلهات الشعر والفنّ والجمال، يا سقراط؟

سقراط: نعم، إنه لكذلك؛ وما هو اسم الفنّ الذي يدعى بعدهنّ؟

السيبيادس: أفترض أنّك تعني الموسيقى.

سقراط: نعم، إنّ هذا هو ما أعنيه؛ وماذا تكون الصحّة في فنّ الموسيقى؟ بما أنّني أعطيتك درساً للضبط والتصحيح في فنّ التمارين الرياضيّة، فأيّ إسم

ستهب أنت للتصحيح عينه في هذه الحالة؟ كيف يجب أن ينفذ ذلك؟

السيبيادس: أفترض بأن أعطيه إسماً موسيقياً.

سقراط: جيّد جداً؛ والآن قل لي أيّ إسم ستعطي للامتياز في إدارة الحرب، أو في حياة السلم؛ كما كان الـ « موسيقي » الإسم الأكثر امتيازاً، أو كان الأكثر « لاعباً رياضياً » الإسم الأكثر امتيازاً، أخبرني، أيّ إسمٍ ستهب في هذه الحالة التامة إلى الأكثر امتيازاً؟

السيبيادس: لكنّني لا أستطيع أن أخبرك بذلك.

سقراط: لكنّك إذا قدّمت ضحيّة إلى الآخر وقلت له إنّ هذا الغذاء الذي أعطيك هو أفضل من ذلك الغذاء الذي تأخذه، في هذا الوقت وبهذه الكميّة، وأجابك: ماذا تعني، يا السيبيادس، بالكلمة « أفضل »؟ ألن تتملّكك صعوبة في الإجابة على سؤاله أنّك عنيت بها « أكثر نفعاً للصحة »، برغم أنّك لا تدّعي بأنّك طبيب، ومع ذلك عندما يكون الموضوع الذي تعلن أنّ لديك معرفة فيه واحداً، والذي أنت على استعداد كي تقف وتنصح به وكأنّك عرفت، ألست بمستحٍ، حينما تسأل، وتكون غير قادرٍ على أن تجيب على السؤال؟ ألن يظهر ذلك خزياً وعاراً؟

السيبيادس: جداً.

سقراط: جسناً، إذن، تأمّل الكفاح مليّاً كي توضح ما معنى كلمة « أفضل »، عندما تستعمل للعيش في سلام والذهاب إلى الحرب بالطريقة عينها، عندما يستعملها أولئك ضدّ الذين يجب على كل شخص أن يحاربهم؟ فإلاَمَ تشير هذه الكلمة؟

السيبيادس: إنّني لا أستطيع أن أجد جواباً لذلك.

سقراط: لكنّك تعرف بالتأكيد ما هي الاتهامات التي نحضرها بعضنا ضدّ بعض عندما نصل إلى حافة إعلان الحرب، وأيّ إسم نعطيها؟

السيبيادس: نعم، أعرفها بالتأكيد؛ نقول إنّ الخداع أو العنف يُستخدم فيها، أو إنّنا نكون مغشوشين.

سقراط: قف! نحن نتذمّر عندما نقاسي من هذه المعاملة، لكن كيف نعاني منها؟ ما هو التمييز الذي نرسمه بين مقاساتها بطريقة واحدة وبأخرى؟ حاول أن تخبرني.

السيبيادس: هل تعني بكلمة « كيف » يا سقراط، ما قاسينا من هذه الأشياء بعدل أو بظلم؟

سقراط: بالضبط.

السيبيادس: لا يمكن أن يكون هناك فرق كبير بين العدل والظلم.

سقراط: وهل ستنصح الأثينيين بالذهاب إلى الحرب مع رجالٍ عادلين أو مع الرجال الظالمين؟

السيبيادس: إنّ هذا السؤال سؤال محرج؛ لأنّه بدون ريب، حتى إنْ لم ينوِ شخص الذهاب إلى الحرب مع الرجال الذين يفعلون ما يفعلونه بعدل، فلن يعترف أحدٌ بما قام به.

سقراط: لأنّ عمله هذا سيكون عملاً غير قانونيّ، بدون شك؟

السيبيادس: إنّه ليس عملاً قانونيّاً ولا مشرّفاً.

سقراط: إذاً أنت أيضاً، سوف تلقي خطاباً عن هذه المبادىء؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: ما هي تلك الكلمة إذن « أفضل » والتي سألتك بشأنها؟ ما هي في الذهاب أو في عدم الذهاب إلى الحرب مع أولئك أو ضد الذين يجب أو لا يجب أن نذهب معهم، وعندما ينبغي أو لا ينبغي أن نذهب معهم إلى الحرب؟ ألا يكون هذا شيئاً مماثلاً للعدل؟

السيبيادس: يبدو أنّه لكذلك.

العادل من الظالم؟ ومن هو؟ أتمنّى أن تخبرني كي أتمكّن من الذهاب إ
لأتعلّم منه ـ إنّك ستعرّفني به.

السيبيادس: إنّك لساخرٌ، يا سقراط.

سقراط: لا، حقاً؛ إنّني أعلن برزانة وأؤكّد لك بالله لصداقتنا المشتركة، بالذي
الأقلّ ميلاً للتخلي عنه، أنّي لست كما تقول. قل لي، إذن، من هو ه
المثقّف، إذ ما وُجد؟

السيبيادس: لكن لربّما لا يوجد؛ ألا يمكنني أن أصل إلى معرفة العادل والظ
بطريقة أخرى؟

سقراط: نعم، إن قدرت على اكتشافها.

السيبيادس: لكن ألا تظنّ أنت بأنّي أستطيع أن أكتشفها؟

سقراط: إنّي لمتأكّد تماماً أنّه يمكنك ذلك، إذا سألت بشأنها؟

السيبيادس: أما ظننت أنا ذلك منذ وقت مضى؟

سقراط: جيّد جداً؛ هل تستطيع أن تخبرني إذن كم مضى من طويل وقت منذ
تصوّرت أنك لم تعرف طبيعة العادل والظالم؟ ماذا ستقول عن سنةٍ مضـ
هل كنت حينئذ في حالة من الجهل واعية وتساؤليّة؟ أو هل ظننت أنّ
عرفت؟ من فضلك أن تجيب بصدق، كي لا يصبح بحثنا بحثاً غير مجدٍ.

السيبيادس: حسناً، ظننت أنّني عرفت.

سقراط: ومنذ سنتين خلتا، وثلاث سنوات مضت، وأربع سنوات انقضت، ه
عرفت خلالها الشيء عينه؟

السيبيادس: إنّي فعلت.

السيبيادس: ولماذا أنت متأكّد؟

سقراط: لأنّني سمعتك غالباً تتكلّم عندما كنت طفلاً، سمعتك في بيت معلمك أو في أماكن أخرى، ورأيتك تلعب النرد أو لعبة ما أخرى في أماكن أخرى مع الأوَلاد، ولم تتردّد أبداً بشأن طبيعة العادل والظالم، بل كنت واثقاً جدّاً - كنت تصرخ وتصيح أنّ أحد الأولاد الذين كنت تلعب معهم كان محتالاً ومخادعاً، وأنّه قد غشّك، أليس ذلك صحيحاً؟

السيبيادس: لكنِ ماذا عليّ أن أفعل، يا سقراط، عندما يخدعني أيّ شخص؟

سقراط: وكيف تستطيع أن تقول: « وماذا عليّ أن أفعل؟ » إنْ لم تعرف في هذا الوقت إذا حاق بك الظلم بادىء ذي بدء؟

السيبيادس: كن متأكداً أنّني عرفت؛ إنّي لدارٍ تماماً بأني خُدِعت.

سقراط: إذن أنت حتّى عندما كنت طفلاً افترضت أنّك تعرف طبيعة العادل والظالم؟

السيبيادس: بالتأكيد؛ وإنّني عرفت آنئذ.

سقراط: وفي أيّ وقت اكتشفتهما؟ بالتأكيد، ليس حينما ظننت أنّك عرفتهما؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: متى تصوّرت أنّك كنت جاهلاً؟ إذا اعتبرت وتأمّلت مليّاً فإنّك ستجد أنّه لم يكن وقت كهذا قط.

السيبيادس: حقّاً، يا سقراط، لا أستطيع أن أقول.

سقراط: إذن فإنّك لم تعرفهما بالاكتشاف؟

السيبيادس: لا، بوضوح.

لهما، أنّي حقّاً تعلّمتهما بالطريقة عينها التي تعلم بها الناس الآخرون

سقراط: هكذا قلت أنت قبلاً، ويلزمني أن أسأل مرّة ثانية، مِمَّن تعلّمتهما؟ صلِّ قل لي.

السيبيادس: تعلّمتهما من الناس العديدين، من الكثرة.

سقراط: هل ستحتمي بهم؟ إنّني لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك لمعلّميك.

السيبيادس: ماذا، أليسوا هم بقادرين على تعليمهما؟

سقراط: لا يستطيعون أن يعلموك كيف تلعب الداما، والتي هي، كما ستعترف أنت بذلك [ألن تفعل؟]، مسألة أصغر بكثير من العدل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل العاجزون عن تعليم شيء تافهٍ يستطيعون تعليم شيء مهمّ؟

السيبيادس: أظنّ أنهم يستطيعون. على كل حال، إنّهم يقدرون على أن يعلّمو أشياء عديدة أكثر أهميّة بكثير من لعبة الداما.

سقراط: أيّة أشياء؟

السيبيادس: لماذا؟ كمثال، إنّني تعلّمت التكلّم باللّغة اليونانية، ولا أقدر على أن أقول من كان معلّمي، ولا لمن عليّ أن أنسب معرفتي باللغة اليونانيّة، إن لم يكن لأولئك المعلّمين الذين لا يصلحون لشيء، كما تسمّيهم.

سقراط: لماذا، نعم، يا صديقي؛ إنّ الكثرة هم معلّمون كفؤون للّغة اليونانيّة، وبعضٌ من تثقيفهم في هذا المنحى يمكن الثناء عليه بعدل.

السيبيادس: لماذا ذلك؟

سقراط: لماذا، لأنّهم، في ذلك، يمتلكون النوعيّات التي يجب أن تكون لدى

سقراط: لماذا؟ أنت تعرف أنّ أولئك الذين يتعهّدون تعليم موضوع ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم أولاً.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وا[illegible] عرفوه، يجب أن يتّفقوا معاً وأن لا يختلفوا.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإنْ اختلفوا، فهل ستقول إنّهم عرفوه؟

السيبيادس: لا.

سقراط: إذن كيف يستطيعون أن يعلّموا موضوعاً كهذا؟

السيبيادس: إنّهم لا يقدرون.

سقراط: حسناً، لكن هل تتصوّر أنّ الكثرة ستختلف بشأن طبيعة الأخشاب والأحجار؟ أليسوا بمتفقين إذا سألتهم ما هي تلك؟ أو لن يهرعوا لإحضار الشيء عينه، عندما يريدون قطعة من الخشب أو الحجر؟ وهكذا يفعلون في كلّ الحالات المشابهة التي أشتبه أنّها شبيهة جدّاً بما تعنيه بمعرفتك حول تكلم اللّغة اليونانيّة.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: هذه هي المسائل التي يتّفقون بشأنها بعضهم مع بعض ومع أنفسهم، كما كنا قائلين، وذلك كأفراد؛ لا ولا تختلف الدول بعضها مع بعض، مستعملاً بعضُها كلمة وبعضُها الآخر كلمة مغايرة؟

السيبيادس: إنّها لا تكون إلاّ هكذا.

سقراط: إذن فإنّها حالة طبيعية تماماً إن كانوا هم معلّمين جيّدين لتلك الأشياء.

السيبيادس: أجل.

سقراط: لكن إذا أردنا أن لا نعرف ماذا يشبه الرجال، وماذا تشبه الأحصنة فقط بل أيّاً من الرجال أو الأحصنة له قوّة الجري، فهل لا يزال العديدُ قادرين على أن يخبرونا ذلك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: ولديك أنت برهان كافٍ على أنّهم لا يعرفون هذه الأشياء وأنهم ليس معلمين حقيقيّين لها لأنّهم لا يتّفقون بشأنها قط؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وافترض أنّنا تشوّقنا ليس لمعرفة ماذا يشبه الرجال فقط، بل ماذا يشـ الرجال الأصحّاء أو المرضى ـ فهل ستكون الأكثرية قادرةً عليَّ أن تعلّمنا؟

السيبيادس: إنّهم لا يستطيعون.

سقراط: وستأخذ بعين الاعتبار هذا كبرهان على أنّهم كانوا أساتذة سيّئين لهذ المسائل، إذا رأيتهم في شقاقٍ بشأنها؟

السيبيادس: سأفعل ذلك.

سقراط: حسناً، لكن هل تكون الكثرة متّفقة مع نفسها، أو مع بعضها بعض بشأن العدل أو الظلم الذي يخصّ الرجال والأشياء؟

السيبيادس: لا بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: أليس هناك موضوع يختلفون بشأنه أكثر من هذا الموضوع؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لا أفترض أنّك رأيت أو سمعت عن رجال يتخاصمون بشأن القواء الصحّيّة والمرض إلى حدِّ إعلان الحرب وقتل بعضهم بعضاً من أجلها؟

الإلياذة والأوديسة؟

السيبيادس: لتكن متأكّداً، يا سقراط.

سقراط: إنّ موضوع حوارهم هو الخلاف بخصوص العادل والظالم في تلك القصائد.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: ذلك الخلاف الذي سبّب كل المعارك والموت للطرواديين والأكيفيين، والموت للمدّعين على بينيلوب[٤٥] في صراعهم مع أوديسيوس.

السيبيادس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: وعندما سقط الأثينيون واللاقيداميونيون والبويوتيون صرعى في تانجارا، وبعدها في معركة كورونيا التي لقي فيها أبوك كلينياس حتفه، فإن السبب الوحيد لكلّ هذه المعارك، ولِمَا ألحقت بالبشر من موت، كان الخلاف بشأن العدل والظلم.

السيبيادس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهل يمكن القول بأنّ الرجال يعرفون ذلك الذي يختلفون بعنفٍ بخصوصه وهم جاهزون كي يتصارعوا حتى الموت بسببه؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: ومع ذلك فإنّ أولئك الذين تسمح لهم أن يكونوا هكذا جهلة هم معلّمو مَنْ تلجأ أنت إليهم؟

السيبيادس: حقيقي تماماً.

سقراط: لكن كيف يمكنك أن تطالب أو تدّعي بأنّك تعرف طبيعة العدل والظلم

سقراط: أنظر، مرّة ثانية، كيف تتكلّم بعدم دقة، يا السيبيادس!

السيبيادس: في أيّ منحى؟

سقراط: في قولي بأنّني أقول ذلك.

السيبيادس: هل قلت أنا ذلك، إذن؟

سقراط: نعم.

السيبيادس: كيف كان ذلك؟

سقراط: دعني أوضح. إفترض أنّني سألتك أيٌّ العددين هو الأكبر، الإثنان الواحد؛ فإنّك سوف تجيب العدد « اثنان »؟

السيبيادس: سأجيب كما تقول.

سقراط: وبكم يكون العدد « إثنين » كبيراً؟

السيبيادس: بواحد.

سقراط: أيٌّ منا يقول الآن إنّ الإثنين يكون واحداً أكثر من الواحد؟

السيبيادس: أقول أنا.

سقراط: ألم أسأل أنا، وأنت أجبت على السؤال؟

السيبيادس: بلى.

سقراط: من المتكلّم إذن؟ آأنا الذي أضع السؤال، أم أنت الذي تجيبني؟

السيبيادس: أنا.

سقراط: أو إفترض بأنّي أنا أسأل وأنت تخبرني عن الحروف التي يتألّف منها إ سقراط، فأيٌّ منّا هو المتكلّم؟

السيبيادس: أنا.

سقراط: السـت انا السائل من البداية إلى النهاية؟

لسيبيادس: نعم.

سقراط: أنت المجيب؟

لسيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: أيٌّ منا كان المتكلّم إذن؟

لسيبيادس: الاستنتاج، يا سقراط، أنّني كنت أنا المتكلّم.

سقراط: ألن يقول شخص ما إنّ السيبيادس، ابن كلينياس الجميل، بما أنّه لم يفهم عن العادل والظالم، بل ظنَّ أنّه يفهم، ألن يقول هذا الشخص إنّك كنت ذاهباً إلى الجمعية العموميّة كي تنصح الأثينيين بما لم يعرفوه؟ ألن يُقال هذا؟

لسيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن، يا السيبيادس، يمكن إيضاح النتيجة بلغة يوريبايدس. أعتقد أنّك سمعت هذا كلّه « من نفسك، وليس مني » وأنّني لست الملام عن ذلك. على كلّ حال، إنّ ما قلته كان حقيقة. حقاً، يا رفيقي العزيز، إنّ التصميم الذي فكّرت به بتروٍّ، لتعليم ما لا تعرف والذي لم تعانِ الألم لتتعلّمه، إنّ هذا التصميم هو اختلال عقلي محض.

لسيبيادس: لكنّني أظنّ، يا سقراط، أنّ الأثينيّن وبقية الهيلينيين لا يتداولون غالباً بما يكون الأكثر عدلاً وظلماً لأنّهم يرون صعوبة فيهما، ولهذا السبب فهم يتركونهما وشأنهما، ويعتبرون أنّ أيّة طريقة للعمل ستكون الطريقة الأكثر ملاءَمة لأن هناك فرقاً بين العدل والمناسب. إنّ العديد من الأشخاص ارتكبوا أخطاءً عظيمة وانتفعوا بظلمهم؛ وآخرون فعلوا ما هو حقّ ولم يصلوا إلى أيّ [illegible]

أو لم يكون كذلك؟

السيبيادس: لِم لا، يا سقراط؟ ـ لكنّك لن تسألني مرّة أخرى مِمَّن تعلّمت هذا، أو كيف اكتشفته بنفسي.

سقراط: ما هذه الطريقة التي لديك! عندما تخطيء ويمكن نقض هذا الخطأ بمحاورة سابقة، فإنّك تصّر على أن تُنقض نقضاً جديداً ومختلفاً؛ أمّا المحاورة القديمة فهي ثوب أخرق لن تتدثّر به مرّة ثانية، لكنّ شخصاً ما يجب أن يحيك لك ثوباً آخر يكون ثوباً نظيفاً وجديداً. والآن فإنّني لن آخذ بعين الاعتبار خطوتك هذه، ولسوف أسألك مرّة أخرى: أين تعلّمت، وكيف تعرف طبيعة المناسب، ومن هو معلّمك؟ إنّني أشمل كلّ هذا في سؤال واحد وستكون أنت الآن في الصعوبة السابقة بشكلٍ بيّن، ولن تكون قادراً على التظاهر بأنّك تعرف المناسب، إمّا لأنّك تعلّمته، أو لأنّك اكتشفته بنفسك. لكن بما أنّني أتصوّر وأدرك بأنّك لطيف، وتكره أن تتذوّق المحاورة المبتذلة، فإنّي لن أتساءَل أبعد من ذلك عن معرفتك بما هو مناسب، وما هو غير مناسب لأثينا، ورجوتك بكلّ بساطة أن تقول لماذا لا توضح وتشرح سواء إذا كان العدل والتناسب هما الشيء عينه أو أنّهما مختلفان؟ وإذا أحببت يمكنك أن تختبرني كما اختبرتك. وإذا فضّلت، يمكنك أن تواصل المباحثة بنفسك.

السيبيادس: لكنّني لست متأكّداً، يا سقراط، إذا كنت قادراً على أن أبحث المسألة معك.

السيبيادس: تصوَّر إذن، يا صديقي العزيز، أنّني الرجل العادي والإكليسي، لأنّ في إكليسيا[٤٦] أيضاً، يجب عليك أن تقنع الرجال كلاً بمفرده.

وأن يقنع رجال الجمعية العمومية، بالأشياء التي يعرفها؛ يستطيع عالم الصّرف والنّحو، كمثال، أن يقنع شخصاً واحداً بشأن الحروف، وبإمكانه أن يقنع كثيرين.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: أولن يقنِع الشخص نفسه شخصاً واحداً ورجالاً كثيرين، بشأن العدد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وسيكون هذا مَن يعرف بالأرقام، أو عالِم الحساب؟

السيبيادس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: أوَلا تقدر أنت على أن تقنع إنساناً واحداً بشأن ذلك الذي تستطيع أن تقنع به العديدين؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: وذلك الذي تقدر على أن تقنع به هو ما تعرفه بوضوح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والفرق الوحيد بين الشخص الذي يحاور في السرّ كما نفعل نحن الآن، والخطيب الذي يخاطب الشعب، الفرق الوحيد هو أنّ الشخص يقصد أن يقنع عدداً، والآخر أن يقنع فرداً واحداً بخصوص الأشياء عينها؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: حسناً، إذن، بما أنّ الشخص نفسه الذي يستطيع إقناع الجماهير يقدر على إقناع الأفراد، مارس فنّك عليّ، وبرهن لي أن العادل لا يكون المناسب على الدوام.

السيبيادس: إنّك تنتهك القواعد والأصول، يا سقراط.

سقراط: آجب على سؤالي، هذا كل شيء.

السيبيادس: لا، إنّني سأحبّ منك أن تكون أنتِ المتكلّم.

سقراط: ماذا؟ ألا تريد وترغب أن تكون مقتنعاً بشكل تامّ؟

السيبيادس: إنّني أرغب وأريد بالتأكيد.

سقراط: وهل تستطيع أن تكون مقتنعاً أفضل من إدانتك من فمك؟

السيبيادس: لا أظنّ.

سقراط: إذن فإنّك ستجيب، وإذا لم تسمع الكلمات، وهي أنّ العادل هو المناسب ناطقةً بها شفتاك، فلن تصدق أيّ إنسان آخر أبداً مرّة ثانية.

السيبيادس: إنّني لا أريد، لكنّني سأجيبك، وأنا لا أرى كيف يمكن أن أتعرّض لأ أذى.

سقراط: يا لها من نبوءة صادقة! دعني أبدأ إذن بسؤالك إذا ما كنت تسمح ب العادل يكون ملائماً بعض المرّات ولا يكون في بعضها الآخر؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: ويكون شريفاً بعض المرات وغير شريف في بعضها الآخر.

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّي أسألك إن كنت قد عرفت شخصاً فعل ما كان عاراً وكان مع ذلا عادلاً؟

السيبيادس: أبداً.

سقراط: وتكون الأشياء العادلة شريفة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل تكون بعض الأشياء الشريفة خيّرة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: تعني في الحالات التالية: في وقت الحرب، عندما يُجرَح الرجال أو يلاقون حتفهم في إنقاذ رفيقهم أو قريبهم، في حين أنّ الآخرين الذين أهملوا واجبهم في الإنقاذ هربوا بأمان؟

السيبيادس: بالضبط.

سقراط: وإنّه لعمل شريف أن تنقذ الآخرين. هذا في ما يتعلّق بمحاولة إنقاذ أولئك الذين ينبغي إنقاذهم، فهل هذه شجاعة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: لكنّه يكون عملاً سيئاً فيما يتعلق بالموت والجروح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتكون الشجاعة التي ظهرت في الإنقاذ شيئاً واحداً، ويكون الموت شيئاً آخر.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن إنّه ليس في المنحى عينه أن يكون إنقاذ الواحد لصديقه شريفاً، وأن هذا يكون شرّاً؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن تأمّل سؤالاً مشابها: إذا لم يكن العمل خيراً في الجهة عينها التي يكون العمل فيها شريفاً ـ لأنّك اعترفت أنّ الشجاعة التي أبديت في عملية الإنقاذ هي شريفة؟ ـ فهل هذه الشجاعة هي خير أو شر؟ أنظر في المسألة هكذا: أيّهما ستفضّل أن تختار الخير أو الشر؟

بمجرّد منها بالشكل الاقل؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وماذا ستقول عن الشجاعة؟ لقاء أيّ ثمن ستكون مستعدّاً للتخلّي عنها؟

السيبيادس: سأفضّل الموت على أن أكون جباناً.

سقراط: إذن فأنت ترى أنّ الجبن هو أسوأ الشرور؟

السيبيادس: إنّني أفعل.

سقراط: أفترض، أنّه سيّىء كالموت؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: والحياة والشجاعة هما الشيئان المضادّان لأقصى حدّ للموت والجبن؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهما أكثر اثنين تحب امتلاكهما وتتمنّى أن تحوز مضادّاتهما بأقلّ قدر؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل هذا لأنّك تظنّ أنّ الحياة والشجاعة هما الأفضل، والموت والجبن هـ
الأسوأ؟

السيبيادس: إنّها لكذلك.

سقراط: إذن أنت تعدّ الشجاعة بين الخيرات الرئيسة، وتعدّ الموت بين الشرو
الرئيسة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وسمّيتَ إنقاذ الصديق في المعركة عملاً شريفاً، لأنّ الشجاعة، التي هِ
صفة جيّدة، أُظهرت أنّها كذلك في العمل والفعل؟

السيبيادس: أقل فعلاً.

سقراط: إذن فأنت يجب أن تصف عملاً كهذا كما يلي: إذا دعوته شرًا لأن نتيجته السوء، يلزمك أن تسمّيه خيراً بخصوص الخير الذي يكون النتيجة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل يكون شريفاً حينئذ بقدر ما يكون خيِّراً، وعاراً بقدر ما يكون شرّاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن، حينما تقول إنّ الذهاب لمساعدة الصديق في المعركة هو عمل شريف، ويكون شرّاً برغم ذلك، فإنّ هذا القول يساوي القول بأنّ هذا العمل يكون عملاً خيِّراً وسيّئاً مع ذلك؟

السيبيادس: أعتقد بأنّك محقّ، يا سقراط.

سقراط: من هنا فإنّ لا شيء شريفاً، يُعتبر كأنّه شريف، يكون شرّاً؟ ولا أيّ شيءٍ سافل يعتبر كأنّه منحطّ يكون خيراً؟

السيبيادس: لا، على ما يبدو.

سقراط: أنظر إلى المسألة مرّة أخرى مع ذلك في أضواءٍ أبعد: إنّ الذي يعمل بشرف يعمل جيّداً أيضاً، أليس كذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والذين يعملون جيداً يكونون سعداء؟

السيبيادس: طبعاً.

سقراط: إنّهم سعداء لأنهم يحصلون على الأشياء الخيِّرة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وينالون الأشياء الخيِّرة بالعمل الجيد وبشرف؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويكون كلّ خير منهما شريفاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن ومرّة أخرى فإنّ الخيِّر والشريف وُجِد أنّهما متماثلان؟

السيبيادس: يبدو هكذا.

سقراط: إذن كلّ شيء نجد أنه شريف سنجد أنّه خيّر أيضاً، على الأقل إن ثبتت هذه المحاورة؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وهل الأخيار مناسبون أو لا؟

السيبيادس: مناسبون.

سقراط: هل تتذكّر اعترافاتنا بشأن العدل؟

السيبيادس: نعم؛ إذا لم أكن مخطئاً، قلنا إنّ أولئك الذين عملوا بعدل لا شكّ أنّهم عملوا بشرف أيضاً.

سقراط: وبما أنّهم يعملون بشرف فهم ينجزون ما يكون خيراً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ونعتقد أنّ الأخيار مناسبون؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن، يا السيبيادس، إنّ الأعمال العادلة هي أعمال مناسبة؟

السيبيادس: يجب أن أستنتج ذلك.

سقراط: وأبرهن كلّ هذا بناءً لما تنطق به لأنّني أنا أسأل وأنت تجيب.

السيبيادس: يجب أن أعترف أنّها حقيقة.

سقراط: وباعترافك أنّ العدل هو الشيء نفسه مثل المناسب، ألست مستعداً [دعني

السيبيادس: إنّني أعلن بجديّة، يا سقراط، أنّني لا أعرف ما أقول. حقّاً يقيناً، أنّني في حالة غريبة، لأنّك عندما تطرح عليّ الأسئلة فإنّ أفكاراً مختلفة تتوارى بلحظاتٍ متلاحقة.

سقراط: ألا تدري بطبيعة هذا الإرباك، يا صديقي؟

السيبيادس: إنّني لا أفعل حقاً.

سقراط: هل تفترض أنّه إذا ما سألك شخص إن كانت لك عينان أو ثلاثة، أو يدان أو أربعة، أو أيّ شيء من ذلك النوع، فستكون حينئذ في أفكار مختلفة بلحظات متلاحقة؟

السيبيادس: بدأت أشكّ في نفسي، لكنّني لا أزال غير مفترِضٍ بأنّني يجب أن أفعل ذلك.

سقراط: أنت لن تشعر بأيّ شكّ؛ ولهذا السبب ـ لأنّك ستعرف؟

السيبيادس: أفترض ذلك.

سقراط: ولهذا السبب فأنت تناقض نفسك اختيارياً في أيّ موضوع عندما تكون جاهلاً بذلك الموضوع، إنّ هذا الجلي؟

السيبيادس: محتمل جداً.

سقراط: وإن كنت مرتبكاً في الإجابة بشأن العادل والظالم، الشريف والخسيس، الخيّر والشرير، المناسب وغير المناسب، فما سبب ذلك إلاّ أنّك جاهلٌ بها، ولهذا فأنت تكون في حيرة. أليس هذا واضحاً؟

السيبيادس: أوافق.

سقراط: لكن هل هذه الحالة هي نفسها على الدوام؟ يرتبك إنسان بالضرورة بشأن

السيبيادس: لا، بدون ريب.

سقراط: وهل يكون حكمك مرتبكاً في هذه الحالة أيضاً؟

السيبيادس: لا.

سقراط: هل تعرف سبباً لذلك، أو هل سأخبرك؟

السيبيادس: أخبرني.

سقراط: السبب هو، يا صديقي، أنّك في هذه الحالة لا تتصوّر أنك تعرف عند
لا تعرف بحقّ.

السيبيادس: هناك مرّة ثانية، ماذا تعني؟

سقراط: أنظر في الموضوع معي، هل تحتار بشأن الأشياء التي تجهلها وتدرء
بجهلك؟ تعرف، كمثال، أنّك لا تعرف أيّ شيء عن تحضير الطعام؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: وهل تربك نفسك بخصوص تحضير الطعام أو أنّك ستترك ذلك لشخص
ما يفهم هذا الفنّ؟

السيبيادس: أفعل الآخر.

سقراط: أو إنْ كنت في رحلة، هل ستأخذ بعين الاعتبار إذا ما كانت دفّة السفي
تجذَب إلى الداخل أو إلى الخارج، مربكاً نفسك بجهلك، أو أنّك ستترا
ذلك لمرشد وقائد السفينة وتجلس أنت في مكانك؟

السيبيادس: إنّ ذلك العمل سيكون من اختصاص قائد السفينة.

سقراط: إذن فإنّك لن تتحيّر بشأن ما لا تعرف إنْ أدركت بأنّك لا تعرف ذلك؟

السيبيادس: لا أتصوّر.

سقراط: أفترض أنّنا بدأنا العمل حينما نرى بأنّنا نعرف ما نحن فاعلون؟
السيبيادس: نعم.
سقراط: لكن عندما لا يتصوّر الناس أنّهم يعرفون، فإنّهم يعهدون بعملهم للآخرين؟
السيبيادس: نعم.
سقراط: وهكذا فإنّ هناك نوعاً من الأشخاص الجهلة الذين لا يرتكبون الأخطاء في الحياة لأنّهم يثقون بالآخرين بشأن الأشياء التي يجهلونها.
السيبيادس: حقاً.
سقراط: من هم الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء؟ لا يمكن أن يكونوا أولئك الذين يعرفون بالطبع؟
السيبيادس: لا بالتأكيد.
سقراط: لكن إن لم يرتكب الأخطاء أولئك الذين يعرفون، ولا الأشخاص الذين لا يعرفون، يبقى هناك فقط أولئك الذين لا يعرفون وهم يعتقدون أنّهم يعرفون؟
السيبيادس: نعم، يبقى أولئك فقط.
سقراط: إذن هذا الجهل هو جهل من النوع المعيب الفاضح، وهو سبب الشقاق والأذى.
السيبيادس: نعم.
سقراط: هذا النوع من الجهل هو الجهل الأكثر شقاقاً وشرّاً والأكثر معابةً عندما يجب أن يؤدّي ويفعل القضايا الأعظم؟
السيبيادس: إنّه ذلك بعد كبير.
سقراط: وهل تستطيع أن تسمّي مسائلَ أعظم من إسم العادل، والشريف، والخيّر،

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكنّك إن كنت متحيّراً، حينئذ، كما أظهرت المحاورة السابقة، فإنّك تكون جاهلاً بالقضايا الأعظم فقط، بل إن كونك جاهلاً بها يجعلك تتو أنّك تعرفها.

السيبيادس: أخشى أن تكون محقّاً فيما تقول.

سقراط: والآن أنظر ما حدث لك، يا السيبيادس! إنّي أحبّ أن أتكلّم بصعوبة ع حالتك السيّئة، لكن بما أنّنا لوحدنا فسأفعل: يا صديقي العزيز، إنّك شغو بالجهل ومتعلّق به وهو جهلٌ من النوع الأكثر خزياً، وبه أُدِنْتَ، وليس بِ بل من فمك الخاصّ وبهذه المحاورة بالذات. ولهذا السبب فإنّك تند بسرعة إلى فنّ السياسة وعلمها قبل أن تكون متعلّماً. وحالتك هذه لا تُع حالة مفردة، لأنّه يمكنني أن أقول الشيء عينه عن أكثر رجال دولنا، ما ع قلّة منهم، شاملاً لربّما وصيّك وحارسك، بركليس.

السيبيادس: نعم، يا سقراط، ويقال عن بركليس أنّه لم يحصل على حكمته بض الطبيعة، بل إنّه عاشر وصَحِب العديد العديد من الفلاسفة. إنه اختا ببيثوكلايدس، كمثال، وعاشر أناكسوغوراس، وهو يرافق دامون في حي المتقدّمة، على أمل أن يكسب الحكمة.

سقراط: جيّد جداً؛ لكن هل عرفت إنساناً عاقلاً في الشيء الذي لم يكن بقا على أن ينقل حكمته الخاصّة؟ كمثال، إنّ الذي علّمك الحروف لم يَ عاقلاً فقط، بل جعلك أنت وكلّ شخص من الآخرين الذي أحبّه جعلكم حكماء.

السيبيادس: نعم.

السيبيادس: حقّاً.

سقراط: وسيفعل بأسلوب مشابه سيّدّ ومعلّم القيثارة والألعاب الرياضيّة؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: عندما يستطيع شخص أن يشير إلى الآخرين الذين نَقَل إليهم المعرفة، فإنّه يعطي برهاناً ممتازاً بذلك على فهمه الخاصّ لأيّة قضيّة؟

السيبيادس: إني أوافق.

سقراط: حسناً. وهل تستطيع أن تسمّي أيّاً من الأشخاص الذين جعلهم بركليس حكماء؟ هل بادر إلى جعل ولديه حكماء؟

السيبيادس: لكن، يا سقراط، إن كان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجَين، فما علاقة ذلك بالقضيّة قيد البحث؟

سقراط: حسناً، لكن هل جعل أخاك كلينياس، عاقلاً؟

السيبيادس: إنْ كان كلينياس رجلاً مجنوناً، وكان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجين، فلا نفع في التكلّم معهم.

سقراط: لكن إذا كان كلينياس رجلاً مجنوناً، وكان وَلَدا بركليس الاثنان ساذجين، فهل هي خطيئتك إذا تركك كما أنت؟

السيبيادس: أعتقد بأنّ الملامة تقع عليّ لأنّني لم أستمع له.

سقراط: لكن هل سمعت عن أيّ أثيني أو أيِّ غريب آخر، عبداً كان أو حرّاً، يُنظر إليه على أنّه كَبُرَ رجلاً وأصبح أحكم في عشرة بركليس - كما يمكنني أن أستشهد ببيثادوروس بن ايسولوخوس، وبكالياس بن كاليادیس، اللذين كبُرا رجلين عاقلين في صحبة زينون، واللذين دفع كلٌّ منهما حقّاً ما مجموعه مئة ميناس كي يزيد من حكمتهما وشهرتهما؟

السيبيادس: إنّني لم أسمع عن أيّ شخص قطّ بالتأكيد.

سقراط: حسناً، وما هي تصميماتك للمستقبل؟ هل تعني وتقصد أن تبقى كما أنت، أو هل ستقاسي بعض الآلام من أجل نفسك؟

السيبيادس: سأفعل ذلك بمساعدتك، يا سقراط. وحقاً، فإنّني عندما أسمعك تتكلّم، فإن حقيقة ما تقوله تؤثّر في دخلية نفسي. وأنا أتّفق معك بالكليّة، لأنّ رجال دولنا كلّهم، ما عدا قلّة منهم يبدو أنّهم غير مثقفين تماماً.

سقراط: ما هو الاستنتاج؟

السيبيادس: لماذا، إذا كانوا هم متعلّمين، فسيكونون لاعبين رياضيين مدرَّبين، ومن يعتزم على مباراتهم يجب أن تكون لديه المعرفة والخبرة عندما يقاربهم. لكن الآن، بما أنّهم أصبحوا سياسيّين بدون أي تدريب خاصّ، فلماذا ينبغي عليّ معاناة العناء للتعلّم والتمرّن؟ إنّني أعرف جيّداً بأنّ القضية لو كانت قضيّة مواهب طبيعيّة فإنّي سوف أحصل على الأفضل منهم.

سقراط: يا صديقي العزيز، يا لها من عاطفة! وكم هي عاطفة غير جديرة بشكلك النبيل وبمنزلتك الرفيعة!

السيبيادس: ماذا تعني، يا سقراط، ولماذا تقول ذلك؟

سقراط: إنّني أحزن عندما أفكّر بك، وبإخلاصي لك.

السيبيادس: بماذا؟

سقراط: بتوهّمك أنّ المباراة التي تدخل فيها تكون مباراة مع الأناس هنا.

السيبيادس: لماذا، هل هناك أناسٌ اخرون هناك؟

سقراط: وهل ذلك السؤال هو السؤال الذي يجب أن يسأله شخص يعتزُّ بروحه العالية؟

السيبيادس: لا، يا سقراط.

سقراط: وافترض أنّك عزمت على أن تقود سفينة إلى العمل، هل ستكون قانعاً إذا كنت المرشد الأفضل على متنها؟ ألن تفضِّل أن تُعنى بعواملك المضادّة الحقيقيّة في حين تعترف بأنّك تمتلك هذه الدرجة من الامتياز، ولا أن تعتني برفاقك المقاتلين؟ يلزمك أن تكون فوق هؤلاء الآخرين إلى هذا الحدّ، ذلك

كي لا يجرؤون حتّى على أن يكونوا منافسين لك؛ وكون الذين اعترفت بهم هم أقلّ شأناً وأهميّة، فإنّهم سيقومون بمعركة من أجلك ضد أعدائك. إنّ ذلك النوع هو نوع التفوّق الذي يجب عليك أن تحقّقه. هذا إنْ اعتزمت على أن تنجز أيّ عمل نبيل جدير بك وبالدولة؟

السيبيادس: وهذا هو ما أنوي فعله.

سقراط: حقّاً يقيناً، إذن، إنّ لديك سبباً ممتازاً كي تكون قانعاً، إن كنت أفضل من الجنود؛ ولست بحاجة لأن تنظر بعيداً إلى القادة العسكريين الأعداء وتراقبهم عند القيام بتدريبك، وترى ما إذا ستكون متفوّقاً عليهم.

السيبيادس: عمّن تتكلّم، يا سقراط؟

سقراط: لماذا، تعرف أنت بالتأكيد بأنّ مدينتنا تذهب إلى الحرب الآن وبعد ذلك ضدّ اللاقيدايمونيين وضدّ الملك الكبير.

السيبيادس: حقيقي بما فيه الكفاية.

سقراط: وإذا قصدت أن تكون حاكم هذه المدينة، فهل ستكون محقّاً في اعتبار أنّ اللاقيدايمونيين وملوك الفرس كانوا منافسيك الحقيقيين؟

السيبيادس: أعتقد بأنّك محقّ.

سقراط: أوه لا، يا صديقي، إنّني مخطىء تماماً، وأعتقد أنّه يجب عليك أن تعطي انتباهك إلى مايدياس مربّي طيور السمّان وإلى الآخرين الذين يشبهونه، والذين يديرون سياساتنا، الذين يمكنك، بواسطتهم، أن تبقى ترى قصّة شَعر العبد، كما تعلّق النساء على ذلك، وهم الذين قُصّت عقولهم كما قُصَّ شعر رؤوسهم كالعبيد؛ ويأتوننا بسخريتهم الهمجيّة ليتملّقونا وليس ليحكمونا. أقول لهؤلاء، عليكم أن تراقبوا وتفحصوا، وعندئذ فأنتم لن تكونوا بحاجة لإزعاج أنفسكم بشأن سلوككم اللائق كي تكافحوا في معترك نبيل كهذا. ليس, من سبب يفرض عليكم أن تَتعلّموا ما يلزم تعلّمه،

أو أن تمارسوا ما يجب ممارسته، وعندما تكونون جاهزين بشكل كامل فقط أدخلوا العمل السياسي.

السيبيادس: أعتقد، يا سقراط، بأنّك محقّ فيما تقول؛ وعلى كل حال، فلا أعتقد أنّ قادة إسبرطة العسكريّين أو أن الملك العظيم يختلفون عن أيّ شخص آخر.

سقراط: لكن، يا صديقي، تأمّل ملياً أيٍّ نوعٍ من الاعتقاد هو هذا الاعتقاد.

السيبيادس: ماذا سأتأمّل؟

سقراط: في المقام الأوّل، هل ستبدي عناية أكثر بنفسك بشكل محتمل، إن كنت في خشية منهم، وتتصوّر بأنّهم مرعبون، أو إذا كنت غيراً من ذلك؟

السيبيادس: إنْ تصوّرت بأنّهم مرعبون، بوضوح.

سقراط: وهل تظنّ بأنّ ذلك سيلحق بك أي أذى إنْ أبديت عناية بنفسك؟

السيبيادس: لا، إنّني سأنتفع به بشكل كبير.

سقراط: وهذه نقطة مهمّة جداً تبرهن أن فكرتك هي فكرة سيئة.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: في المكان الثاني، ألا يُحتمل أن يكون ما تقوله زيفاً؟

السيبيادس: كيف ذلك؟

سقراط: دعني أسألك إذا ما كانت أفضل الطبائع توجد في السلالات أو الأجناس النبيلة أو أنها غير موجودة في تلك الأجناس؟

السيبيادس: إنّها موجودة في السلالات النبيلة بوضوح.

سقراط: أليس أولئك المولودون نبلاء كاملين في الفضيلة، على شرط أن يتلقّوا تنشئة جيّدة أيضاً؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن دعني أقارن مواضينا بمواضي اللاقيدايمونيين وملوك الفرس؛ هل هم

أدنى منّا في أصلهم ونسبهم؟ ألم نسمع أنّ السابقين تحدَّروا من هركليس، وأنّ اللاحقين تحدَّروا من الأكايين(٤٧) وأنّ سلالتي هركليس والأكايين ترجعان إلى برسيوس بن زيوس؟

السيبيادس: لماذا، وهكذا فإنّ سلالتي تعود إلى يوريسايس، وأن يوريسايس يعود إلى زيوس!

سقراط: وهكذا، يا أيّها النبيل السيبيادس، فإنّ سلالتي تعود إلى دايدالوس، وهو يعود إلى هيفياستوس بن زيوس، لكنّنا أدنى منهم، بالرّغم من كل هذا، لأنّهم تحدَّروا « من زيوس »، من سلالة نسب من الملوك ـ إمّا من ملوك آرغوس ولاقيدايمونيا، أو من ملوك بلاد فارس. إنّها بلاد امتلكها المتحدّرون من الأكايين على الدوام، بجانب كونهم، خلال أزمنة متعدّدة، ملوكاً على آسيا، كما هم الآن؛ مع أنّنا وآباءَنا لم نكن إلا أشخاصاً عاديّين. كم ستبدو مضحكاً إنْ كنت ستقوم بعرض أسلافك وأسلاف سالاميس من جزيرة يوريسايس، أو جزيرة آيجينا التي يسكنها آيكوس ولا يزال وهو الأقدم، أقول كم ستبدو مضحكاً إن عرضت كل هؤلاء أمام ارتاحشيروس بن أحشورش الملك الفارسي. عليك أن تأخذ بعين الاعتبار أنّنا أقلّ أهمية منهم في فخامة نسبنا وفي مميزاتنا الأخرى. ألم تراقب أبداً كم يتمتّع ملوك إسبرطة بالمكارم العظيمة؟ إنّ زوجاتهم هي تحت حراسة القضاة الإسبرطيين الخمسة، الذين هم موظفون عامون ويقومون بحراستهنّ كي يحفظوا نقاوة الدم الهيراقليدي قدر المستطاع. ولا يزال الفرق أعظم بين الفرس. إذ لا أحد يبدي شكّاً أنَّ أمير بلاد فارس يمكن أن يكون أيّ شخص سوى الملك. هكذا هي الهيبة التي تطوّق شخصية الملكة، ذلك أنّ أيّ حارس آخر لا لزوم له. وحينما يولد وريث المملكة، فإنّ كلّ رعايا الملك يولِمُون، ويُحفظ يوم مولده بعدئذ كيوم عطلة ووقت تضحية في كلّ قارة آسيا؛ مع أنّك كمّا ولدتَ وولدتُ

أنا، يا السيبيادس، فإنّ الجيران بالكاد عرفوا عن الحدث المهمّ، كما يقول الشاعر الهزليّ. بعد ولادة الطفل الملكيّ، ترعاه، ليس مربّية أطفال لا تصلح لأيّ شيء، بل توكل رعايته لأفضل الخصيان الملكيّين الذين يكلّفون به، وخاصّة بصوغ وتشكيلٍ جيد لأطرافه، كي يمكنه أن يكون في أحسن هيئةٍ وقوامٍ ممكنين كونهما من المستلزمات، ولهذا فهم يبقون في مجدٍ عظيم. وعندما يصبح عمر الأمير الفتيّ سبع سنين، يوضع فوق حصانٍ ويؤخذ إلى معلّم ركوب الخيل، ويبدأ بالذّهاب إلى الصيد. وفي سنّ الرابعة عشرة يُسلَّم إلى أسياد التعليم الملكيّ، كما يُسمَّون، وهؤلاء هم أربعة رجال مختارين، مشهورين بأنّهم أفضل الفرس في سنٍّ محدّدة. واحدهم هو الأعقل، والثاني الأعدل، والثالث الأكثر اعتدالاً، والرابع الأكثر بسالة. يثقّفه الأول في مجوسيّة زوروستر(٤٨) بن هورومازوس، وهذه الثقافة هي عبادة الآلهة، ويعلّمه أيضاً واجبات منصبه الملكيّ. أمّا الثاني، الأعدل، فيعلّمه أن يتكلّم الصدق على الدوام. وأمّا الثالث، أو الأكثر اعتدالاً، فيمنعه من السماح لأيّة لذّة أن تسيطر عليه، كي يمكنه أن يتعوّد على أن يكون إنساناً حرّاً وملكاً بحقّ، سيّد نفسه وليس عبداً لها؛ ويدرّبه الرّجل الأكثر بسالة على أن يكون شجاعاً وأن لا يخاف، قائلاً له إنّه إذا خشي شيئاً فيجب أن يعتبر نفسه عبداً. ومع أنّ بركليس أعطاك، يا السيبيادس، زوبيروس التراقيّ كمعلّم، وهو عبدٌ له قام بكلّ أعماله الأخرى، يمكنني أن أُسهب في عناية وتعليم منافسيك، لكنّ ذلك سيكون شيئاً مملاًّ؛ وما قلته نموذج كافٍ للّذي لم يُقل بعد. غير أنّه عليّ أن أعلّق فقط، بطريقة المقارنة، فأقول لا أحد يعتني بشأن ولادتك أو العناية بك أو تعليمك، أو، يمكنني أن أقول، لا يفعل أحد ذلك بخصوص أيّ يونانيّ آخر، إلاّ إذا كان لديه محبٌّ يسهر عليه. وإن ألقيت نظرةً على الغنى، والترف، والثياب التي تجرّ على الأرض بذيولها، المضمّخة

بالعطرِ الزكيّ الرائحة، جماهير الحاضرين، وكل البسالات الفارسيّة الأخرى، إذا فعلت ذلك، فلسوف تستحي عندما تتبيَّن دونيّتك الخاصّة بالمقارنة بهم؛ أو إذا نظرت في الاعتدال والرّخاء والكياسة والنفس الأبديّة والشجاعة والصبر وحبّ الكدح والرغبة في المجد والطموح للاقيدايمونيين - سترى أنّك لست إلاّ طفلاً في كلّ هذه النواحي بالمقارنة بهم. حتّى في مسائل الغنى، إن كنت تقدِّر نفسك على أساس ذلك، فما ينبغي عليَّ حينها إلاّ أن أكشف لك كيف تقف حيالها. وإذا كوَّنت تقديراً عن غنى اللاقيدايمونيين، فإنّك سوف تبصر أنّ ممتلكاتنا تقلّ بشكل بعيد عمّا يمتلكون. لا أحد هنا يستطيعُ أنْ ينافسهم لا في اتّساع وخصوبة إقليمهم أو إقليم الميسينيان، أو في عدد عبيدهم، وخاصة الهيلوطيين(٤٩) أو بما يحوزون من خيل، أو من الحيوانات التي تتغذّى على المراعي الميسينيّة. لكنّني قلت ما الكفاية فيه عن هذا: أمّا فيما يخصّ الذهب والفضّة، فإنّ منها في لاقيدايمونا أكثر من بقيّة هيلاس كلّها، إذ خلال عدة عصور قد تدفّق الذهب إليها من العالم الهيلينيّ كلّه، ومن العالم البربريّ على الغالب أيضاً، ولم يخرج منها على الإطلاق، كما قال الثعلب للأسد في أسطورة آيسوب، « إنّ آثار أقدام أولئك الداخلين متميّزة بما فيه الكفاية »؛ لكن من رأى قطّ آثار المال خارجة من لاقيدايمونا؟ ولهذا السبب يمكنك أن تستنتج بأمان أنّ ساكنيها هم أغنى الهيلينيّين بالذهب والفضّة، وأنّ ملوكهم هم أغنى الجميع، لأنّهم يمتلكون حصّة أكثر من تلك الأشياء، ويحوزون ضريبة خاصّة أيضاً مدفوعة لهم وهي ضريبة وفيرة. ومع ذلك فإنّ الغنى الإسبرطي، مع أنّه غنيّ عظيم بالمقارنة مع غنى الهيلينيين الآخرين، فيبدو وكأنه لا شيء بالمقارنة مع ما يمتلكه الفرس وملوكهم. لماذا أقول هذا، لأن شخصاً يمكن تصديقه أخبرني بأنّه ذهب إلى الملك، ومرَّ خلال قطعة من الارض واسعة وممتازة بشكل كبير، وممتدّة بما

يُقارن بيوم سفر على وجه التقريب، وهي التي يسمّيها الشعب هناك في الريف حزام المملكة، ويدعوها الآخرون، قناعها؛ وأفصَحَ لي هو عن مقاطعات أخرى متعدّدة وجميلة وخصبة، خصّصت لتجميل الملكة، وسُمّيت بأسماء أثوابها المتعدّدة. والآن، لا أقدر إلاّ أن أتصوَّر بنفسي إنْ ذهب شخص ما إلى أميستريز، زوجة أحشورش، وقال لها، أن أحد الدينوماقيين لا تساوى خزانة ثيابه خمسين ميناس - وسيكون ذلك الرقم أكثر من قيمتها بكثير - وكان لديها ولد امتلك قطعة أرض مساحتها ثلاثمائة أكر في أركيا، وكانت نيته أن يشعل حرباً مع ابنك - ألن تتساءَل هي عن الذي يثق به هذا الألسيبيادس للنجاح في النزاع؟ ستقول لنفسها « لا شكّ أنّه يعتمد على تدريبه وحكمته. وأن هذه الأشياء هي للأشياء التي يقدرها الأثينيون فقط ». وإذا سَمِعَت بأنّ السيبيادس هذا الذي يقوم بالمحاولة ليس له من العمر عشرين سنة حتى الآن، وهو غير متعلّم بشكل تامّ، وحينما يخبره محبّه بأنه ينبغي عليه أن يحصل على التعليم والتمرين بادىء ذي بدء، وأن يذهب ويحارب الملك بعدئذ، فإنّ هذا الالسيبيادس يرفض ذلك، ويقول إنّه كفؤ بما فيه الكفاية كما هو الآن، ألن تكون هي مشدوهة، وتسأل، « هل على ذلك إذن، يتّكل الفتى؟ » وإذا أجبنا: إنّه يعوّل على جماله، وقامته، ومواهبه العقليّة، ستظنّ بأنّنا كنا مجانين، يا السيبيادس، عندما تقارن الفوائد التي تمتلكها أنت مع ما لدى شعبها الخاصّ. وإنّني أعتقد بأنّه حتى لامبيدو، ابنة ليوتيكيدز، زوجة ارخيداموس وأم أجيس، والذين كانوا كلّهم ملوكاً، أعتقد بأنّها سيمتلكها الشعور عينه عندما تقوم بمقارنة مماثلة؛ وإن كنت ستوجّه تفكيرك ضدّ ابنها، في حالتك الحاضرة الغارقة بالجهل، فإنّها ستكون مذهولة بشكلٍ مماثل. لكن كم هو عار علينا، أنّه يجب أن لا يكون لدينا فكرة سامية عن ذلك الذي نحتاجه ليكون فينا، مثلما تمتلك زوجات أعدائنا

وأمّهاتهم عن النوعيات التي يحتاجونها في مهاجميهم! أوه يا صديقي، إقتنع بما أقول، واسمع الكلام المنقوش في معبد دلفي « إعرف نفسك » - إنّ الرجال الذين تتصوّرهم ليسوا أعداءنا، بل إنّ هؤلاء الملوك هم أخصامنا، ونحن نستطيع أن نقهرهم بالآلام والبراعة. وإنْ أنت أخفقت في النوعيّات التي تحتاجها، فإنّك ستفشل أيضاً في أن تصبح شهيراً بين الهيلينيّين والبربر، وهذا ما يبدو أنك تتوق له أكثر ممّا يرغب أيّ شخص آخر في أيّ شيء قطّ.

السيبيادس: إنّني أصدّقك بالكليّة؛ لكن ما هو نوع الآلام التي أحتاجها، يا سقراط؟ هل تقدر أن تخبرني؟

سقراط: نعم، إنّي أستطيع؛ لكنّنا يجب أن نتشاور معاً بخصوص الأسلوب الذي يمكن أن نكون كلانا الأكثر تحسّناً فيه. لأنّ ما أقوله لك .الآن عن الحاجة إلى التعليم ينطبق عليّ مثلما ينطبق عليك؛ هناك نقطة واحدة فقط أبزّك فيها.

السيبيادس: ما هي تلك النقطة؟

سقراط: إنّ لديّ وصيّاً أفضل وأعقل من حارسك، بريكلس.

السيبيادس: من هو، يا سقراط؟

سقراط: إنه الله، يا السيبيادس، الذي لم يسمح لي، حتّى اليوم بالحديث معك؛ وهو الذي ألهمني أن أعتقد أنّه من خلالي فقط سيصبح إسمك لامعاً.

السيبيادس: إنّك تسخر، يا سقراط.

سقراط: ربّما؛ على كل حال، إنّني محقّ في القول بأنّ كل الرجال يحتاجون للآلام والعناية بشكل كبير، وأنت وأنا نحتاجهما قبل كلّ الرجال.

السيبيادس: إنّك لست مخطئاً كثيراً بشأني.

سقراط: ولست كذلك بشأن نفسي بالتأكيد.

السيبيادس: لكن ما الذي نستطيع فعله؟

سقراط: يجب أن لا يكون هناك تردّد أو جبن، يا صديقي.

السيبيادس: إنّ ذلك لن يليق بنا، يا سقراط.

سقراط: لا، حقاً، ويلزمنا أن نتشاور معاً. والآن قل لي: ألا نقول نحن بأنّنا نتوق لنكون أخياراً قدر الإمكان؟

السيبيادس: إنّنا نفعل.

سقراط: في أي نوع من أنواع الفضيلة؟

السيبيادس: في فضيلة الرجال الأخيار، بوضوح.

سقراط: الرجال الذين يكونون أخياراً في ماذا؟

السيبيادس: أولئك الذين يكونون أخياراً في إدارة الشؤون بوضوح.

سقراط: أيّ نوع من الشؤون؟ هل هي شؤون الفروسية؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: لأنّه يلزمنا أن نطلب المساعدة من الفوارس؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: حسناً؛ هل هي شؤون الملاحة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: لأنّه يلزمنا أن نلجأ إلى الملاّحين بشأنها؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ما هي الشؤون إذن؟ ومَن يقوم بها؟

السيبيادس: إنّها الشؤون التي تشغل الأسياد الأثينيين.

سقراط: وعندما تتحدّث عن الأسياد، هل تعني العقلاء أو الأغبياء؟

السيبيادس: أعني الأسياد العقلاء.

سقراط: ويكون الإنسان صالحاً فيما يخصّ ذلك الذي هو حكيمٌ فيه؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويكون شريراً فيما يخص ذلك الذي هو غبيٌّ فيه؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إنّ صانع الأحذية، كمثال، هو عاقل فيما يخصّ صناعة الأحذية؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن فإنّه جيد فيها؟

السيبيادس: إنّه لكذلك.

سقراط: لكنّه غبيّ فيما يخصّ صناعة الأثواب؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن فإنّه سيّىء في ذلك؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن بناءً على هذه النظريّة للقضية يكون الإنسان نفسه صالحاً وسيّئاً؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: لكنّك هل ستقول إنّ الصالحين والسيئين هم الشيء عينه؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: من ستسمّي الأخيار إذن؟

السيبيادس: أقصد بالأخيار أولئك الذين يقدرون على أن يحكموا في المدينة.

سقراط: ليس أن يحكموا على الأحصنة، بالتأكيد.

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: بل على الرجال؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: عندما يكونون مرضى؟

السيبيادس: لا.

سقراط: أو حين يكونون في رحلة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: أو عندما يجنون المحاصيل؟

السيبيادس: لا.

سقراط: عندما يكونون فاعلين شيئاً أو غير فاعلين شيئاً؟

السيبيادس: عليَّ أن أقول، عندما يكونون فاعلين شيئاً ما.

سقراط: أتمنى أن توضح لي ما هو هذا الشيء الـ « ما ».

السيبيادس: عندما يتعاملون مع بعضهم البعض، ويستفيدون من خدمات بعضهم البعض، كما نفعل نحن المواطنين في حياتنا اليومية.

سقراط: إنّ أولئك الذين تتكلّم عنهم يحكمون فوق الرجال الذين ينتفعون من خدمات الرجال الآخرين.

السيبيادس: نعم.

سقراط: هل يحكمون هم فوق الرجال المفردين الذين يعطون الوقت للمجذّفين؟

السيبيادس: لا، إنّهم ليسوا كذلك.

سقراط: سيكون هذا العمل عمل مرشد السفينة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكن ربّما تعني أنّهم يحكمون فوق العازفين على الناي، الذين يقودون المغنّين ويستعملون خدمات الراقصين؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إنّ ذلك العمل سيكون عمل معلم مجموعة المغنّين؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن ما معنى أن تكون قادراً على أن تتحكّم فوق الرجال الذين يستخدمون الرجال الآخرين؟

السيبيادس: أعني بأنّهم يحكمون فوق الرجال الذين يمتلكون حقوق المواطنيّة المشتركة، والتعامل مع بعضهم البعض.

سقراط: وما هو هذا الفنّ؟ إفترض بأنّي أسألك مرّة ثانية، كما فعلت لتوّي الآن، أيّ فنٍّ يجعل الرجال يعرفون كيف يحكمون فوق رفاقهم البحّارة، كيف ستجيب؟

السيبيادس: إنّه فنّ مرشد السفينة.

سقراط: وإن أمكنني وعدت إلى مثالٍ آخر حديث، لسألتك، أيّ فنٍّ يجعلهم قادرين على أن يحكموا رفاقهم المغنين؟

السيبيادس: إنّه فنّ معلم مجموعة المغنين الذي ذكرته منذ فترة قصيرة.

سقراط: وماذا تسمّي الفنّ الذي يجعل الإنسان قادراً على أن يحكم فوق رفاقه المواطنين؟

السيبيادس: عليّ أن أقول، المشورة الصالحة، يا سقراط.

سقراط: ومع ذلك فأنت لن تدعو فنّ مرشد السفينة مشورة سيئة؟

السيبيادس: لا.

سقراط: بل تدعوه مشورة صالحة؟

السيبيادس: نعم، ذلك ما ينبغي عليّ قوله ـ مشورة صالحة هدفها حفظ سلامة الرحّالة.

سقراط: حقاً، وماذا تكون غاية تلك المشورة الصالحة الأخرى التي تتكلّم عنها؟

السيبيادس: إنّ قصدها وغايتها هي النّظام الأفضل وحفظ سلامة المدينة.

سقراط: وماذا يكون ذلك الذي غيابه أو حضوره يصون نظام المدينة؟ إفترض أنّك كنت ستسألني، ماهو ذلك الذي حضوره أو غيابه يقي نظام الجسم؟ عليّ أن أجيب، أنّه الحضور للصحّة والغياب للمرض. فهل ستقول أنت الشيء عينه؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإن سألتني السؤال عينه بشأن العينين، يجب عليَّ أن أجيب بالطريقة عينها، أنّه الحضور للبصر والغياب للعمى؛ أو بخصوص الأذنين، يلزمني أن أقول، أنّهما تحسّنا وكانا في حالة أفضل، عندما كان الصمم غائباً، وكان السمع موجوداً بهما.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: وماذا ستقول عن دولة « مدينة »؟ ما هو ذلك الذي بحضوره أو بغيابه تتحسّن الدولة وتكون مدارة ومنظّمة بشكل أفضل؟

السيبيادس: عليَّ أن أقول، يا سقراط، الحضور للصداقة والغياب للكراهية والانقسام.

سقراط: وهل تعني بالصداقة الاتفاق أو الخلاف؟

السيبيادس: أعني الاتفاق.

سقراط: ماذا يكون الفنّ الذي يجعل المدن تتّفق بشأن الأعداد؟

السيبيادس: فنّ الحساب.

سقراط: والأفراد الخاصين؟

السيبيادس: الشيء عينه.

سقراط: ويتّفق كل فرد مع نفسه؟

السيبيادس: الشيء عينه.

سقراط: وما هو ذلك الفنّ الذي يجعل كلاً منّا يتّفق مع نفسه بخصوص الطول المقارَن للباع والمكعَّب؟ أليس ذلك الفن هو فنّ القياس؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إنّ الأفراد متفقون بعضهم مع بعض بشأن هذا؛ وكذلك الدول بشكل مماثل؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: ويثبتْ الشيء عينه عن الوزن؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن ما هو الاتفاق الآخر الذي تتكلّم عنه، وبشأن ماذا؟ أيّ فنّ يمكنه أن يعطي هذا الاتفاق؟ وهل ذلك الذي يمنح هذا الفنّ إلى الدولة يهبه إلى الفرد أيضاً، هكذا كي يجعله منسجماً مع نفسه ومع الآخرين؟

السيبيادس: عليّ أن أفترض ذلك.

سقراط: لكن ما هي طبيعة الاتفاق؟ أجب ولا تَهِن.

السيبيادس: أعتقد بأني أودّ أن أقول يجب أن توجد هكذا صداقة واتفاق مثلما يوجد بيّن الأبِ العطوف والأمّ الرؤوم وأولادهما، أو بين الزوج وزوجته.

سقراط: لكن هل يستطيع الرجل، يا السيبيادس، أن يتّفق مع المرأة فيما يخص غزل الصوف الذي تفهمه هي وهو لا يدركه؟

السيبيادس: لا، بحقّ.

سقراط: ولا تتملكه أيّة حاجة لذلك، لأنّ الغزل هو براعة أنثويَّة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل ستتّفق امرأة مع رجل بشأن الأسلحة، ذلك الشأن الذي لم تتعلّمه قطّ؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: أفترض بأنّك ستعتبر استعمال السلاح كأنه إنجاز مذكّر؟

السيبيادس: سأعتبره كذلك.

سقراط: إذن، وبناءً على وجهة نظرك، فإنّ بعض الدراسات مناسب للنساء، وبعضها للرجال؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فليس هناك اتّفاق بين الرجال والنساء في هذه الأشياء على الأقل؟

السيبيادس: لا، لا يوجد.

سقراط: ولا يمكن أن توجد صداقة، إنْ كانت الصداقة اتفاقاً، كما قلت؟

السيبيادس: لا على ما يبدو.

سقراط: إذن فإنّ النساء لا يحببنّ الرجالُ بقدر ما هنَّ يفعلنَ عملهنَّ الخاص؟

السيبيادس: لا أفترض هذا.

سقراط: ولا الرجال بالنساء بقدر ما هم يفعلون عملهم؟

السيبيادس: لا.

سقراط: ولا تُدار الدول جيّداً، إلاّ بقدر ما يقوم الأفراد بعملهم الخاصّ؟

السيبيادس: عليَّ أن أتصوّر، يا سقراط، أنّ العكس هو الصحيح(٥٠).

سقراط: ماذا! هل تعني أنّ الدول تدار جيّداً عندما تكون الصداقة غائبة، والتي يضمن حضورها فقط نظامها الجيّد وحده، كما كنا قائلين؟

السيبيادس: لكن يلزمني أن أقول إنّ هناك صداقة بين الرجال والنساء، لهذا السبب بالتحديد وهو أنّ الفريقين كلاهما يقومان بعملهما الخاصّ، كلٌّ حسب وروده.

سقراط: إنّ ذلك القول لم توره قبلاً؛ وماذا تعني بالتأكيد الآن عندما تقول إنّ الصداقة توجد حيث لا يوجد اتفاق؟ كيف يمكن أن يوجد اتفاق بشأن المسائل التي يعرفها فريق واحد، والتي يجهلها الفريق الآخر؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: وعندما يؤدّي الأفراد عملهم الخاصّ، هل هم يفعلون ما يكون عادلاً أو ظالماً؟

السيبيادس: إنّهم يفعلون ما يكون عادلاً بدون ريب.

سقراط: وهكذا عندما يفعل الأفراد ما يكون عادلاً في الدولة، فإنّ ذلك لا ينتج صداقة بينهم؟

السيبيادس: أعتقد بأنّه ينبغي أن ينتج ذلك، يا سقراط.

سقراط: إذن ماذا تعني بهذه الصداقة أو الاتفاق الذي يلزمنا أن نكون حكماء فيه وحصفاء، كي يمكننا أن نكون رجالاً أخياراً؟ إنّني لا أستطيع أن أدرك أين يوجد أو بين منْ؛ وطبقاً لك فإنّه يمكن للأشخاص أنفسهم أن يكون لديهم بعض المرّات، وأن لا يحوزوه مرّات أخرى.

السيبيادس: لكن، حقاً، يا سقراط، إنّني لا أعرف ما أقول؛ وإنّي كنت لوقتٍ قصير مضى غير واعٍ لنفسي، وكنت في أكثر الحالات خزياً.

سقراط: على كلّ حال، ابتهج، إذا اكتشفت عجزك في سنّ الخمسين لأنّك بعده ستكون مسنّاً جداً، وزمن العناية بنفسك قد ولّى حينه. لكنّ سنّك الآن هي السنّ المناسبة التي يجب أن يتمّ هذا الاكتشاف فيها.

السيبيادس: إذا استطعت أن أتحسّن بالإجابة، فسأجيب.

سقراط: وقبل كلّ شيء، كي لا يمكننا أن نُخدع بالمظاهر في حالةٍ كهذه، متوهّمين، ربما أنّنا نقوم بالعناية بأنفسنا في حين لا نفعل ذلك، وما هو المعنى لإنسانٍ يقول بالعناية بنفسه؟ ومتى يؤدّي هو هذه العناية؟ هل يقوم بها عندما يقوم بالعناية بما يخصّه؟

السيبيادس: عليّ أن أتصوّر ذلك.

سقراط: متى يقوم الإنسان بالعناية بقدميه؟ ألاَ يهتمّ بهما عندما يعتني بذلك الذي يخصّ قدميه؟

السيبيادس: إنّني لا أفهم.

سقراط: دعني أتناول شيئاً ما يخصّ اليدين؛ كمثال ألا يخصّ الخاتم الإصبع، ولا يخصّ أيّ جزء آخر من أجزاء الجسد الإنسانيّ؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ويخصّ الحذاء القدم بأسلوبٍ مماثل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتخصّ الأثواب والأسرَّة بقيّة الجسم أيضاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وعندما نهتمّ بأحذيتنا، ألا نقوم بالعناية بأقدامنا؟

السيبيادس: إنّني لا أفهمك، يا سقراط.

سقراط: لكنّك سوف تعترف، يا السيبيادس، أنّ القيام بالعناية المناسبة بشيء هو التعبير الصحيح؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وتعني القيام بالرعاية المناسبة التحسّن؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: وما هو الفنّ الذي يحسّن أحذيتنا؟

السيبيادس: إنّه صناعة الأحذية.

سقراط: إذن فإنّنا نهتمّ بأحذيتنا بواسطة صناعة الأحذية؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل نعتني بأقدامنا بصناعة الأحذية، أو بفنّ آخر يحسّن الأقدام؟

السيبيادس: بفنّ آخر.

سقراط: ويحسّن الأقدام الفنّ عينه الذي يحسّن بقية الجسم؟

السيبيادس: عليّ أن أقول ذلك.

سقراط: الذي هو التمارين الرياضية؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: إذن فإنّنا نهتمّ بأيدينا بالألعاب الرياضيّة، لكنّنا نرعى بفنّ حفر الخواتم ذلك الذي يخصّ أيدينا؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: ونعتني بالجسد بواسطة التمارين الرياضيّة، لكن بهكذا فنون كتلك التي للّحياكة نقدّم الرعاية لأشياء الجسد؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: إذن فإنّ الفنّ الذي يرعى كلّ شيء يختلف عن ذلك الفنّ الذي يهتم بخاصّيّات كلّ شيء؟

السيبيادس: حقّاً.

سقراط: إذن ليس صحيحاً أنّه في رعاية ما يخصّك، تهتمّ أنت بنفسك؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: لأنّه يبدو، أنّ الفنّ الذي يمكن لإنسانٍ أن يعتني بنفسه بواسطته، لا يكون الشيء عينه كالفنّ الذي يمكنه بواسطته أن يهتم بخاصياته؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: وبعدُ دعني أسألك سؤالاً، ما هو الفنّ الذي نرعى أنفسنا بواسطته؟

السيبيادس: لا أستطيع القول.

سقراط: على كل حال، لقد تمّ الاعتراف بما بحثناه، وهو أنّ الفنّ الذي خلق أياً من ممتلكاتنا ليس واحداً، بل إنّه الذي يجعل أنفسنا أفضل؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن هل اعترفنا قط أيُّ فنٍّ يجعل الحذاء أفضل، إذا لم نعرف الحذاء؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: ولم نكن لنعرف أيُّ فنٍّ يجعل الخاتم أفضل، إذا لم نعرف الخاتم؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: وهل عرفنا قطّ أيُّ فنّ يجعل الإنسان إنساناً أفضل، إنْ لم نعرف من نحن؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: وإذا كانت معرفة النفس هكذا شيئاً سهلاً، فهل يجوز أن يُستَخَفّ بمَنْ حفر الآية على المعبد في دلفي؟ أو هل تكون معرفة النفس شيئاً صعباً، وهي التي لا يستطيع نيلها إلاّ القليل؟

السيبيادس: أتخيّل بعض المرات، يا سقراط، أنّ أيَّ شخص يمكنه أن يعرف نفسه؛ وهذا العمل الشاقّ يبدو لي صعباً جدّاً مرّاتٍ أخرى.

سقراط: لكن إذا كان هذا العمل سهلاً أو كان صعباً، يا السيبيادس، يبقى أنّه لا يوجد أيّ طريق آخر، وهو معرفة من نحن ويمكننا حينها أن نعرف كيف نرعى أنفسنا، لكن ما دمنا هكذا جهلة فإنّنا لن نعرف ذلك أبداً.

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: حسناً، إذن، دعنا نرى بأية طريقة نستطيع نحن أن نكتشف الطبيعة الحقيقيّة للنفس. إنّ ذلك سيتيح لنا فرصة لنكتشف من نحن، والذي لن نعرفه بطريقة أخرى أبداً.

السيبيادس: إنّك تقول صدقاً.

سقراط: تعالَ الآن، إنّني ألتمس منك العون، قل لي مع من تتناقش أنت؟ مع من سواي؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: كما إنّني أتناقشُ معك؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: بمعنى أنّني، أنا، سقراط، أتكلّم؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وأنّ السيبيادس يستمع لي؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وأنا أستعمل الكلمات في حديثي؟

السيبيادس: بدون ريب.

سقراط: وأفترض أنّ الكلام واستعمال الكلمات له المعنى عينه؟

السيبيادس: لتكن متأكداً.

سقراط: ولا يكون المستعمِل الشيء عينه كالذي يستعمل؟

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: إنّني سأوضح. يستعمل صانع الأحذية الآلة القاطعة، كمثال، ويستعمل السكّين المنحني، والأدوات الأخرى للقطع.

السيبيادس: نعم.

سقراط: لكنّ الأدوات ليست الشيء عينه كالإنسان الذي يقطع، والذي يستعمل الأدوات؟

السيبيادس: لا طبعاً.

سقراط: وفي الطريقة عينها فإنّ آلات القيثارة تكون مميَّزة عن القيثارة عينها؟

السيبيادس: إنّها لكذلك.

سقراط: وبعدُ فإنّ السؤال الذي سألته كان إذا ما تصوّرت أنّ المستعمِل يكون متبايناً عن ذلك الشيء الذي يستعمل؟

السيبيادس: إنّني أفعل.

سقراط: إذن ماذا سنقول نحن عن صانع الحذاء؟ هل يقطع هو بأدواته فقط أو بيديه؟

السيبيادس: إنّه يقطع بيديه أيضاً.

سقراط: إنّه يستخدم يديه أيضاً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهل يستخدم عينيه في قصّ الجلد؟

السيبيادس: إنّه يفعل.

سقراط: واعترفنا نحن أنّ المستعمِل لا يكون الشيء نفسه مع الأشياء التي يستخدمها؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: إذن فإنّ صانع الحذاء والقيثارة مميَّزان عن الأيدي والعيون التي يستخدمانها؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: أوَلا يستخدم إنسانٌ الجسد كلّه؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ورأينا أنّ ذلك الذي يستخدمه يكون غيراً من ذلك الذي يُسْتخْدَم؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ أحداً لا يكون الشيء نفسه كجسمه الخاص؟

السيبيادس: إنّ ذلك هو الاستنتاج.

سقراط: ما هو الإنسان، حينئذ؟

السيبيادس: لا أستطيع القول.

سقراط: لا، تقدر أن تقول أنّه المستعمِل للجسد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: والمستخدم للجسد لا يمكن أن يكون غيراً من الروح؟

السيبيادس: نعم، الروح.

سقراط: وهي تحكم الجسد؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: دعني أضع تأكيداً، أعتقد، بأنّه سيُعتَرَفُ به بشكل عالميّ.

السيبيادس: ما هو؟

سقراط: الإنسان واحد من أشياء ثلاثة.

السيبيادس: ما هي؟

سقراط: الروح، والجسد، أو كلاهما معاً يؤلّفان الكل.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: لكن ألم نقل إنّ المبدأ الحقيقيّ الحاكم للجسم هو الإنسان؟

السيبيادس: نعم، إنّنا فعلنا.

سقراط: وهل يحكم الجسم فوق نفسه؟

السيبيادس: لا، بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّه لا يكون المبدأ الذي نبحث عنه؟

السيبيادس: يبدو أنّه ليس كذلك.

سقراط: لكن هل يمكننا أن نقول إنّ اتّحادهما، أي الإثنين، يحكم فوق الجسد وبالتالي فإنّ هذا يكون الإنسان؟

السيبيادس: محتمل جداً.

سقراط: إنّه الأكثر بعداً عن الاحتمال من كلّ الأشياء؛ إذ لو كان عضو من العضوين الإثنين تابعاً، فإنّ هذين العضوين الإثنين متحدين لا يمكنهما أن يحكما على وجه الاحتمال.

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن ما دام لا الجسد، ولا اتّحاد العضوين الإثنين، يكون الإنسان، يجب أن يكون الاستنتاج إمّا أنّ الإنسان لا يمتلك وجوداً حقيقيّاً، أو أنّ الإنسان لا يكون غيراً من روح؟

السيبيادس: هكذا تماماً.

سقراط: هل يُحتاج لأيّ شيء أكثر كي يعطيك برهاناً على أنّ الروح هي الإنسان؟

السيبيادس: لا بالتأكيد، أعتقد أنّ البرهان كافٍ تماماً.

سقراط: وإذا كان البرهان برهاناً كافياً، وبرغم أنّه ليس برهاناً كاملاً، فسنكون قانعين؛ أنّ برهاناً أكثر دقّة سيفي بالغرض عندما نكتشف ذلك الذي قادنا كي نسقط، مخافة أن يكون التساؤل مطوَّلاً أكثر من اللازم.

السيبيادس: ماذا كان ذلك؟

سقراط: ما عنيتُ، عندما قلت إنّ طبيعة النفس يجب اعتبارها في المقام الأول، لكن الآن بدلاً من أن نتأمّل ملياً طبيعة النفس بشكل عامّ، فقد تأملنا طبيعة الوجود والفرد، ولربّما كان هذا كافياً؛ إذ لا يوجد شيء بالتأكيد يمكن أن يدعى أنفسنا بشكلٍ مناسب غيراً من الروح؟

السيبيادس: لا يوجد أيّ شيء.

سقراط: يمكننا إذن أن ندرك أو نتصوّر بأنّنا أنت وأنا نتحادث مع بعضنا بعضاً، الروح مع الروح؟

السيبيادس: حقيقيّ جداً.

سقراط: وهذا ما قلته من قبلُ تماماً - بأنّي أنا، سقراط، لا أتكلّم أو أتحاور مع وجه السيبيادس، بل مع السيبيادس الحقيقيّ؛ أو بكلمات أخرى مع روحه.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: إذن فإنّ مَن يأمر إنساناً كي يعرف نفسه، سيريد منه أن يعرف روحه؟

السيبيادس: يبدو هذا حقيقياً.

سقراط: إنَّ مَنْ تمتدّ معرفته إلى جزءٍ ما من جسده فقط، فإنّه يعرف ممتلكاته، لكنّه لا يعرف نفسه؟

السيبيادس: إنّه لا يفعل.

سقراط: أمّا المزارعون والحِرَفيّون الآخرون فإنّهم لا يزالون أقلّ معرفةً بأنفسهم، لأنّهم يبدون بأنهم لا يعرفون حتّى ممتلكاتهم. وعند أخذها بعين الاعتبار فيما يتعلّق بالفنون التي يزاولون، فإنّها كذلك أُقصِيَتْ بعيداً من معرفتهم

لأنّها تعرف فقط ممتلكات الجسد التي تسهر على رعاية هذا الجسد.

السيبيادس: إن ذلك لحقيقيّ.

سقراط: إذا كان الاعتدال هو معرفة النفس حينئذ، فلا أحد منهم يكون معتدلاً فيما يتعلّق بفنه؟

السيبيادس: انني لا اوافق.

سقراط: وهذا هو السبب الذي من أجله تُعتبر فنونهم فنوناً مبتذلة، وهي ليست من بين الدراسات المناسبة لإنسَانٍ صالح.

السيبيادس: حقيقيّ تماماً.

سقراط: مرّة ثانية، فإنّ مَنْ يعتزُّ بجسده لا يعتز بنفسه، بل بما يخصُّه؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: لكنّ الذي يعتزّ بماله، لا يعتزّ بنفسه ولا بممتلكاته، بل يكون مع ذلك في مرحلةٍ مقصِيَّةٍ بعيداً من نفسه؟

السيبيادس: إنّني أوافق.

سقراط: إذن فإنّ محصِّل المال آنقطع بحقٍّ عن أن يكون مشغولاً باهتماماته الخاصة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وإذا ما وقع إنسانٌ بحبّ شخص السيبيادس، فإنّه لا يحبّ السيبيادس، بل إحدى ممتلكات السيبيادس؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكنّ مَنْ يحب روحك يكون محبَّك الحقيقي؟

السيبيادس: إنّ هذا الاستنتاج هو الاستنتاج الصحيح.

سقراط: إنّ الذي يحبّ الجسد يرحل عندما تذبل أزهار الشباب؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: لكن الذي يحبّ الروح لا يرحل، طالما بقيت الروح تقتفي آثار الفضيلة.

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإنّي محبٌّ مَنْ لا يرحل، بل يبقى معك، حينما تتجاوز مرحلة الفتوّة فيما بعد، وبعد أن يبتعد عنك الباقون؟

السيبيادس: نعم، يا سقراط، وأنت تقوم بعمل جيّد في تلك المسألة، وآمل أنّك ستبقى.

سقراط: إذن ينبغي عليك أن تحاول وتنظر بأفضل ما تستطيع.

السيبيادس: إنّي سأفعل.

سقراط: الحقيقة أنّ هناك حباً واحداً لالسيبيادس بن كلينياس: يبدو أنه لم يكن هناك أي محبّ آخر، ولا هو موجد الآن، وإنّ هذا المحبّ الجديرٌ بالحبّ ـ سقراط بن سوفرونيسكوس وفايناريت.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: أو لمْ تقل أنت، بأنّي إذا لم أتكلّم بادىء ذي بدء فإنّك كنت على وشك أن تأتي إليّ، وأن تسألني لماذا أبقى أنا الوحيد؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وكان سبب ذلك أنّني أحببتك من أجلك بشكل خاصّ، في حين أنّ الرجال الآخرين يحبّونَ ما يخصّك؛ وأمّا جمالك الذي ليس لك، فإنّه يذوي ويذبل، تماماً كما تكون نفسك الحقيقيّة مبتدئة بتفتّح الأكمام. وأنا لن أهجرك على الإطلاق، إنْ لم تُفسَد وتُشوَّه من قِبَل الشّعب الأثينيّ، لأنّ الخطر الذي أخافه أكثر هو أنّك ستصبح محبوباً من قِبَل الناس وأنّهم سيُفسدونك. العديدُ من الأثينيين النبلاء قد دُمِّروا بهذه الطريقة، لأنّ ديموس الذي يخصّ الملك الأثيني ذا القلب الكبير إيريكثيوس هو ذو محيًا جميلٍ. لكن يجب عليك أن تراه عارياً، من أجل ذلك تذكر التحذير الذي أعطيته لك.

السيبيادس: أيّ تحذير؟

سقراط: تدرَّب بنفسك، يا صديقي الحلو، في العلم الذي يجب أن تعرفه، قبل أن تدخل معترك السياسات، وحينئذ فإنّك سوف تمتلك الترياق الذي سيقيك الأذى.

السيبيادس: نصيحة جيّدة، يا سقراط، لكنّني أرْغب منك أن توضح لي بأيّة طريقة نستطيع نحن أن نعتني بأنفسنا بالشكل الأفضل.

سقراط: ألم تحقّق تقدّماً في هذا؟ لأنّنا اتّفقنا بشكل جيّد نوعاً لِمَا نكونه نحن، على كلّ حال، ولا خطرَ بعد اليوم كما خفنا لمرّةٍ من أنّه يمكن أن نمضي مخطئين في هذا، وأن لا نهتمّ بأنفسنا بدون وعي، بل بشيء ما ليس أنفسنا.

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقيّ.

سقراط: تالياً، لقد تمّ الاتفاق على أنّه يلزمنا أن نرعى الروح، وأن نتطلّع إلى ذلك.

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: تاركين الاهتمام بأجسادنا وبممتلكاتنا الأخرى للغير؟

السيبيادس: جيّد جدّاً.

سقراط: لكن، بأية طريقة نقدر أن نعرف الروح بالشكل الأكثر وضوحاً؟ لأنّنا إذا عرفناها كما تبدو حينئذ، فإنّنا سنعرف أنفسنا. هل نستطيع أن نجهل المعنى الممتاز للآية المحفورة في معبد دلفي، والتي كنّا نتكلّم عنها منذ برهة فقط؟

السيبيادس: ماذا في أفكارك، يا سقراط؟

سقراط: سأقول لك ما الذي اشتبهت بأنه المعنى والمبدأ لهذه الآية المحفورة هناك. دعني آخذ إيضاحاً من حاسّة البصر، والذي أتصوّر بأنّه المثل الوحيد الملائم لقصدي.

السيبيادس: ماذا تعني؟

سقراط: تأمّل مليّاً، إن قال لك شخص ما إنَّ العين « ترى نفسها » مثلما يمكنك أن تقول لإنسانٍ « إعرف نفسك »، كيف تفترض أن تكون الطبيعة والمعنى في هذا الخصوص؟ إنّ ذلك بالتأكيد هو أنّ العين يجب أن تنظر إلى ذلك الذي سترى فيه نفسها؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: هل نستطيع أن نتصوّر أيّة أهداف، في النظر بالذي نشاهده ليس لما هو فقط بل لأننا نرى فيه أنفسنا في الوقت عينه؟

السيبيادس: بجلاء يا سقراط، إنّها المرايا وما شابه.

سقراط: حقيقيّ تماماً، والآن، أليس هناك شيء ما من طبيعة المرآة حاضراً في العين التي نرى؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: ألم تلاحظ أبداً أنّ وجه الشخص المتطلّع في عين الشخص الآخر يكون معكوساً كما تعكسه المرآة، ويوجد في العضو البصري الذي يكون فوقه في الاتّجاه المضادّ، والذي يسمّى البؤبؤ، يوجد نوع من الصورة للشخص الناظر؟

السيبيادس: إنّ هذا لحقيقيّ تماماً.

سقراط: إذن فإنّ العين، المتطلّعة في عين أخرى، وفي ذلك الشيء الذي يكون الأكثر كمالاً في العين، والذي هو أداة الرؤية، فهل سترى هذه العين نفسها هناك؟

السيبيادس: يبدو أنّه كذلك.

سقراط: لكنّها إذا تطلّعت في أيّ شيء آخر إمّا في إنسانٍ أو في العالم، ما عدا الذي يشبه هذا، فإنّها لن ترى نفسها؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: إذن إنْ كانت العين ترى نفسها، فيجب أن تنظر إلى العين، وفي

ذلك الجزء من العين حيث البصر الذي هو القوّة التي تقطن فيها العين.

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: وإذا كانت الروح، يا عزيزي السيبيادس، تعرف نفسها ألا ينبغي أن تنظر إلى الروح، وبخاصّة إلى ذلك الجزء من الروح حيث تقطن فضيلتها، وهذه الفضيلة هي الحكمة، أو إلى أيّ شيء آخر يشبه هذا؟

السيبيادس: إنّني أوافق، يا سقراط.

سقراط: وهل نعرف نحن أيّ جزء من أرواحنا أكثر إلهيةً من ذلك الجزء الذي على الحكمة والمعرفة أن تعملا به؟

السيبيادس: لا يوجد غيره.

سقراط: إذن جزء الروح هذا هو الجزء الذي يشبه الله، وهو الذي ينظر إلى هذا الجزء وإلى نوع الأشياء الإلهيّة كلّه، في الله وفي الحكمة؛ إنَّ مَن يفعل ذلك سيكون الأكثر احتمالاً لأن يعرف نفسه.

السيبيادس: على ما يبدو.

سقراط: هل يمكننا أن نقول عندئذ، بأنّه كما أن المرايا أصدق وأصفى وأسطع من المرآة داخل العين، هكذا هو الله بطبيعته أطهر وأشعُّ مرآة من الجزء الأكثر امتيازاً لأرواحنا الخاصة؟

السيبيادس: نعم، أرى أنّه يمكننا قول ذلك.

سقراط: ولهذا السبب فإنّنا بتطلّعنا إلى الله سنستعمل المرآة الأجمل والأنقى للروح الإنسانيّة وفضيلتها؛ وبهكذا وسائل سنرى ونتوصّل لنعرف أنفسنا بالشكل الأفضل.

السيبيادس: نعم.

سقراط: واتّفقنا على أنّ معرفة النفس حكمة؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: لكنّنا إذا لم نمتلك معرفة نفس ولا حكمة، هل نستطيع أن نعرف خيرنا الخاصّ وشرّنا؟

السيبيادس: كيف يمكن لذلك أن يكون، يا سقراط؟

سقراط: تعني أنّك إنْ لم تعرف السيبيادس، فلا إمكانية في معرفة أنّ ما يخصّ السيبادس كان له حقّاً؟

السيبيادس: إنّه سيكون شيئاً مستحيلاً تماماً.

سقراط: ولا يلزم أن نعرف بأنّنا كنّا الأشخاص الذين إختصّ بهم أيّ شيء، إذا لم نعرف أنفسنا؟

السيبيادس: كيف نستطيع ذلك؟

سقراط: وإذا لم نعرف ممتلكاتنا الخاصّة فلا يجب أن نعرف ممتلكات ممتلكاتنا؟

السيبيادس: لا بوضوح.

سقراط: إذن لم نكن محقّين بالإجمال في الإعتراف لتوّنا بأنّ إنساناً واحداً يمكنه أن يعرف ما يخصّه، وأن يعرف آخر ما يخصّ ممتلكاته، مع أنّه لا يعرف نفسه. يبدو أنّ الحقيقة هي أنّ إدراك النفس، وأشياء النفس، والأشياء التي تخصّ أشياء النفس، هي عمل الإنسان نفسه، والفنّ عينه.

السيبيادس: يمكن الإفتراض لهذا القدر.

سقراط: والذي لا يعرف الأشياء التي تخصّ نفسه، سيكون جاهلاً بالأشياء التي تخصّ الآخرين بطريقة مماثلة؟

السيبيادس: حقيقي جداً.

سقراط: وإنْ لم يعرف هو شؤون الآخرين، فلن يعرف شؤون الدول؟

السيبيادس: لا بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ إنساناً كهذا لا يستطيع أبداً أن يكون رجل دولة؟

السيبيادس: إنّه لا يقدر.

سقراط: ولا يمكنه أن يكون رجل إدارة؟

السيبيادس: لا يستطيع.

سقراط: إنّه لا يعرف ماذا يفعل؟

السيبيادس: لن يعرف.

سقراط: أوَلن يقع الجاهلُ في الخطأ؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: وإنْ سقط هو في الغلط ألن يخفق في قدرته العامة والخاصّة كليهما؟

السيبيادس: نعم، حقاً.

سقراط: وإن أخفق في ذلك، ألن يكون رجلاً تعيساً؟

السيبيادس: تعيساً جداً.

سقراط: وماذا سيحلّ بأولئك الذين يعمل لهم؟

السيبيادس: سيكونون بائسين أيضاً.

سقراط: إذن فإنّ من لا يكون حكيماً وخيّراً لا يستطيع أن يكون سعيداً؟

السيبيادس: إنّه لا يقدر على ذلك.

سقراط: إنّ الأشرار هم التعساء إذن؟

السيبيادس: جداً، جداً.

سقراط: وإنْ هكذا، فإنّ الذي يتخلّص من تعاسته ليس هو الذي اكتسب المال، بل إنّه هو الذي نال الحكمة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وإذا كانت المدن سعيدةً حينئذ، فإنّها لا تحتاج أسواراً ولا سفناً حربية أو أحواضاً لها، أو أعداداً وأعتدة حربيّة، أو حجماً. إنّها لا تحتاج كلّ هذا، يا السيبيادس، بدون فضيلة(٥١)؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: لكن هل يستطيع إنسان أن يعطي ذلك الذي لا يمتلكه؟

السيبيادس: مستحيل.

سقراط: إذن فإنك أنت أو أي شخص آخر يبغي أن يحكم وبشرف، ليس على نفسه وعلى الأشياء التي تخصّه فقط، بل على الدولة والأشياء التي تخصّ الدولة، فما يجب عليكما في المقام الأول إلاّ أن تكسبا الفضيلة لنفسيكما؟

السيبيادس: إنّ هذا لحقيقي.

سقراط: إذن لهذا السبب لا يلزمك أن تنال القوة والسلطة لنفسك كي تقوم بأيّ شيء تحبّه، ولا أن تفعل الدولة لنفسها كذلك، بل يجب عليكما أن تحصلا على العدل والحكمة؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: إذا عملتما، أنت والدولة، بحكمة وعدل، فإنّكما ستعملان بأسلوبٍ مرضٍ لله؟

السيبيادس: يبدو ذلك.

سقراط: ولنعد إلى ما قلناه سابقاً، إذا فعلت فإنّك ستعمل برؤيا من يكون شعشعانيّاً وإلهياً؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: علاوة على ذلك، فإنّك سترى وتعرف نفسك والخيرات التي تخصّك بالنظر في تلك المرآة؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: وهكذا ستعمل بحقّ وجودة؟

السيبيادس: أجل.

سقراط: وفي تلك الحالة، سأكون أنا أيضاً الضامن لسعادتك؟

السيبيادس: إنّني أقبل الضمانة.

سقراط: لكنّك إذا عملت بجورٍ وإثم، وتحوّلت عينك إلى الظلام والإلحاد، عندئذ كونك في الظلام والجهل بنفسك، فإنّك ستعمل أعمال الظلام بشكل محتمل.

السيبيادس: ممكن جدّاً.

سقراط: لأنّه إذا كانت لدى إنسان قوة، يا عزيزي السيبيادس، كي يفعل ما يحبّ غير أنه لا يحوز فهماً، فماذا ستكون النتيجة بالإحتمال، إمّا كفردٍ أو بالنسبة للدولة؟ كمثال، إذا كان هو مريضاً ويقدرِ على أن يفعل ما يحبّ، غير ممتلك حكمة الطبيب وعقله، لديه، علاوة على ذلك، قوّة إستبدادية، ولا أحد يجرؤ على أن يؤنّبه ـ فماذا سيحدث له؟ ألن يحوز على قوامٍ مدمَّر بشكل محتمل؟

السيبيادس: إنّ ذلك لحقيقي.

سقراط: أو مرّة ثانية، إن كان لدى إنسان السلطة كي يفعل ما يرغبه في باخرة، وليس له أيّ فهم أو براعة في علم الملاحة، فهل ترى ما سيحلّ به وبرفاقه البحّارة؟

السيبيادس: نعم؛ إنّني أرى أنّهم سيهلكون جميعاً.

سقراط: وفي نمطٍ مماثل فإنّه في دولةٍ، ومتى كانت هناك قوّة أو سلطة تفتقر للفضيلة، ألن تنشأ البليّة والمحنة كنتيجة لذلك؟

السيبيادس: إنّ ذلك سيكون شيئاً حتمياً.

سقراط: يجب أن لا يكون هدف الأفراد أو الدول إذن، يا عزيزي السيبيادس، القوّة الطاغية المستبدّة، بل يجب أن تكون الفضيلة هدف الجميع، إذا ما طلبوا السعادة.

السيبيادس: إن ذلك لحقيقيّ.

سقراط: وقبل أن يمتلكوا الفضيلة، يجب أن يقودهم مَنْ هو أسمى وأعلى مقاماً، فذلك أفضل للرجال والأطفال على حدّ سواء؟

السيبيادس: إنّ ذلك لجليّ.

سقراط: والأفضل هو الأنبل أيضاً؟

السيبيادس: صدقاً.

سقراط: والأنبل هو الأنسب؟

السيبيادس: بالتأكيد.

سقراط: إذن فإنّ العبوديّة مناسبة أكثر للرجل الشرير لأنّها أفضل له؟

السيبيادس: حقاً.

سقراط: إذن فإنّ الرذيلة مناسبة للعبد فقط؟

السيبيادس: بوضوح.

سقراط: والفضيلة تلائم الإنسان الحرّ؟

السيبيادس: نعم.

سقراط: و، أوه يا صديقي، أوَلا يجب تفادي حالة العبد هذه؟

السيبيادس: بالتأكيد، يا سقراط.

سقراط: وهل أنت مدركٌ حالتك الخاصّة؟ وهل تعرف إن كنت أنت إنساناً حرّاً أو لا؟

السيبيادس: أتصوّر أنّني مدرك جدّاً حالتي الخاصّة حقاً.

سقراط: وهل تعرف كيف تخرج من حالتك الحاضرة، والتي لا أحب حتى أنّ أسمّيها عندما أنسبها إلى الجمال؟

السيبيادس: نعم، إنّني أفعل.

سقراط: كيف؟

السيبيادس: بمساعدتك، يا سقراط.

سقراط: إنّ ذلك لم يتمّ قوله جيداً، يا السيبيادس.

السيبيادس: ماذا كان يجب عليّ أنّ أقول؟

سقراط: بمساعدة الله.

السيبيادس: إنّني أوافق، وأقول أيضاً، إنّ علاقاتنا ستكون علاقات معكوسة على الأرجح. يجب عليّ من الآن وصاعداً أن أتبعك كما تبعتني، سأكون أنا المرافِق، وستكون أنت سيّدي ومعلمي.

سقراط: أوه، إنّ هذا الشيء نادر! إنّ حبّي أنتج حبّاً جديداً؛ وهكذا بما أنّني أحبّ طائر اللقلاق فسأكون مدلّلاً بالمخلوق المجنّح الذي أحضرته إلى الوجود.

السيبيادس: إنّه شيء غريب، لكنّه حقيقيّ؛ وسأبدأ من الآن فصاعداً بشأن العدل.

سقراط: وإنّي لآمل بأنّك ستصرّ على هذا؛ مع أنّ لديّ تخوّفات، ليس لأنّني أشكّ فيك، بل لأنّني أرى قوّة الدولة التي يمكن أن تكون قوية كبيرة جداً يصعب علينا احتمالها كلينا.

محاورة مينيكسينوس

اشخاص المحاورة

سقراط   مينيكسينوس

سقراط: متى أتيت أنت، يا مينيكسينوس؟ هل أتيت من الساحة العامة؟
مينيكسينوس: نعم، يا سقراط؛ إنّني كنت في مجلس الشورى.
سقراط: وماذا يمكنك أن تكون فاعلاً في مجلس الشورى؟ وبرغم ذلك فإنّني بالكاد أحتاج لطرح هذا السؤال عليك، لأنّي أرى أنّك واثقٌ من نفسك، لأنّك وصلت إلى نهاية التعليم والفلسفة، وكان لديك كفاية منهما ولا تزال ترتقي صُعُداً إلى أشياء أعلى من ذلك. ومع أنّك فتيّ لهذا المركز على الأصحّ، فأنت عازم على أن تحكمنا نحن الرجال المسنّين، وما ذلك ألاّ لكي تحافظ على تقليد عائلتك، هذا التقليد الذي قدَّم لنا شخصاً ما رعانا بعطفٍ على الدوام.
مينيكسينوس: نعم، يا سقراط، إنّني سأتبوأ المركز بكلّ حبور، هذا إنْ سمحتَ لي ونصحتني بفعل ذلك، لكن ليس إذا فكّرت عكسه. ذهبت هذا اليوم، على كلّ حال، إلى قاعة الاجتماع لمجلس الشورى لأنّني سمعت بأنّ هذا المجلس كان على وشك أن يختار الشخص الذي سيرثي المتوفّين. أتعرف بأنّ هناك مأتماً عامّاً في هذا الوقت؟
سقراط: نعم، إنّني أعرف. ومن اختاروا للقيام بذلك؟
مينيكسينوس: لم يختاروا أحداً؛ إنّهم أجّلوا الانتخاب حتّى يوم غد، غير أنّي أعتقد بأنّهم سيختارون إمّا أرخيوس أو ديون.

سقراط: أوه يا مينيكسينوس! إنّ الموت في المعركة شيء نبيل من وجوه متعدّدة. والإنسان المتوفّى هناك يقام له مأتم جيّد ونفيس، بالرغم من أنّه ربما كان فقيراً. وحتّى إنْ لم يكن صالحاً، فإنّ الثناء ينهال عليه بسخاء؛ وخطابٌ متقن قد يلقيه عليه رجلٌ ذو حكمة حضَّر ما عليه أن يقوله منذ وقت طويل مضى. إنّ المتكلّمين يطرون ما فعل وما لم يؤدّه أصلاً ـ هذا هو جمال خطبهم ـ وهم بعملهم هذا يسلبون منّا الروح بكلماتهم المزخرفة؛ إنّهم يمدحون المدينة في شكل ممكن تصوّره، وهم يطرون أولئك الذين يتوفّون في الحرب، ويتذكرون كلّ أسلافنا الذين سبقونا في الحياة. وهم يثنون علينا كذلك نحن الذين لا نزال على قيد الحياة، إلى أن أشعر أنّني ارتفعت بتمجيدهم تماماً، وأتوقّف مستمعاً لكلماتهم، يا مينيكسينوس، وأمسي مسحوراً بها، وأتصوّر نفسي أصبحت إنساناً أعظم وأنبل وأسمى ممّا كنت قبلاً. وإذا كان هناك أغرابٌ، كما يحدث غالباً، يصطحبونني إلى مكان إلقاء الخطب، فإنّني أصير مبجّلاً أكثر في سلوكي نحوهم بشكل مفاجىء. وهُمْ، هكذا يبدو لي، يختبرون شعوراً مقابلاً للإعجاب بي، وبعظمة المدينة، التي تظهر لهم، عندما يكونون تحت تأثير المتكلم، أكثر روعة ممّا بدت عليه في أيّ وقت مضى. إنّ هذا الشعور بالكرامة يستمّر فيَّ لأكثر من أيّامٍ ثلاثة، ولا أعود إلى رشدي وأعرف أين أنا إلا في اليوم الرابع أو الخامس. في الوقت نفسه، فإنّه من المبالغة أن أقول، بأنني قد عشت في الجزر المباركة. هذا هو فنّ خطبائنا، وبأسلوب كهذا تبقى أصوات كلماتهم مدوّية في أذنيّ.

مينيكسينوس: إنّك تسخر من الخطباء على الدوام، يا سقراط؛ على كلّ حال، إنّني ميّال في هذا الوقت لكي أتصوّر بأنّ المتكلّم الذي اختير لن يجد عمله الشاقّ هذا سهلاً، لأنّه استُدعي كي يتكلّم في لحظة إنذار، وسيكون مجبراً على أن يرتجل خطابه ارتجالاً تقريباً.

سقراط: لكن لماذا، يا صديقي، لن يكون لديه الكثير ليقوله؟ إنّ كلّ عالم كلام يمتلك خطباً جاهزة التأليف، وليس هناك أيّ صعوبة في ارتجال هذا النوع من العمل. وإذا كان الخطيب يثني على الأثينيين بين البيلوبونيين، أو العكس بالعكس، فيجب عليه أن يكون خطيباً كفؤاً يستطيع أن ينجح ويحصل على مثل هذا التقدير. لكنّه ليس شيئاً عظيماً لإنسانٍ أن يفوز بالإطراء عندما يكون مكافحاً للحصول على الشهرة بين الأشخاص الذين يثني عليهم بالتحديد.

مينيكسينوس: ألا تعتقد ذلك، يا سقراط.

سقراط: لا، بالتأكيد.

مينيكسينوس: هل تعتقد بأنّك تقدر على أن تتكلّم إن اقتضت الضرورة ذلك، وإنْ كان مجلس الشورى سيختارك أنت؟

سقراط: أمّا أن تكون لي القدرة على الكلام فهذه ليست أعجوبة كبيرة، يا مينيكسينوس، باعتبار أنَّ لديَّ معلمة ممتازة في فنّ الخطابة، وهي التي خلقت جمعاً كهذا من المتكلّمين البارعين، وأذكر واحداً منهم الذي كان أفضل الهيلينيّين - بركليس بن اكسانثيبوس.

مينيكسينوس: ومن هي؟ أفترض بأنّك تعني أسباسيا؟

سقراط: نعم، هذا صحيح؛ وكان لديّ بجانبها كونوس ميتروبيوس، كمعلّم، وهو كان سيّدي ومعلّمي في فنّ الموسيقى، مثلما كانت هي في فنّ الخطابة. وإنّ إنساناً تلقّى تعليماً كهذا ليس غريباً أن يكون متكلّماً كاملاً؛ حتّى أنّ تلميذاً لمعلّمين دونيين للذين علّموني، يقول، كمثال، إنّ واحداً ممن تعلّموا فنّ الموسيقى على يدي لامبروس، والخطابة على يدي انتيفون الرامنوسي، يقول إنّه يمكنه أن يخلق شخصية إذا كان سيثني على الأثينيين بين الأثينيين.

مينيكسينوس: وماذا بإمكانك أن تقول إذا كان عليك أن تتكلّم؟

سقراط: الأكثر ترجيحاً، لا شيء من ذكائي الخاصّ؛ لكنّني سمعت أسباسيا البارحة تؤلف خطاباً يرثي المتوفّين أنفسهم. فهي قد أخبرت، كما كنت قائلاً، بأنّ الأثينيين كانوا في طريقهم لاختيار خطيب، وردَّدت هي لي الخطاب عينه الذي كان على الخطيب أن يلقيه ارتجالياً بشكلٍ جزئيّ، ومن أفكار سابقة بشكلٍ آخر، واضعاً معاً مقتطفاتٍ من مرثاةٍ ألقاها بركليس وتركها خلفه. لكنّني، كما أعتقد، هي التي ألَّفتها.

مينيكسينوس: وهل تستطيع أن تذكر ما قالته أسباسيا.

سقراط: يجب علي أن أكون قادراً على ذلك، لأنّني حفظتها منها عن ظهر قلب، وكانت هي جاهزة لأن تضربني كلما نسيت شيئاً ما منها.

مينيكسينوس: لماذا لا تكرّر إذن ما قالته؟

سقراط: لأنّني أخشى من احتمال غضب معلّمتي عليّ إن اعلنت خطابها.

مينيكسينوس: لا، يا سقراط، دعنا نحوز الخطاب، سواء أكان هذا الخطاب لأسباسيا أو لأيّ شخص آخر، لا فرق. آمل بأنّك سوف تتفضَّل عليّ بهذا الجميل.

سقراط: لكنّني أخشى من أنّك ستخسر منّي إنْ واصلت ألعاب الفتيان في سنٍّ متقدمة.

مينيكسينوس: إنّ ما أبغيه هو من نوع مختلف جدّاً، يا سقراط. دعنا نمتلك الخطاب مهما كلّف الأمر.

سقراط: إنّ لديَّ ميلاً كهذا لأمُنَّ عليك بما عندي صدقاً، وإنّك إنْ أمرتني بالرقص عارياً فما عليَّ أن أرفض ذلك، لأنّنا نحن الإثنين وحيدان. إستمع إذن: إذا تذكّرتُ جيداً، ابتدأت هي الكلام كما يلي، ابتدأته بذكر المتوفّين:(٥٢)

هناك تقدمة إجلالٌ للمآثر وللكلمات. إنّ المغادرين كان لديهم أُولاها بشكلٍ مسبق، وعند رحيلهم في سفرهم المكتوب إصطحبتهم الدولة وأصدقاؤهم في

طريقهم إليه؛ تبقى كلمات الإجلال كي تعطى لهم، كما يجب أن تكون ملائمة أو وافية بالمرام ومعيّنة بالقانون. إنّ الكلمات النبيلة هي كلمات تذكاريّة وتاج للأعمال السامية، تلك الكلمات التي يمنحها المستمعون للقائمين بها. إنّ الكلمة ضروريّة ومطلوبة، تلك الكلمة التي تثني على المتوفّين كما ينبغي وبلطف، وتنصح الأحياء خاصّةً الأخوة والمتحدّرين من الراحلين على أن يقلّدوا فضائلهم، ومؤاسية آباءَهم وأمّهاتهم ومنقذيهم، إنْ وجدوا، الذين يحدث اتّفاقاً أنْ يكونوا أحياء من الجيل السابق. أيُّ نوع من الكلمة ستكون هذه الكلمة، وكيف سنبدأ بالمدائح لهؤلاء الرجال الشجعان على نحوٍ صحيح؟ هُمُ أبهجوا أصدقاءَهم ببسالتهم، وقبلوا موتهم على سبيل المبادلة لإنقاذ الأحياء. وأعتقد بأنّنا يجب أن نثني عليهم في النظام الذي جعلتهم فيه الطبيعة صالحين، وهُم كانوا أخياراً لأنّهم تحدَّروا من آباءٍ أخيار. لذلك دعنا نمدح أوّلاً، وقبل كلّ شيء، جودة ولادتهم؛ ثانياً، تنشئتهم وتعليمهم، ودعنا نبيّن بعدئذ كم كانت أعمالهم نبيلة، وكم هي جديرة بولادتهم وتربيتهم.

أمّا فيما يخصّ ولادتهم، فإنّ أسلافهم لم يكونوا غرباء، ولم يكن المتحدرون منهم المقيمين فقط، الذين أتى أباؤهم من بلاد أخرى؛ بل هم أطفال الأرض، الذين قطنوا وعاشوا في أرضهم، وليست البلاد التي ربّتهم مثل البلاد الثانية، خالةً لأطفالها، بل إنّها أمّهم الحقيقيّة. هي حملتهم وأرضعتهم وتلقّتهم، وهُم يستريحون في حضنها الآن. إنّها مناسبة وافية بالمرام وصحيحة، لذلك، إذا بدأنا نحن بتمجيد الأرض التي هي أمّهم، فستكون تلك طريقة مناسبة لتكريم ولادتهم النبيلة.

إنّ البلاد جديرة بالثناء، ليس منّا فقط، بل من كلّ الجنس البشري. أوّلاً، وقبل كل شيء كونها عزيزة على الآلهة، إنّ هذا تمّ البرهان عليه بالنضال

والكفاح الذي تقوم به الآلهة فيما يتعلّق بها. بادىء ذي بدء يجب أن يمدح الجنس البشريُّ كلّه البلادَ التي يثني عليها الآلهة؛ أمَّا الثناء الثاني الذي يمكنها أن تطالب به بعدل، فهو أنّه في الوقت الذي كانت الأرض كلّها مُخرجةً ومكوِّنة الحيوانات المتعدّدة، الأليفة منها والبريّة، فإنّ هذه الأرض أمَّنا كانت حرّة ونقيّة من الحيوانات الغريبة الشكل والمتوحّشة، واختارت من بين كلّ الحيوانات الإنسان وجاءت به إلى الحياة، هذا الإنسان الأسمى من كلّ الحيوانات فهماً، وهو الوحيد الذي يمتلك عدلاً ودينا. البرهان الكبير على أنها ولَّدت أسلافنا العامّين الذين رحلوا، هو أنها قدَّمت وسائل الدّعم لذريّتها. إذ كما أنّ المرأة تبرهن عن أمومتها بإعطاء الحليب لصغارها « التي لا تمتلك نافورة حليب ليست أماً »، هكذا برهنت أمّنا الأرض أنّها هي أمّ الرجال، لأنّها أثمرت وحدها في تلك الأيّام، وقبل كلّ شيء، القمح والشعير للغذاء الإنساني، وهما الطعام الأفضل والأنبل للإنسان الذي اعتبرته نسلها الحقيقي. وهذه البراهين براهين صادقة بل هي أصدق للأمومة في بلاد منها في آمرأة، لأنّ المرأة في حملها وولادتها ليست سوى تقليدٍ للأرض، وليس العكس. وأمّا عن فاكهة الأرض فإنّها أعطت منها مدداً وافراً، ليس لها بشكل خاصّ فقط، بل أعطته للآخرين أيضاً؛ وبعدئذ جعلت الزيتون ينبت وأن يكون هديّة لأطفالها، وأن يساعدهم في كدحهم. وعندما حضنتهم وربّتهم إلى أن أصبحوا رجالاً، منحتهم آلهة كي يكونوا حكّاماً لهم ومعلمين. وهؤلاء الآلهة معروفة أسماؤهم جيداً، ويجب أن نتركهم وأن لا نتكلّم عنهم بهذه المناسبة. إنّ هؤلاء الآلهة هم الذين نظَّموا حياتنا، وعلّمونا. أنّهم قاموا بذلك للرّجال قبل كلّ شيء وأرشدتهم في فنون تجهيز حاجاتنا اليوميّة، وهدونا إلى اكتساب واستعمال الأسلحة للدفاع عن بلادنا.
هكذا وُلِد أسلافنا الراحلين، وهكذا تعلّموا ثمّ عاشوا وشكَّلوا حكومة

لأنفسهم، والتي يجب عليَّ أن أحيي ذكراها بشكل مختصر، لأنّ الحكومة هي غذاء ورعاية الرجال ـ حكومة حكيمة للرجال الأخيار، وحكومة غبيّة للرجال الأشرار. ويلزم أن أبيّن أنّ أسلافنا درّبتهم حكومة عاقلة، ولهذا السبب كانوا أخياراً، ويكون معاصرونا أخياراً أيضاً، والذي يُفترض أن يكون أصدقاؤنا الراحلون بينهم كذلك. إنّ حكومتنا كانت حكومة أرستقراطيّة، قبلئذ كما هي الآن، منذ ذلك الزمن إلى زمننا هذا، والكلام بشكل عامّ ـ إنّ هذا الشكل من أشكال الحكومة الذي تَسمّى بأسماء مختلفة، طبقاً لأهواء الرجال. وسمّي هذا الشكل حكومة ديموقراطية بعض الوقت، لكنّه شكل لحكومة أرستقراطية أو حكومة الأفضل في الواقع، والذي حاز على موافقة العديد من الناس. لقد كان لدينا ملوك على الدوام، وصلوا إلى الحكم بالوراثة بادىء ذي بدء ومن ثمّ بالانتخاب. وتكون السلطة بأيدي الشعب على وجه الإجمال، هذا الشعب الذي وزّع المناصب في فترات منفصلة وأعطى القوة لأولئك الذين يظهر أنّهم الأكثر أهليّة لها. ولم يُرفض إنسان ليحكم من الضعف أو العَوَز أو غموض الأصل، ولا أنْ يكرّم بسبب المضادّات لذلك، كما هي الحالة في الدول الأخرى، لكن هناك مبدأ واحداً ـ وهو أنَّ مَنْ يظهر عاقلاً وخيّراً يكون حاكماً ومديراً للدولة. إنّ العنصر الأساسيّ لحكومتنا هذه هو المساواة في المولد، لأنّ الدول الأخرى تؤلّف من كلّ الرجال وحالاتهم غير المتساوية ولهذا السبب فإنّ حكوماتهم هي حكومات غير متساوية مثل الحكومات الاستبداديّة والأوليغاركيّة التي فيها حزبان اثنان، يعتبران بعضهما بعضاً كعبيد وأسياد. لكنّنا نحن ومواطنونا أخوة، كلنا أبناء أمّ واحدة، ولا نعتقد بأنّها فكرةٌ صالحة أو جيّدة أن نكون أسياداً أو خدماً، يخدم واحدنا الآخر، بل تجبرنا المساواة الطبيعيّة للولادة أن ننشد المساواة الشرعيّة، وأن لا نعترف بأيّ تفوق إلاّ في صيت الفضيلة والحكمة.

هكذا فإنّ كون آبائنا، وهؤلاء أخوتنا أيضاً، كونهم ولدوا بنبل وتلقّوا تنشئة بكلّ حريّة، فإنّهم قد أدّوا العديد من الأعمال والمآثر النبيلة بمقدرتهم الخاصة والعامّة كليهما وهي شهيرة في العالم كلّه. إنّها كانت مآثر الرجال الذين تصوّروا أنّه يجب أن يحاربوا ضدّ الهيلينيّين لصالح الهيلينيين من أجل الحريّة، وضدّ البربر لمصلحة هيلاس كلّها. إنّ الوقت سيخذلني لو حاولت أن أخبر عن جدارة دفاعهم عن بلادهم ضدّ يومولبوس والأمازونيين وحتّى الغزاة المتأخّرين، أو لدفاع الأرغوسيّين ضدّ القدمونيين، أو لدفاع الهيراقليديّين ضدّ الأرغوسيين. بجانب ذلك، فإنّ الشعراء أعلنوا مجدهم في أغنية بشكل مسبق، أعلنوها لكلّ الجنس البشريّ. ولهذا السبب فإنّ أيّ إحياءٍ لذكراهم ولذكرى مآثرهم في مقاطع نثريّة يمكن أن نحاول إحياءَها، سيحتفظ بالمركز الثاني. إنّهم حازوا على جائزتهم بشكل مسبق، ولن أقول أيّ شيء أكثر مما قلته عنهم؛ لكن هناك مآثر أخرى نفيسة لم يُؤدِّها أي شاعر بكفاءَة، وما زال يلفّها النسيان. إنّني ملزمٌ في خلق تذكرة مشرّفة عن هذه المآثر، وسأناشد الآخرين أن يغنّوها في قصيدة من الشعر الغنائيّ أيضاً، وفي أغانٍ من نوعٍ آخر، وبأسلوبٍ لائقٍ بالممثّلين. وسأخبر بادىء ذي بدء، كيف أنّ الفرس، وهم أسياد آسيا، كانوا يستعبدون أوروبا، وكيف أنّ أبناء هذه الأرض، الذين كانوا أباءَنا، أوقفوهم عند حدِّهم وكبحوا جماحهم. سأتكلّم عن هذا أوّلاً، وأثني على بسالتهم كما يكون لائقاً ومناسباً. إنّ الذي سيقدرهم على نحو صحيح يجب أن يركّز تفكيره في ذلك الوقت، حينما كانت آسيا كلّها خاضعة لملك بلاد فارس الثالث. إنّ الملك الأوّل، سيروس، حرّر الفرس ببسالته، وهم كانوا مواطني بلده، واستعبد الميديّين الذين كانوا أسيادهم، ومن ثمّ سيطر على بقيّة آسيا، وإلى أبعد من حدود مصر. وأتى ولده بعده، الذي سيطر على الجزء الذي يمكن الوصول إليه من مصر وليبيا.

أمّا الملك الفارسيّ الثالث فهو داريوس الذي وسّع حدود أراضي الامبراطورية حتّى وصل إلى سكيثيا، وهو الذي ضبط البحر والجزر بأسطوله العظيم، ولم يتجرّأ أحد قطُّ على أن يكون مساوياً له. وكانت عقول كلّ الرجال مفتنّةً به - فإنّ الأمم التي أخضعتها قوّة الفرس هي عديدة وجبّارة ومولعة بالحرب. وبعدُ فإنّ داريوس اختلق نزاعاً معنا ومع الأريتيريين، إذْ قال، بأننا تآمرنا ضدّ سارديس، وأرسل خمسمائة ألف رجل في سفن نقل الجند والقوارب الحربيّة، وجهّز ثلاثمائة باخرة حربية، وكان يقود هذه الحملة الجنرال داتيس، وأخبره الملك بأن يحضر الأريتيريين والأثينيين إليه، إذا ما رغب في أن يبقي رأسه على كتفيه. أبحر هو باتّجاه الأريتيريين، الذين اشتهروا بأنّهم الأكثر محبّة للحرب من بين الهيلينيين في ذلك الوقت، وكانوا كثيري العدد، لكنّه أخضعهم جميعاً في أيام ثلاثة. وعندما تغلّب عليهم، ولكي لا يتمكن أحد منهم من الهرب، فتش البلاد كلّها بهذا الأسلوب: أتى جنوده إلى حدود أريتريا وانتشروا من البحر إلى البحر، شبكوا أيديهم معاً ومرّوا خلال البلاد كلّها، وذلك كي يمكنهم أن يكونوا قادرين على أن يخبروا الملك بأن لا أحد من السكان قد استطاع الهرب. ثم ذهبوا من أريتريا إلى ماراثون بقصدٍ مماثل، متوقّعين أن يقيّدوا الأثينيين في نير الضرورة عينه الذي أوثقوا فيه الأريتيريين. وبعدَ أن نفّذوا نصف غرضهم، كانوا جاهدين في محاولة أن ينفّذوا النصف الآخر، ولم يتجرّأ أحد من الهيلينيين على أن يساعد الأريتيريين أو الأثينيين حينها، ما عدا اللاقيدايمونيين، وهُمْ وصلوا بعد يومٍ من بدء المعركة؛ لكن الباقين كانوا مذعورين صامتين، وكانوا سعداء جداً لهروبهم من الحدث الجلل لبعض الوقت. ومَنْ يتجلَّ لعقله ذلك النزاع فسيعرف أيّ نوع من الرجال كان أولئك الذين تلقّوا الهجوم في ماراثون، وهُمْ الذين هذّبوا كبرياء أسيا كلّها، وعلّموا الرجال الآخرين بادىء ذي بدء

بالانتصار الذي أحرزوه على البربر، علّموهم أنّ القوّة الفارسيّة لم يكن صعباً قهرها، لكنّ ذلك الحشد من الرجال والكثرة من الأغنياء جنحوا إلى الاستبسال على قدم المساواة. وإنّني أؤكد بأنّ أولئك الرجال ليسوا آباءَنا فقط بل هُمُ آباء الحريّة وآباء حرّيّاتنا وحريّات الذين يقطنون على هذه القارّة كلها، لأنّ ذلك كان هو العمل الذي تذكّره الأثينيون الهيلينيون وتطلعوا إليه عندما غامروا في الحرب من أجل سلامتهم في المعارك التي استعر أوارها كنتيجة للغزو الفارسيّ: هُمُ أصبحوا رفاق الرجال في ماراثون. ولهم، ولهذا السبب، أخصّ تفوّقهم في البسالة في خطابي هذا. أمّا المكان الثاني فهو لأولئك الذين حاربوا وتغلّبوا على الفرس في معارك البحر في سالاميس وأرتيميسيام؛ ويمكن لأي إنسانٍ أن يقول عنهم أشياء كثيرة ـ عن الهجومات التي ثبتوا بوجهها من البحر والبرّ، وكيف أنّهم صدّوها وحطّموا عنفوانها. وسأذكر فقط فعلهم ذاك الذي يبدو لي أنّه العمل الأنبل، والذي تلا معركة ماراثون، وكان العمل الأقرب بعدها أنّ الرجال في ماراثون أبانوا للهيلينيّين فقط أنّ البربر يمكن أن يُصدُّوا ويُهزموا على الأرض، الكثرة بالقلّة؛ لكن لم يكن هناك برهان على استطاعة إلحاق الهزيمة بهم في البحر، حيث أنّ الفرس هنا ساد صيتهم. أنّهم لا يقهرون في التعداد والثروة والمهارة والقوّة. إنّ هذا المجد هو مجد الرجال الذين حاربوا في البحر، وهو أنّهم بدّدوا الرعب الثاني الذي تملّك الأثينيين حتى الآن وأزالوه. وهكذا فإنّ الخوف من التفوّق العدديّ، سواء في البواخر أو الرجال لم يعد له وجود. ولذلك فإنّ الجنود في ماراثون والبحّارة في سالاميس أصبحوا المدرّسين العسكريّين لهيلاس؛ قسم منهم عوّد الهيلينيّين وعلمهم على أن لا يخافوا البربر في البحر، والآخر أن لا يخشوهم في البرّ. أما معركة بلاطيا فهي تأتي ثالثةً في الترتيب، وذلك لشدّة بسالة المقاتلين، ولإنقاذ هيلاس. وبعدُ فإنّ

اللاقيدايمونيين اشتركوا في الكِفاح تماماً مثلما اشترك فيه الأثينيّون. كانوا كلّهم متّحدين في النزاع الذي هو أعظم وأفظع النزاعات جميعها؛ ومن أجل ذلك فإنّ فضائلهم ستُتذكَّر ويُحتفل بها في الأزمنة القادمة، مثلما نحتفل بها نحن الآن. لكن في فترة متأخّرة فإنّ العديد من المدن الهيلينية كانت لا تزال منحازة إلى البربر، وكان هناك تقرير بأنّ الملك العظيم استعدّ لتكرار محاولة غزوه للهيلينيّين. ولهذا السبب فإنّ العدل يتطلّب منّا وجوب التفكير دائماً بأولئك الذي توّجوا عمل إنقاذنا للبلاد وجهودنا السابقة، وشتّتوا كلّ البربر من البحر وأزالوهم. إنّ هؤلاء كانوا الرجال الذين حاربوا بجانب البحر في نهر اليوريميدون، والذين ذهبوا في الحملة على قبرص، وأبحروا إلى مصر واندفعوا إلى الأماكن الأخرى. وينبغي علينا أن نتذكّرهم مقرّين بجميلهم لأنّهم أجبروا الملك من خوفه على نفسه لأن يتطلّع لسلامته الخاصّة بدلاً من أن يتآمر على تدمير هيلاس.

وهكذا فإنّ الحرب ضدّ البربر حسمتها المدينةُ كلّها نهائياً وبالنيابة الخاصة عنها، ولأجل رجالها، ثمّ كان هناك سلام واحتفظت مدينتنا بالشرف. وعندئذ، بما أنّ الرخاء الاقتصاديّ يجعل الرجال غيارى، نجحت غيرتها هناك، والغيرة تسبّب الحسد، ولذلك فإنّها تورّطت في حرب مع الهيلينيّين ضدّ إرادتها. عند نشوب الحرب، فإنّ مواطنينا، بما أنهم يحاربون من أجل حريّة البويوتيين، نازلوا اللاقيدايمونيين في تاناجرا، لكنّ النتيجة كان مشكوكاً فيها، لكنّها قُرّرت بالاشتباك الذي تلا، إذ عندما غادر اللّاقيدايمونيّون أرض المعركة، تاركين الأنصار الذين ساعدوهم، فإنّ رجال بلادنا افتتحوا أوينوفيتا في اليوم الثالث بعد موقعة تاناجرا، وأعادوا بحقّ أولئك الذين كانوا قد أُبعدوا عن الوطن ظلماً وعدواناً. إنّهم كانوا الأوائل، بعد الحرب الفارسيّة، الذين حاربوا بالنيابة عن الحريّة في مساعدة الهيلينيّين ضدّ الهيلينيّين؛ وهُمْ

كانوا رجالاً بواسل، وحرَّروا أولئك الذين ساعدوهم. وكانوا الأوائل أيضاً الذين دُفنوا في هذا القبر بتكريم واحترام من الدولة. حدثت حربٌ طاحنة بعد ذلك، انضمَّ إليها كلّ الهيلينيين، ودُمرَّت فيها بلادنا. إنّ هذا الفعل لفعلٌ متَّسمٌ بالعقوق الفاضح. وبعدَ أن هزمهم رجال بلادنا في المواجهة البحريَّة أسروا قادتهم الإسبرطيين، في سافاجايا. وفي حين أمكنهم أن يدمِّروهم، إلا أنّهم أبقوا على أرواحهم وأعادوهم إلى بلدهم، وعقدوا سلاماً معهم، معتبرين أنّه يجب عليهم محاربة رجال بلدهم الرّفاق، إلى أن يحرزوا النصر عليهم فقط، ولم يدمِّروا مصالح هيلاس المشتركة بسبب الغضب الخاصّ للمدينة أما البربر فيجب أن يحاربونهم حتّى الموت. إنّهم لجديرون بالثناء هُمْ الذين شنُّوا هذه الحرب أيضاً، وهم هنا دُفِنوا؛ لأنّهم برهنوا، إذا كان أيّ شخص شاكّ في بسالة الأثينيين المتفوّقة في الحرب السابقة التي جرت مع البربر، برهنوا بعملهم المجيد أنّ شكوكهم ليس لها أيّ أساس ـ مبيّنين لهيلاس بانتصارهم في الحرب الأهليَّة، والتي أخضعوا فيها الدول الهيلينيَّة الرئيسيَّة، مبيّنين لها أنّهم يستطيعون من غير مساعدة أن يخضعوا أولئك الذين قد تحالفوا معهم في الحرب ضدّ البربر. تبعت هذه الأحداث حرب ثالثة بعد أن أُعلِن السلام، تلك الحرب غير المتوقّعة والرهيبة، والتي فقد فيها العديد من الرجال الشجعان أرواحهم ودُفنوا ـ والكثير منهم حازوا على النصر في جزيرة صقلية، حيث امتطوا أمواج البحار كي يحاربوا من أجل حريَّات الليونتيين، والذين ألزموا لهم أنفسهم بالأيامين؛ لكنّ المدينة كانت غير قادرة على مساعدتهم بسبب بُعد المسافة، وهم خسروا المعركة وانتابتهم المحن. إنّ أعداءَهم بالتحديد ومعارضيهم كان عندهم الكثير ليقولوه عنهم ثناءً على بسالتهم واعتدالهم أكثر مّما يقوله الأُصدقاء عادة. إنّ الكثيرين سقطوا في الاشتباكات التي دارت في هيليسبونت، بعد أن أسروا بواخر

الأعداء الحربيّة كلّها في يومٍ واحد، وهزموهم في النزالات البحريّة الأخرى. وما أسمّيه طبيعة الحرب غير المتوقّعة والرهيبة، هو أنّ الهيلينيين الآخرين، في حقدهم المفرط على المدينة، سيدخلون في مفاوضات مع ألدّ أعدائهم، أعني به ملك الفرس، الذي أخرجناه من بلادنا نحن وهم معاً مهزوماً مدحوراً - هُم أرجعوه إلى بلادنا بدوننا مرّة ثانية، وجعلوا البربر ضدّ الهيلينيين. كلّ الحشد الذي يخصّ الهيلينيين والبربر، كان متّحداً ضد مدينة أثينا. وحينئذ تألّقت قوّة مدينتنا وبسالتها. إفترض أعداؤها أنّ الحرب أنهكتها وأنّ قواتنا البحريّة كانت محاصرة في ميتلين، غير أن المواطنين أنفسهم ركبوا متن السفن، وتقدّموا إلى إنقاذ القوّة المحاصرة بستّين باخرة أخرى، واعترف كلّ الرجال ببسالتهم آنئذ، لأنّهم تغلّبوا على أعدائهم وأنقذوا أصدقاءَهم. وبرغم ذلك فإنّهم تُرِكوا بقَدَرٍ ما ليهلكوا في البحر، ولهذا السبب لم يُدفنوا هنا. هُم ستظلّ ذكراهم إلى الأبد وسيكرّمون، لأننا لم ننتصر بسبب بسالتهم فقط في معركة البحر، بل إنّهم هم الذين قرّروا مجرى الحرب ونتيجتها، وبسببهم نالت المدينة سمعتها على أنّها مدينة لا تُقهر. وبرغم ذلك فإنّ الجنس البشريّ كلّه هاجمهم. إنّ صيت المدينة هذا كان صيتاً حقيقيّاً، وما الهزيمة التي حلّت بنا إلاّ من خلال نزاعاتنا الخاصّة وبسببها نحن لم يهزمنا الآخرون قط، ولم نزل حتى اليوم غير مغلوبين، بل كنّا نحن قاهري أنفسنا، وقاسينا مرارة الهزيمة على أيدينا. بعد هذه المعارك كان هناك هدوء وسلام في الخارج؛ لكنّ نار الصراع تأججت في الداخل، وإنْ كان الرجال قد كُتبت عليهم الحرب الأهليّة، فلا أحد استطاع أن يرغب في أن تكون هذه المدينة قد كُتِبَ عليها أن تعاني الفوضى في شكل ألطف. كم هو بهيج وطبيعيّ، وكم هو غير متشابه ما توقّعته بقيّة هيلاس، إنّه كان إنهاء النزاع لأولئك الذين أتوا من البيرايوس وأولئك الذين جاؤوا من المدينة؛ بأيّ اعتدال

نظّموا الحرب ضدّ الطغاة في اليوسيس! وكان سببُ هذه اللطافة رابطةَ الدم الحقيقيّة التي خلقت بينهم صداقة كصداقة الأقرباء، صداقة صحيحة في المأثرة وليس في الكلام فقط. ويجب علينا نحن أن نتذكّر أولئك الذين سقطوا بيد بعضهم البعض حينئذ، وفي مناسبات كهذه يجب أن نصلح بينهم بالأضاحي والصلوات، « لأنّنا لا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك »، مصلّين لأولئك الذين يفوقونهم قوّة، كي يمكنهم أن يتوافقوا كما نكون نحن. فهُمْ لم يهاجم بعضهم بعضاً نتيجة الخبثِ أو تعمّد الأذى أو العدواة، بل لأنّهم كانوا قليلي الحظّ. وهكذا كانت الحقيقة التي شاهدناها بأنفسنا، نحن المتحدرين وإياهم من سلالة واحدة، وتلقّينا ومنحنا العفو لما فعلناه بشكل مشترك ولمَا قاسيناه. كان بعد هذا الذي حدث سلام كامل، وحازت المدينة الراحة؛ وكان شعورها أنّها صفحت عن البربر الذين قاست الأمرَّيْن على أيديهم بشكل عسير، وقابلت الأذى بمثله بشكل صارم. لكن سخطها كان منصباً على عقوق الهيلينيين، فذلك أنها تذكّرت كيف أنّهم تلقّوا الخير منها وبادلوها الشرّ، إذ أنّهم ضمُّوا جهودهم إلى جهود البربر، وجرّدوها من البواخر التي حفظت ممتلكاتهم من السقوط والهزيمة. لقد فكَّرتْ أنّها لن تدافع عن الهيلينيّين بعد اليوم، إذ ما استعبد بعضهم بعضاً أو استعبدهم البربر وفعلت طبقاً لذلك. كان هذا الشعور شعورنا، في حين أنّ اللاقيدايمونيين اعتقدوا أنّنا إذا سقطنا، ونحن أبطال الحرية، فإنّ عملهم كان مخطّطاً له كي يستعبدوا بقيّة الهيلينيّين. ولماذا يجب عليَّ أن أقول أكثر ممّا قلته؟ إنّ الأحداث التي أتكلّم عنها لم يمض عليها كثير وقت ونستطيع أن نتذكّر جميعاً كيف أنّ الشعوب الرئيسيّة لهيلاس كانت شعوباً يائسة، الأرغوسيين والبيوتيين والكورينثيين، نستطيع أن نتذكّر كيف أتوا ينشدون مساعدتنا. أما الأعجوبة الأكبر، فهي أنّ الملك الفارسي نفسه أُجبر على ضرورة كهذه كي

يغيّر رأيه، إذ أنّ إنقاذه سيأتي من هذه المدينة وليس من أيّة مدينة أخرى، وهي التي كان طموحه أن يبيدها.

وإذا رغب شخص بأن يسوق اتّهاماً ما تستحقّه مدينتنا، فإنّه سوف يجد اتّهاماً واحداً فقط يمكنه أن يلحّ عليه بعدل، وهو أنّ مدينتنا دائماً رحيمة جدّاً وواعدة جدّاً للجانب الأضعف. ولم تكن قادرة في هذا المثال على أن توقِف أو تحتفظ بقرارها رفض مساعدة مَن يؤذيها عندما يكونون مستعبدين، بل كانت تخفّف آلامهم. ولقد أرسلت لهم مساعدة في الواقع، وأنقذت الهيلينيين من نير العبوديّة، وكانوا أحراراً بعد ذلك في محاولتهم استعباد أنفسهم، في حين أنها رفضت أن تعطي مساعدة الدولة إلى الملك العظيم نفسه، لأنّها لا تقدر أن تنسى تذكارات ماراثون وسالاميس وبلاطايا. لكنّها سمحت للمنفيّين والمتطوّعين أن يساعدوه وكانوا هم منقذيه بقبول عامّ. إنّها هي نفسها دخلت الحرب عندما أُجبرت على ذلك، وبنت الأسوار والبواخر الحربيّة، وحاربت مع اللاقيدايمونيين بالنيابة عن الباريانيين. وبعدُ فإنّه لخوفه من مدينتنا ورغبته في أن يقف بمعزلٍ عنها، وعندما رأى أن اللاقيدايمونيّين يزدادون سأماً في حرب البحر، سألنا، كثمنٍ لتحالفه معنا ومع الحلفاء الآخرين، سألنا أن نتخلّى له عن الهيلينيّين في آسيا، والذين سلّمهم له اللاقيدايمونيّون فيما مضى، معتقداً أنّه إذا رفضنا هذا العرض، يمكنه أن يتظاهر بالتحوّل عنا حينئذ. لكنّه كان مخطئاً بشأن الحلفاء الآخرين، إذ أنّ الكورينثيين والأرغوسيين والبيوتونيين والدول الأخرى كانت مستعدّة تماماً لأن تدع الهيلينيين في آسيا يذهبون إليه، وأقسموا واتّفقوا على ذلك، إذا دفع لهم مالاً مقابل ذلك. وكنّا نحن الوحيدين الذين رفضنا التخلي عنهم، وأقسمنا الأيمان كتصميم على عزمنا لِمَا قلناه. هكذا كان النبل الطبيعي لهذه المدينة، وكانت نفسيّة الحريّة سليمة وصحيّة بيننا إلى هذا الحد. إنّ الفطريّين

لا يحبّون البرابرة، ونحن هيلينيون أنقياء، وليس لدينا أي اختلاط بهم. إنّنا لسنا مثل الكثرة الآخرين، المتحدّرين من بيلوبس أو قدموس أو أوداناوس المصريّ، وهؤلاء كلّهم برابرة بالطبيعة، ومع ذلك فإنّ الناس يحسبونهم هيلينيّين ويسكنون في أوساطنا. إنّنا كلّنا هيلينيون أصفياء، غير مشوبين بأيّ عنصر بربريّ، ولهذا السبب فإنّ طرائق الأجانب المملوءَة بالكراهية قد نفذت بشكل صِرْف إلى حياة المدينة الدمويّة. وهكذا عُزِلنا مرّة ثانية، لأنّنا لم نكن على استعداد لأن نكون مذنبين في عمل دنيء وعاقٍّ بالتخلي عن الهيلينيّين في آسيا وتركهم للبرابرة. وكنا نحن في الحالة عينها كما عندما كنا مخضَعين قبلاً، لكنّنا، بتأييد السّماء، أدرنا كلّ شيء بشكل أفضل، لأنّنا أنهينا الحرب بدون خسارة بواخرنا الحربية أو مستعمراتنا أو تدمير أسوارنا. إنّ العدو كان مسروراً جدّاً فقط بأن يكون في حِلٍّ منّا. ومع ذلك فإنّنا فقدنا في هذه الحرب العديد من الرجال الشجعان، هكذا كان أولئك الذين خرّوا صرعى في معركة كورينثي بسبب وعورة الأرض، أو بسبب الخيانة في الليخايوم. كان أولئك الرجال رجالاً شجعاناً أيضاً أنقذوا الملك الفارسيّ، وشتّتوا اللاقيدايمونيين في معارك البحر. إنّني أذكّرك بهم، ويجب عليك أن تمجّدهم وتحيي ذكراهم معي، وأن تؤدّي التكريم تخليداً لهم.

هذه هي أعمال الرجال الذين دُفنوا هنا، والرجال الآخرين الذين تُوفّوا من أجل أن تحيا بلادهم؛ إنّني تحدّثت عنهم بأشياء مجيدة ومتعدّدة، وما يزال لديّ أشياء أكثر تمجيداً من سابقاتها سأخبر عنها. لن تكفي أيام وليالٍ طوال كي أحكي عنها كلها. دعها لا تُنسى، ودع كلّ إنسان أن يذكّر أحفاده أنّهم هم جنود أيضاً، وهم الذين يجب عليهم أن لا يغادروا صفوف أسلافهم، أو أن يتخلّفوا عن غيرهم بسبب جبنهم. حتّى هكذا فإنّني أحضّكم هذا اليوم، وفي الزمن المستقبليّ كلّه، وسأستمرّ في تذكيركم

ونصحكم كلما التقيت أيّاً منكم، أوه يا أبناء الأبطال، وذلك كي تجاهدوا لتكونوا أشجع الرجال. وأعتقد بأنّه يجب عليَّ الآن أن أردِّد الرسالة التي رغب آباؤكم منّا أن نعطيها لكم وأنتم الذين من نجا منهم، عندما ذهبوا إلى المعركة، كي تحفظوها في حالة حدوث أيّ شيء لهم. إنّني سأخبركم ما سمعتهم يقولون، وما سيسرُّهم قوله، إذا كان لديهم كلام في ذلك. ويجب عليكم أن تتصوّروا أنّكم تسمعونهم قائلين ما أردّده لكم الآن:

« يا أبنائي، برهنت الأحداث أنّ آباءكم رجال شجعان إذ كان بإمكاننا أن نعيش بشكل مخزٍ، لكنّنا فضّلنا أن نموت بشرف بدلاً من أن نجلب العار لكم ولأطفالكم، وبدلاً من أن نلحق العار بآبائنا وأجدادنا؛ معتبرين أنّ الحياة ليست لشخصٍ وجودُه إهانةٌ لذريّته، وأنَّ الآلهة والرجال ليسوا صدوقين لشخصٍ كهذا، سواء أكان على الأرض أو بعد الموت في العالم السفليّ. تذكّروا كلماتنا، إذن، ودعوا الفضيلة تبلغكم هدفكم مهما يكن هدفنا وقصدنا، واعرفوا أنّ كلّ الممتلكات والملاحقات، بدون الفضيلة، مخزية وسيئة. إنّ الغنى لا يجلب الشرف لمالكه، إذا كان جباناً؛ وثروة شخص كهذا تخصّ الآخرين، ولا تخصّه أبداً. والجمال والقوّة في الجسم، عندما تكونان في رجل دنيء وجبان، لا يبدوان مناسبين، بل عكس ذلك، إنّهما يجعلان مالكهما أكثر وضوحاً، ويُظهران جبنه بجلاء. وكلّ المعارف، عندما تُفصل من العدل والفضيلة تبدو مكراً وليست حكمة؛ في حين أن عليكم أن تجعلوا هدفكم الأوّل والأخير والدائم والمستغرق انتباهكم، ليس أن تتفوّقوا علينا بالسمعة الحسنة فقط، إن أمكنكم ذلك، بل لتبزُّوا، في جميعها، كلّ أسلافكم. واعرفوا أنّه إذا تجاوزكم أحد في الفضيلة قطّ فهذا سيجلب لنا الخجل. لكن إنْ تخطيتموهم أنتم في ذلك فسيكون هذا ينبوع سعادتنا. وسنكون مهزومين على الأرجح، وستكونون أنتم المنتصرين في المباراة بشكل

محتمل، هذا إذا عرفتم كيف تنظِّمون حيواتكم كي لا تسيئوا إلى سمعة أسلافكم الحسنة ولا تضيعوها، عارفين أن لا شيء هو أكثر عاراً لإنسانٍ يحترم نفسه من أن لا يكون مكرّماً، ليس من أجل شخصه الخاصّ، بل بسبب سمعة أسلافه الجيّدة. إنّ تكريم الآباء هو كنز ثمين جميل ونبيل لأجيالهم القادمة كلّها، ولكي يكون لديكم كنز الغنى والشرف، ولكي لا تتركوا شيئاً لخلفائكم، إذ ليس لديكم مال ولا صيت ممّا يخصُّكم، فإنّ هذا سافل ومخزٍ بشكل مماثل. وإنْ أنتم اتبعتم مداركنا العقلية، فإنّنا سنتلقّاكم كأصدقاء، عندما تحضركم ساعة قدركم إلى هنا. لكنّكم إذا أهملتم كلماتنا وكنتم ممّن لحق بهم الخزي في حيواتهم، فلا أحد سيرحّب بكم أو يستقبلكم». هذه هي الرسالة التي ستوجّه إلى أطفالنا.

« بعضنا مازال آباؤهم وأمهاتهم أحياء. ونحن نريدكم أن تحثّوهم على تحمّل الفاجعة بسهولة قدر الإمكان، إنْ هي وقعت عليهم؛ لا تشاطروهم الأسى، لأنّ لديهم ما يكفيهم من الأحزان، ولن يحتاجوا لأيّ شخص كي يثيرها. نرغب منكم أن تواسوهم وتشفوا جراحهم، بتذكيرهم أنّ الآلهة سمعوا الجزء الرئيسيّ من صلواتهم؛ فهم لم يصلّوا ليمكن لأطفالهم أن يعيشوا إلى الأبد، بل كي يتمكّنوا من أن يكونوا شجعاناً وشهيرين، وإنّ هذا هو الخير الأكبر الذي نالوه. لا يمكن لإنسانٍ فانٍ أن يتوقّع امتلاك كلّ شيء في حياته، وأن يصبح كلّ شيء طبقاً لإرادته؛ وهم إذا تحمّلوا بلاياهم بشجاعة، سيُعتبرون آباءً شجعان بحقّ لأبناء بواسل بصدق. لكنّهم إذا أفسحوا مجالاً لأحزانهم كي تتمكّن منهم، فإمّا سيُشتبه بأنّهم ليسوا آباءنا، أو أنّنا لسنا مثلما يعلن مادحونا. لا تَدَعُوا هذين الخيارين الاثنين يحدثان، لكن دعوهم بالأحرى أن يكونوا مادحينا الحقيقيّين والرئيسيين، الذين يبيّنون في حياتهم أنهم رجالٌ صادقون. يبدو أنّ القول القديم، « لا شيء كثيراً جداً »، يبدو أنّه موجود،

وأنه وجد حقّاً، وقيل عن حق. عندما يبقى كلّ ذلك الذي يحتاجه إنسان لسعادته، أو كلّه تقريباً، وعندما لا يكون الإنسان متروكاً في ترقّبٍ قَلِقٍ على الرجال الآخرين، أو متغيّرٍ مع تقلّب خطّهم، فإنّ هذا الإنسان يعيش حياة منظّمة نحو الأفضل. إنّه الإنسان المعتدل والشجاع والحكيم، وعندما تأتي ثرواته وتذهب، وعندما يرزق بأطفال أو يفقدهم، عند كل هذا، فإنّه سيذكر المثل القائل: « لا تبتهج ولا تحزن أكثر ممّا ينبغي »، لأنه إن فعل ذلك فهو يعتمد على نفسه. هكذا نريد نحن أن يكون آباؤنا، ونعتقد بأنّهم كما نريد. ونحن نقدّم أنفسنا الآن، غير مستائين أو خائفين أكثر ممّا يلزم، إن كان مقدّراً لنا أن نموت في هذا الوقت. ونستعطف آباءَنا وأمّهاتنا أن يستبقوا على هذا الشعور خلال حياتهم المستقبليّة، وليكونوا متأكّدين من أنّهم بحزنهم ونواحهم لن يجعلونا مسرورين. لكن إذا كان لدى المتوفّين أيّة معرفة عن الأحياء، فإنّهم سيثيرون استياءَنا الأكثر بجعل أنفسنا تعساء وبإدخال محنهم ومآسيهم إلى قلوبهم بشكل كثير جداً. وستسرّنا بالشكل الأكثر إنْ هُمْ تحمّلوا ما فقدوه بسهولة ولطف واعتدال. إنّ حياتنا ستمتلك النهاية الأنبل المجازة لإنسان، ويلزمها أن تكون نهاية ممجّدَة بدل أن تكون نهاية يملأها النحيب. وإذا وجّهوا عقولهم للعناية بزوجاتنا وأطفالنا، وتنشئتهم فإنّهم سينسون تعاستهم وبلاياهم بأقرب فرصة، ويعيشون بطريقة أفضل وأنبل، ونحن نقبلها بشكل مضاعف.

« إنّ هذا هو ما يلزم أن نقوله لعائلاتنا. ولكي نقرّر ذلك علينا أن نقول: إعتنوا بآبائنا وأبنائنا، عزّزوا المتقدّمين في السنّ من آبائنا باستحقاق، وربُّوا أبناءَكم في الطريق الصحيح. لكنّنا نعرف بأنّ عائلاتنا ستعتني بهم من غير إكراه، ولا تحتاج لأيّ حضٍّ أو نصحٍ منّا ».

هذه هي رسالة المتوفين يا أيها الأبناء والآباء، التي أمرونا أن نبلغكم إياها،

والتي أُطلقها بأقصى جديّة. إنّني ألتمس منكم باسمهم، باسم الأطفال، أن تقلّدوا آباءكم. وأنتم أيّها الآباء أن تبتهجوا جيداً بشأن أنفسكم؛ لأنّنا نحن سوف نعضد أعماركم، ونعتني بكم في الحياة العامّة والخاصّة كليهما وفي أيّ مكان يمكن لأيّ شخصٍ منا أن يقابل واحداً من آباء المتوفّين. أمّا الرعاية التي تظهرها المدينة، فأنتم تعرفونها بأنفسكم؛ إنّها أوجدت تدبيراً احتياطيّاً بالقانون فيما يخصّ آباء وأطفال أولئك الذين يتوفون في الحرب. إنّ السلطة الأعلى مؤتمنة على وجوب المراقبة فوق كلّ المواطنين الآخرين بشكل خاصّ، وهُم سيُرون أنّ الآباء والأمّهات لن يخطئء أحدٌ بحقّهم. تشارك المدينة نفسها في تعليم الأطفال، متمنّيةً وراغبة قدر الإمكان أن لا يشعروا باليُتم، وهي ستكون الأب والأمّ لهم ما داموا أطفالاً، وعند وصولهم إلى مرحلة الرجولة فإنّ المدينة تنظّمهم في تسليح كامل وترسلهم للمطالبة بما هو واجب الأداء وتذكّرهم بالطرائق التي اتّبعها آباؤهم بشكل جديد، ومن ثمّ تضع بين أيديهم الوسائل لحفظ فضائل آبائهم. وإكراماً للفأل بالخير، فإنّها ستريد منهم أن يبدؤوا، قبل كلّ شيء، بحكم بيوتهم الخاصّة منظّمين من حيث القوّة الجسديّة ومتمنطقين بسلاح آبائهم. وكما أنّها لم تنقطع عن تكريم وتبجيل المتوفّين، محتفلة بشعائرهم وطقوسهم الدينية كلّ سنة، وهي شعائر وطقوس يشترك الجميع فيها وتصبح ملكاً لكلّ فرد. بالإضافة إلى هذا، فإنّ المدينة تقيم المباريات الرياضيّة وألعاب الفروسيّة، وكذلك تحيي المهرجانات الموسيقية من كلّ نوع. إنّها بالنسبة للمتوفّين بمثابة إبن ووريث، ولأبنائهم بمثابة الأب، ولآبائهم المسنّين بمنزلة الوصيّ - راعيةً إياهم ومعتنية بهم دائماً وأبداً. آخذين بعين الاعتبار كلّ هذا، فما يجب عليكم إلاّ أن تتحمّلوا كارثتكم بلطف أكثر لأنّكم إن فعلتم ذلك فستكونون محبين أكثر للمتوفين، وللأحياء أيضاً، وستُشفون بالشكل الأكثر سهولة وستبرؤون. وبعدُ

فإنّكم إذا انتحبتم أنتم وانتحب الجميع على الموتى في شكل عامّ طبقاً للقانون، فاذهبوا في سبيلكم.

إنّك سمعت، يا مينيكسينوس، خطاب أسباسيا الميليسيَّة.

مينيكسينوس: حقّاً، يا سقراط، إنّني معجب بأسباسيا تلك، التي مع أنّها امرأة فقط، استطاعت أن تؤلّف خطاباً كهذا؛ يجب أن تكون تلك المرأة امرأة نادرة.

سقراط: حسناً، إنْ كنتَ ميّالاً إلى الشكّ في ذلك، فيمكنك أن تأتي معي لتسمعها بنفسك.

مينيكسينوس: إنّني قابلت أسباسيا غالباً، يا سقراط، وأعرفها كيف هي.

سقراط: حسناً، ألست معجباً بها، ألست مقرّاً بجميلها لهذا الخطاب الرائع؟

مينيكسينوس: نعم، يا سقراط، إنّني مقرّ بجميلها أو بجميل الشخص الذي نقله إليك أيّاً كان ذلك الشخص، وإنّي لشاكر أيضاً الشخص الذي ألقاه على مسمعي، شاكراً له هذا ولكثير غيره.

سقراط: جيد جداً. لكن يجب عليك أن تكون حذراً وأن لا تُغرِّرَ بي؛ وبعدئذ فإنّني سأردِّد لك في وقت مستقبلي العديد من خطبها السياسية الممتازة الأخرى.

مينيكسينوس: لا تخف، دعني أسمعها فقط، وإنّني سأحفظ السرّ.

سقراط: إذن، فإنّني سأحافظ على وعدي لك.

محاورة كريشياس

اشخاص المحاورة

كريشياس هيرموكرايتس
طيماوس سقراط

طيماوس: ما أسعدني، يا سقراط، لأنّني وصلت إلى هنا أخيراً، ويمكنني أن أرتاح الآن بعد رحلة طويلة، كما يرتاح المسافر التَعِب! وأصلّي لله، الذي وُجد منذ بدء الزمن، والذي قد كشف ما بي الآن، إليه أصلّي كي يمنح كلماتي إمكانية البقاء بقدر ما قبلت بحقّ وبقدر ما هي مقبولة له. لكن إنْ قلت أيّ شيء خطأ عن غير قصد، فإنّني أصلّي ليفرض عليّ عقوبة عادلة، والجزاء العادل للّذي لا يخطىء هو أنّه يجب أن يوجّه توجيهاً صحيحاً. وبما أنّني أرغب أن أتكلّم بصدق في المستقبل فيما يخصّ نشوء الآلهة، فإنني أصلّي له أن يعطيني المعرفة التي هي الأكمل والأفضل من كلّ الأدوية. وبعدُ ما دمتُ قد قدّمت إليه صلاتي، فإنّني أوجّه محاورتي إلى كريشياس الذي سيتكلّم بعد ذلك مباشرة حسب اتفاقنا[٥٣].

كريشياس: وأنا أقبل هذه الثقة، يا طيماوس، وكما قلت أنت، بادىء ذي بدء، بأنّك كنت ذاهباً لتتكلّم عن مسائل سامية، وتوسّلت أنّ بعض الصّبر يمكن أن يبيّن لك، وأنا أسأل أيضاً عن الصبر عينه أو عن شيء أكبر منه، وهو ما أنا على وشك أن أقوله. وبرغم أني أعرف جيّداً بأنّ طلبي يمكن أن يكون طلباً طموحاً وجافّاً إلى حدّ ما، لكن يجب أن أقدّمه مع ذلك. وهل يمكن لأيّ إنسان ذي إدراك أن ينكر بأنّك تكلّمت جيّداً؟ أستطيع المحاولة لأظهر

بأنّه يلزمني أن تكون لديَّ مهلة أكثر ممّا لديك، لأنّ الموضوع الذي سأتناوله هو موضوع أكثر صعوبة. وإنّي سأحاور لأبدو متكلّما مفوّهاً للرجال عن الآلهة، وهذا أسهل بيعيد من الحديث جيّداً عن الرجال للرجال لأنّ قلّة الخبرة والجهل المطبق لمستمعيه بشأن أيّ موضوع هما مساعدان كبيران للّذي عليه أن يتحدّث عنه، ونعرف كم نحن جهلة فيما يخصُّ الآلهة. لكنّني سأحبّ أن أجعل معناي أوضح، إذا ما تابعتني. إنّ كلّ الذي قاله أيّ واحد منّا يمكن أن يكون تقليداً وتصويراً فقط. وإذا تأمّلنا شبه الأجسام الإلهية والإنسانيّة، والدرجات المختلفة للتشابه الذي يحتاجه المشاهد من الرسّام اليدوي طبقاً لصعوبة عمله الشاقّ، إذا تأمّلنا ذلك مليّاً، فسنرى أنّنا نقنع بالفنّان القادر على أن يقلّد الأرض وجبالها إذا رسمها وبأيّة درجة فعل ذلك، وكذلك إنْ رسم الأنهار، والأخشاب، والعالم، والأشياء الموجودة والمتحرّكة في ذلك المكان. وأبعد من ذلك، بما أنّنا لا نعرف شيئاً دقيقاً بشأن مسائل كهذه فنحن لا نتفحص ولا نحلّل الرسم هذا. إنّ كلّ الذي يُحتاج له ليس إلاّ نوعاً من أنواع الغموض، وأسلوباً خادعاً لتتبّع هذه المسائل. لكن عندما يحاول شخص أن يرسم الشكل الإنسانيّ نكتشف نحن الخلل فيه بسرعة، وتجعلنا معرفتنا المألوفة قضاةً صارمين على أيّ شخص لا يرسم أيّة خاصيّة من خواصّ التشابه. ويمكننا أن نلاحظ الشيء عينه أنّه يحدث في المحادثة؛ نكون نحن مقتنعين بصورة إلهية وبالأشياء السماوية التي لها شبه صغير جدّاً بها، لكنّنا نكون أكثر دقّة في نقدنا للأشياء الإنسانيّة الفانية. وهكذا إنْ لم أستطع أن أعبّر عن معناي في هذه اللحظة من لحظات الكلام، فيلزمك أن تعذرني، آخذين بعين الاعتبار أنّ تشكيل تشبيهات مستحسنة للأشياء الإنسانيّة هو عكس السهل. هذا هو ما أريد أن أقوله وأقترحه عليك، وأن أستعطفك في الوقت عينه، يا سقراط، أن أُمنح

مهلة أطول لأقول ما أنا على وشك أن أتحدّث بشأنه. وإنّني آمل منك أن تكون مستعدّاً لتهب لي هذا المعروف، إنْ كنتُ محقّاً في طلبي هذا.

سقراط: إنّنا سنمنحك طلبك بالتأكيد، يا كريشياس، وإنّنا سنهب الشيء عينه لهيرموكرايتس بشكل متوقّع، تماما كما أنّنا سنخوّلك وطيماوس هذا الشأن؛ ليس لديَّ شكٌّ بأنّه عندما يأتي دوره بعد فترة ليست ببعيدة، فإنّه سيتقدّم بالطلب عينه الذي تقدّمت أنت به. إذن ولكي يمكنه أن يجهّز نفسه ببداية حيّة، ولئلاّ يُجبر على أن يقول الأشياء عينها مرّات ومرّات، دعه يفهم أنّ المهلة المعطاة له مُدِّدت سلفاً وبشكل مسبق. والآن، يا صديقي كريشياس، فإنّي سأعلن لك حكم الحاضرين. هم يرون أنّ المؤلّف الأخير كان ناجحاً بشكل رائع، وأنّك سوف تحتاج أنت إلى مهلة ذات مقدارٍ كبير من الوقت قبل أن تصبح قادراً على أن تملأ مكانه.

هيرموكرايتس: إنّ الإنذار، يا سقراط، الذي وجهته إليه، يجب أن آخذه لنفسي أيضاً. لكن تذكّر، يا كريشياس، أنّ القلب الضعيف المتردّد لم يرفع ميدالية حتّى الآن قطّ؛ ولهذا السبب يجب عليك أن تذهب وتشرع في المحاورة كالرجل. تضرّع إلى أبوللو، أوّلاً، ومن ثم إلى آلهات الشعر، ودعنا بعدئذ نسمعك تعلن الثناءات وتبيِّن الفضائل لمواطني بلدك القدامى.

كريشياس: يا صديقي، هيرموكرايتس، أنت يا من جلست أخيراً وبقربك رجل آخر جالس أمامك، ألم تهن عزيمتك لحدّ الآن؟ إنّ ثقل الحالة سوف يُكشف لك قريباً، وإنّي أقبل حضّك وعظتك وتشجيعك في غضون ذلك. لكن مع توسّلي إلى الآلهة والآهات التي ذكرت، سأتوسّل بشكل خاصّ إلى إلهة التذكّر. إنّ كلّ الجزء المهمّ من محادثتي يعتمد على تأييدها ورعايتها؛ وإذا استطعت أن أتذكّر وأروي الكفاية ممّا قاله الكهنة وأحضره صولون إلى هنا، فإنّني لا أشكّ بأنّي سأقنع الحاضرين بما يتطلّبون. وبعدُ، فإنّي سأتقدّم، ولن أخلق أعذاراً أكثر من ذلك.

دعوني أبدأ بإبداء ملاحظة قبل كلّ شيء. تسعة آلاف سنة مضت، هي مجموع السنين التي انصرمت منذ الحرب التي قيل إنّها حدثت واستعر أوارَها بين أولئك الذين سكنوا خارج أعمدة هرقل وجميع الذين قطنوا داخلها؛ وإنّي في سبيلي لأصف هذه الحرب. لقد أُعلنت مدينة أثينا أنّها قائدة المحاربين على هذا الجانب وحسمت أمر الصراع بالحرب، أمّا المحاربون على الجانب الآخر فكانوا ملوك أطلنتيس الذين يصدرون الأمر لقادتهم. تلك الجزيرة التي وجدت مرّة، كما قلت، والتي كان امتدادها أكبر من امتداد ليبيا وآسيا، وأصبحت بعد أن أغرقها الزلزال حاجزاً من الوحل يتعذّر اجتيازه على أولئك الذين يقومون بالرحلات من هناك، ويحاولون اجتياز المحيط الذي يقع ما وراءَه. إنَّ تقدّم التاريخ سيكشف عن أمم البربر المتعددة والعائلات الهيلينية التي وجدت يومها، كما تظهر على المسرح بالتتابع؛ لكنّني يجب أن أصف قبل كلّ شيء أثينيّي ذلك اليوم، وأصف أعداءهم الذين نازلوهم في المعارك، وكذلك القوى الشخصيّة وحكومَتَي المملكتين الإثنتين بعدئذ.

في الأيّام السالفة، وزع الآلهة الأرض كلّها بينهم بالتحصيص. لم يكن هناك نزاع؛ إنّك لا تستطيع حقّاً أن تفترض أنّ الآلهة لم يعرفوا ما كان مناسباً امتلاكه لكلّ منهم، أو لم يعرفوا هذا، فإنّهم سيحاولون أن يحصلوا لأنفسهم على ذلك الذي يخصّ الآخرين بالنزاع أو التنافس بأكثر ما يناسبهم. هُم جميعاً حصلوا على ما يريدون بالتقسيم العادل، وأهّلوا مناطقهم الخاصّة؛ وعندما جعلوها عامرة بالسكان فإنّهم عُنوا بنا نحن، بصغارهم وبما يملكون، مثلما يعتني الرّعاة بقطيعهم، عدا أنهم لم يستعملوا الضرب أو القوّة الجسدية فقط، بل إنّهم حكمونا مثلما يدير القباطنة مقود السفينة. وهذه طريقة سهلة لإرشاد الحيوانات، ممسكين أرواحنا بضابط

الإقناع طبقاً لمسرّتهم الخاصّة. وهكذا هُم هُدوا المخلوقات الفانية كلّها. وبعدُ فإنّ الآلهة المختلفة كان لهم حصص في الأماكن المتباينة التي وضعوها في نظام. إنّ هيفياستوس وأثينا، اللذين كانا أخاً وأختاً، وتحدّرا من الأب نفسه، لديهما طبيعة مشتركة، وكونهما متّحدَين في حبّ الفلسفة والفنّ أيضاً، حصل كلاهما على هذه القطعة المشتركة من الأرض والتي كانت مهيّأة للحكمة والفضيلة بشكل طبيعيّ. لقد غرسا هناك أطفالاً شجعان من الأرض، ووضعا في عقولهم نظام الحكومة؛ وكانت أسماؤهم محفوظة، لكنّ أعمالهم اختفت بسبب تدمير أولئك الذين تلقّوا العرف أو العادة، وبانقضاء الأجيال. إذ عندما نجا العديد من الناس، كما قلت قبل الآن، كان هؤلاء الناجون هم الذين اتّخذوا من الجبال سكناً لهم؛ وكانوا جهلة بفنّ الكتابة، وسمعوا بأسماء رؤساء الأرض فقط، لكنّهم قليلاً ما سمعوا بشأن أعمالهم. إنّ الأسماء تلك كانوا على استعدادٍ كافٍ ليطلقوها على أطفالهم؛ لكنّهم عرفوا فضائل وقوانين من سبقهم بالعادات الغامضة فقط. وبما أنّهم وأطفالهم كانت تعوزهم ضرورات الحياة لأجيالٍ عدّة، فإنّهم وجّهوا اهتمامهم لتجهيز ما يحتاجون إليه، وعنها تحدّثوا، وأهملوا الأحداث التي وقعت في الأزمنة التي طواها الماضي؛ ذلك لأنّ علم الأساطير والتحقيق في العصور القديمة وجد طريقه إلى مصاحبة الترف والرخاء عندما يرون أنّ بعض مواطنيهم قد أمدّوا أنفسهم بضرورات الحياة، لكن ليس قبل ذلك. وهذا هو السبب الذي من أجله قد تمّ صون أسماء القدماء لنا ولكن لم تُحفظ أعمالهم. أستنتج هذا لأنّ صولون قال إنّ الكهنة ذكروا في قصّتهم عن تلك الحرب أكثر الأسماء التي سُجّلت قبل زمن تيسيوس. ذكروا أسماء مثل إسم سيكروبس، ايريخيثيوس، اريختونيوس، وارسيختون؛ وذكروا أسماء النساء في شكلٍ مماثل كذلك. بالإضافة إلى هذا، بما أنّ الملاحقات العسكريّة كان يشترك فيها

الرجال والنساء، فإنّ الرجال في تلك الأيّام، وفي تطابق مع العرف في ذلك العصر، أقاموا تمثالاً ونصباً للآلهة في تمنطقهم بالسلاح الكامل، لتكون شهادة على أنّ كل الحيوانات التي تجتمع معاً، الذكور مثل الإناث، يمكنها إذا رغبت، أن تمارس الامتياز الذي هو امتياز نموذجي لنوعهم بشكل مشترك.

وبعدُ فإنّ البلاد كانت تسكنها طبقات متعدّدة من المواطنين في تلك الأيام. كان هناك الصنّاع الماهرون، والمزارعون، وكانت هناك طبقة من المحاربين أيضاً إدَّخرها في الأصل رجال إلهيّون. وقطن الآخرون بأنفسهم، وامتلكوا كلّ الأشياء التي تخصّ التربية والتعليم؛ ولم يكن لدى أيّ واحد منهم أيّ شيء يخصّه، بل اعتبروا كلّ الذي حازوا عليه وكأنه ملكيّة مشتركة. ولم يطالبوا أن يتلقّوا من المواطنين الآخرين أيّ شيء أكثر من غذائهم الضروريّ: لقد زاولوا الملاحقات كلّها التي وصفناها البارحة كتلك التي تخصّ حماتنا المتصوَّرين، وأمّا فيما يخصّ البلاد فلقد قال الكهنة المصريّون ما لا يكون محتملاً فقط بل ما يكون حقيقيّاً بشكل جليّ، وهو أنّ الحدود كانت معيَّنةً في البرزخ في تلك الأيّام، وأنّها امتدت في اتّجاه القارّة إلى ما بعد مرتفعات سيثايرون والبارنيس؛ ونزل خطّ الحدود في اتّجاه البحر، شاملاً منطقة أوربوس باتّجاه اليمين، وكان الحدّ الفاصل ناحية اليسار نهر أسوبوس. إنّ تلك الأرض كانت الأفضل في العالم، ولهذا السبب فإنّها كانت قادرة على دعم جيش ضخم، معفيّ من العمل في الأرض هذه. حتى أنّ بقيّة أتيكا الموجودة الآن يمكن مقارنتها بأيّة مقاطعة في العالم لتنوّع وامتياز فواكهها ولمناسبة مراعيها لكلّ نوع من أنواع الحيوان. كيف سأتمكّن من أن أبرهن عما أقول؟ وبأيّة وجهة نظر يمكن أن تُسمَّى تلك البقعة من الأرض التي كانت آنئذ؟ إنّ البلاد كلّها هي نتوء طويل من اليابسة فقط، ممتدٌّ إلى مسافة

بعيدة في البحر وبعيدة عن بقية القارّة، في حين أنّ البحر المحيط عميقٌ في كلّ مكان على الشاطىء المجاور. حدث العديد من الطوفانات خلال هذه السنوات التسعة آلاف، لأنّ هذا هو عدد السنين التي انقضت على الزمن الذي أتحدّث عنه؛ ولم يوجد أثناء ذلك الزمن كلّه قطّ، وخلال العديد من المتغيّرات التي وقعت، لم يوجد أيّ تراكم هامّ للتربة التي تنحدر من الجبال، كما يحدث في الأماكن الأخرى. لكنّ التربة هذه سقطت من كلّ اتّجاه وغرقت ولم يُرَ لها أثر. والنتيجة، أنّ هناك بقايا عظام الجسم المتهدم فقط في المقارنة التي كانت عندئذ، مثلما هي الحالة في الجزر الصغيرة. فإنّ كلّ الأجزاء الأغنى والأنعم من التربة فسدت، والهيكليّة المجرّدة للأرض تُركت. لكن في حالةِ البلاد البدائيّة، فإنّ جبالها كانت قمماً عالية مغطاة بالتراب، وأمّا سهول فيليوس، كما أسميناها، فكانت ممتلئة بالأرض الغنية المعطاء، وكانت الجبال مغطّاة بوفرة كبيرة من الأشجار للأخشاب. ولا تزال آثار الأخيرة باقية، إذ مع أنّ بعض الجبال تقدّم الآن قوتاً للنّحل فقط، فإنّه لا تزال هناك، ليس منذ زمن طويل جدّاً، قممٌ كثيفة الغابات قُطِعت منها أخشاب تنمو هناك، وكانت من الضخامة بحيث تغطّي أكبر سقوف البيوت. ووجدت الأشجار العديدة السّامقة الأخرى، التي تمّ غرسها وحملت الغذاء الوافر للقطعان. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الأرض جنت المنفعة من سقوط الأمطار السنويّة، وليس كما هي الآن فاقدة الماء الذي ينهمر تاركاً الأرض الجرداء، ذاهباً إلى البحر، بل كان لديها إمدادات غزيرة في كلّ مكان، وكانت تختزن الماء في التربة الصلصاليّة القريبة، ومن ثمّ تطلقه في التجاويف والجداول الّتي امتصّته من القمم، موفّرة لكلّ مكان نوافير غزيرة من المياه وأنهاراً متدفّقة، والتي لا تزال مراقبتها ممكنة حيث أقيمت التماثيل المقدّسة في الأماكن التي وُجدت النافورات فيها. وهذا يثبت حقيقة ما أقول.

هكذا كانت حالة البلاد الطبيعيّة التي حُرِثت أرضها، كما يمكننا أن نعتقد جيداً، وأشرف على حراثتها مزارعون حقيقيون، جعلوا من الزراعة عملاً لهم، وكانوا محبوبين ومكرَّمين، وذوي طبيعة نبيلة، وكان لديهم التربة الأفضل في العالم، وغزارة من المياه، وعالياً، في السماء، مناخ معتدل بشكلٍ ممتاز. وبعدُ فإنّ المدينة كانت مرتّبة على هذا النحو في تلك الأيّام. ففي تلك الأيّام لم تكن الأكروبوليس « قلعة أثينا » كما هي الآن. والحقيقة هي أنّ الأمطار الزائدة أزالت التربة في ليلة واحدة وتركت الصخور المعرَّاة مكانها؛ وحدثت زلازل في الوقت عينه، ووقع الغمر أو الإغراق غير العادي بعدئذ، الذي كان الطوفان الثالث قبل الدمار الكبير الذي حلَّ بديكاليون. لكنّ قمّة الأكروبوليس امتدَّت في الأزمان البدائية إلى الأريدانوس والأيليسيوس، وشملت البنيكس من جهة، والليكابتيوس كتخم على جهة البنيكس المقابلة، وكانت كلّها مغطّاة بالتربة، وسوِّيت بأعلى قمة في المكان، ما عدا مكانٍ واحد أو مكانين. وسكن الحرفيُّون خارج الأكروبوليس وتحت جهات القمة. وهكذا كانت حالة المزارعين الذين يحرثون الأرض بالقرب من المكان. أمّا الطبقة المحاربة فقد سكنت حول معابد أثينا وهيفياستوس على القمّة، تلك الطبقة التي فعلت أكثر من ذلك عندما طوَّقت وحصرت نفسها بسياج مفرد مثلما تُسيَّج جُنينة البيت الواحد. وسكنوا هم على الجانب الشماليّ بشكل مشترك، وأقاموا قاعات الاجتماع الكبيرة وحجرات الأكل للشتاء، وكان لديهم كلّ الأبنية التي احتاجوها لحياتهم المشتركة، بجانب المعابد. لكنّهم لم يُحلُّوا أجسادهم بالذهب والفضّة لأنّهم لم يستعملوها لأيّ غرض؛ وهم سلكوا الطريقة الوسطى بين المنّة والتفاخر أو المباهاة، وبنوا البيوت المتواضعة التي تربّى فيها أولادهم وأحفادهم إلى سنٍ متقدّمة، وسلّموها إلى الآخرين الذين كانوا يشبهونهم، وكان الشيء عينه متَّبعاً على

الدوام. لكنّهم تركوا جنائنهم وألعابهم الرياضيّة وحجرات الأكل في فصل الصيف، واستعملوا الجهة الجنوبيّة من القمّة للغرض عينه. وهناك ينبوع ماء حيث هو الاكروبوليس الآن، والذي عطّله الزلزال، ولم يترك منه سوى جداول صغيرة لا تزال موجودة في المنطقة المجاورة. لكنّ الينبوع المائي هذا في تلك الأيّام أعطى مدداً غزيراً من الحياة للجميع، وكانت حرارته مناسبة في فصلي الصيف والشتاء. هكذا كانت طريقة سكنهم، كونهم حماة مواطنيهم الذين يخصّونهم وكانوا قادة الهيلينيّين بالعدد عينه من الرجال والنساء خلال الزمن كلّه، كونه العدد الذي يقدرون بواسطته على إنجاز الخدمة العسكريّة بشكل مسبق، أو الذي لا يزالون ينجزونها به ـ بمعنى، أنّ العدد هو حوالى العشرين ألفاً. هكذا كان الأثينيون الغابرون، وعلى غرار هذا الأسلوب أداروا مدينتهم وأرضهم على نحو صحيح، وكذلك فعلوا ببقية هيلاس. لقد كانوا يفوقون كلّ أوربا وآسيا بجمال أشخاصهم وبفضائل أرواحهم المتعددة، وكانوا هم الأكثر ألمعيّةً من كلّ الرجال الذين عاشوا في تلك الأيّام. وبعد ذلك، إنْ لم أنسَ ما سمعته حينما كنت طفلاً، فإنّني سأنقل لكم أخلاق وأصل أخصامهم. إنّ الأصدقاء يجب عليهم أن لا يحتفظوا بالقصص لأنفسهم، بل ينبغي أن تكون مُلْكاً مشتركاً.

ومع ذلك، وقبل أن أتقدّم أبعد من ذلك في سرد القصّة، يلزمني أن أحذّركم، بأنّه يجب عليكم أن تسمعوا بأسماءٍ هيلينية أُطلقت على الغرباء. سأخبركم سبب هذا: إنّ صولون، الذي قصد أن يستعمل القصّة لقصيدته، حقّق في معنى الأسماء، ووجد أنّ المصريّين المتأخّرين ترجموها إلى لغتهم الخاصّة حين تسجيلها، واستعادوا معنى الأسماء المتعدّدة عند نسخها ثم ترجموها إلى لغتنا مرّة ثانية. إنّ أجدادي لديهم الكتابة الأصلية لها، والتي لا تزال في ملكيّتي وعهدتي، وقمت بدرسها بعناية عندما كنت طفلاً.

ولذلك إنْ سمعتم بأسماء كتلك التي تُستعمل في هذه البلاد، فما عليكم أن تنشدهوا، لأنّني أُخبِرت كيف وضعت قيد الاستعمال. إنّ القصة، التي تعرّضت لتطويل كبير، ابتدأت كما يلي:

إنني علّقت قبلاً بالكلام غن توزيع الحصص للآلهة، وهو أنّهم قسّموا الأرض كلّها إلى أجزاء مختلفة الاتّساع، وأقاموا لأنفسهم معابد ودشّنوها بالأضاحي، وأنجب بوسايدون الأطفال بواسطة امرأة بشريّة، متلقياً قطعة أرض كي تكون ملكه وهي جزيرة أطلانتيس، وأسكنهم في جزء من الجزيرة هذه، والتي سأصفها. كان هناك سهل باتّجاه البحر، في نقطةٍ وسطٍ نزولاً بطول الجزيرة كلها، والذي قيل عنه إنّه أجمل السهول وأكثرها خصباً. وبقرب السهل، وفي وسط الجزيرة أيضاً لمسافة حوالى خمسين ستاديا، كان هناك جبلٌ لم يكن عالياً في أيّة جهة من جهاته. سكن في هذا الجبل واحد من رجال تلك البلاد البدائيّين الفانين، كان اسمه إيفينور، وكان له زوجة إسمها ليوسيبي، وكان لهما ابنة فقط كان اسمها كلايتو. وصلت العذراء هذه إلى الصّفة النسويّة في ذلك الحين، عندما توفّي أبوها وأمّها. وقع بوسايدون في حبّها وضاجعها، وخرق الأرض ثم طوّق القّمة التي سكنت فيها من كلّ جانب، جاعلاً مناطق من البحر والأرض أكبر وأصغر مساحة، مطوّقاً بعضها بعضاً. كانت هناك ثلاث مناطق من الماء واثنتان من الأرض، التي خرطها مثلما يُخرط الخشب بمخرطة، كلٌّ منها يمتلك محيطاً بعده متساوٍ من المركز في كل اتّجاه، وذلك كي لا يتمكّن أيّ رجل من دخول الجزيرة؛ لأنّ البواخر والرحلات لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت. وهو نفسه، كونه إلهاً، لم يجد صعوبة في خلق ترتيبات خاصّة لوسط الجزيرة، فأخرج نبعين إثنين من تحت الأرض، واحداً منها للماء الحارّ وآخر للبارد، وأحدث كلّ أنواع الغذاء كي ينمو بوفرة من الأرض. وأنجب أيضاً وربّى

خمسة أزواجٍ من الأطفال الذكور التوائم؛ وبعد أن قسَّم جزيرة أطلانتيس إلى عشرة أقسام، أعطى للتّوأم الأوّل الذي وُلِد مكان سكن أمه، أعطاه الحصّة المحيطة بالسكن، التي كانت الأكبر والأفضل، وجعله ملكاً على الباقين. وخلق من الآخرين أمراء، وأعطاهم السلطة كي يحكموا على الرجال الآخرين، مع مقاطعة كبيرة. سمَّى الأكبر سنّاً أطلس، الذي كان أوّل ملك؛ وسمّيت باسمه الجزيرة بأكملها والمحيط أطلنتيك. أعطى لأخويه التوأمين، اللذين وُلدا بعده، قطعة أرضهما في أقصى الجزيرة باتّجاه أعمدة هرقل، في مواجهة البلاد التي تدعى الآن منطقة «غِيْدس» في ذلك الجزء من العالم، ومنحها الإسم الذي هو في اللغة الهيلينية يوميلوس، وفي لغة البلاد التي سمّيت باسمه، غاديروس، وسمَّى أحد التوأمين مفيريس، ودعا الآخر إيفايمون. وأطلق إسم مينسيوس على الزوج الثالث الأكبر سنّاً من التوأمين، ومنح إسم أوثوختون إلى الزوج الذي تلا الثالث. وسمَّى الأكبر سناً من الزوج الرابع للتوأمين أزايس، وسمى الأفتى ديابريس. كان كلّ هؤلاء والمتحدّرون منهم لعدّة أجيال، كانوا الساكنين والحاكمين لغطَّاسي الجزر في البحر المكشوف. وكما قد قيل أيضاً، فإنّهم أمسكوا بالحكم في جهتنا على البلاد داخل أعمدة هرقل إلى حدود مصر وتيرهينايا. وبعدُ فإنّ أطلس كما كان لديه عائلة كريمة متعدّدة الأفراد، أبقوا على المملكة، والتي سلَّمها الأخ الأكبر إلى من هو أصغر منه لأجيال عديدة؛ وكانوا يمتلكون مقداراً من الثروة التي لم تكن لدي أيّ من الملوك والحكام من قبل، وليس من المحتمل أن يمتلكها أبداً أيّ شخص مرّة ثانية، وكانوا مجهَّزين بكلّ شيء يحتاجونه في المدينة والرّيف على حد سواء. إذ بسبب كبر إمبراطوريتهم واتساعها فإنّ أشياء عديدة أُحضِرت لهم من البلدان الأجنبيَّة، وقدّمت الجزيرة نفسها أكثر مما احتاجره لاستعماله في الحياة. في المقام الأوّل حفروا في الأرض عميقاً

واستخرجوا كلّ ما وجدوه هناك، الجامد منه والسائل والذي لم يبق منه إلا الإسم، وكان يومها شيئاً أكثر من إسم، وحُفِر الأوريخالكوم خارج الأرض في أجزاء متعددّة من الجزيرة، كونه أكثر نفاسة من أيّ شيء آخر في تلك الأيّام ما عدا الذهب. ووُجدت الأخشاب بغزارة لعمل النجارين، وإعالة كافية للحيوانات الأليفة والبريّة. بالإضافة إلى ذلك كان هناك عدد كبير من الفيلة في الجزيرة؛ إذ كما وُجد احتياط من كلّ أنواع الحيوانات الأخرى، تلك التي تعيش في الجبال وفي السهول، وأيضاً تلك التي تعيش في البحيرات والمستنقعات والأنهار، كان هناك احتياط للحيوان الذي هو الأكبر والأكثر شراهة من جميع الحيوانات. ومهما وُجد الآن في الأرض من الأشياء العطرة أيضاً، سواء إذا كانت جذوراً، أو أعشاباً، أو أخشاباً، أو عطورات استُقطرت من الفواكه والأزهار، فإنّ الذي وُجد من كلّ هذه الأشياء فإنّما نما وازدهر في تلك الأرض. كانت هناك أيضاً الفاكهة التي تتقبّل الحراثة، من النوعين الجافّين كليهما، اللذين أُعطيا لنا للتغذية وأيّ نوعٍ آخر نستعمله للأكل ـ إنّنا نسمّيهما بالإسم المشترك للحبوب. وكانت هناك الفواكه التي لها قشرة صلبة، وتقدم شراباً ولحوما ومراهم، ومخزون جيّد من الكستناء وما شابه، والتي تمدّنا باللذّة والسلوى. ووجدت الفواكه التي تُفسَد إنْ احتُفظ بها، وكانت هناك الأنواع السارّة من الحلوى، التي نسلّي بها أنفسنا بعد الغذاء، عندما نكون تعبين من الأكل ـ كلّ هذه الأشياء أثمرتها الجزيرة المقدّسة التي شاهدت نور الشمس. إنّها أثمرتها جميلة ورائعة وغير محدودة في الوفرة. إنّ الأرض جهّزت القاطنين هناك بنعمٍ كهذه وبحريّة؛ في حين أنّهم استمروا في بناء وتشييد معابدهم وقصورهم وموانئهم وأحواض سفنهم، ونظّموا البلاد كلّها بالطريقة التالية:

أقاموا الجسور فوق المقاطعات البحريّة قبل كلّ شيء فأحاطت بالولايات الأم

الغابرة، مشيّدين طريقاً من القصر الملكي وإليه. وبنوا القصر بالتحديد في مكان سكن الإله وحيث يقطن أسلافهم، والذي استمرّوا في زخرفته في الأجيال المتعاقبة، وبزَّ كلّ ملك منهم الملك الآخر الذي قضى قبله إلى أقصى قوّته في ذلك العمل، إلى أن جعلوا هذا البناء معجزة بالنظر لحجمه وجماله. وحفروا ابتداءً من البحر قناة بعرض ثلاثمائة قدم بعمق مائة وبطول خمسين ستاديا، وأنجزوها إلى النطاق الأكثر بعداً، محدثين ممرّاً من البحر صعوداً إليها، وأصبح هذا الممرّ ميناءً، تاركين ثغرة كافية كي تمكّن المراكب الأكبر لتجد مدخلاً فيه. بالإضافة إلى ذلك فإنّهم قسّموا على الجسور مناطق من الأرض التي جزّأت مناطق البحر، تاركين متّسعاً لسفينة ذات مجاذيف ثلاثة كي تخرج من منطقة إلى أخرى، وغطّوا الأقنية وذلك كي يسمحوا بإيجاد طريق تحتيّة للبواخر لأنّ الحفافي كانت مرتفعة فوق الماء بشكلٍ لا بأس به. وبعدُ فإنّ أكبر المناطق التي كان فيها الممرّ منفصلاً عن البحر كان عرضها ثلاث ستاديات؛ لكنّ المنطقتين التاليتين، إحداهما مائية، وأخرى من اليابسة، كان عرضهما ستاديومين اثنتين. أمّا التي أحاطت بالجزيرة في الوسط فكان عرضها ستاديوم واحدة. والجزيرة التي أُقيم عليها القصر كان قطرها خمس ستاديات. يشمل هذا كلّه المناطق والجسر، والتي كانت سدس الاستوديوم في العرض، وكانت محاطة بجدار صخريّ من كلّ جانب، مركّزين الأبراج والبوّابات على الجسور حيث كان يتداخل البحر في البرّ. أمّا الحجر الذي كان يُستخدم في العمل فإنّهم استخرجوه من مقلعٍ تحت الجزيرة في الوسط، ومن تحت المناطق الأخرى، على الجانب الداخليّ والجانب الخارجيّ أيضاً. وكان نوعٌ منه أبيض، وآخر أسود، وثالث أحمر. وإذ كانوا يقلعونه، جوّفوا أحواض السفن في الوقت عينه، جوّفوها في الداخل بشكل مضاعف، مشكّلين سقوفاً من الصخور الطبيعيّة في

عملهم هذا. كانت بعض أبنيتهم أبنية بسيطة، لكنّهم وضعوا حجارة مختلفة في تشييد الأبنية الأخرى، منوّعين ألوانها كي تسرّ النظر، ولتكون مصدر بهجة طبيعيّة. وأما محيط الحائط كلّه، الذي امتدَّ دائريّاً إلى المنطقة الأبعد، فقد غطّوه بطبقة من النحاس الأصفر، وغطّوا محيط الحائط المجاور بطبقة من القصدير. وأمّا محيط الحائط الثالث، الذي طوّق الحصن فإنهم أضاؤوه بالنور الأحمر من الأوريخالكوم «ORICHALCUM». وبُنيت قصور الحصن الداخلية على هذا النحو: كُرِّس المعبد المقدَّس في الوسط لكِلايتو وبوسايدون، الذي بقي متعذّراً بلوغه، وكان هذا المعبد المقدّس محاطاً بسياج من الذهب؛ كانت هذه البقعة هي المكان حيث تصوَّرت عائلة الأمراء العشرة وحيث رأى أفرادها النور. وهناك أحضر الشعب فواكه الأرض في وقتها سنوياً من كلّ الأقسام العشرة، كي تكون تقدمة لكلٍّ من هؤلاء الأمراء العشرة. كان هناك معبد بوسايدون الخاصّ الذي كان طوله ستوديوم، وعرضه نصف طوله، وكان علوه متناسباً، وكان له مظهر بربري غريب. وغطّوا كلّ مظهر المعبد الخارجيّ بالفضّة، ما عدا الأبراج التي غطّوها بالذهب. وكان سقف المعبد من الداخل مصنوعاً من العاج، مشغولاً بالذّهب والفضة والأوريخالكوم في كلّ مكان بشكل مدهش؛ وغطّوا كلّ أجزاء الأقسام الأخرى، الحيطان والأعمدة والأرض، غطّوها بالأوريخالكوم، وركّزوا في المعبد تماثيل من الذهب. هناك كان الإله ذاته واقفا في عربة ـ عربة ذات ستّة أحصنة مجنَّحة ـ ومن هكذا حجم تمكّن كل حصان من ملامسة سقف البناء برأسه؛ ووُجد حوله مئة ناريدة(٥٤) راكبا على الدولفينات. إنّ رجال تلك الأيّام ظنّوا أنّ هذا العدد كان مطابقاً لها. وكانت هناك أيضاً صورٌ أخرى كُرِّست لأشخاص مخصوصين في داخل هذا المعبد. ووُضِعت حول المعبد من الخارج تماثيل من الذهب لكلّ مَنْ كان

مُعدّاً من بين الملوك العشرة، تماثيل لهم ولزوجاتهم بالتساوي، وكان هناك العديد من التقديمات الكبيرة الأخرى، قدّمها الملوك وخواص الأشخاص الذين أتوا من المدينة نفسها ومن المدن الغريبة التي سيطروا عليها. لم يكن هناك مذبح أيضاً يتطابق في الحجم والصَّنعَة لهذه الفخامة. وأمّا القصور فإنّها تنطبق على عظمة المملكة وعلى مجد المعبد في أسلوب مماثل.

وفي المقام التالي، كانت لديهم ينابيع، أحدها مياهه باردة والآخر مياه حارّة تتدفّق بغزارة ورشاقة؛ وكان النبعان مهيَّأين للاستعمال بشكل رائع بسبب صفائهما وامتياز مياههما. وبنوا الأبنية حولهما وغرسوا الأشجار المناسبة، وصنعوا الأحواض أيضاً، بعضها مكشوف للسماء، والبعض الآخر تغطيه السقوف، وذلك كي تُستعمل في فصل الشتاء كحمّامات حارّة؛ وكانت هناك حمامات الملوك، وحمّامات الأشخاص الخاصّين، التي أُبقيت منفصلة. وكانت هناك حمامات منعزلة للنساء، وللأحصنة والقطعان، وأعطوا لكلّ منها ما كان مناسباً له من الزينة. وحملوا بعض الماء الفائض عن حاجاتهم إلى أيكة بوسايدون، حيث كانت تنمو كلّ أنواع الأشجار الشامخة الجميلة، بسبب امتياز التربة، في حين أنّ ما تبقّى من المياه نُقِل بواسطة أقنيةٍ لجرّ المياه على طول الجسور التي للدوائر الخارجية. وكان هناك العديد من المعابد التي بُنيت وكُرّست للآلهة المتعدّدة. وبُنيت أيضاً الجنائن وأماكن التمارين الرياضيّة، بعضُها للرجال، وبعضها الآخر للأحصنة، بُنيت في كلا الجزيرتين الإثنتين المتشكلتين من المناطق. ووُضع في وسط المنطقة الأكبر منهما، مضمارٌ منفصل عرضه ستوديوم، وتُرِك يمتدّ طولاً حول الجزيرة كلّها، كي تتسابق الأحصنة فيه. وكان هناك أيضاً حرسٌ للأحصنة في فسحات للحرس الرئيسية، في حين أنّ مَنْ حاز منهم الثقة الأكبر عُيّنوا ليبقوا يقظين في المنطقة الأصغر التي كانت أقرب إلى الأكروبوليس؛ بينما كان لدى الأكثر

ثقةً من الجميع بيوت قُدِّمت لهم داخل المعقل، قرب أشخاص الملك. كانت أحواض السفن ممتلئة بالسفن ذات المجاذيف الثلاثة والمخازن البحريّة، وكان كلّ شيءٍ جاهزاً للاستعمال تماماً. والآن نكتفي بهذا القدر عن تصميم القصر الملكيّ.

لنترك القصر ولنمرَّ من خلال الموانىء الثلاثة، ولنصل إلى سورٍ يبتدىء في البحر ويمتدّ حول المكان. كان هذا السور طويلاً لمسافة خمسين ستاديا عند أكبر منطقة أو ميناء في كل ناحية، وطوّق الجميع، وتلاقت نهاياته في مدخل القناة التي قادت إلى البحر. امتلأت المساحة هذه كلّها بالسكّان بشكل كثيف. وكانت القناة والموانىء الأكبر ممتلئة بالقوارب والتجّار الآتين من كلّ الأنحاء، الذين أبقوا على استمراريّة ضجيج الأصوات الإنسانية بسبب كثرة عددهم، وصمُّوا الآذان بالجلبة والهذر ليلاً نهاراً ومن كلّ نوع.

لقد وصفت المدينة وما يحيط بالقصر القديم حسب كلمات صولون على وجه التقريب. وبعدُ يجب أن أجهد كي أعرض لكم طبيعة وترتيب باقي الأرض. قال إنّ البلاد كلّها كانت شامخة العلوّ وشديدة الانحدار بجانب البحر؛ لكنّها كانت مسطّحة وسهلة قرب وحول المدينة التي كانت من جانبها محاطة بالجبال التي هبطت نحو البحر. كانت الأرض ملساء ومستوية، وذات شكل مستطيل، وامتدّت لثلاثة آلاف ستاديا في اتّجاه واحد. إنّ هذا الجزء من الجزيرة كان متّجهاً نحو الجنوب، وكان محميًّاً من الناحية الشمالية. كانت الجبال مشهورة لكثرتها وحجمها وجمالها، أكثر بكثير من تلك الجبال التي لا تزال باقية، وكان على قممها العديد من القرى الغنيّة أيضاً ويقطنها أهل الرّيف. وكانت فيها الأنهار، والبحيرات، والمروج المتعدّدة التي زوّدت كلّ حيوان بالغذاء الكافي، البرّي منه والأليف. وكان على الجبال أيضاً الأخشاب الكثيرة المتعدّدة الأنواع، والمتوفّرة لكلّ نوعٍ من أنواع العمل.

سأصف السهل الآن، الذي شكلته الطبيعة وعمّال الملوك منذ أجيال متعدّدة خلال العصور الطويلة. كان الجزء الأكبر منه مستطيل الشكل بالطبيعة، وقد جُعِل منتَظَماً بالحفرة المطوّقة حيث انتهى بالخطّ المستقيم. إنّ عمق، وعرض، وطول هذه الحفرة أشياء لا تُصدَّق، وأعطت انطباعاً أنّ العمل لهكذا امتداد، بالإضافة لأشياء أخرى متعددة، لا يمكن أن يكون عملاً اصطناعياً أبداً. وعليَّ أن أقول ما قد أُخبِرت به برغم ذلك. إنّها كانت محفورة إلى عمق مئة قدم، وكان عرضها ستوديوم في كلّ مكان، وكانت محمولة حول السهل كله، وكان طولها عشرة آلاف ستاديا. وتلقّت الجداول التي هبطت من الجبال مجتمعةً مخترقةً السهل وملتقيةً في المدينة، ثم حُوّلت هناك إلى البحر. وأبعد من ذلك، فلقد فُصِلت منها أقنية مستقيمة عرضها مئة قدم عبر السهل في الداخل بشكل مماثل، وحُوّلت إلى الحفرة مرَّة ثانية، تلك الحفرة التي تقود إلى البحر. كانت هذه الأقنية ذات فسحات من مئة ستاديا، وهُمْ جلبوا الأخشاب من الجبال إلى المدينة بواسطتها، ونقلوا فواكه الأرض في بواخر، مجتازين الممرّات بالعرض من قناةٍ إلى أخرى، ومن ثمَّ إلى المدينة. وجمعوا فواكه الأرض مرّتين في السنة - يساندهم مطر السماء في فصل الشتاء، وفي فصل الصيف المياه التي زوَّدتهم بها اليابسة، عندما وضعوا قيد الاستعمال جداول من الأقنية للريّ.

ومن جهة السكّان، فإنّ كلّ قطعة من الأرض في السهل كان على ساكنيها أن يجدوا قائداً للرجال الذين كانوا مؤهَّلين للخدمة العسكريّة، وكانت مساحة هذه القطعة عشر ستاديات من كلّ جانب، وكان العدد الإجمالي لكلّ قطعة ستين ألفاً. كانت هناك كثرة كبيرة من القاطنين على الجبال وفي بقيّة البلاد أيضاً، والذين كانوا موزّعين وسط قطع الأرض هذه وكان لهم قادة عُيِّنوا عليهم طبقاً لمناطقهم وقراهم، وكانوا هم بحاجة إلى قائدٍ كي

يجهِّز للحرب سدس حصَّة العربات الحربيَّة، وذلك كي يتمّ له جمع عشرة آلاف عربة حربيَّة بشكل تامّ. وكان لكل عربة حصانان ورِكاب وزوجان من الأحصنة بدون عربة، يرافقها فارس يستطيع أن يحارب راجلاً ويحمل مجنّاً صغيراً، وبحوزته عربة وقفت خلف الرجل الذي يحمل السلاح كي ترشد الحصانين. وكان ملزماً أيضاً بأن يقدّم جنديين مدجّجين بالسلاح الثقيل وكذلك قاذفين للسّهام، وجنديّين يحملان المقلاع، وثلاثة رجال من راشقي الحجارة، وثلاثة من حاملي الرماح الذين كانوا مسلّحين تسليحاً خفيفاً، وأربعة بحّارة كي يجهِّزوا ما تمامه ألف ومائتا باخرة. هكذا كان النظام العسكريّ للمدينة الملكيَّة. أمّا نظام الحكومات التسع الأخرى فإنّه كان نظاماً متنوّعاً، وسيكون شيئاً مرهقاً أن أعدّ تبايناتهم المتعدّدة من جديد. وفيما يخصّ المراكز والكرامات، فكان نظام ترتيبها منذ البدء كالآتي: كلٌّ من الملوك العشرة في مقاطعته الخاصّة وفي مدينته، تحكّم تماماً بالمواطنين، وفي أكثر الأحايين، بالقوانين، معاقباً وقاتلاً أيّ شخص يريد. وبعدُ فإنّ نظام الأسبقية بينهم وبين أقربائهم المشتركين نُظِّم بأوامر بوسايدون التي سلَّمها لهم. إنّ هذه القوانين نسقها الملوك الأوَل على أعمدة أوريخالكوم، التي رُكِّزت في وسط الجزيرة، في معبد بوسايدون، حيث كان يتجمَّع الملوك معاً كل سنة خامسة وسادسة بالتناوب، ومنحت هذه القوانين تكريماً متساوياً للعدد المفرد والمزدوج. وعندما اجتمعوا معاً تبادلوا الرأي بشأن مصالحهم المشتركة، وتحقّقوا إنْ كان أيّ شخص انتهك القانون في أيّ شيء، وأصدروا حكماً عنه. وقبل إصدار هذا الحكم تعهّدوا لبعضهم البعض على هذا النحو: كانت هناك الثيران التي وُجدت في معبد بوسايدون، وكون الملوك العشرة تُركوا لوحدهم في المعبد، وبعد أن قدَّموا صلوات لله كي يتمكّنوا من أسر الضحيّة التي كانت مقبولة له، بعد أن فعلوا ذلك، اصطادوا

الثيران بدون أسلحة، لكن بالعصي والأشراك. أمّا الثور الذي التقطوه فقد قادوه إلى العمود وقطعوا رقبته من أعلاها، وذلك كي يسقط الدمّ على النقش المقدَّس. وبعدُ فإنّ ما نُقِش على العمود بجانب القوانين، نُقِشَ مستحضِراً اللّعنات العظام على العاصين. ولهذا السبب، بعد أن ذبحوا الثور بالأسلوب المعتاد، تقدّموا ليحرقوا أطرافه فملؤوا طاسة بالنبيذ ورموا فيها كتلة من الدم لكل منهم؛ أمّا بقية الضحيّة فقد رموها في النار، بعد أن طهَّروا العمود من كلّ جانب. وبعدئذ سكبوا ما في الطاسة في فناجين ذهبيّة، وصبّوا السائل على النار، وأقسموا بأنّهم سيحكمون طبقاً للقوانين الموجودة على العمود، وسيعاقِبون من ينتهكها في أيّة نقطة عن سابق تصوّر. ولن يُسيئوا مستقبلاً، إنْ استطاعوا، أو يفعلوا ضدّ ما كُتب على العمود، ولن يأمروا الآخرين، أو يطيعوا أيّ حاكم يأمرهم أن يفعلوا بشكل مخالف لِمَا سُطِّر في قوانين أبيهم بوسايدون. كانت هذه هي الصلاة التي قدَّمها كلّ منهم لنفسه وللمتحدّرين منهم. وفي الوقت عينه بعد أن شربوا ما في الكأس وكرّسوا الكأس الذي شربوه في معبد الإله، وبعد أن تجرَّعوه وأشبعوا رغباتهم، وعندما حلَّ بهم السّكْر، وبردت النار حول التضحية، ارتدى كل منهم الثوب اللّازورديّ الأجمل وجلسوا على الأرض ليلاً ثم تلقّوا وأصدروا الحكم فوق جذوات التضحيات التي أقسموا بها، ثم أخمدوا النار كلّها حول المعبد، هذا إذا كان لأحدهم أيّ اتّهام كي يحضره ضد أيّ واحد منهم. وعندما أصدروا حكماً، كتبوا العقوبات على لوحاتٍ ذهبيّة عند طلوع ضوء النهار، وكرَّسوها مع ثيابهم كي تكون أشياء يتم تذكرها على الدّوام.

كانت هناك عدة قوانين خاصّة منقوشة حول المعابد طالت الملوك العديدين، لكنّ الأكثر أهميّة منها كنت ما يلي: لم يُسمح لهم بشهر السلاح ضدّ

بعضهم، وكان عليهم جميعاً أن يأتوا لنجدة بعضهم إن حاول أيّ شخص في أيّ مدينة من مدنهم أن يقلب البيت الملكيّ، وكان عليهم مثلما فعل أسلافهم أن يتداولوا بشأن الحرب والقضايا الأخرى معاً، واهبين السيادة إلى المتحدّرين من أطلس، ولم يكن للملك أن يحوز سلطة الحياة والموت فوق أيٍّ من أقربائه إلاَّ إذا تلقّى قبولاً من أكثريّة الملوك العشرة.

هكذا كانت السلطة الواسعة التي وطّدها الإله في جزيرة أطلنتيس المفقودة، ووجّه هذه السلطة ضدّ أرضنا بعد ذلك للأسباب التالية، كما يخبرنا العرف والتقليد: كان أجدادنا يطيعون القوانين لعدّة أجيال، طلما بقيت فيهم الطبيعة الإلهية، وطالما ظلوا ميّالين نحو الإله، وهم الذين كانوا ذريّته؛ فهُمْ امتلكوا الحقيقة وكانت لهم النفوس العظيمة في كلّ طريقة، موحّدين اللّطف مع الحكمة في كلّ إمكانيات الحياة، وفي علاقاتهم بعضهم مع بعض. إنّهم احتقروا كلّ شيء إلاَّ الفضيلة، لا يهتمّون إلا قليلاً بحالة حياتهم الحاضرة، ويستخفّون بامتلاك الذهب والأشياء الأُخرى، والتي بدت لهم عبئاً ثقيلاً فقط عليهم. ولم يُسكرهم التّرف، ولا جرّدهم الغنى من ضبط أنفسهم وأهوائها؛ بل كانوا متّسمين بالاعتدال والرّصانة، ورأوا بوضوح أنّ كلّ هذه الخيرات تزداد بالفضيلة ومصادقة بعضهم بعضاً، في حين رأوا أنّهم إذا اعتبروا واحترموا الغنى والترف وتركوا الخيرات الأخرى فسيضلّون ضلالاً مبيناً. بهكذا تأمّلات عقليّة وباستمراريّة الطبيعة الإلهية فيهم، فإنّ النوعيّات التي وصفناها نمت في نفوسهم وازدادت بينهم، لكن عندما ابتدأ الجزء الإلهيّ يخبو ويتضاءَل، وأصبح يخفّ جدّاً، وكثيراً جدّاً بالمزيج الفاني، وكانت الطبيعة الإنسانية لها اليد العليا عليهم، وتصرّفوا عندئذٍ بشكل غير لائق كونهم غير قادرين على أن يتحمّلوا قَدَرهم، ومن ثمَ ازدادوا مذقاً لمن له عينان لترى، وبدأ قدرهم ينحطُّ بشكل جليّ لأنّهم فقدوا أجمل وأثمن

عطاياهم. لكنهم بدوا لأولئك الذين لا يملكون عيوناً لترى السعادة الحقيقية بدوا ممجَّدين ومبارَكين في الوقت الذي أفسدهم الطموح والقوّة الباطلة. إنّ زيوس، إله الآلهة، الذي يحكم طبقاً للقانون، والذي يقدر على أن يرى في أشياء كهذه، مدركاً أنّ جنساً كريماً شريفاً كان في مأزق حرج ومحزن، وراغباً في أن ينزل العقاب عليهم كي يمكنهم أن يتطهَّروا ويتهذّبوا ويتحسّنوا، جمع الآلهة كلهم في مسكنهم الأقدس، والمركّز في وسط العالم، وشاهد كلّ الأشياء المخلوقة، ودعاهم معاً حينئذ، وقال لهم ما يلي:

هوامش

(١) او: «لان عملية الكلام هي واحدة من عمليات تخصيص الاسماء». «المعرّب».

(٢) «الحقيقة» كان العنوان لكتاب بروتاغوراس.

(٣) المرجع الالياذة «القمة التي يسمّيها الرجال باتييا ويسميها الخالدون ضريح ميرينا الرياضية».

(٤) الالياذة «المعرّب».

(٥) «انصاف الآلهة» كلمة تُستعمل يونانياً كونها متوسطة بين الله والانسان.

(٦) الشاعر هيسيود، الاعمال والايام.

(٧) الالياذة. والأم تيثيس ابنة يورانوس وزوجة اوقيانوس في الاسطورة اليونانية

(٨) المرجع، الجمهورية.

(٩) يبدو انه يوجد خطأ في المخطوطات.

(١٠) كراتيلوس

(١١) الدوريانز، شعب غزا بلاد الاغريق حوالي القرن ١٢ ق.م. واستقر في دوريس ولاكونيا من بلاد اليونان

(١٢) كراتيوس

(١٣) الالياذة

(١٤) وكما ورد في محاورة طيماوس، حيث ان اليوم يشتق من النور اللطيف.

(١٥) الاشارة الى مقطع سابق من هذه المحاورة

(١٦) او، «وتقود بشكل متين الى اخطاء من حجم كبير».

(١٧) الاشارة الى بروتاغوراس

(١٨) الاشارة الى الجمهورية

(١٩) الاشارة إلى كتاب السياسة لارسطو

(٢٠) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٢٥) الاشارة الى جورجياس «المعرب».

(٢٦) الاشارة الى مقطع سابق من هذه المحاورة

(٢٧) الساطير اله من آلهة الغابات عند الاغريق، له ذيل وأذنا فرس، وكان يتميز بولعه الشديد بالقع
والعربدة، وبانغماسه في الملذات.

(٢٨) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٢٩) السيرانة واحدة من مجموعات كائنة اسطوريّة «عند الاغريق» لها رؤوس نسوة واجساد طيور، كـ
تسحر الملاّحين بغنائها فتقودهم موارد الهلاك. «المعرب».

(٣٠) الاشارة الى مسرحية اريسطو فاينز، الضباب.

(٣١) الاشارة الى محاورة جورجياس.

(٣٢) الاشارة الى محاورة هيبياس الاصغر.

(٣٣) كانت الـ choes تساوي حوالي ستة باينتات Pints في اليونان القديمة.

(٣٤) انه سقراط نفسه.

(٣٥) الاشارة الى محاورة جورجياس

(٣٦) الاشارة الى الالياذة

(٣٧) اي انه اوديسيوس في الاسطورة اليونانية

(٣٨) برايم في الاسطورة اليونانية، آخر ملوك طروادة الذي حكم اثناء حرب طروادة، وهو اب هيكتور با

(٣٩) ثيتيس في مجموعة الاساطير اليونانية هي ام اخيل، وواحدة من بنات نيريوس الخمسين

(٤٠) الاشارة الى محاورة فيدون

(٤١) الاشارة الى محاورة جورجياس، والجمهورية

(٤٢) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم

(٤٣) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم وما يليها

(٤٤) الاشارة الى محاورة سيمبوزيوم

(٤٥) بنلوب، الزوجة الأمينة ليوليسيس، والتي حوكمت من قبل مدّعين أثناء غيابه، والتي شغلت

(٤٦) الإكليسيا، في الدول اليونانية الغابرة، الجمعية العمومية للمواطنين اليونانيين التي تبحث في الأغراض السياسية.

(٤٧) أكايا، مقاطعة في بلاد اليونان القديمة، هكذا استخدم الكلمة هوميروس. يُظن أنّ الأكايين هاجروا من شمالي مقاطعة الدانوب إلى اليونان في سنة ١٣٠٠ ق.م.

(٤٨) زوروستر أو زرادشتا، مؤسّس الديانة الفارسية القديمة، الزرادشتية، في القرن السادس والسابع قبل الميلاد.

(٤٩) الهيلوطيوين، شعب سكن لاقوينا في اليونان القديمة، ثم استعبدهم الإسبرطيون.

(٥٠) الإشارة إلى الجمهورية وما يلي.

(٥١) الاشارة الى كتاب السياسة لارسطو

(٥٢) الاشارة الى اعمال ثيوسيدايدس

(٥٣) الاشارة الى محاورة طيماوس

(٥٤) الناريدة، واحدة من حوريّات البحر زعمت الاسطورة الاغريقية انهنّ بنات اله البحر نيريوس، «المعرب»

